جغرافية المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني

إقليم جنوب غرب المملكة



تأليف الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف

جغرافية المملكة العربية السعودية

جغرافية المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني
إقليم جنوب غرب المملكة

تأليف

الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف
أستاذ الجغرافيا المشارك بكلية الآداب
جامعة الملك سعود



الرياض - ص.ب ١٠٧٢٠

© طبعة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ الرياض

دار المريـخ للنشـــر

محتويات الكتاب

(أ) المواضيع :

الباب الأول

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

صفحة

الباب الثانى

الفصل الرابع

الفصل الخامس

صفحة

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

صفحة

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادى عشر

(ب) الأشكال والخرائط :

صفحة

(ج) الجداول :

صفحة

(د) الصور :

بسم الله الرحمن الرحيم

صدر الجزء الأول من كتاب « جغرافية المملكة العربية السعودية » فى أواخر عام ۱۹۷۷ م ، ۱۳۹۷ هـ ، وقد سبق وذكرت في مقدمته أن دراسة جغرافية المملكة العربية السعودية دراسة إقليمية تتطلب تضافر جهود فريق من الباحثين ، لاجهد شخص واحد . وأن تغطية الموضوع تحتاج إلى سلسلة من المؤلفات أو على الأقل كتاب يتكون من عدة أجزاء .

وانطلاقا من هذه الفكرة فقد قصرت موضوع الجزء الأول على الدراسة التحليلية الشاملة لأهم العوامل التى تضفى على القطر شخصيته الجغرافية التى يتميز بها ، والتى تؤثر في حياة سكانه وفي نشاطهم ، واستدركت أن تلك الدراسة ستظل ناقصة إن لم تتبعها دراسة تركيبية تتناول تفاعل العوامل المؤثرة مجتمعة في المكان الواحد ، وأثر ذلك التفاعل على شخصية المكان .

وتقتضى الدراسة التركيبية تقسيم المملكة إلى أقاليم جغرافية على أسس إقليمية سليمة ، وتقسيم كل إقليم منها إلى أقاليم أصغر وأصغر ، حسب تشابه أو تباين خصائص كل منها ، ودراسة هذه الأقاليم فى أجزاء الكتاب المتتابعة بحيث يتخصص كل جزء لدراسة إقليم أو أكثر . وقد وعدت في مقدمة الجزء الأول فعلا أن أتبعه بالأجزاء الأخرى على مراحل .

ورغم أننى باشرت العمل فى تصنيف الجزء الثاني من هذا الكتاب فور صدور الجزء الأول ، إلا أنه قد مضى ست سنين قبل أن أتمكن من دفع الجزء الثانى الى المطبعة لتنفيذ

المرحلة الأولى من ذلك الوعد . لايعود هذا التأخير فى الواقع الى التراخى أو النسيان بقدر ما يعود الى محاولة التأني لرفع مستوى البحث إلى أعلى قدر ممكن ،الأمر الذى يحتاج الى جهد كبير ويستغرق وقتاطويلا ،يتطلب التغلب على كثير من الصعاب .

وطيلة الفترة الماضية لم تثبط عزيمتى ولم يعترينى التشاغل عن هذا العمل ، بل حاولت تخطى جميع الصعاب . ولذلك سعيت خلال سنة التفرغ العلمى التى حصلت عليها فى العام الجامعى ١٤٠٠/١٤٠١ هـ، الى التعرف على أصول الدراسة الإقليمية وعلى فلسفة مادتها فى واحدة من الجامعات الأمريكية المتخصصة بالدراسة الإقليمية ، والى الاطلاع على المراجع الأصولية فى أسلوب البحث وذلك عن طريق قسم الجغرافيا (الدراسات العليا) فيها من ناحية ، وعن طريق مكتبتها الضخمة من ناحية أخرى .

ومن أجل الوصول الى هذه الغاية أيضا سافرت الى منطقة الدراسة فى ثلاث رحلات ميدانية فى فترة الأجازات ، الى جانب معرفتى المبكرة بالمنطقة ورحلاتى السابقة برفقة طلاب قسم الجغرافيا اليها ، حتى أصبحت مألوفة تماما بالنسبة إلى ومن أجل ذلك أيضا تقدمت الى مركز البحوث فى كلية الآداب ،بجامعة الملك سعود ليساهم فى الدراسة الميدانية تلك .

أحمد الله أننى أنهيت مرحلة من هذه المحاولة التى عكفت عليها سنوات . وأعتبرها استمراراً للمرحلة الأولى ومكملا لها . لا أدعى أننى بلغت بها الكمال الذى أرجوه ، فالكمال لله وحده ، ولو أننى أسعى وأجتهد ، باحثا أتحرى الحقيقة ما أسعفنى اليها الجهد . وما أردت بها الا أن تكون حافزا لجميع المهتمين بدراسة جغرافية المملكة العربية السعودية للولوج فى ميدان الدراسة الاقليمية للمملكةبعد طول تردد ورهبة . فان أصبت فحمدا لله ، وان قصرت فمعذرة عن التقصير .

ولا يسعنى فى هذا المجال إلا أن أقدم شكرى لجامعة الملك سعود متمثلة فى قسم الجغرافيا وكلية الآداب ، لما لقيته منهم من عون صادق ، مما كان له أكبر الأثر فى تذليل كثير من الصعاب . وأخص بالشكر مركز البحوث فى الكلية الذى وافق على المساعدة فى الدراسة الميدانية بتمويل الرحلات الثلاث ونسخ مسودة الكتاب وخرائطه ، ولولا مساعدته تلك لتأخر ظهور الكتاب عن الموعد الذى يظهر به الآن

ولا يفوتنى أن أسجل شكرى لجميع الزملاء فى قسم الجغرافيا لما كانوا يبدونه من ملاحظات ومناقشات مفيدة ، وأخص بالذكر المعيد عبد الله سالم الزهرانى لمساعدته القيمة فى مرافقتى برحلتين من الرحلات الميدانية . ويسرنى تقديم الشكر مقدما لكل من سوف يبدى أى ملاحظة أو تعليق أو اقتراح مما سوف يسهم فى إبرازه فى المستقبل بصورة أفضل وأكمل . فإلى هؤلاء جميعا أقدم شكرى خالصا ، والله يجزيهم عنى خير الجزاء . والله من وراء القصد .

د . عبد الرحمن صادق الشريف

الرياض فى رمضان ١٤٠٣ هـ

حزيران ١٩٨٣ م

البـــاب الأول

الفصل الأول : الإقليمية والأقاليم الجغرافية فى المملكة العربية السعودية

الفصل الثاني : ملامح البيئة الطبيعية فى إقليم جنوب غرب المملكة

الفصل الثالث : الملامح البشرية فى جنوب غرب المملكة

الفصــل الأول

الإقليمية والأقاليم الجغرافية في المملكة العربية السعودية

تعتبر الجغرافيا من أقدم العلوم التى عرفها الإنسان ، وكانت تعنى بوصف الأرض وما عليها من ظواهر طبيعية أو بشرية ، وكانت تعتمد فى مادتها على مادونه الرحالة أو المكتشفون . ولذلك فقد تزودت الجغرافيا بكتابات وأوصاف غزيرة خلال العصور الحديثة خاصة عقب الاكتشافات الجغرافية ، فأثرت بمادتها ثراء عظيما .

غير أنها بدأت منذ قرنين – أي بعد أن أمكن التعرف على المجال الأرضى بشكل أكمل ، وبعد اكتملت خريطة العالم بشكل أدق – بدأت الجغرافيا تنزع إلى دراسة ماهية المكان ، وأخذت تستخدم المعلومات المتراكمة فى بحث التوزيعات العالمية والإقليمية للظاهرات الطبيعية والبشرية على سطح الأرض كالتضاريس والمناخ وأماكن السكن والسكان ونشاطهم الاقتصادى والاجتماعى وما إلى ذلك . كما بدأت تحاول تمثيل هذه الظواهر على خرائط ، على اعتبار أن الأرض وحدة طبيعية كبيرة ، وتتكون من أجزاء متباينة فى صفاتها متشابكة فى علاقاتها .

ومع ذلك يمكن تأريخ أواسط القرن التاسع عشر لبدء اعتبار الجغرافيا أحد العلوم الحديثة التى تعتمد على أسس نظرية وتنهج منهجا علميا ؛ حيث طغت على تلك الفترة أعمال العالمين الألمانيين الكسندر فون همبولت Alexander Von Hambolt ، وكارل رتر Karl Ritter . إذ أمكن استخلاص معظم فلسفة الجغرافيا الحديثة في كتاباتهما ، كما أمكن استخلاص حقائق واضحة لمعظم مبادىء الدراسة الاقليمية[1] .

---

(1) Mcdonald, J. (1972), A Geography of Regions P. 12.

ذلك أن همبولت تجاوز فى بحثه الوصف إلى المقارنة وبدأ يضع الحقائق الجغرافية على شكل معادلات . وبدلا من دراسة الظواهر الجيولوجية والمناخية والنباتية منعزلة ، بدأ يدرس العلاقات بينها وأنماط توزيعها ، واكتشف أسس الترابط بينها . أما رتر الذي تأثر بدراساته الفلسفية والتاريخية السابقة فقد أظهر نظرة بشرية عميقة ، فأضاف تحليله البشرى الصارم إلى المعلومات التى قدمها همبولت ، فاستطاع توضيح العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية ، ومدى تأثير شروط البيئة الطبيعية على تطور المجتمعات . وقد اعتبر ترابط أعمالهما بمثابة انطلاق فكرة الجغرافيا الاقليمية التى تعنى بتركيب المعلومات بعد تحليلها عن المنطقة المعنية بالدراسة .

ورغم أن الجغرافيا تطورت بعد همبولت ورتر فى اتجاهات مختلفة ، فقد استمرت فكرة الاقليمية معروضة على بساط البحث غير أن التقسيم الاقليمي الذي ساد فى ذلك الوقت عمد إلى وضع العوامل الطبيعية المميزة للمكان فى جانب ، والعوامل البشرية فى جانب آخر ، ثم تتم المقارنة بينهما بالطريقة التقليدية لتوضيح تأثير العوامل الطبيعية على النشاط البشرى ، إلى أن جاء بول فيدال دو لا بلاش Paul Vidal de la Blache فأظهر فكرة الإقليمية فى ثوبها الجديد ، حتى عرف في التاريخ باسم « أبو الجغرافيا الإقليمية » . وبين آن لابلاش أن التأثير لايكون دائما من البيئة الطبيعية على الإنسان ، بل إن البيئة الطبيعية تتأثر هى أيضا بنشاط الإنسان الذي يعيش فيها . وكلما زادت حضارة الإنسان وتوسع علمه ، ورسخت تجربته ، زاد تأثيره على البيئة واحكم سيطرته عليها . وأن كلا من الإنسان والبيئة يندمج كل منهما فى الآخر خلال فترة زمنية طويلة ، مما يجعل من الصعب عزل البيئة الطبيعية عن حياة السكان الذين يعيشون فيها . وأوضح أن الدراسة الحقيقية للجغرافيا هى دراسة العلاقة بين الظواهر وتوزيعها فى المكان ، وليس أجدر من « الإقليمية » فى تحقيق هذه الغاية . وقال في تأكيده على أن الإنسان يشكل الإقليم الذي خلقته الطبيعة : « لاتنتج الشخصية الجغرافية من اعتبارات بسيطة لشكل سطح الأرض ومناخها ، فهي ليست شيئا تمنحه الطبيعة . فالإقليم خزان من الطاقات الكامنة وضعت الطبيعة بذورها فيه ، وعلى الإنسان أن يقرر طرق الانتفاع بها » .

ولا يستطيع أي جغرافي الآن أن يتجاهل الحقائق البشرية التى تضفى على الأقاليم الطبيعية بصفات معينة . ومن هذه الحقائق عناصر السكان بما يمثلونه من حضارة . غير أن التباين في رؤية العوامل التى تؤدى إلى التقسيمات الاقليمية استمر وتشعب . فقد أبرز الجغرافيون التشابه والتباين بين المناطق Areal Differentation وأوضحوا العلاقات

القائمة بين الأقاليم التى تكون مجموعات الأماكن ، ورصدوا الحركة فيما بينها ، واستعانوا بالماضى للتعرف على النظام المكاني الذي كان سائدا لتقدير التغير الذي حصل والذي ينتظر أن يحصل فى المستقبل .

فالإقليمية بالنسبة للجغرافي هى فكرة ، أو وجهة نظر ، أوطريقة رؤية العالم الذي جهز ونظم بعناية ، نتيجة تفاعل العوامل المؤثرة ، وإبراز الاختلافات المكانية التي طالما اعتبرها الجغرافي النقطة المركزية لاختصاصه أيا كان مجال اهتمامه .

وقد دلت الظواهر على أنه إذا تشابهت الخصائص المميزة لاقليمين ؛ فإن مظاهر النشاط البشرى فيهما تتشابه إلى حد كبير . وأمكن الافادة من هذه المقولة إلى حد ما ، وذلك بتطبيق التجارب الناجحة في أحد الأقاليم على أقاليم أخرى مشابهة لها ، وتجنب مافشل من تلك التجارب ، وفي هذا توفير في العمل والجهد المبذول [١] .

لقد استمر النقاش طويلا حول فكرة الاقليمية Regionalism وعن المدى الذي يعتبر الاقليم الجغرافى على أساسه هدفا نهائيا للجغرافيا . ولا يزال التقسيم الاقليمي لأي مساحة من الأرض موضوع جدل ومناقشة . ولا يستطيع أى باحث أن يزعم أن تقسيمه الإقليمي هو وحده التقسيم المنطقى ، وأنه يفوق غيره من التقسيمات . وعلى كثرة ماكتب في الجغرافيا فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين على أسس إقليمية ، وبقدر أن فكرة الإقليم والأسلوب الاقليمي مألوفان؛ فإن مفهوم الاقليم يبدو أنه مازال غامضا ، ويصعب التمكن منه إذا حاولنا التركيز عليه . وبقدر ما للمفهوم الاقليمي من فائدة للجغرافي فإنه يصعب تحديده ، وتظهر ضرورة إيجاد قاعدة صارمة ومختصرة يمكن الاعتماد عليها في التقسيم الإقليمي .

تعريف الأقليم :

بالرغم من ظهور عشرات التعريفات—إن لم يكن مئات – للمفهوم الاقليمي يمكن بلورة وجهتى نظر متباينة بالنسبة للاقليمية عن طريق الاجابة عن التساؤل التالى : هل أسلوب الاقليمية وسيلة تساعد على دراسة العالم ؟ أم هى غاية يقصد منها الوصول إلى

---

(١) محمد عبد المنعم الشرقاوى ، محمد محمود الصياد ، هذا العالم ص٩ .

اكتشاف ووصف العالم ؟ لا تكمن الصعوبة في تحديد أي من وجهتي النظر هي الأصوب ، بقدر ما تكمن في حقيقة أن كلا منهما تحوى جانبا من الحقيقة (١) .

يجب علينا حينما نطبق مقياساً أو معياراً معينا لتقسيم سطح الأرض أن نميز المناطق عن بعضها بحيث يكون الاقليم الواحد متجانسا بالنسبة لذلك المقياس أو المعيار الذي يحدده . ومهما اختلفت أساليب الدراسة الاقليمية فيجب أن يكون الهدف النهائى منها في جميع الحالات شيئا واحدا ،وهو الوصول إلى فهم كامل لنظام الأرض .

إن أسهل التعاريف للاقليمية هو « أن الاقليم قطعة من الأرض لها صفات توحّد بين أجزائها المختلفة وتميزها عن قطع الأرض المجاورة لها » . أو « أن الاقليم هو وحدة مكانية تمتاز بمميزات طبيعية وبشرية خاصة ، تميزها عن غيرها من الأقاليم ، وتكسبها شخصية مكانية معينة » . ولكن مثل هذه التعاريف المنطقية السهلة تبدو ليست كذلك في التطبيق العملى .

قامت مدرسة فيدال دو لابلاش الجغرافية فى الدراسة الاقليمية على أساس تحليلى ثم تركيبى ، أي تحليل العوامل الجغرافية الفاعلة في الإقليم ، ثم تركيب الصورة المتكاملة الموجودة عليها تلك الأقاليم فعلا ، وتقسيم الاقليم الكبير حسب أهم العوامل الفاعلة إلى أقاليم صغرى ، فإذا تشابهت فى عدة ظاهرات جغرافية بحثت معا فى اقليم أكبر ، ثم تتداخل الأقاليم لتكون أو تركب اقاليم كبرى وهكذا (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن الاقليم مهما كان صغيرا فلا يمكن أن تكون جميع أجزائه متماثلة في كل شيء ، ولابد أن توجد الاختلافات المكانية داخل حدود الاقليم الواحد . فكما أنه لايوجد شخصان في هذا العالم متشابهان تمام التشابه ، فإنه لايوجد مكانان متشابهان تمام التشابه أيضا . ومن مهمة الجغرافي الاقليمي أن يحاول إبراز معالم الأقاليم العامة التي تضعها في الإطار العالمي ، والمعالم الخاصة التي تميزها وحدها عن بقية الأقاليم .

غير أن العوامل الجغرافية عديدة وتختلف أهميتها من مكان إلى آخر ،وقد تختلف أهمية العامل الواحد في المكان الواحد من وقت إلى آخر . ويمكن إجراء التقسيم عندئذ إذا بنى

---

(1) Minshull, R. (1967), Regional Geography, P. 14.

(٢) جمال الدين الديناصورى ، دولت صادق ، محمد السيد غلاب ، جغرافية العالم ، الجزء الأول ، المقدمة .

على إدماج عدة أسس أو عوامل. وتصبح المشكلة بالتالى مقارنة الأسس المختلفة وقياس أهميتها النسبية .

تقاس درجة أهمية هذه العوامل على مقدار تأثيرها على حياة الإنسان وعلى نشاطه . قد يكون هناك اتفاق عام على بعضها ؛ فوجود اليابس على نقيض الماء مثلا ذو أهمية كبرى فى حياة السكان . ومن هنا كان تقسيم سطح الأرض إلى قارات وهو أول التقسيمات المعروفة . ومع ذلك فإن معظم نظم التقسيمات الاقليمية تحصر اهتمامها باليابس .

وفي اليابس لانجد نظاما متفقا عليه يبين أهمية العوامل المختلفة بحيث يمكن تطبيقه على جميع أجزاء العالم ؛ ففي منطقة من المناطق قد يظهر التباين المناخي أكثر أهمية من غيره ، في حين يظهر التباين التضاريسى في منطقة أخرى هو الأكثر أهمية ،وفي ثالثة الثروة المعدنية ،وفى رابعة قدرات السكان ونشاطاتهم وهكذا . ويصعب أن تجد قناعة تامة في طريقة يقتنع بها أحد الباحثين ويتبعها في دراسته لإقليم من الأقاليم .

ومن هنا يتبين كيف فشلت التقسيمات التى اعتمدت في الأصل على عامل واحد مهما كان هاما ، مثل التقسيمات السياسية والتى كانت أكثر الأسس وأسهلها في التقسيم . قد يكون التقسيم حسب الحدود السياسية مقبولا يوم أن كانت كل دولة تحيا في عالمها الخاص ، لاتربطها مع غيرها إلا روابط واهنة ، ولكنه غير مقبول الآن خاصة وأنه وليد عوامل متعددة . وقد تتغير حدوده من حين إلى آخر .

ويمكن أن يقال مثل ذلك إذا اعتمد على التركيب الجيولوجي الذي كان يعتقد بأرجحيته على العوامل الأخرى بسبب تميزه بالثبات ، ومع ذلك فإن اثره لايتضح بمعزل عن العوامل الأخرى كالموقع الذي يسبب الاختلافات المناخية وهذا يؤدى إلى اختلافات التربة والنبات الطبيعي .

وكذلك يجب ألا يعتمد على شكل التضاريس وحدها كأساس للتقسيم لأنها تتأثر أيضا بالعوامل الأخرى كالموقع والتركيب وغيرهما. ومثل ذلك عامل المناخ ، مع أن المناخ بعناصره المختلفة يمكن أن يؤدى إلى إيجاد أقاليم كبرى تتشابه في مظاهرها العامة ، وفيما يترتب على تلك المظاهر من نتائج . ويظهر تأثيرها في العوامل الأخرى أكثر من ظهور تأثير تلك العوامل . ومع ذلك فالتقسيمات المناخية تعطى صورة ناقصة أيضا ، لا

تتمثل فيها الفروق الدقيقة اللازمة لإدراك وحدة الإقليم الكبير ، وتبين مقدار ارتباط أجزائه بعضها مع بعض .

وهكذا يتبين أنه كلما أمكن إدخال عدد أكبر من العوامل الجغرافية في عملية التقسيم الاقليمي ، كانت هذه العملية أكثر واقعية وموضوعية . في حين أن زيادة عدد العوامل الداخلة في العملية تزيد في تعقيدها وتبالغ في صعوبتها ، وقد يزيد من صعوبة التقسيم الاقليمي التداخل الشديد بين العوامل . ولذلك روعى أن تكون العوامل الداخلة في عملية التقسيم ذات صلة قوية فيما بينها . ومن هنا وجد مفهوم « الأقاليم الطبيعية » .

تتميز الأقاليم الطبيعية أن صفاتها لاتتغير بسرعة مع الزمن مما جعلها إطارا محببا للتقسيمات الإقليمية ، خاصة وأنه يمكن تمييزها بدقة في أكثر الحالات ، وكذلك يغلب اتفاق حدودها بعضها مع البعض الآخر داخل منطقة البحث الواحدة ، كاتفاق حدود التضاريس والمناخ والنبات الطبيعي في منطقة ما . وزيادة على ذلك فإن السطح الواسع يمكن تقسيمه بسهولة الى أقسام أصغر على نفس الأساس . مثل أحواض الأنهار والوديان ومثل المناطق الجبلية وما إلى ذلك .

وجد مفهوم الإقليم الطبيعى على يد هربرتسون Herbertson,A.j. غير أن الإقليم الطبيعى شيء والإقليم الجغرافي شيء آخر . فالأول هو مساحة واسعة من العالم تتشابه فيها إلى حد ما عوامل المناخ والتربة والنبات الطبيعي وغيرها . كأقاليم الغابات الاستوائية ، والصحارى الحارة وسهوب الاستبس والتندرا وغيرها . ومن ثم يمكن تقسيم كل من هذه المساحات الواسعة إلى أقاليم أصغر وأصغر وهكذا .

ولكن الجغرافيا الطبيعية لاتحدد وحدها شكل سطح الأرض ، فهو يتحدد كذلك بامتداد وتوزيع الغطاء الأخضر الذي ابتدعه الإنسان ، على سبيل المثال ، كما يتحدد أيضا بمواقع المدن والطرق والمصانع والإنشاءات التى شيدها الإنسان على سطح الأرض . لقد غيرت قرارات الإنسان وأعماله المتتابعة ونشاطاته المختلفة شكل سطح الأرض ، وحددته في كثير من الحالات تحديدا جديدا فرفع مستوى حياته وحسّن من طرق انتفاعه بالأرض . وكانت هذه العوامل البشرية في كثير من الحالات أكثر أهمية من العوامل الطبيعية في تحديد الأقاليم .

ومن الصعب في كثير من الحالات تعيين خط واضح يمثل حدود الأقاليم ؛ إذ قد يفصل الإقليم عن الآخر منطقة واسعة يصح أن تسمى انتقالية Transitional Zone ، قد تتسع أكثر حتى تصبح مساحتها - أحيانا - مماثلة لمساحة الاقليمين اللذين تفصل بينهما . ولذلك أشار بعض الباحثين إلى أن هناك مايسمى « بؤرة الاقليم » وهي المساحة التى تتمثل فيها صفات الاقليم بشكل واضح ، ثم يقل وضوح الصفات المميزة للاقليم تدريجيا كلما ابتعدنا عن تلك البؤرة . وتأخذ هذه الصفات فى الضعف حتى تتلاشى تماما . وهناك تبدأ صفات الاقليم المجاور بالظهور ، ويزداد وضوحها تدريجيا حتى تصل إلى بؤرة الإقليم الثاني التي تتمثل فيها مميزات الاقليم الجديد في أوضح صورها .

مشاكل الإقليمية :

تقسم الجغرافيا إلى جغرافيا نظامية وأخرى إقليمية Systimatic Geog. and Ragional Geog. . تتعامل الأولى مع الظواهر المختلفة على سطح الأرض طبيعية وبشرية ، وتتعامل الثانية مع تركيب تلك الظواهر بعد تحليلها في منطقة محددة ، من خلال تفاعل تلك الظواهر في تلك المنطقة . أي أن الجغرافيا الاقليمية تقتضي جمع الحقائق المحلية المتعلقة بذلك المكان والمدروسة من قبل فروع الجغرافيا المختلفة وإبراز تفاعلها ، وتقسيم المكان وتصنيفه حسب نتائج ذلك التفاعل .

ومن هذا المنطلق يصبح مركز الاقليمية نهاية منطقية للبحث الجغرافي ، أو التكامل النهائى لأعمال وأبحاث الجغرافيين على اختلاف تخصصاتهم الدقيقة . غير أن الاقليمية عانت في الماضي كثيرا ولا تزال تعانى من مشاكل كثيرة حيث كان لها جوانب مظلمة أو غامضة ومن هذه الجوانب [1] :

١ - الجدل التقليدي بين الموضوعية والوصفية ، إذ تتهم الاقليمية بأنها أقرب للوصفية من فروع الجغرافيا الأخرى . ومنذ الستينات من هذا القرن ظهر ونما الاتجاه الكمى في الجغرافيا مما زاد الاتهام عمقا .

٢ - مشكلة الحدود ، أو أين يجب أن تضع الحدود بدقة بين الأقاليم . وهو اتهام تقليدى يوجه إلى الإقليمية بأن وضع خط يفصل الظاهرات عن بعضها لايكون حقيقيا كوضع خط يحدد حزام الذرة أو القمح في الولايات المتحدة مثلا ، حيث

---

(1) Mcdonald, J., Ibid, P. 109-110.

نجد أن الذرة أو القمح يزرعان خلف هذا الخط وأحيانا بكثافة . وأن وضع خطوط تفصل الظواهر الطبيعية أكثر صعوبة من ذلك . ومن هنا رئى أن تكون الحدود أحزمة فاصلة لا خطوطا .

٣ - الإصرار على حدود الأقاليم القديمة بعد أن يمضى عليها الزمن out dated في حين أن ظروف بعضها تكون قد تغيرت . يجب أن لاتعتبر حدود الأقاليم ثابتة لا في الزمان ولا في المكان ولا في العلاقات ، بل أن تتعدل وتتطور بتغير العوامل المؤثرة لا سيما وأن العوامل البشرية في العصر الحاضر سريعة التغيير . فحدود المجتمعات الريفية التي وضعت فى أول هذا القرن تغيرت الآن تماما في معظم أنحاء العالم وظهرت نشاطات جديدة ، وبالتالي مجتمعات جديدة لم تكن فى الماضى كمعظم المناطق التعدينية أو الصناعية أو امتدادات المدن الجديدة (كالمجتمعات السكنية في المنطقة الشرقية) .

٤ - الخطر من اضطرار الجغرافي الإقليمى إلى التقيد بالحدود الإدارية لأسباب مختلفة منها سهولة الحصول على المعلومات ضمن تلك الحدود كالأعمال الإحصائية والوثائقية ، وسهولة تناول البحث على أساسها بسبب تحديده بدقة بخطوط مستقيمة وبذلك تصبح العامل الرئيسي في التقسيم .

وجدت الجغرافيا - بشكل عام - نفسها قد وقعت تحت ضغوط شديدة ، وعليها أن تصبح أكثر وضوحا لحقائق العالم ، وأكثر تعلقا بالمشاركة في حل بعض من العديد من مشاكلها الضاغطة ، فوجدت أن في الاتجاه الكمي مخرجا مناسبا في هذا المجال . وكان لاستعمال التكنيك الرياضى والأفكار الكمية لمعالجة مشاكل الجغرافيا بفروعها المختلفة وكذلك في غيرها من العلوم الإجتماعية تأثير مزدوج في جعل الجغرافيا أكثر علمية وأقل اجتماعية ، واستطاعت الأرقام أن تحدد أبعاد المشاكل بدقة أكثر ، ولكنها نادرا ما انفردت في تقديم بوادر الحدود الإنسانية .

ونظرا لاهتمامات الجغرافيا الاقليمية بالقضايا البشرية الآنية وعلاقتها بالبيئة الطبيعية ،فقد برزت إمكانيات لاتجاهات تطبيقية جديدة ، بدأت تتطور بسرعة بسبب سرعة تطور مشاكل البيئة ذاتها . فالجغرافيون باهتمامهم التقليدى - بجميع اختصاصاتهم - بالعلاقات بين المجموعات البشرية وبيئاتها تناولوا هذا الحقل الجديد (مشاكل البيئة) باهتمام شديد . ويقف الأسلوب الاقليمي شامخا بين جميع

الاختصاصات الأخرى لمعالجة مشاكل البيئة . فالنظرية الاقليمية التقليدية تعتبر التتابع المحتمل للفعل فى مكان ماينتج عن تفاعل عدة تأثيرات تعمل معا في ذلك المكان .

فقد شهدت الجغرافيا الأكاديمية خلال نصف القرن الأخير تغيرات عظيمة فى أهدافها وطرق البحث فيها . وبالرغم من هذه التغيرات فقد ظل الجغرافيون مهتمين بفكرة الاقليم واستخدموا طرق البحث الاقليمى ليس فى مجال الاقليمية فحسب ، وإنما فى الفروع الأصولية للجغرافيا أيضاً(١) .

ولذلك يبدو أنه من المؤكد أن الأسلوب الاقليمى سيستمر فى المستقبل ليشكل واحدا من الأساليب التى يتناولها الجغرافى بشكل أساسى ، ولو أن الاقليم سيستمر فى التغير بسبب تطور أساليب تحديده وابتكار طرق جديدة لتناوله .وأن الإقليمية ستستمر لتكون موضوع اهتمام أبحاث عديدة جغرافية وغير جغرافية ، وستكون الاقليمية موضوع دراسات خاصة بها .

فالمنهج الإقليمى له من المميزات مايجعل الجغرافيين يتمسكون به ويتغاضون عن مشاكله ، ويحاولون الكرة بعد الكرة في إعادة محاولة التقسيم . ويمكن أن نلخص مجالات الانتفاع بالدراسة الاقليمية في النقاط التالية (٢) :

١ - **التقسيم الاقليمي وسيلة لتسهيل التعليم** : يعتبر التعليم في شكله التقليدي لمرحلة ماقبل الجامعة تبسيطا للعالم المعقد فى تعابير وتوضيحات يسهل فهمها . ولذلك فإن استعمال الأسلوب الاقليمي بمثابة أداة ملائمة لتحقيق هذه الغاية داخل غرف الدرس . فتقسيم المساحة الواسعة إلى مناطق أصغر يساعد على تناول الموضوع وتقريبه لذهن الطالب . وتطبيق مفهوم الاقليمية وتمثيل الأقاليم على خرائط ، له درجة انتفاع عالية في توضيح توزيع الظاهرات بدقة ، كاستعمال الألوان في تمييز حزام الذرة أو القمح أو القطن في الولايات المتحدة ، واستعمال الألوان للتعبير عن الارتفاعات في الخرائط الطبيعية ، واستعمال النقط والخطوط في توزيع الظاهرات المختلفة كتوزيع الكثافات البشرية أو الإنتاج الاقتصادى ، وحتى استعمال الإشارات الخاصة : كرأس بقر أو شجرة صنوبر أو آبار الماء ، كل ذلك يعتبر تعبيرا معينا في الإطار الإقليمي .

(١) محمد محمد سطيحة ، الجغرافيا الاقليمية ص٢٥

(٢) Mcdonald, d., Op. cit., p. 99-108

٢ - ارتباط عناصر البيئة : تتمم الجغرافيا الإقليمية دور الجغرافيا الأصولية في دراسة العالم ، لأنه بدلا من معالجة كل عنصر أو ظاهرة من ظاهرات البيئة معالجة منفصلة على المستوى العالمى ، تهتم الجغرافيا الإقليمية بإظهار كيف تتعامل هذه العناصر مع بعضها البعض داخل مناطق معينة على سطح الأرض . ففى العالم الواقعى لاتوجد العناصر المختلفة المؤلفة للبيئة منفصلة أو تعمل منعزلة ، وإنما توجد مرتبطة وتتفاعل مع بعضها البعض بشكل معقد ، وهذا ماتحاول الجغرافيا الاقليمية أن تبينه وتفسره . ولقد كان من بين الأسباب التى أدت إلى نمو وتطور الجغرافيا الاقليمية ، أن الجغرافيا الأصولية لاتفسر على نحو كاف الاختلافات المركبة والدقيقة التي تميز أجزاء معينة من سطح الأرض [١] .

٣ - أتاحت موجة التغير الحضارى التى تمت خلال هذا القرن : مثل التغيرات المترتبة على الحرب العالمية الثانية وإعادة تقسيم العالم ، واختيار نظم سياسية متباينة ، وزيادة تدخل الدولة في الشئون الاقتصادية والاجتماعية في بعض الدول ، وظهور كثير من الدول الحديثة الناشئة عن موجة التحرر من الدول الاستعمارية ، وتجمع كثير من الدول في تكتلات إقليمية أو عالمية جديدة ، والثورة العظيمة في النقل والمواصلات والطاقة والاختراع ، كل هذه التغيرات أتاحت حافزا جديدا للدراسة فى الجغرافيا الاقليمية . فمجموعات الدول التى تؤلف مانسميه جنوب شرق آسيا ، أو أمريكا اللاتينية ، أو أوروبا الشرقية تكون كل منها وحدة مهمة ومرتبطة حضاريا في داخل المنطقة التي تتكون منها .

٤ - استعمال الاقليمية في نظام التصنيف : خاصة تصنيف النصوص الجغرافية والكتب في المكتبات . من المعروف أن الكتب الجغرافية توجد فى أكثر من مكان في معظم التصنيفات المكتبية ولو أن معظمها يقع ضمن التوزيع حسب الأقاليم والبلدان ، إذ نجد أن قسما منها يقع ضمن تصنيف كتب التاريخ والرحلات ، وقسما مع كتب الاقتصاد وآخر مع كتب العلوم الطبيعية . ومن المعروف كذلك أن تغيير أنظمة التصنيف صعب للغاية ، ومع ذلك لابد من التفكير مبكرا في إعداد مشروع متكامل لجمع معظم الكتب الجغرافية إن لم يكن كلها تحت عنوان واحد يمكن تطبيقه إذا أتيحت فرصة تغيير أنظمة تصنيف المكتبات أو بعضها . وليس أجدر من الأسلوب الإقليمي في تحقيق هذه الغاية .

(١) محمد محمد سطيحه ، نفس المرجع ، ص٢٨ .

٥ – **في نشاطات البحث الجغرافي** : يحاول كل باحث أن يعالج موضوع بحثه بطريقة يكون فيها أكثر وضوحا وأبلغ تأثيرا . ولذلك فإن معظم الباحثين وحتى باحثى الجغرافيا النظامية (Systimatic) يتناولون فى أبحاثهم نوعا من الإقليمية . فدراسة موارد المياه في منطقة ما ، أو الصناعة فى أخرى ، أو الزراعة المعتمدة على الرى في الثالثة أو التغير الديمغرافى فى رابعة ، تبدأ من تحديد المنطقة الخاضعة للبحث ، فالمعرفة الأساسية لطبيعة تلك المنطقة أو « الإقليم » تساعد ذلك الجغرافى فى مجابهة توزيع الظاهرة .

٦ – **في الجغرافيا التطبيقية** : يمنح الأسلوب الإقليمي إمكانيات جذابة للجغرافي والمخطط وغيرهما من المهتمين بوضع خطط ، واختيار أفضليات للانتفاع العقلانى لموارد الأرض وترشيد استعمالاتها . لقد زادت أهمية التقسيم الاقليمي مؤخرا بانتشار وممارسة أعمال التخطيط التي ارتبطت مباشرة بالتقسيمات الاقليمية ، وتوسعت من خلالها علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية ، وتأكدت فيها فعالية الإنسان فى صنع البيئة التى يعيش فيها .

يعالج المخطط – ضمن الحدود الأقليمية – مشاكل البيئة ، مثل انتشار التلوث فى الأنهار والهواء والغلاف الجوى العلوى والمحيطات ، ويعالج ضغط اندفاع السكان نحو استثمار الموارد المحدودة ، وبناء البيوت فوق الأراضى الزراعية الغنية ، وعلاقات السكان ونشاطاتهم الإنتاجية والإجتماعية وحركاتهم وتأمين الخدمات لهم وما إلى ذلك . ومن هنا أصبحت الاقليمية أساسية فى مفاهيم التخطيط مما أوجد بحثا خاصا فى هذا المجال أطلق عليه اسم « التخطيط الاقليمى » .

لقد توجهت معظم أعمال التخطيط الى البيئة المدنية والمدن حيث أن معظم السكان أصبحوا سكان مدن ، وأن نسبتهم فى تزايد مطرد فى كل أقطار العالم حتى زادت نسبتهم فى بعضها عن ٨٠٪ مثل بريطانيا واستراليا . ولكن المخطط حينما يجابه بمشكلة تنظيم معلومات كثيرة متشابكة وقد تكون متناقضة ، فيجعلها فى شكل منطقى مفيد ، يستطيع بها أن يحسن طريقة الانتفاع بالأرض . فعليه أن يضع فى إطار دراسته مساحة كافية فيركز على أثر المتغيرات فى تلك المساحة ، لتكون مكانا للتطبيق العملى ،فهو عندها لا يتقيد بحدود المدينة ولا بحدود منطقتها الادارية ، بل يتقيد بالمقياس الاقليمى .

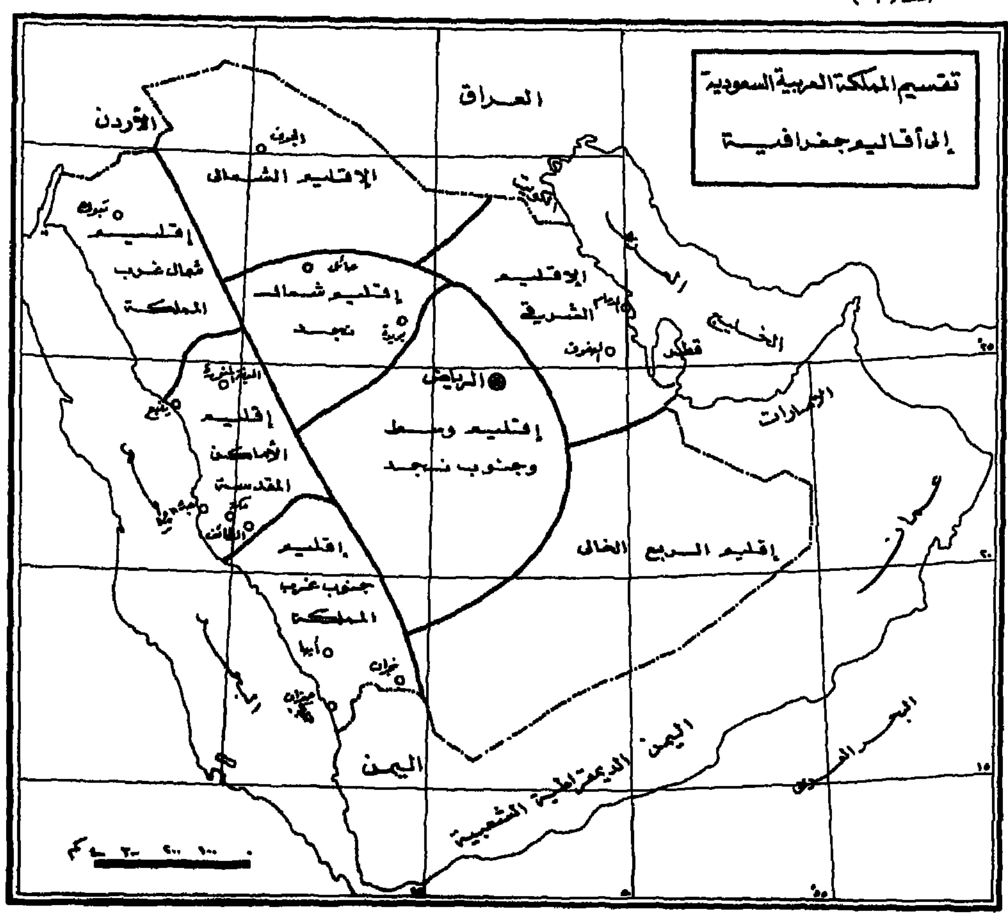
ونحن إزاء دراسة جغرافية المملكة العربية السعودية دراسة إقليمية جوبهنا بصعوبات ومشاكل عملية التقسيم أثناء التطبيق العملى ، حتى كدنا نثنى عن غايتنا ، ولكن

ضرورة الاقدام على هذه العملية للأسباب التى أسهبنا فى الحديث عنها ، وبصورة خاصة لأسباب منهجية ، وللانتقال الى الدراسة التركيبية للعوامل الجغرافية الفاعلة فى إعطاء الأقاليم شخصياتها المميزة ، لذلك أدلينا بدلونا فى محاولة العملية مهما كانت العيوب التى ستنتج عنها . وقد راعينا أن ندخل فى الاعتبار أهم العوامل للوصول الى عدد من الاقاليم الكبيرة التى يمكن تقسيمها بعدئذ إلى أقاليم فرعية مميزة ومناطق أصغر .

وبالرغم من تعدد الظروف المؤثرة فى عملية التقسيم الاقليمى واختلاف أهمية تلك الظروف من مكان الى آخر ؛ إذ تسود فى بعض الحالات الاعتبارات الطبيعية ، وتسود فى بعضها الآخر الاعتبارات البشرية . وتظهر بعض العوامل قوية فى بعض المناطق لكنها تظهر قليلة الأهمية فى مناطق أخرى . إن تحديد الأقاليم الواسعة (realms) يجب أن يعكس بدقة فى جميع الحالات - ما أمكن - الملامح الاساسية للتجانس الوظيفى فى مناطق المملكة . ويمكن القول إننا استخدمنا بصورة عامة الظروف الاقتصادية الاجتماعية ، تلك الظروف الفاعلة فى الوقت الحاضر ، والتى تأثرت فى الغالب بظروف البيئة الطبيعية ، وبالتطور التاريخى فى وضع التقسيمات الاقليمية للاقاليم الثمانية ، وهى كما ظهرت فى الشكل رقم (١) على النحو التالى :

١ - إقليم جنوب غرب المملكة .
٢ - إقليم الأماكن المقدسة (الحجاز الأوسط) .
٣ - إقليم شمال غرب المملكة .
٤ - إقليم شمال نجد .
٥ - إقليم وسط وجنوب نجد (الوسط) .
٦ - إقليم شمال المملكة .
٧ - إقليم شرق المملكة (المنطقة الشرقية) .
٨ - إقليم الربع الخالى .

شكل (١)


تقسيم المملكة العربية السعودية
إلى أقاليم جغرافية
العراق
الأردن
الإقليم الشمالي
إقليم شمال غرب المملكة
تبوك
حائل
إقليم شمال نجد
بريدة
الإقليم الشرقي
الدمام
الهفوف
قطر
الخليج
الإمارات
الرياض
إقليم وسط وجنوب نجد
المدينة المنورة
ينبع
إقليم الأماكن المقدسة
مكة
جدة
الطائف
إقليم جنوب غرب المملكة
أبها
نجران
جيزان
إقليم الربع الخالي
عمان
اليمن
اليمن الديمقراطية الشعبية
البحر العربي
كم

الفصـــل الثانـــى

إقليم جنوب غرب المملكة ، ملامح البيئة الطبيعية

يشمل اقليم جنوب غرب المملكة بلاد عسير والحجاز الجنوبى ، وهو على شكل شبيه بالمستطيل يتجه إجمالا من جنوب الجنوب الشرق إلى شمال الشمال الغربى ، ويمتد بين خط الحدود السعودية – اليمنية من جهة الجنوب وبين الخط الذي يصل شمال الليث وسراة بنى سعد ونهاية وادى الخرمة من جهة الشمال ، أى بين درجات العرض ٢٢َ ١٦° (في المنطقة الساحلية) ، ٣٠َ ١٧° ش (فى المنطقة الجبلية) ، ٢٥َ ١٧° ش (في المنطقة الهضابية) من جهة الجنوب ، وبين ٣٠َ ٢٠° ش (فى المنطقة الساحلية) ، ٢١° ش (في المنطقة الجبلية) ، ٢٢° ش (في الهضبة) من جهة الشمال ، كما يمتد بين خط الشاطىء من جهة الغرب حتى حافة الهضاب الغربية أى عند محاذاتها لإقليم نجد ولصحراء الربع الخالى من جهة الشرق (شكل رقم٢) .

أطلق العرب اسم تهامة على الأجزاء الساحلية المطلة على البحر الأحمر ، كما أطلقوا اسم السراة على الأجزاء الجبلية العالية من هذا الإقليم والتى تلى تهامة باتجاه الشرق ، وتلى جبال اليمن باتجاه الشمال ، وتعتبر امتدادا لها في هذا الاتجاه [١] . وقد يطلق عليها اسم السروات بصيغة الجمع ، لأنهم نسبوا كل سراة إلى اسم القبيلة التي سكنتها مثل : سراة جيلان أو سراة خولان أو سراة الأزد ، أو سراة عنز ، وغيرها . وكانوا يسمونها طودا [٢] .

ولهذا تعرضت أسماء السروات للتغيير بتغير الأزمان وبالتالى بتغير الساكنين ، وقد تداخل سكانها واختلطوا وأصبح المشهور منها حتى عهد قريب سراة جنب (والآن

---

(١) تهامة لغة هى الغور الضيق الذي يساير البحر . دائرة المعارف الإسلامية أحمد الشناوى وجماعته ، المجلد ٥ ، ص٥١٩ .

والسراة لغة : سراة كل شيء أعلاه وظهره ووسطه . وسراة النهار وقت ارتفاع الشمس فى السماء .

(٢) حمد الجاسر – فى سراة غامد وزهران . ص ٣٥٣ – ٣٥٥ .

سراة قحطان ووادعة) وتقع في الجنوب فيما يلي حدود اليمن ، وسراة عسير (عنز سابقا) ، وسراة الحجر (والآن سراة بالأسمر وبالأحمر وبنى شهر) وسراة بلقرن وخثعم وشمران ، وسراة غامد وزهران (سراة الأزد سابقا) ، وسراة بنى مالك من بجيلة وسراة ثقيف (جبال الطائف) [١] .

تشرف سراة الطائف على تهامة فى منطقة مكة المكرمة مباشرة . ونظرا لأهمية الأخيرة منذ القدم من النواحى الدينية والتجارية والادارية ، وامتداد نفوذها ونفوذ إمارتها على المناطق المجاورة لها ؛ كانت منطقة الطائف مرتبطة ارتباطا وثيقا بمكة من جميع النواحى ، بل كانت جزءا لايتجزأ من المنطقة فى معظم تاريخها . ولذلك فبالرغم من أنها امتداد طبيعى للسروات التى تقع الى الجنوب منها ؛ فقد وضعناها خارج حدود هذه المنطقة لتكون جزءا من الإقليم الذى يحوى الأماكن المقدسة ويضم أهم مدن المنطقة الغربية للمملكة ، وهو إقليم الحجاز الأوسط ، أكثر أقاليم شبه الجزيرة العربية انفتاحا على العالم الخارجى بسبب الحج ، خاصة وأن هناك فروقا طبيعية وبشرية أخرى تميزها عن المناطق الجبلية (السروات) الواقعة الى الجنوب منها ستتضح فيما بعد .

أما سراة غامد وزهران فقد خضعت فى أوقات من تاريخها لنفوذ حلف قبائل عسير ، وهى تشبه بلاد عسير فى معظم ظروفها الطبيعية والبشرية وتحاكيها فى حياة سكانها ، ولو أن اسم « بلاد عسير » الذى أطلق على مساحات أوسع من بلاده الأصلية لم يشمل تلك المنطقة الجبلية وكاد يتوقف عند بدايتها .

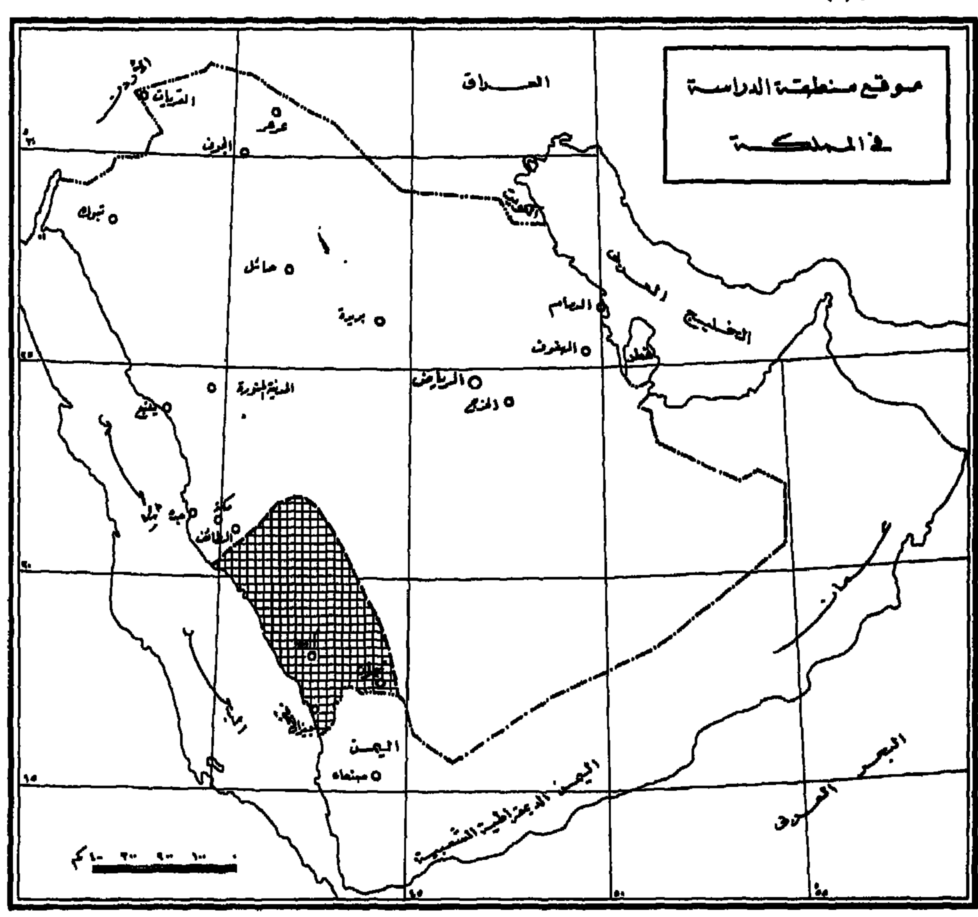
ولذلك فبالرغم من اطلاق اسم « جبال الحجاز » أو « بلاد الحجاز » على المنطقة الجبلية لبلاد غامد وزهران وما يليها شمالا حتى الطائف ، اى سراة بنى مالك وثقيف وبلحارث ، جعلنا هذه المناطق جزءا من اقليم جنوب غرب المملكة .

وهذا الإجراء لا يعنى على أية حال أن التشابه بين المنطقتين أصبح كاملا ، وهو لا يمنع من وجود اختلافات محسوسة فى بعض الظواهر الجغرافية كبعض عناصر المناخ والتوجه البشرى والاقتصادى نحو الشمال ، وبالتالى انفتاحه بشريا واقتصاديا على الشمال بالقياس الى المنطقة الجنوبية (عسير) الأكثر انعزالا ؛ وستتضح مثل هذه الاختلافات من خلال الدراسة التفصيلية .

---

(١) انظر حمد الجاسر–المصدر السابق ونفس المكان .

شكل (٢)


موقع منطقة الدراسة
في المملكة
العراق
عرعر
الجوف
تبوك
حائل
بريدة
الدمام
الهفوف
الرياض
الخرج
المدينة المنورة
ينبع
مكة
جدة
الطائف
الخليج العربي
اليمن
صنعاء
اليمن الديمقراطية الشعبية
البحر العربي
كم

وثمة ملاحظة هامة أخرى لابد من الإشارة اليها هنا ؛ وهى أن معظم هذه التسميات التى تخص المناطق الجبلية فى الأصل لم يقتصر نفوذها البشرى على الجبال وحدها ، بل كان – فى معظم الأحيان – يمتد فى الاتجاهين : الاتجاه الغربى حتى يشمل المناطق الساحلية (أى تهامة) ، والاتجاه الشرق حتى يشمل الهضاب المتصلة بالجبال (أى أحواض الوديان المنحدرة من السروات) . ومن هنا نجد تفسيراً لظاهرة تكرر أسماء الأماكن والقبائل أو أفخاذها فيما بين هذه المناطق المختلفة ، مثل بلاد شهران أو قحطان فى السراة وفى تهامة وفى البادية الشرقية لكل منها . وهذا ما دعا الى جعل اقليم جنوب غرب المملكة يعتبر جبال السروات محورا أساسيا لها ، ويمتد عرضيا فى الغرب وفى الشرق ليشمل المناطق التى أشرنا اليها فى تهامة وفى الهضاب الداخلية .

ملامح البيئة الطبيعية فى جنوب غرب المملكة

يقع اقليم جنوب غرب المملكة فى المنطقة الواقعة الى الجنوب من مدار السرطان وعلى ساحل البحر الأحمر الشرقى . لا يشكل هذا الاقليم وحدة متجانسة ، بل انه يحوى تباينا كبيرا فى مختلف مظاهر البيئة الطبيعية . وقد تكون دراسة هذا التباين مدخلا ملائما لفهم الجغرافيا الطبيعية له .

١ – التركيب الجيولوجى :

يعتبر هذا الاقليم جزءا من منطقة الدرع العربى – النوبى التى بقيت دون تغيير يذكر خلال الأزمة الجيوليوجية حتى الزمن الثالث حينما حصل الانهدام الافريقى الأسيوى العظيم Rift Valley فى موضع البحر الأحمر وقسم الدرع الى قسمين : الدرع العربي فى الشرق والدرع النوبي فى الغرب .

واستطاعت عمليات النحت النشيطة التى تعرضت لها أطراف الهضبة البارزة للدرع العربي ان تجرف كميات كبيرة من مواد التعرية وتلقيها فى الحفرة الهابطة فغطت صخور القاعدة القديمة بصخور رسوبية سميكة . وتعرضت المنطقة كذلك تحت تأثير الحركات التكتونية خلال الزمن الثالث والرابع الى نشاط بركانى كبير ظهرت نتائجه بانتشار الصخور البركانية فى مناطق مختلفة لاسيما على خطوط الانكسارات الهامة . ونتيجة لجميع هذه التطورات أصبح بامكاننا تقسيم اقليم جنوب غرب المملكة الى اقليمين

جيولوجيين مختلفين هما : اقليم الدرع العربى The Arabian Shield ، والاقليم الرسوبى فى الحفرة الانهدامية بجوار البحر .

يتشكل الدرع العربى فى الأصل من الصخور البلوتونية وبعض الغطاءات البركانية أو الرسوبية . وقد أمكن تحديد ثلاث مجموعات جرانيتية وهى مرتبة حسب الأقدم(١) .

(أ) الجرانيت القديم ، والجنيس الجرانيتى ، وقد تحول فى الغالب من الشست والصخور البركانية القديمة إلى الجرانيت ويعود تاريخه إلى نحو ألف مليون سنة .

(ب)مجموعة الكالكاليك جرانيت الرمادية ويحتمل أن يعود تاريخه إلى نحو ٧٥٠ مليون سنة .

(ج)الصخور الاندفاعية الحديثة من الجرانيت الغنى بالصودا ، والسيانيت والريوليت غير المتحولة ، وتنتشر منفردة على مساحات ضيقة ، وقد حدد أقدم عمر لها بنحو ٥٠٠ مليون سنة . (شكل رقم٣) .

وتحتوى هذه المنطقة على صخور متحولة عن صخور رسوبية قديمة أو بركانية إلى الشست الأخضر أو الأمفيبوليت مثل : شست حلى ومجموعة شست الليث وحجر بيش الأخضر . كما تحتوى على غطاءات ضيقة رسوبية قديمة مثل : الحجر الرملى لتكوين وجيد الذي ينتمى للزمن الأول ، وتكوين الخمس الرملى والكوارتزى الذي ينتمى للعصر الجوراسى . وقد غطت صخور البازلت البركانية مساحات واسعة في الجزء الشمالى الشرقى من هذا الإقليم وبعض المساحات الضيقة في غربه .

أما الاقليم الرسوبى الساحلى فقد تشكل من جرف مواد التعرية من مناطق الجبال إلى منطقة الانهدام التي بلغ سمكها فى بعض المناطق عدة آلاف من الأمتار كما اثبتت عمليات حفر آبار التنقيب عن البترول ، وتتكون من عدة طبقات هى مرتبة حسب الأقدم :

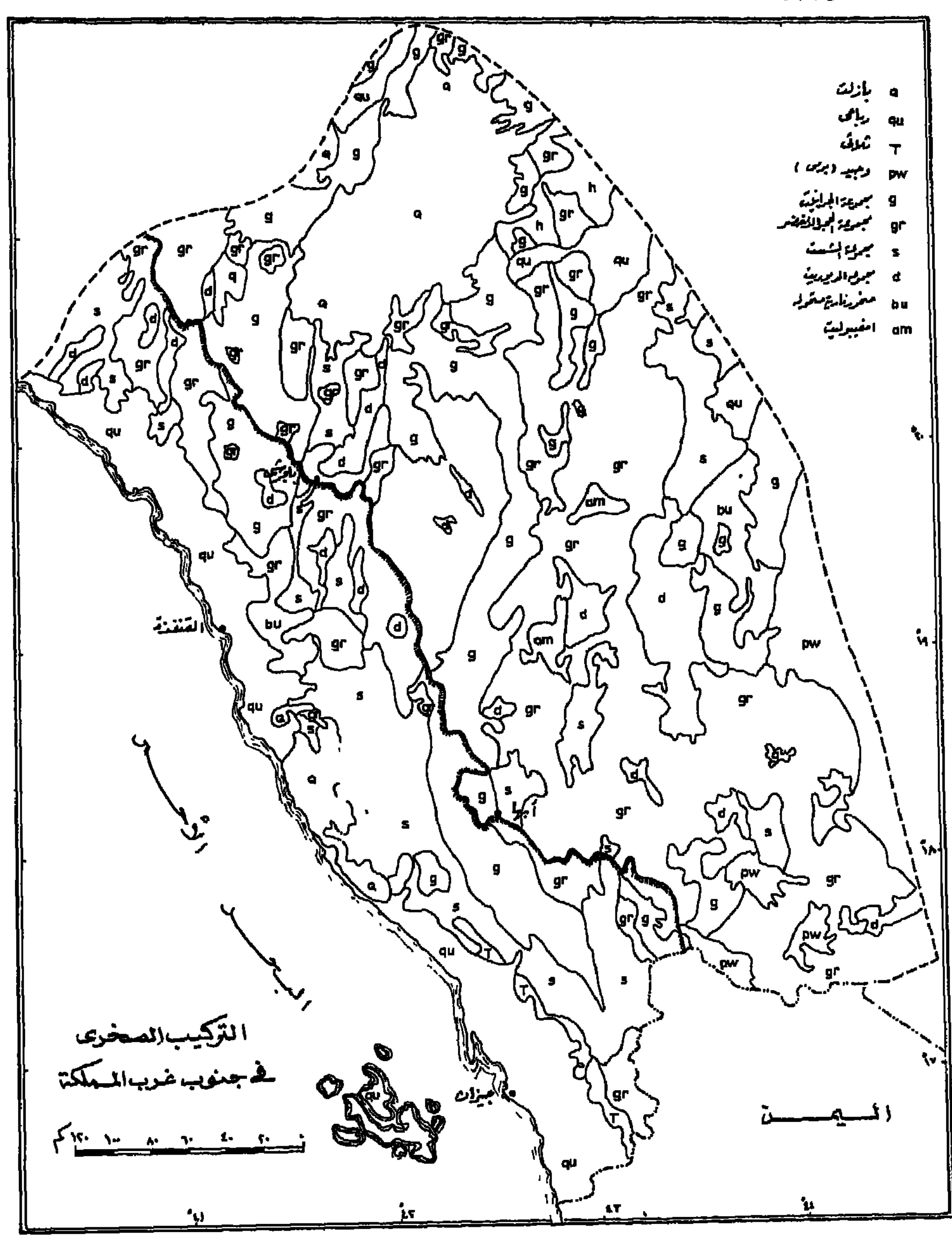
(أ) تكوين بيض المارلى الذى يحوى الرمل والطين والانهايدرايت وينتمى إلى أواسط الميوسين .

(ب)الصخور الناتجة عن التبخر كالملح والجبس والانهايدرايت وتنتمى إلى أواسط الميوسين أيضا .

---

(1) Sogreah, Water and Agricultural Developmentstudies. Area VI. Final Report, Part 2. P. 118.

شكل (٣)



a بازلت
qu رباعي
T ثلاثي
pw
g مجموعة الجرانيت
gr
s
d
bu
am امفيبوليت
التركيب الصخري
في جنوب غرب المملكة
٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ ١٢٠ كم
القنفذة
جيزان
اليمن

(ج) الرسوبيات القارية الحمراء وتتكون من الصلصال والحصى والحصباء والانهايدرايت .

(د) الرسوبيات الطموية والكلسية على الشواطىء الحالية والشعاب المرجانية وتنتمى للزمن الرابع .

ويميز الاقليم الرسوبى ثلاثة مظاهر هامة هي :

(أ) الاندفاعات البركانية : حينما انهدمت القاعدة بشكل يوازى خط الشاطىء وهبطت عدة آلاف من الأمتار ؛ اندفع من بعضها مسكوبات بركانية غطت منطقة الحدود بين الدرع العربي والحوض الرسوبى مثل منطقة ملاكى البازلتية فى شرق جيزان وجبل عكوة فى شرق صبيا وهضبة البرك والهضاب الواقعة إلى الشمال منها فيما بين وادي حلى ووادى دوقة .

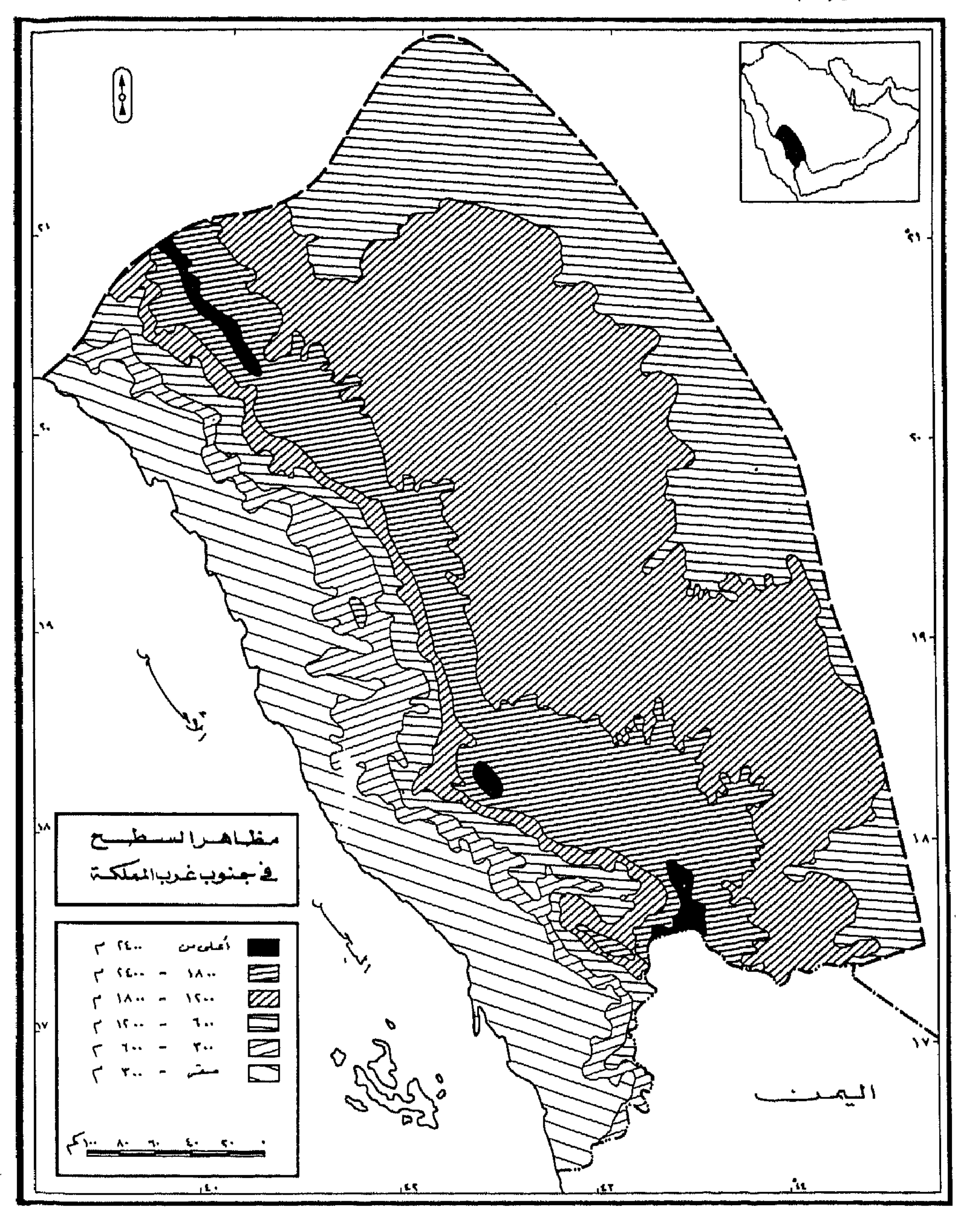
(ب) خطوط الملح : لقد تجمعت على طول الساحل طبقات من الملح والجبس والانهايدرايت على شكل خطوط متوازية أو أشرطة من القباب بارزة بالنسبة للمنخفضات الواقعة إلى الشرق منها . أما أشرطة القباب الواقعة في البحر والتى يبلغ سمكها عدة آلاف من الأمتار فقد نما حولها وفوقها المرجان فشكل طبقات بلغ سمكها عشرات من الأمتار كما في جزائر فرسان .

(ج) الحوض الرسوبى الداخلى – يوجد بين خطوط الملح الشاطئية والجبال الواقعة على أطراف منطقة الانهدام فى الشرق حوض منخفض بدأ يتشكل حينما برزت قباب الملح واعترضت الوديان والأنهار كالسّد ، فألقت بحمولتها من مواد التعرية المجروفة من منطقة الجبال .

٢ – نماذج أشكال الأرض :

تتوجه المظاهر الفزيوجرافية بشكل عام من شمال الشمال الغربى الى جنوب الجنوب الشرقى (شكل رقم ٤) متأثرة بالبنية ؛ ففى الغرب يوجد سهل ساحلى يحاذى شاطىء البحر الأحمر ، ويتخذ نفس الاتجاه يليه منطقة معقدة التضاريس تغلب عليها النجود المرتفعة التى تتناوب مع الأغوار العميقة التى نتجت عن الانكسارات المرافقة للانهدام الرئيسى لمنطقة البحر الأحمر . يليها شرقا مرتفعات عسير والحجار التى تشكلت فى الأصل من ارتفاع الحافة المجاورة لمنطقة الانهدام

شكل (٤)



مظاهر السطح
في جنوب غرب المملكة
أعلى من ٢٤٠٠ م
١٨٠٠ - ٢٤٠٠ م
١٢٠٠ - ١٨٠٠ م
٦٠٠ - ١٢٠٠ م
٣٠٠ - ٦٠٠ م
صفر - ٣٠٠ م
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم
اليمن

المذكور ، ويلي المرتفعات شرقا منطقة هضابية عريضة تعتبر امتدادا لها باتجاه الشرق والشمال الشرقي بعد انخفاض سطحها نسبيا .

فالسهل الساحلي هو شريط منبسط من الأرض يحاذي شاطيء البحر الأحمر في قطاعه الجنوبي وذلك في منطقة أقصى عرض للبحر . ويشكل وحدة جيومورفولوجية جيدة التحديد . يبلغ طول خط الشاطيء نحوه ٦٢٠ كم ويمتد السهل في الداخل بعرض يتراوح بين ٢٠ كم في الشمال الى ٤٥ كم في الجنوب ، وبذلك تبلغ مساحته نحو ١٨٠٠٠ كم٢ . ويتراوح ارتفاع ارضه بين صفر الى ٢٠٠م عن سطح البحر . تخترقه الوديان المتجهة الى البحر وتبني فيه أحواضا رسوبية ودالات تتقدم باتجاه خط الشاطيء . ويحتوي في المواقع الأخرى على سباخ جافة وأخرى رطبة ، وفيه بعض التلال العالية أو الكثبان الرملية أو الترسبات الجيرية والملحية .

ومنطقة النجود الساحلية هي حزام من الجبال مختلفة الارتفاع والاتجاه تقع بين السهل الساحلي وبين حافة الانهدام الرئيسي ، أي شعاف السروات . وتشكل وحدة جيومورفولوجية مميزة ، رأينا تسميتها تجاوزا بالجبال الساحلية . يتراوح عرضها بين ٤٠ - ٧٠ كم ، وتتسع في الجنوب في منطقة جيزان الى نحو ١٠٠ كم وتزيد بذلك مساحتها عن ٣٥٠٠٠ كم٢ أي نحو مثلي مساحة الاقليم السابق . وتتكون من مجموعات غير متناسقة من النجود والأغوار الانكسارية التي رافقت عملية الانهدام الرئيسي ، وتتركب كبقية أجزاء الدرع العربي من الصخور النارية والمتحولة .

ساهمت عوامل التعرية التالية لعهد الانهدام في تعقيد تضاريسها ؛ حيث تضم أحيانا جبالا عالية تضاهي شعاف السروات في شموخها ؛ مثل جبل هروب في الجنوب الذي يرتفع الى (٢٢٩٢م) ، وجبل شدا المقابل لسراة زهران الذي يرتفع الى (٢٢١٥م) ، وتضم منخفضات سحيقة قد تكون مجاورة للأولى ؛ إذ ترتفع قرية هروب ٥٨٥م فقط وهي تقع على بعد ١٠ كم الى الجنوب من الجبل . وترتفع بلدة المخواة ٣٦٠م وتقع الى الشرق من جبل شدا .

أما مرتفعات عسير فتمتد على شكل كتلة مرتفعة مستطيلة فيما بين جبال اليمن جنوبا وجبال الحجاز شمالا . يزيد ارتفاعها عن ٢٠٠٠م ويصل الارتفاع في

بعض قممها الى مايزيد عن ٣٠٠٠م عن سطح البحر (إذ يرتفع جبل سوقه فى غرب أبها الى ٣١٣٣م) ، وتعتبر أهم ظاهرة تضاريسية فى المملكة العربية السعودية . وتبلغ مساحة المرتفعات نحو ٢٠٠٠ كم٢ .

يطلق على خط تقسيم المياه لهذه الكتلة اسم « الشعاف » ويقع فى غربها لأن تشكل من ارتفاع جافة الهضبة بعد عملية الانهدام وبعد انفصال الجانب الغربي وهبوطه فى بعض المناطق عدة آلاف من الأمتار . وأهم مايميز خط الشعاف أن السطح ينحدر عنده بشدة باتجاه الغرب حتى أنه يكون أحيانا عموديا ، وينحدر تدريجيا باتجاه الشرق . وقد ساهمت عوامل التعرية فيما بعد زيادة تعقيد التضاريس فأصبح خط الشعاف متعرجا ، وحفرت من خلاله وديان عميقة جدا هى « العقبات » وتحولت المنطقة إلى سلاسل جبلية تحوى « قننا » عالية كما تحوى « فراعا » مرتفعة . وتجمعت الوديان بعد تخطيها الشعاف العالية فى اتجاهين متعاكسين يتجه الأول نحو حفرة الانهدام والسهل الساحلى ويتجه الثانى نحو الهضاب الداخلية .

وتقع منطقة الهضاب الداخلية الى الشرق من السروات فينحدر سطحها تدريجيا من قاعدة المرتفعات فى الغرب من ارتفاع يقرب من ١٧٠٠م الى أن تصل إلى ١٠٠٠م أو أقل فى غرب الدواسر ، أو ١١٠٠م بمحاذاة الربع الخالى أو اقليم نجد فى الشرق فيتراوح عرضها بين ١٢٠ — ٢٠٠كم وتبلغ مساحتها نحو ٨٠٠٠٠كم أى أكثر من نصف مساحة اقليم جنوب غرب المملكة ، وتقع جميعها ضمن منطقة الدرع العربية .

ونظرا لخصائصها الطبوغرافية وقربها من الجبال وانحدار الثانية باتجاهها ، فقد طورت عوامل التعرية فيها شبكة من مجارى الوديان تعتبر من أهم وديان شبه الجزيرة العربية حتى عرفت المنطقة باسم « هضبة الوديان » . وهى تتكون من عدد من الهضاب المتميزة انتظم كل منها حول مجار مائية معينة هى :

- هضبة نجران وتقع فى الجنوب ويصرف مياهها وادى نجران ووادى حبونه ويتجهان نحو الشرق .
- هضبة عسير وتقع إلى الشمال من السابقة ويصرف مياهها وادى بيشة ووادى تثليث اللذان يبدآن من السروات ويتجهان نحو الشمال الشرق ويقع الثانى إلى الشرق من الأول .

● هضبة الحجاز الجنوبي والحرات وتقع إلى الشمال من السابقة وإلى الشرق من سراة زهران وبنى مالك . ويغطى مساحات واسعة من جزئها الشمالى مسكوبات بركانية بازلتية هى : حرة البقوم وحرة نواصيف وحرة حضن . ويشاد مطار العقيق اليوم على الطرف الجنوبى لحرة البقوم . ويصرف مياه هذه الهضبة وادى رنيه ووادى نربة الواقع إلي الشمال الغربي منه .

٣ - المناخ :

يعتبر المناخ من أكثر العوامل تأثيرا فى الظروف الطبيعية ، وبالتالى أكثرها تأثيرا على حياة الإنسان ، فهو يحدد امكانيات الانتاج الاقتصادى ويؤثر فى مستوى قدرات الانسان فى مغالبة الطبيعة ، كما يؤثر فى خصائصه الاجتماعية وفى عاداته ، وحتى أنه يحدد بعض صفاته الانثروبولوجيه .

يتأثر مناخ جنوب غرب المملكة من امتداده على نحو ست درجات من خطوط العرض في المنطقة المدارية (حتى درجة ٢٢ ش) ، ووقوعه فى غرب شبه الجزيرة العربية ومجاورة للبحر الأحمر الذى يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، على مقربة من نهاية حوض البحر المتوسط مما جعله امتدادا لهذا البحر ، فتسير فيه الكتل الهوائية القادمة من المتوسط أحيانا وتعبره بعض منخفضاته الجوية . كما يتأثر من ارتفاع التضاريس إذ يوجد فيه أعلى تضاريس المملكة ، وتمتد فى وضع يجعل معظمها فى مواجهة الرياح الجنوبية الغربية الرطبة .

الحرارة : تتميز الحرارة فى جنوب غرب المملكة باختلاف معدلاتها من مكان إلى آخر حسب خط العرض والاتفاع والموقع بالنسبة للبحر ، وهى تتدرج اجمالاً من معدلات عالية جدا فى الهضبة فى الشرق والسهل الساحلى فى الغرب (حيث يزيد المعدل السنوى عن ٢٥° م) إلى معدلات معتدلة فى الجبال العالية فى الوسط (حيث تقل عن ١٥° م) : ويمكن ابداء الملاحظات التالية (شكل ٥) :

● ترتفع درجات الحرارة في فصل الصيف فى جميع المحطات ، إذ يزيد معدل شهر تموز فى المحطات الجبلية عن ٢٠° م ، وفى المحطات الأخرى عن ٣٠° م .

● وفى حين تنخفض درجات الحرارة الدنيا (فى الليل) فى هذا الفصل فى الجبال إلى نحو ١٥° م وفى الهضاب إلى نحو ٢٠° م تبقى مرتفعة فى السهل الساحلى إلى أكثر من ٢٨° م .

● تنخفض درجات الحرارة اجمالا في فصل الشتاء ، إلا أنها تنخفض في الجبال إلى درجة منخفضة فى الليل (معدل كانون الثانى نحو ٧°) ، وتتمتع بنهار دافىء (نحو ١٥°) فى حين تكون مناطق الجبال الساحلية القليلة الاتفاع والمناطق الساحلية حارة فى الليل (إذ تزيد الحرارة الدنيا عن ٢٠° م) بسبب خط العرض والقرب من البحر .

● وينتج عن ذلك أن المدى الحرارى السنوى قليل فى المناطق الساحلية (٨° أو ٩° م) ويتزايد فى الجبال (١٠° أو ١١° أو ١٣°) . ويتدرج المدى الحرارى اليومى على نفس الترتيب كذلك ، ويزيد فى الصيف عنه فى الشتاء . ومن هنا يظهر أن تأثير البعد عن البحر ، والاتفاع عن تأثير البعد عن البحر : فالارتفاع عن مستوى سطح البحر أعظم من تأثير خط العرض على توزيع متوسطات الحرارة .

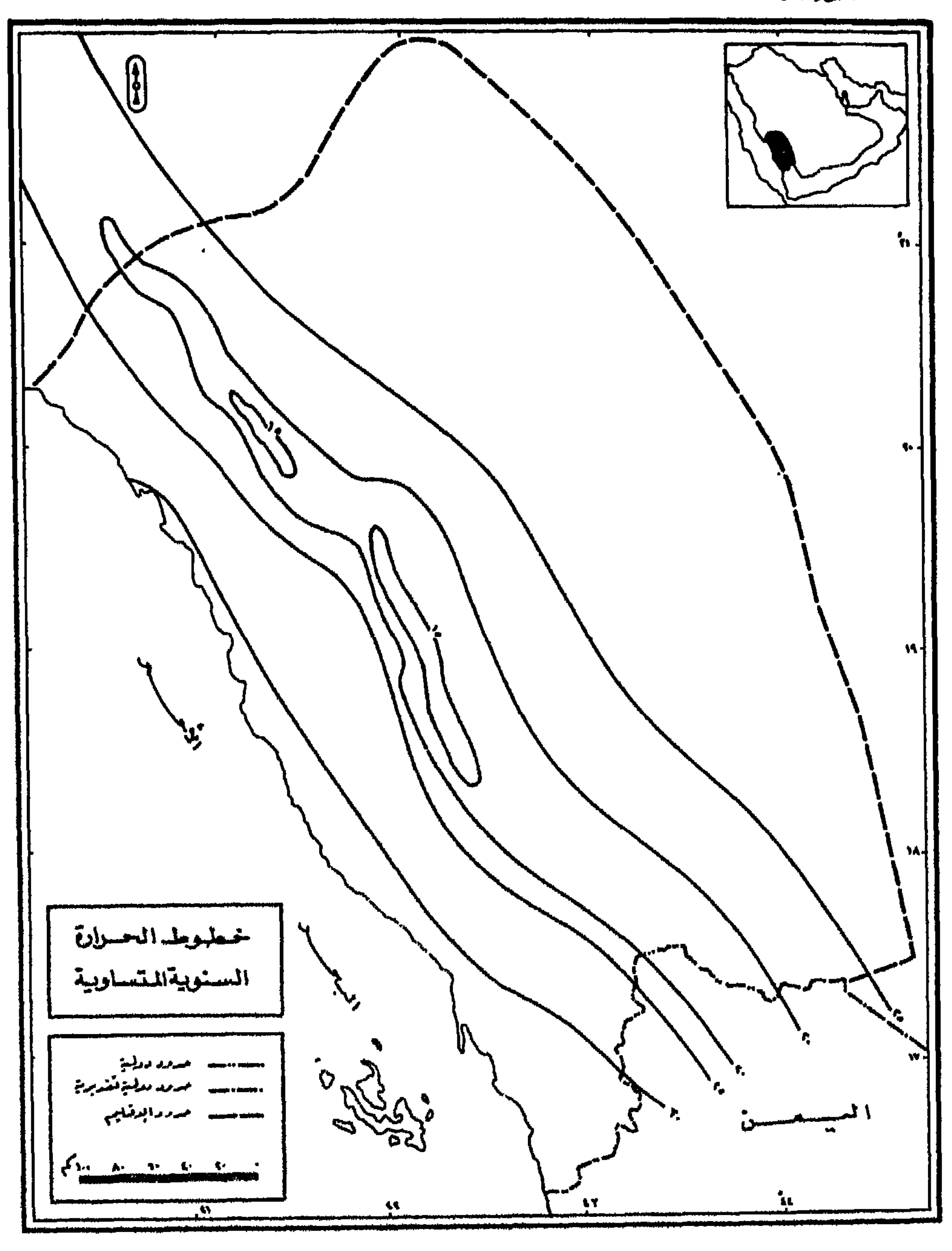
الضغط والرياح : توضح تسجيلات مطارات الطائف وجيزان وخميس مشيط عن الضغط رغم الثغرات فى التسجيل أن الضغط يكون منخفضا فى الصيف بالمقارنة مع الشتاء . وإذا توخينا الدقة فان اقليم جنوب غرب المملكة يقع بين مركزين للضغوط المنخفضة صيفا . الأول فى جنوب آسيا والثانى منخفض السودان .

يقع معظم إقليم جنوب غرب المملكة فى فصل الصيف فى مهب الرياح الجنوبية الغربية المندفعة بفعل جذب مركز الضغط المنخفض ، فتصعد المرتفعات وتبرد وتسبب سقوط الأمطار الصيفية . وتتأثر الأطراف الشمالية لهذا الاقليم بالرياح الشمالية الغربية القادمة من حوض البحر المتوسط بتأثير الضغوط المنخفضة هنا وفى منطقة الخليج فتعمل على تلطيف الجو نسبيا .

يرتفع الضغط اجمالاً فى فصل الشتاء ، ومع ذلك قد تصطدم فى شمال هذه المنطقة لاسيما فى شمالها الكتلة الهوائية المدارية المحلية الجافة مع الكتلة القادمة من شرق البحر المتوسط . فإذا تشكلت بينهما جبهة قد تنشأ عنا عواصف وطقس متقلب ، وقد ينتج عنها أمطار ، أو قد تنتهى دون أن تسبب شيئا . إذا تستطيع بعض منخفضات البحر المتوسط الشرقى أن تتوغل بعيدا باتجاه الجنوب الشرقى بسبب شدة دفء البحر الأحمر ورطوبته(١) ، واحاطته بالجبال القليلة الارتفاع فى الشمال والتى يزداد ارتفاعها فى الجنوب وتسبب سقوط الأمطار الشتوية التى تؤثر حتى على جبال جنوب هذا الاقليم .

(١) مكى عزيز – الأمطار فى المملكة العربية السعودية – مجلة كلية الآداب ، العدد ٢ ، ص ٢٥٠ .

شكل (٥)


خطوط الحرارة
السنوية المتساوية
حدود دولية
حدود دولية تقديرية
حدود الإقليم
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم
اليمن

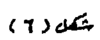
الرطوبة والأمطار : ترتفع الرطوبة النسبية فى سواحل هذا الاقليم بصفة عامة وتنخفض باتجاه الداخل لأن البحر هو مصدر الرطوبة ، وتصبح منخفضة جدا فى الهضاب الداخلية لخلوها من المياه السطحية والأشجار علاوة على بعدها وقلة أمطارها ، اذ يبلغ معدل الرطوبة السنوى نحو ٤٠٪ فى الهضاب ويزيد عن ٥٠٪ فى الجبال بسبب مواجهتها للرياح الرطبة ويزيد عن ٦٠٪ فى المحطات الساحلية ، وتصل ٧٠٪ فى فصل الشتاء . ويزيد معدل حدها الأقصى عن ٨٠٪ فى جميع المحطات فى حين يقل حدها الأدنى فى الصيف عن ٢٥٪ فى الجبال والهضاب وعن ٣٥٪ فى السهول (شكل رقم ٦)

ترتبط الرطوبة النسبية ارتباطا عكسيا بالحرارة ، ويظهر هذا الارتباط فى التغير اليومى للرطوبة ؛ إذ تحدث النهاية العظمى للرطوبة عند الفجر والنهاية الصغرى بعد الظهر . وفى حين يكون المدى فى الرطوبة بين الصيف والشتاء ضئيلا فى المحطات الساحلية (١٤٪ فى جيزان) فإنه يزداد باتجاه الداخل (٢١٪ فى أبها) .

وتسبب الرطوبة العالية فى الجبال المواجهة للرياح الرطبة تكوين الندى فى أواخر الليل أو تكوين الضباب فى الأوقات الأخرى . فيساهم التكاثف النتاتج عنهما مع الأمطار فى نمو النبات فيعوضان عن نقص الأمطار .

وعلى أساس فهمنا لموقع هذا الاقليم وتضاريسه ورطوبته النسبية ؛ يمكن أن نجد تفسير الظاهرة الأمطار ، واختلاف كمياتها بتأثير تلك العوامل . ويمثل (الشكل ٧) خطوط الأمطار المتساوية فى المنطقة عن الفترة من (٦٦ — ١٩٧٩) ويتضح منه أن الجبال المرتفعة تستقبل أكبر كمية من الأمطار فى المملكة (٥٤٠ ملم فى السودة ، ٤٤٤ فى تمنية) ومثل ذلك منطقة الجبال الساحلية (بارق ٥٦٠ ملم ، العارضة ٥٠٥ ملم ، جبل فيفا ٥٦٦ لم) . (ويوضح الشكل ٨) محطات الرصد فى منطقة الدراسة .

تتناقص الأمطار مع انخفاض التضاريس سواء فى اتجاه الهضبة الداخلية التى تتدرج إلى شبه جافة وجافة (١٣٤ ملم في بنى ثور ، ١١٩ ملم فى الجوف ، ٦٤ ملم فى نجران) وكذلك فى اتجاه ساحل البحر (٢٢٢ ملم فى الحقو ، ١٥٩ ملم فى بيش ، ٨٥ ملم فى القحمة ، ٥٠ ملم فى جيزان) . ولذلك نجد أن خطوط الأمطار المتساوية تتفق الى حد كبير مع خطوط الارتفاعات ، ولو أن اقليم الجبال الساحلية يبدى أن الأمطار تختلف



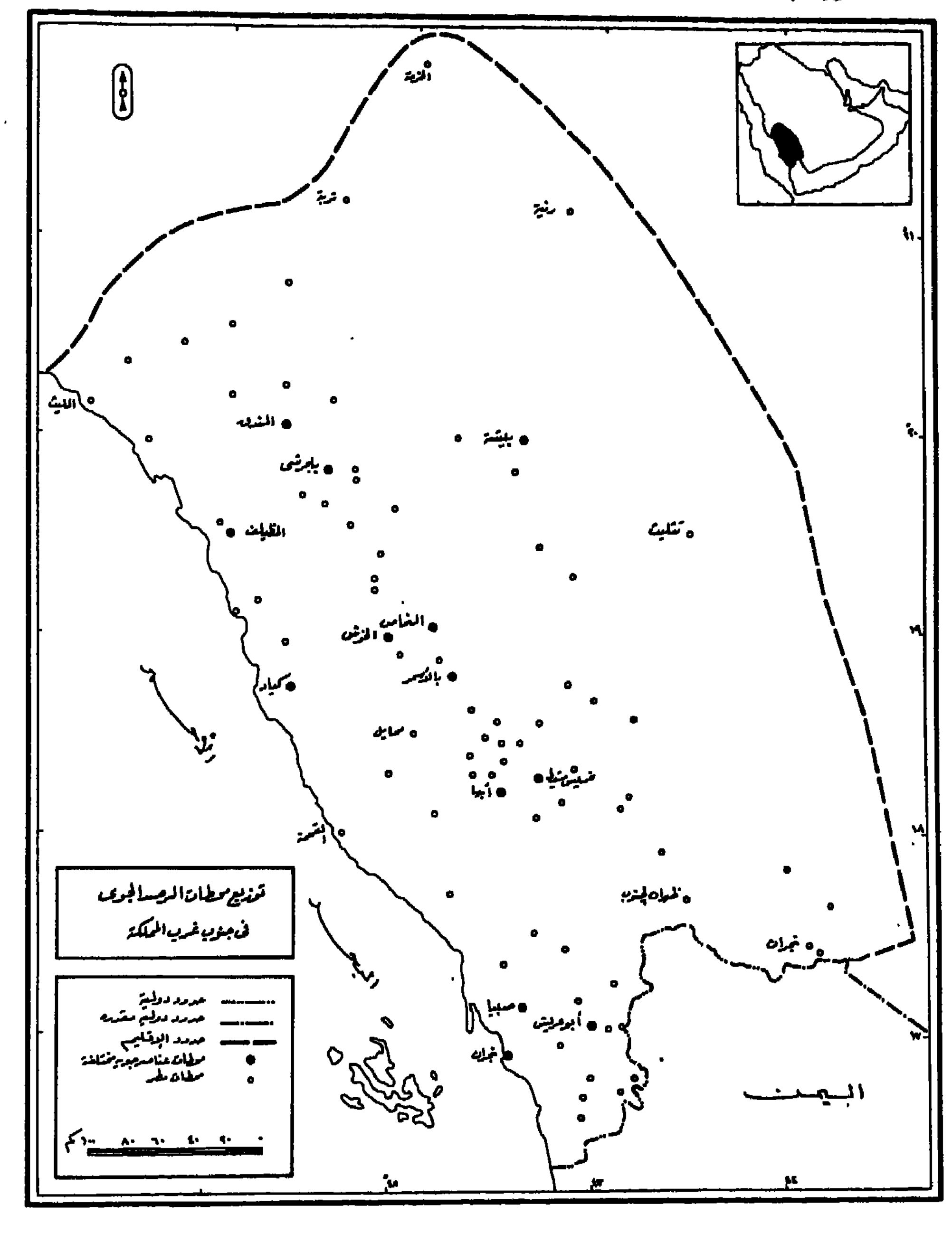
معدلات الرطوبة في بعض
محطات جنوب غرب المملكة

بيشة
خميس مشيط
نجران
جيزان
اليمن

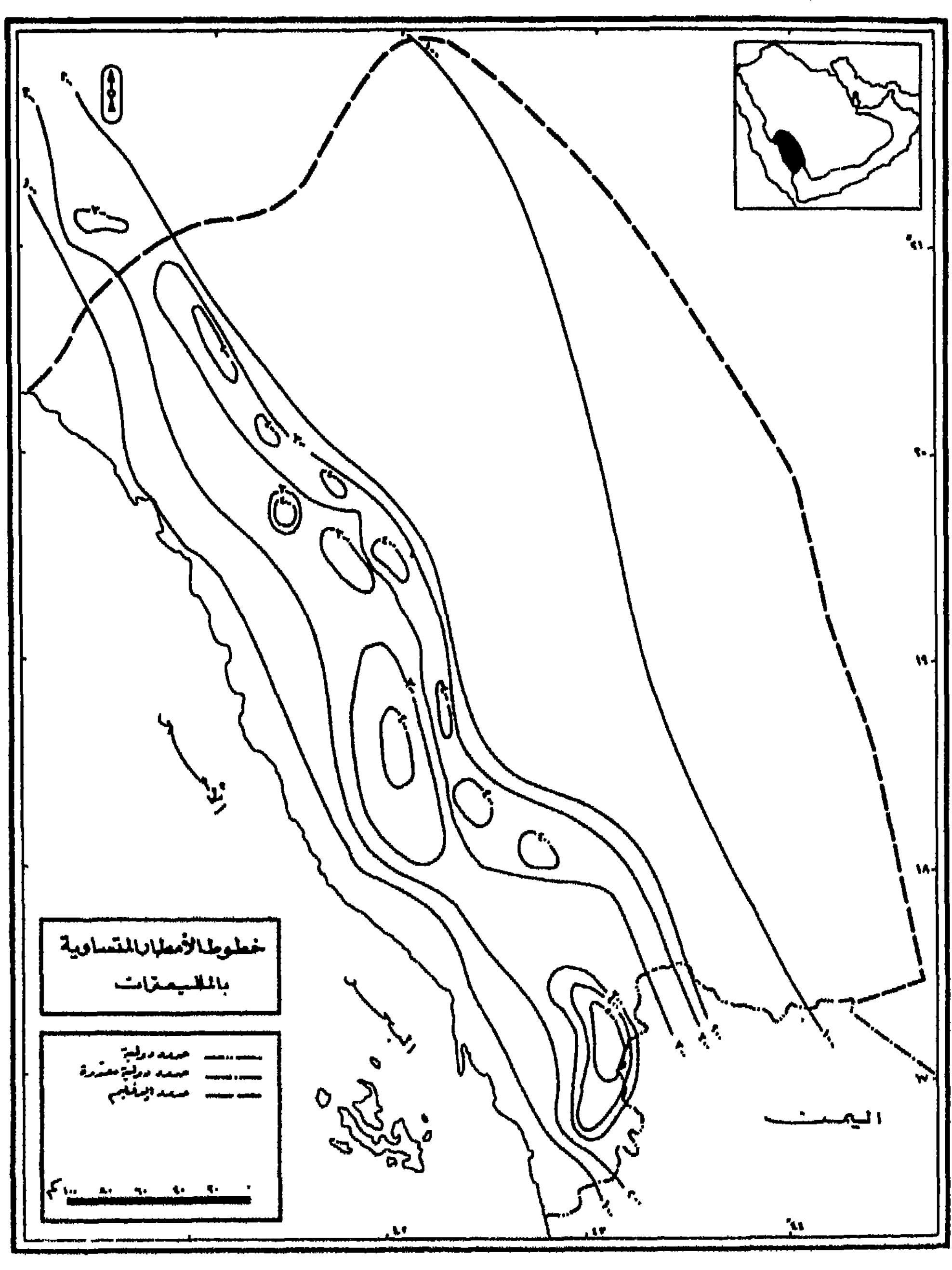
حدود دولية
" " متقررة
" الإقليم
النهاية العظمى
المعدل
النهاية الصغرى

١٠٠ ٨٠ ٦٠ ٤٠ ٢٠ ٠ كم

شكل (٧)


توزيع محطات الرصد الجوي
في جنوب غرب المملكة
حدود دولية
حدود دولية مقترحة
حدود الإقليم
محطات عناصر جوية مختلفة
محطات مطر
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم
تربة
رنية
الليث
المندق
بيشة
بلجرشي
القنفذة
تثليث
النماص
محايل
أبها
نجران
صبيا
أبو عريش
اليمن

شكل (٨)


خطوط الأمطار المتساوية
بالمليمترات
حدود دولية
حدود دولية مقدرة
حدود الإقليم
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم
البحر الأحمر
اليمن

حسب اتجاه التضاريس اكثر من ارتفاعها اذ يسقط على بعض الوديان المفتوحة على جهة الجنب الغربي مثل أو أكثر مما يسقط على السراة (البارق ٥٦٠ مثلا) . فى حين تبقى بعض المناطق الأخرى الأكثر ارتفاعا أقل امطاراً (الخوبا ١٩٥ ملم ، الحجرة ٢٤٠ ملم) .

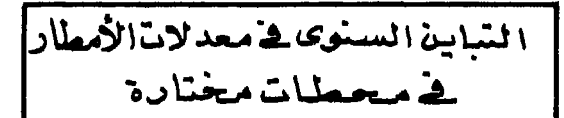
وثمة ملاحظة هامة وهى أن كمية الأمطار تختلف فى المكان الواحد من سنة إلى أخرى (شكل ٩) ، كما يختلف توقيت وكمية سقوطها من شهر إلى آخر ويكفي أن نتتبع كميات الأمطار الساقطة فى محطة واحدة على مدى سنوات التسجيل حتى نأخذ فكرة واضحة عن تذبذب سقوط الأمطار . والمناطق التى تكون معدلات أمطارها كبيرة كالجبال هي أكثر انتظاما فى أمطارها من غيرها من حيث نسبة التذبذب .

تسقط معظم أمطار هذا الاقليم فى الصيف فى حين تكون باقى مناطق المملكة بدون أمطار . وتقل نسبة الأمطار الصيفية اجمالا باتجاه الشمال والشرق (اذ تشكل الأمطار الصيفية فى بيش ٦٠٪ من المجموع السنوى ، وفى جبل سلا ٤١٪ . وقد تحدث الأمطار الصيفية مبكرة فتصبح ربيعية أو متأخرة فتصبح خريفية وهذا يفسر غزارة الأمطار فى ذينك الفصلين ، فمثلا : كان ٣٩٪ من أمطار أبها ربيعية ، ١٢٪ خريفية ، و٢٤, من أمطار الظفير ربيعية و٢٧٪ خريفية .

أما أمطار فصل الشتاء فهى هامة فى الأجزاء الشمالية خاصة اذا كانت فى الجبال لتأثرها أكثر بمنخفضات البحر المتوسط والمتحركة عبر البحر الأحمر . فقد بلغت نسبتها ٣٨٪ فى الظفير الواقعة على بعد ٢٢٥ كم جنوب الطائف ، و٢٤٪ فى أبها ، ١١٪ فى ظهران الجنوب . غير أنها ١٦٪ فى بيشة الواقعة فى شرق الظفير . وهكذا يمكن القول أن كمية الأمطار فى مناطق الجبال وتوزيعها الفصلى يمكن الاعتماد عليه فى وجود غطاء نباتى غنى يتضمن مساحات متفرقة من الغابات الحقيقية ، ويمكن الاعتماد عليه لقيام زراعة مطرية .

وأخيرا يتضح أن مناخ جنوب غرب المملكة يتميز بتنوع صفاته المناخية فهو يضم اكثر وأقل مناطق المملكة امطارا واكثرها وأقلها حرارة ومايتبع ذلك فى اختلاف المدى الحرارى أو مدى الرطوبة وتقلب الضغط وتذبذب الأمطار . والشكل رقم (١٠) الخاص بتصنيف كوبن المعدل يوضح أن المحطات الجبلية الست وقعت متقاربة فى قطاع المناخ المعتدلة الرطب Cs . فى حين ان محطات السهل والهضبة وقعت متقاربة فى قطاع

شكل (٩)



الأمطار

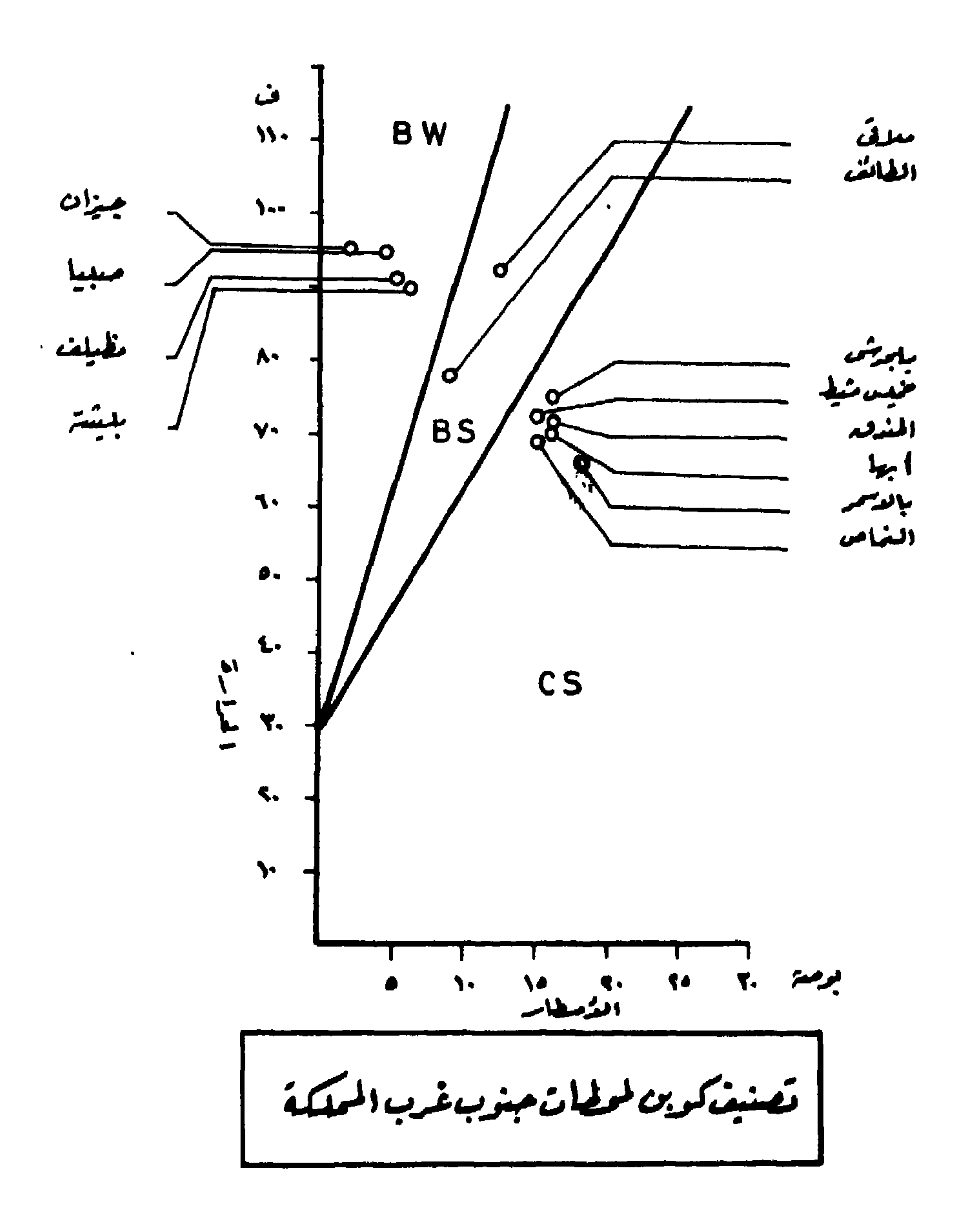
٦٥٠ ملم
٦٠٠
٥٥٠
٥٠٠
٤٥٠
٤٠٠
٣٥٠
٣٠٠
٢٥٠
٢٠٠
١٥٠
١٠٠
٥٠

١٩٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩

السنوات

نجران
الحيفا
أبها
بنى مالك
المخواه
الليث

شكل (١٠)



تصنيف كوبن لمحطات جنوب غرب المملكة

المناخ الجاف BW ، ووقعت محطة ملاكى فى قطاع المناخ شبه الجاف Bs أى الاستبس .

وباختصار يمكننا أن نقسم هذه المنطقة إلى أربعة أقاليم مناخية مميزة تتفق الى حد كبير مع أقسام التضاريس هى :-

١ - **الاقليم الساحلي** : ويتصف بارتفاع معدلات الحرارة طول العام وانخفاض المدى الحرارى السنوى واليومى ، وارتفاع معدلات الرطوبة فى جميع الفصول وقلة الأمطار (أقل من ١٠٠ ملم)

٢ - **إقليم الجبال الساحلية** : ويمتاز بالتفاوت الكبير فى خصائصه المناخية حيث ارتفاع التضاريس واتجاهها ، اذ تنقص الحرارة فى الجبال وتغزر الأمطار لاسيما السفوح المواجهة للجنوب الغربى ، وتتراوح أمطارها بين ٢٠٠ - ٥٥٠ ملم .

٣ - **إقليم جبال السروات** : ويمتاز باعتدال الحرارة إجمالا ، واعتدال المدى الحراى والرطوبة وبغزارة الأمطار - نسبيا - التى تتوزع على جميع الفصول ، وبتوفير الندى والضباب .

٤ - **إقليم الهضاب الداخلية** : وهو شديد الحرارة صيفا وبارد شتاء خاصة فى الليل ، منخفض الرطوبة ، قليل الأمطار وغير المنتظمة ، تتراوح كميتها بين ١٠٠ - ٢٠٠ مليم .

٤ - الموارد المائية وأحواض التصريف المائى :

إن دراسة المناخ وخاصة الأمطار مهدت لدراسة موارد المياه ، لأن الأمطار تشكل المصدر الأساسى لجميع الموارد المائية . وفى الوقت الذى ابدى فيه اقليم جنوب غرب المملكة تفوقه على جميع اقاليمها بكميات الأمطار الساقطة عليه ؛ فانه أبدى كذلك اختلافا صارخا فى التوزيع أولا من الجنوب باتجاه الشمال ، وثانيا من الشاطىء باتجاه الداخل وثالثا حسب الارتفاع واتجاه التضاريس .

وبالرغم من أن المياه في منطقة الدراسة لم تبلغ درجة تشكيل أنهار أو بحيرات عذبة ، إلا أن اختلاف توزيع الأمطار بالإضافة إلى اختلافات أخرى مؤثرة كتركيب وطبوغرافية الأرض انتجت اختلافا فى كمية الموارد المائية السطحية أو الجوفية أو نسبتها وأهميتها . كما اختلفت صفات أحواض التصريف المائى الهيدرولوجية من مكان إلى آخر فى المجرى الواحد أو اختلفت صفاتها من حوض إلى آخر .

الموارد المائية السطحية :

تتمثل الموارد المائية السطحية بالوديان . إذ يغطى منطقة الدراسة شبكة كثيفة من الوديان تختلف فى خصائصها من حيث الطول والروافد ومقادير الجريان السطحى أو الجريان الداخلى أو الحمولة الصلبة أو القدرة على التخزين . لكنها تشترك فى كونها وديانا جافة بالرغم من أن بعضها قد يحوى بركا منفصلة أو « غيولا » فى قسم كبير من أيام السنة ؛ ولكنها تترع بالمياه عقب سقوط أمطار عاصفية مفاجئة في مجاريها العليا أو الوسطى . وقد يحدث ذلك فى بعضها عدة مرات فى السنة الواحدة ، مما يجعل أجزاء من مجاريها دائمة الجريان . ولكنها لاتكون كذلك – أى دائمة الجريان – من المنبع حتى المصب لأنها تجف قبل أن تصل إلى غايتها بسبب التبخر أو التسرب فى التربة أو بسبب سحبها للزراعة .

وتكمن أهمية الوديان فى أنها تحوى غشاء مائيا باطنيا يسهل الوصول اليه بواسطة حفر الآبار . وقد لعبت الوديان دورا هاما فى التاريخ ، اذ استعملت طرقا للقوافل ، ليس لخصائصها الطبوغرافية فى تسهيل النقل والعبور فحسب ؛ بل ولتوافر الماء فيها فى مواقع متباعدة على شكل سلسلة من الواحات .

تمتلىء الوديان بالمياه عقب سقوط الأمطار بالرغم من تبخر قسم منها ، وتسرب قسم آخر فى طبقة الطمى أو الصخور المهشمة تحتها . وقد تتعرض لفيضانات مفاجئة عقب أمطار عاصفية فى أحواضها العليا ، فتكون مدمرة . وقد ذكر التاريخ كثيرا من الفيضانات التى جرفت المدرجات الجبلية الزراعية ، وجرفت تربتها من المجارى العليا للوديان ، كما جرفت فى مجاريها الوسطى وأحيانا الدنيا ما اعترض طريقها كالصخور والأشجار والحيوانات وبيوت الشعر ، فهدمت البيوت وقتلت الأفراد وقضت على المتاع .

الموارد المائية الجوفية :

يتكون معظم سطح منطقة الدراسة من صخور متبلورة هى صخور قاعدة الدرع العربى الأركية ، وهى اما من مجموعة صخور الجرانيت أو من مجموعة صخور الشست أو من صخور متحولة . وتتصف جميع هذه الأنواع بانعدام النفاذية وبالتالى بضعف قدرتها على تسريب أو تخزين المياه .

ففى المرتفعات العالية عمل المزارعون منذ قرون طويلة على تخزين قسم من مياه الأمطار فى التربة السطحية ، وذلك بانشاء المدرجات الجبلية وتحويلها إلى مستويات « كنتورية » تحيط بالقلاع على شكل حلقات عند بدايتها ، فيزداد سمك التربة وتزداد مقدرتها على تخزين الماء فتخدم بذلك أغراض الزراعة « العثرية » أو البعلية . (صورة رقم) وقد أمن القرويون ماهم بحاجة إليه من الماء للأغراض المنزلية ولسقاية الحيوانات بحفر آبار لتخزين مياه الأمطار ، إذ وجد ٩٣٠٠ بئر محفورة يدويا في المناطق الجبلية فى عسير [1] . ويندر أن تستعمل مياه تلك الآبار لأغراض الزراعة .

وقد توافرت فى المجارى الوسطى للوديان ، أى فى المناطق الأقل ارتفاعا ، فرص أكبر لتخزين كمية كبيرة من المياه فى طبقات الطمى بسبب طول الوديان وكثرة روافدها وقدرتها على ترشيح المياه .

تبدأ الوديان بتشكيل سهول فيضية ضيقة على جوانبها حينما يقل انحدارها فى الهضاب الداخلية ، فتتسرب المياه إلى طبقات الطمى فى قناة الجريان الرئيسية فى أوقات الجريان العادى ، وفى السهول المحيطة بها فى أوقات الجريان الفيضى . وتزيد كمية المياه فى المواسم المطيرة عن قدرة الطمى على التخزين فيستمر الجريان السطحى حتى تختفى المياه فى المناطق الصحراوية . لقد أوضحت دراسة « اتالكونسلت » فى سنة ١٩٦٧م ان سمك الطمى الرسوبى قد بلغ فى واحات : تربة ٣٠م ، الخرما ٣٥م ، رنية ١٥م ، بيشة ٦٠م ، تثليث ١٠م ، حبونة ٤٠م ، كما بلغت مساحة هذه السهول الداخلية مئات الكيلو مترات المربعة .

وبالمقابل تشكلت سهول داخلية محدودة ومفصولة عن بعضها بخوانق فى اقليم الاصدار بسبب طبيعة الصخور وشدة الانحدار ، ولم يتجاوز سمكها – فى الغالب – عدة أمتار ، ولم تستطع أن تخزن سوى كمية محدودة من المياه . ولكن قد يتغير هذا الوضع حينما تصل الوديان السهل الساحلى حيث يقل انحدارها وتختفى الصخور النارية والمتحولة تحت غطاء سميك من الرسوبيات التى تعود لأواخر الزمن الثالث والزمن الرابع . وتنتشر الرسوبيات عند مخارج بعض الوديان الهامة على شكل دالات تتمدد باتجاه البحر .

---

(1) Italconsult, Water and Agricultural Development, Survey for Area II and III, Final Report: Water Development Survey P. (162).



(صـــورة ١)

المدرجات الجبلية فى المنطقة بين أبها والسودة ، هى وسيلة الحفاظ على التربة من الانجراف لقيام الزراعة المطرية والمنظر لسفوح جبلية بين أبها والسودة .



(صـــورة ٢)

قرية ال نعمان فى وادى نيرا المجاور لجبل شدا ، وترى جبال شدا السفلى فى خلفية الصورة ، كما ترى مزارع الحبوب فى السهول الفيضية للوادى ، والأشجار الضخمة فى مجرى الوادى .

تختزن الرسوبيات الرباعية الطموية وتكوين بيض الأعلى الميوسينى إذا وجد تحتهما مباشرة كميات هائلة من المياه العذبة ، وتفقد قسما آخر بالتبخر ولا يصل منها إلى البحر إلا عن طريق المجارى الرئيسية وقت الفيضان .. ويختلف سمك هذا الغرين من مكان إلى آخر ، غير أن معظم سماكة من هذه التشكلات وجدت فى وادى الخمس فى جنوب جيزان حيث اخترق حفر إحدى الآبار هناك ٢٣٠ م من الرمل والطين [١] ونحو ٢٠٠ م فى حَلى و٩٢ م فى عتود .

تشكل المياه العذبة في منطقة جيزان خزانا واحدا متصلا بالرغم من تعقيد الطبقات الخازنة . ويتكون حدود الغشاء المائى لهذا الحوض فى الشرق من منطقة الاتصال الجيولوجى بين الطمى الرسوبى وبين تكوين بيض . ويوجد أغشية مائية مثل وادى نخلان الذي ينحبس غشاؤه عن الغشاء المائى العام بواسطة حواجز غير منفذة ماعدا فى القطاع السفلى حيث يتصل بوادى بيش ووادى صبيا .

وفى كل مكان آخر من السهل الساحلى ينفرد كل واد بغشاء مائى خاص به وغير مرتبط بالأغشية المائية المجاورة مثل عتود وحلى ويبا وقنونة ودوقة والشاقة والليث وغيرها .

ويظهر أثر حقن واختلاط مياه البحر المالحة بالمياه الجوفية العذبة في المناطق الشاطئية على عرض يصل ١٥ كم . وقد أثبتت الدراسات التى تمت فى هذه النواحى ان المياه العذبة تقع فوق المياه المالحة مباشرة ، ويفصلهما عن بعضهما غشاء رقيق ، ويتقهقر هذا الغشاء الفاصل بسرعة باتجاه البحر حتى يتصل بالسطح المكشوف بالقرب من البحر [٢] متمثلا بالسبخات المنتشرة هناك .

الينابيع الحارة :

من الملامح المميزة لمنطقة الجبال الساحلية فى الجنوب الغربى من المملكة وجود الينابيع الحارة . ففى الحوض الأوسط من وادى الليث وذلك فى عالية عميقة بمسافة ١٨ كم يوجد مجموعة من الينابيع الحارة من بين كتلة جرانيتية منحوتة عند نقطة التقاء الوادى

(1) Sogreah. Water and Agricultural Development Studies fo Area VI. Final Report; Part 2. Water Resources P.140.

(2) Op. cit. 141.

بأحد روافده . ويستدل من وجود بعض الترسبات الملحية على جفاف عدة ينابيع سابقة . وتقع فى منطقة تبلغ مساحتها نحو ٢ هتكار يتدفق الماء منها من بين الصخور أو من الطمى الذى يغطيها . وتختلف حرارتها من ينبوع إلى آخر اذ تتراوح بين ٤٩° - ٨٨° م مما يدل على عمق مصدرها . ويعود انخفاض درجة حرارة بعضها نسبيا الى طول مجراها فى طبقة الطمى التى تغطى الجرانيت وبالتالى الى اختلاط مائهاالحار مع ماء الغشاء البارد فى طبقة الطمى .

وقد دلت الدراسات التى أجرتها مؤسسة سوغريا أن معدل ارتفاع الماء فى طبقة الطمى يتراوح بين ٣٠ - ٥٠ل / ث . كما أظهرت التحليلات الكيماوية قلة نسبة الأملاح فيها وعدم وجود اختلافات هامة في التركيب وعدم تمييز بعض المركبات عن غيرها . ولو أن كلوريد الصوديوم وكبريتات الكالسيوم تميل إلى السيطرة على غيرها . ولوحظ قلة احتوائها على البيكربونات [1] .

ويوجد عدد من الينابيع الحارة فى شرق جيزان لكنها صغيرة وضعيفة ويردها كثير من الناس بغرض الاستشفاء بعضهم جاء من اليمن من أهمها [2] :

- العين الحارة وتقع على مسافة ٥٠ كم فى جنوب شرق جيزان فى الحوض الأعلى لوادى خلّب وتصب فى وادى خلّب .
- الوَغْرة وتقع الى الشرق من السابقة مسافة ٤ كم فى جهة قواً وتصب فى خلّب .
- البُرَّة وتقع على مسافة ٥٣ كم فى شرق جيزان وتصب مياهها فى وادى جيزان .
- البُزَّة وتقع على مسافة ٥٠ كم فى شمال شرق جيزان وتصب مياهها فى شهدان (بيش) .
- وَغْرةَ بنى مالك وتقع بين جبال فيفا وجبال بنى مالك وتصب فى وادى ضمد .

أحواض التصريف المائى :ـــ

تبدأ المجارى العليا للوديان من المناطق الجبلية على شكل تلعات صغيرة تلتقى مع بعضها البعض ،ويتأثر اتجاهها النهائى بأشكال السطح ، ولذلك يمكن أن تقسم أنظمة

---

(١) OP.Cit

(٢) محمد احمد العقيلى ، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ،ج١ ، ص٢٢ ــ٢٣ .

التصريف المائى فى جنوب غرب المملكة الى قسمين : شرقى وغربى . ويمثل خط الشعاف وهو حافة الهضبة الانكسارية Scarpement خط تقسيم المياه بينهما (شكل رقم ١١) .

(أ) أنظمة التصريف الشرقية[١] :

تنحدر سفوح الهضبة « الأركية » انحدارا تدريجيا اعتبارا من خط الشعاف باتجاه الداخل . ولذلك تتجه الوديان التى تصرف مياهها اجمالا نحو الشرق أو نحو الشمال الشرقى . ونظرا لنشاط التعرية تمكنت هذه الوديان من الامتداد بعيدا فى الداخل ومن أسر بعضها بعضا ، فشكلت شبكات تصريف قليلة العدد واسعة المساحة ؛ اذ بلغت احواض بعضها عشرات الآلاف من الكيلو مترات المربعة وبلغت مجموع مساحتها معا ١٢٣٥٠٠ كم ٢ ، غير أن الجفاف المعاصر قطع الصلة بين بعضها والبعض الآخر . وصار بامكاننا تمييز ستة أحواض رئيسية هى من الجنوب :

١ ـــ **حوض وادى نجران** : ويتمثل بسفوح سراة وادعة وبقسم من الهضبة اليمنية والقسم الجنوبى من هضبة نجران المتاخمة للحدود اليمنية . يتراوح ارتفاعها بين ١٧٠٠ ـــ ١٢٠٠ م وتنحدر باتجاه الشرق ويخترقها وادى نجران فى هذا الاتجاه الى أن يسير فى منطقة الصخور الرملية للوجيد فى الشرق قبل أن يختفى فى رملة يام فى غرب الربع الخالى .

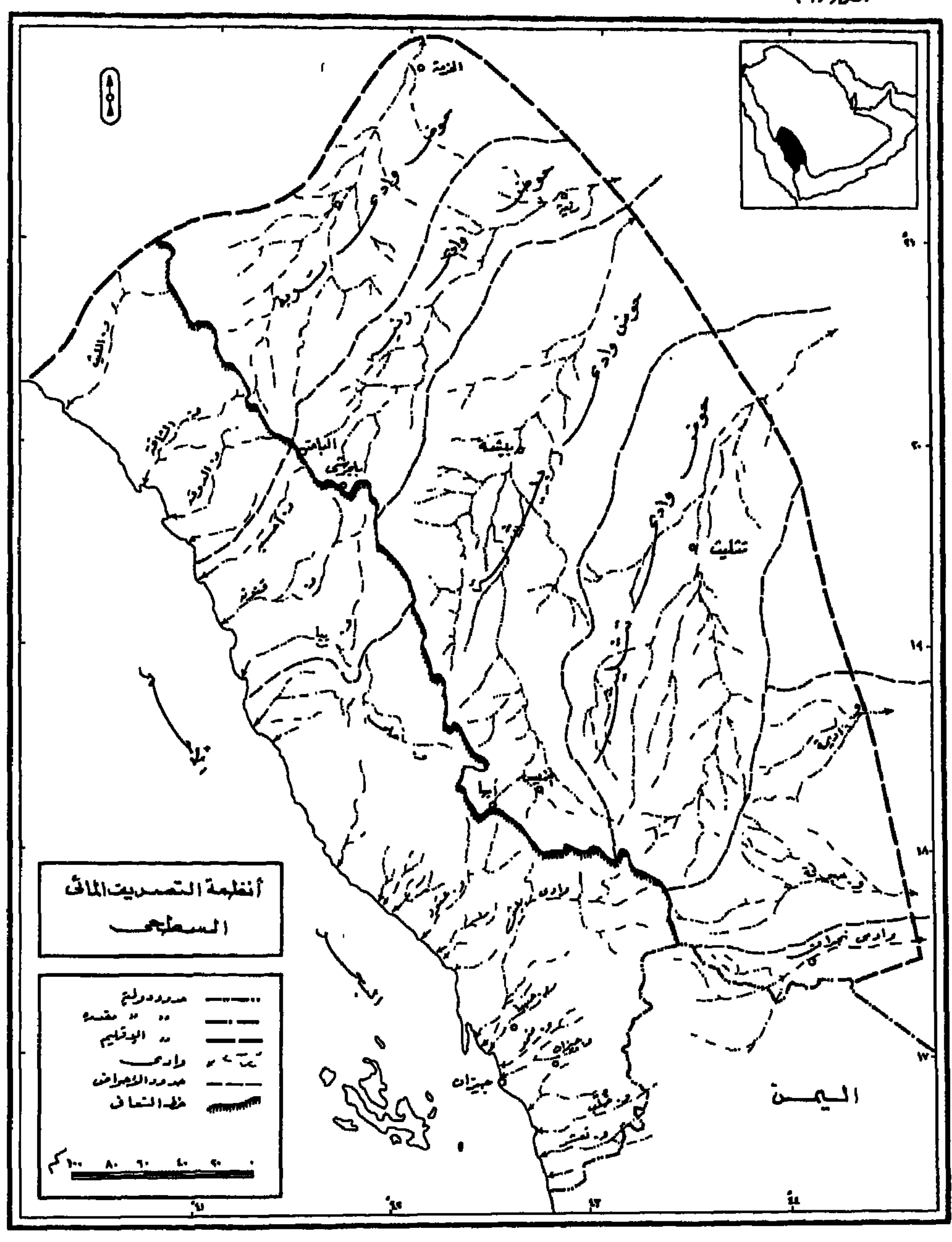
لايتجاوز طول وادى نجران ١٨٠ كم غير أنه هام من حيث صبيبة السائل والصلب ، ولذلك كان له شأن كبير فى التاريخ . وأهم روافده من بلاد وادعة : ذى كحل ، وثعبان ، وحصن وتأتيه بعض الروافد الصغيرة من هضبة نجران .

٢ ـــ **حوض وادى حبونه** : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ويتمثل بسفوح سراة ظهران الجنوب وبالقسم الشمالى من هضبة نجران ، حيث يفصله عن حوض نجران نجد « الصحن » وبعض النجود المختلفة الارتفاع . ويتجه وادى حبونه مثل سابقه نحو الشرق ، وهو أكثر اتساعا وروافد من الوادى السابق ، والتى منها وادى العرين الذى يتكون من قتام وطلحة والمصلولة من الغرب ، وبدر وحزمة وثار ورشاء من

---

(١) انظر خرائط المنطقة خاصة مقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠ . عمل جلين بروان وروى جاكسون .

شكل (١)



أنظمة التصريف المائي السطحي
حدود دولية
" " مقترحة
" الإقليم
وادي
حدود الأحواض
خط التقاسم
١٠٠ ٨٠ ٦٠ ٤٠ ٢٠ ٠ كم
بيشة
تثليث
جيزان
اليمن

الشمال وحرشف وهدادة وعرقان من الجنوب . وتبلغ مساحة حوضه نحو ١٢٥٠٠ كم٢ إلا أنه أقل أهمية من سابقه . ويشترك هذان الواديان مع وادى أدمة الذى يبدأ من الهضبة الى الشمال منهما فى تزويد الطبقات الرملية للوجيد بالمياه .

٣ ـــ **حوض وادى تثليث** : ويغطى مساحة ٣١٠٠٠ كم ٢ تقريبا من هضبة عسير ويبدأ من سراة غبيدة فى بلاد قحطان من الوديان الصغيرة : المجمع وجناب وسروم وراحة سنحان وراحة شريف والحرجا ومحلاة ويعوص والوتيرة والحظيرة . ويتجه المجرى الرئيسى نحو الشمال فالشمال الشرقى فيصب فيه من الجهة اليسرى : وادى العرين الذى يبدأ من الجوف ، ووادى طريب ويليه الى الغرب ويلتقى بالمجرى الرئيسى قرب مدينة تثليث باسم وادى الجاش ، ووادى القاعة ويبدأ من عقدان غرب الجوف ، والمسياب ويصبان فى طريب ، ووادى الثفن ويبدأ من شرق صمخ والمسيرق الذى تبدأ روافده من شمال تندحة وخيبر [١] .

ويصب فيه من الجهة اليمنى : وادى ملحة ، ووادى ثغر المعا ووادى لهو ووادى الحجر ووادى السريال . وينحرف بعد تثليث باتجاه الشمال الشرقى فالشرق حتى تضيع مياهه فى رمال المختمية التى تفصله عن وادى الدواسر بعد أن يسير نحو ٤٠٠ كم . هذا وقد فاض وادى تثليث فى عام ١٩١٧ م فكسر الحاجز الرملى الذى يعترض مجراه فطغى على وادى الدواسر واجتاح المزارع وداهم السكان [٢] .

٤ – **حوض وادى بيشة** : ويقع الى الشمال الغربى من الحوض السابق وهو اكبر الأحواض فى هذه المنطقة وأهمها . اذ تبلغ مساحته نحو ٤٥٠٠٠ كم ٢ . ويبدأ من حافة الشعاف ابتداء من بلاد شهران جنوبا حتى بلاد شمران وخثعم شمالا أى مسافة ٢٧٠ كم تقريبا . تنحدر المياه اليه من الشعاف على شكل شبكة كثيفة من المجارى تصب فى المجرى الرئيسى الذى يتجه نحو الشمال والشمال الشرقى فالشرق ، حتى ينتهى فى المهمل فى شرق نهاية تثليث وقبيل الدواسر بعد أن يسير نحو ٤٥٠ كم ويقسم الى ثلاثة أقسام :ـــ

أ – بيشة ابن سالم (بيشة القمح) وهو المجرى الأعلى فى بلاد رفيدة من قحطان .

---

(١) انظر خرائط المنطقة مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ عمل آسيا أيروسيرفى . سيول كوريا

(٢) فؤاد حمزة – فى بلاد عسير ص ١٤٦

ب -بيشة شهران فى المجرى الأوسط أو (بيشة ابن مشيط) ٥٠ كم في منطقة الخميس وبيشة ابن هشبل (حتى الهيفا أى ١٢٥ كم) .

جـ -بيشة النخل من واعر حتى ينتهى فى المهمل عند ظاهن .

ويتكون القسم الأول من التقاء الأودية : جوحان ، وأبها (خبيبى) ، وحمرة (المحالة) والملاحة (علكم) وأتانه وهى غنية بمياهها لكثرة الأمطار .

ويصب فى القسم الثاني من اليمين تندحه ، ومن اليسار أودية السراة : ترج من سراة الحجر ، ويتكون من ترجس والباحة وعوص وماسرة [1]المنحدرة من السراة ، والمسمى ويمح وحوران من الهضبة . ووادى تبالة من سراة بلقرن ويتكون من عنطار وشيبان ومهرة ويصب فى بيشه شمال قلعة بيشة . ووادى بطنه الحبيب .

٥ ـــ حوض وادى رنيه : ويلى حوض بيشة باتجاه الشمال الغربى حتى حرتى البقوم ونواصيف وعروق سبيع وتبلغ مساحته نحو ١١٠٠٠ كم٢ ، ويبدأ الوادى من سراة شمران وغامد ويتجه نحو الشمال الشرق الى أن ينتهى بالقرب من نهاية بيشة بعد أن يسير نحو ٢٢٥ كم . ويستمد مياهه من الروافد التالية : شواص القادم من سراة خثعم وشمران (منطقة العلايا) ، والمجرى الأعلى لوادى رنية القادم من قزّانة ، والملقاه القادم من بلجراشي ، والبصرة وبنى كبير الى الشمال من ذلك . ووادى قرشة القادم من جنوب شرق الباحة ، وثراد المتكون من فيق والريمة وغوب والعريجا ويصرف مياه منطقة الباحة ، ووادى عقيق غامد المتكون من اللحيان وبهر .

٦ - حوض وادى تربة : ويلى رنيه باتجاه الشمال الغربى أيضا ، ويبدأ من سفوح سراة زهران وبنى مالك ويتجه نحو الشمال الشرق الى أن ينتهى فى غربى رمال سبيع ، ويضم سفوح حرتى البقوم ونواصيف الشمالية الغربية وسفوح حرة حضن الجنوبية الشرقية . وتبلغ مساحته نحو ١٧٠٠٠ كم ٢ وتنتظم مياهه فى وادى تربة الذى يستمدها من الأودية :

- وادى الصدر الذى يبدأ من شعاف بنى حسن باسم الصدر ومن المندق باسم رسباء .

---

(١) عمر العمروى الخطاط ، فى بلاد بنى عمرو . مجلة العرب ، ج ٧ ، ج ٨السنة ٨ ص ٦٢٩ - ٦٣٥

- وادى بنى مالك الذى يبدأ من سراة بنى مالك باسم عردة وبعد التقائه بالصدر يسمى تربه .
- وادى شوقب الذى يبدأ من سراة حداد بنى مالك ويستقبل مياه وادى نشراف .
- وادى بوّاء الذى يبدأ من منطقة ثقيف ويتجه نحو الشرق الى أن يلتقى بالوادى قريب جبل تربة .
- وادى ضراء (ذرة) ويبدأ من سراة بلحارث ويتجه شرقا فيلتقى به فى جنوب مناجم الحويل .
- وادى الحقير ويبدأ من شمال شرق بلحارث ويخترق منطقة الخبوب .
- وادى كراء ويصرف مياه جبلى الرحمن وعيسان فى غرب العقيق ويلتقى بالربض والطوى ، وراخ ، ويسير من غرب حرة البقوم ويسمى وادى الجارة فليتقى بتربة فى شرق بلدة تربة .
- وادى بيده ويبدأ من شمال غامد ويتجه شمالا فيما بين جبال عيسان وشمرخ ومعشوقة .

ويطلق على وادى تربة فى مجراه الأدنى وادى سبيع أو وادى الخرما حيث ينحنى نحو الشرق وينتهى فى سبخة الظلما فى غرب عروق سبيع .

(ب) أنظمة التصريف الغربية(حوض البحر الأحمر) :

نتجت انظمة التصريف الغربية عن الحركة التى أدت الى انهدام منطقة البحر الأحمر ، حيث نشط النحت المتراجع لمجارى التصريف للجرف القديم ابتداء من حوض التجميع فى الغرب . لقد رأينا أن سطح الهضبة الانكسارية ينحدر بشدة باتجاه الغرب مكونا ــ فى معظم الأحيان ــ جروفا عمودية أو شبه عمودية ، ويليها منطقة معقدة التضاريس بسبب تناوب النجود التى ترتفع أحيانا الى ما يضاهى السروات والأغوار السحيقة فيما بينها . ولذلك يتمثل حوض البحر الأحمر بأحواض متتالية تبدأ من شعاف السروات وتتجه نحو البحر ، فتنتظم مياهها فى وديان تتجه بشكل عام عمودية على خط الشاطىء ، وقد يتغير اتجاهها فى بعض قطاعاتها حتى تصبح موازية للشاطىء متأثرة بمواقع النجود والاغوار .

تتدفق المياه فى الوديان على شكل فيضانات سريعة ، تتوقف كمياتها على مساحة أحواض التصريف وعلى كميات الامطار الساقطة على تلك الأحواض ، وعلى امكانية استيعاب الخزانات الارضية . ففى جنوب هذه المنطقة تسبب الأمطار الغزيرة والكثيرة التردد على المرتفعات حدوث فيضانات متتابعة بحيث تعمل على جريان الماء عدة أشهر .

وتتم عملية التسرب أثناء الجريان فى الأجزاء المنحوتة من المجارى وفى رسوبيات الطمى فى السهل الساحلى . قد يصعد الماء المتسرب حينما يصادف الجريان الداخلى صخوراً صماء تقف كعائق داخلى ، وعندها تجرى المياه على السطح عدة كيلو مترات قبل أن تتسرب داخل الرسوبيات للمرة الثانية .

تصل مياه الوديان الى البحر فى القسم الجنوبى من المنطقة عقب كل فيضان متوسط أو كبير ، وهذا يحدث مرة الى عدة مرات كل عام اذا كانت كمية المياه المستغلة فى الزراعة ليست كبيرة ، أو اذا كان الفيضان كبيرا بحيث يكفى ليجرف أعمال التقسيمات التى تبنى فى بعض الوديان لغرض الزراعة . أما فى الشمال فالفيضانات القوية للوديان الكبيرة فقط هى التى تستطيع أن تصل الى البحر وهذا يحدث مرة كل ٣ –٥ سنوات (١) .

ونظرا لارتفاع الجبال والنجود وقربهما نسبيا من شاطىء البحر ، لم تتمكن الوديان بالرغم من غناها بالمياه ونشاط التعرية فيها من أسر بعضها البعض ومن توسيع مساحة أحواضها ، فبقيت كثيرة العدد توازى بعضها بعضا تقريبا . وطبقا للفروق الهيدولوجية الناتجة عن تغير المناخ يمكن تقسيم أحواض هذه المنطقةالى ثلاث مجموعات هى(شكل رقم ١١) :

المجموعة الأولى : وتشمل الأحواض الواقعة بين الحدود اليمنية جنوبا وحتى نهاية حوض وادى حَلى شمالا . وتتصف وديان هذه المجموعة بأنها ذات صبيب مائى عظيم ، وفيضاناتها ذات أحجام كبيرة تجعل الماء يستمر فى الجريان عدة أيام . ومع أن هذه الوديان مختلفة الطول الا أنها قصيرة بالقياس للوديان الشرقية . وقد أمكن تتبع ٢٤ واديا تصرف مياه هذه المنطقة التى تبلغ مساحتها معا ٢٩٢٥٠ كم٢ وتنتهى الى الشاطىء الذى يبلغ طوله ٣٤٠ كم أى أنها تظهر بمعدل واد لكل ١٤ كم من خط الشاطىء .

---

(1) Sogreh-Ibid,P. 46.

(2) Sgro- Ibid

وتتكون سبعة وديان من التقاء عدد من الروافد الهامة لكل منها ، تهبط من مناطق الجبال العالية فى السروات ، هذه الوديان هى من الجنوب : حُلّب وجيزان وضمد وصبيا وبيش وعتود وحلى . وتعتبر أغنى وديان المملكة بكميات المياه التى تجرى فيها سنوات أو التى تختزنها فى رسوبياتها الطموية فى مجاريها الدنيا ، ويأتى فى طليعتها جميعا وادى بيش الذى يتكون من التقاء كثير من الروافد وقد تصريفه ١٥٠٠م³/ث سنة ١٩٧١م كحد أقصى أى بمعدل بين ٥ –١٠م ³/ث سنويا للسنوات غزيرة المطر ، وتبلغ مساحة حوضه نحو ٤٧٠٠ كم² .

وتنبع بقية الوديان الأخرى من مناطق الجبال الساحلية ، ولذلك فهى أقصر منها وتقع أحواضها فى المنطقة الساحلية فيما بين أحواض الوديان الأولى وتفصلها عن بعضها . وهى مرتبة من الجنوب الى الشمال : حرض وتَعْشر الى الجنوب من حُلّب ، والفجا بين خلب وجيزان ، والسّر والرّدحة وسمرة وبيض بين بيش وعتود ، والمعيصب وريم وعرمرم ونهب وعريك ونخلا وذهبان ودهين وعمق وشفقة بين عتود وحَلى .

المجموعة الثانية : وتشمل مجموعة الأحواض الواقعة الى الشمال من حدود المجموعة الأولى جنوبا حتى نهاية حوض وادى الأحسبه شمالا . وتتعرض وديان هذا القسم لفيضانات ذات أحجام متوسطة فى نفس الفصول التى تحدث فى المجموعة الأولى ، ولكن صبيبها المائى أقل كمية من السابقة واضعف تأثيرا على نشاط السكان وقد لاتحدث فى بعض السنين .

ومع ذلك يمكن اعتبار الوديان : يَبَه وقنونه والأحسبة ويتكون كل منها من مجموعة من الروافد ينحدر معظمها من سفوح السروات هامة وتحمل صبيبا مائيا لابأس به . ويقع بين قنونه والأحسبه الواديان : عجه ولومه وينبعان من منطقة الجبال الساحلية . وتصل مياه هذه الوديان الخمسة فى معظم السنين الى شاطىء البحر الذى يبلغ امتداده فى هذه المنطقة نحو ١٠٠كم ، أى أنها تتوزع بمعدل واد لكل ٢٠ كم . وتبلغ مساحتها معا نحو ١٩٠٠٠كم ² .

المجموعة الثالثة : وتشمل أحواض الوديان الواقعة الى الشمال من حدود المجموعة الثانية جنوبا وحتى حوض وادى سعية . وتتصف وديان هذه الأحواض التى تبلغ مساحتها معا نحو ٩٠٠٠ كم² أن فيضاناتها نادرة الحدوث ، واذا حدثت فانها لا تستمر الا لمدة قصيرة ولاتصل جميعا الى شاطى البحر الذى يبلغ امتداده فى هذه المنطقة نحو ١٨٠ كم .

ووديان هذه المجموعة مرتبة من الجنوب الى الشمال : ناوان وقرما والدوقة والشاقة والليث وحريق البئر والفقه وخضرة وسعية . وقد كان لبعضها أهمية كبيرة فى الماضى اى قبل أن يصل مناخها الى مثل الجفاف الحالى ، بدليل أنها استطاعت منذ ذلك الوقت أن تشكل احواضا واسعة ذات شبكات من الروافد المنتظمة حسب قواعد تحت المياه الجارية ، ويمكن تتبع مجاريها حتى تصل الى البحر مثل الدوقة والشاقة والليث .

٥ – توزيع التربة

تعتبر التربة اكثر مظاهر البيئة الطبيعية تعقيدا ، يعود ذلك الى حد كبير الى العوامل الكيماوية المعقدة الداخلة فى تشكلها وانعكاس هذه العوامل على تطورها . اذ لايعتبر هذا التطور غير مفهوم فحسب بل إنه لايترك أثرا واضحا على مظهر التربة العام . ولذلك يصعب توضيح اختلافات التربة بدون دراسات تفصيلية مكثفة . ومن ناحية أخرى فان الاختلافات البسيطة فى علاقة العوامل المؤثرة كمقدار الانحدار أو الرى يمكن أن تكون اكثر اهمية من العوامل البيئية الاساسية فى توضيح صفات التربة بشكل تفصيلى. ولذلك فان تغير التربة على مسافة قصيرة – وهو ليس موضع اهتمامنا الآن – غالبا ما يكون اكثر وضوحا من الاختلافات الاقليمية العريضة .

وينتج عن ذلك أن تصنيف وتوزيع التربة الى أنواع صعب الا على مقياس كبير . وان معظم خرائط التربة معقدة ولا تخدم الدراسات العامة . وزيادة على ذلك كانت الفترة الماضية من النصف الثانى للقرن العشرين فترة تغيير أساسى فى طرق تصنيف التربة من قبل علماء التربة وغيرهم من المهتمين بتوزيعها . ولذلك رأينا اختيار تصنيفات عامة سهلة توضح الاختلافات الاقليمية :

١ – تربة الجبال العالية :

فى الواقع لا توجد تربة متجانسة فى المناطق الجبلية بل توجد عدة أنواع من الترب . وقد جاءت هذه الترب فى الأصل من تحلل صخور الجرانيت والديوريت والصخور المتحولة التى تشكل المنطقة . وتختلف من مكان الى آخر باختلاف العوامل المؤثرة فى تشكيلها ونضجها كالمناخ والغطاء النباتى وانحدار السطح .

ففى المرتفعات العالية (أى ٢٠٠٠ م وأكثر) تزداد سرعة تشكلها وغناها بالمواد العضوية ، يدل على ذلك لون قطاعها العلوى الداكن بسبب كثرة الأمطار وكثافة النباتات

الطبيعية . غير أن شدة تضرس السطح يعرضها لتعرية المياه الجارية والرياح ، ويجعلها غير ناضجة قليلة السمك كثيرة الحصى ضعيفة الامكانيات . وقد استطاع الانسان استغلال بعضها بالزراعة منذ القدم بتحويلها الى مدرجات جبلية ، تنحنى حول رؤوس الوديان العليا مع انحناء « كنتور » الأرض حماية لها من الانجراف وتخفيفا للجريان السطحى وزيادة لرشح المياه بداخلها . أما السفوح الشديدة الانحدار فكانت ومازالت مجردة من غطاء التربة .

٢ ـــ تربة الجبال المتوسطة الارتفاع :

وتمتاز عن سابقتها بأنها اكثر بعدا عن النضج بسبب قلة الأمطار ، وبالتالى ضعف رطوبتها الداخلية وعدم صلاحيتها لاقامة مدرجات لانبات زراعة مطرية . فهى قليلة السمك كثيرة الحصى والحصباء والحجارة ، وقدرتها على تخزين الماء ضعيفة ولذا فهى تستغل فى الرعاية . وفى الغالب يغطى نحو ٦٠ ـــ٧٠٪ من سطح الأرض من هذه المناطق بالحجارة .

غير أن الوديان التى تخترقها وتنحدرفى الأصل من مستويات أعلى عملت على نحت مجار ضيقة فيها ، لكنها تتسع أحيانا فيترسب على جوانبها ترب طينية تحتوى على السلت وتتدرج نحو الاخشن بالاقتراب من سرر الوديان . وتظهر ترسبات خشنة كذلك عند اقدام الجبال أو حينما تقل الانحدارات . ويترسب حول مجارى الوديان ترسبات طموية بسمك كبير يمتد على شكل أشرطة ضيقة تنحصر بين حوائط صخرية على طول الوديان ، نادرا ما يزيد عرضها عن ١٠٠م ولا يزيد سمكها عن ١٠م تتكون من الرمل والحصى والحصباء ، وتحتوى على كمية متوسطة من السلت ويكون تحتها تربة ناعمة بسبب قربها من الصخور الأصلية (١) . ويضاف لها باستمرار مواد عضوية تحسن قوامها ، فتصبح امكانياتها عالية اذا توافر لها الرى .

٣ ـــ تربة السهوب المرتفعة :

وتسود فى الهضاب الشرقية وفى المنبسطات فيما بين الجبال الساحلية ، وتمتاز بجفاف المناخ وبأن الارض أقل تضرسا من المرتفعات ، وتكون الوديان فيها أعرض وتصبح على شكل سهول مفتوحة تمتد من عدة مئات من الأمتار الى عدة كيلو مترات على جوانب المجارى الرئيسية ، وتحوى كميات كبيرة من الرسوبيات . ويمكن تقسيم هذه الرسوبيات الى نوعين

---

(1) Ttalconult, Water and Agriculture Development, Survey For Area II, III. Final Report. Land Inventory, P. 16.

رئيسيين : طمى خطى وطمى فيضانى . يقع الطمى الخطى على طول المجارى ويتجدد سنويا بفعل جريان الماء ، ويتكون من رمل خشن مع توضع حصى وحصباء ، خاصة فى المستويات المنخفضة . وينتشر الطمى الفيضانى على جوانب المجاري فى المستويات الأعلى المنحدرة باتجاه الأسرة على شكل مصاطب نهرية ومهيلات سفحية ، وتتكون من مواد أنعم من السابقة .

ولما كانت أمطار السهوب قليلة ومظاهرها شبيهة بالجافة وتحتوى على الحصى ، وتظهر فيها أحيانا حالات كربنة وحالات تملح ، لكنها لاتصل الى درجة عوامل معيقة للفلاحة . لكن استثمارها يتوقف على تحسينها وهو مكلف ، لأنه يتضمن تسويتها وعمل المدرجات وتطهيرها واتقاء أثر الرياح وما الى ذلك . والا فتصبح امتدادا لتربة المناطق الواقعة فى المستويات الأدنى القريبة منها ، أى شبه الصحراوية .

وفيما بين هذه السهول الرسوبية للوديان وبين الجبال حيث يكون قوام التربة خشنا أو شبه خشن ، قليل العمق تكون مملوءة بالحجارة وتستغل فى الرعاية .

٤ – التربة الرسوبية المختلطة التهامية :

تمتاز الوديان المنحدرة من الجبال العالية والمتجهة الى الغرب فى جنوب المنطقة بانها غنية بصبيبها المائى وصبيبها الصلب . ولذلك عملت على تشكيل سهول واسعة بعد خروجها من منطقة الجبال بترسيبها تربا طموية تتخلف عن الفيضان وهى متوسطة القوام مختلطة . ولاتعتبر هذه السهول أهم المساحات الزراعية فى جنوب غرب المملكة فحسب ؛ بل أهم المساحات فى المملكة بشكل عام ، نظرا لامتدادها على مساحات كبيرة وغناها بالمواد العضوية والمعدنية وتوفر الماء فيها . وتوجد مصاطب تقع بين هذه السهول والجبال تكونت من رسوبيات نحت الجبال مغطاة بحصباء سوداء تحتها طين وسلت مما يسمح بنمو نباتات شوكية واشجار .

٥ ـ التربة الصحراوية :

وتوجد فى السهول الساحلية وفى شرق مناطق الهضاب . ففى السهول الساحلية يقتصر وجود التربة الرسوبية على مجارى الوديان ودلتاواتها فقط . وما عدا ذلك فان السهل الساحلى يتكون فى معظمه من تكوينين يصعب وصفهما بالتربة هما : (١) السبخا ـ وهو سهل ملحى مستنقعى يمتد بالقرب من السواحل بعرض عدة كيلو مترات ، وهو قاحل باستثناء بعض النباتات التى تتحمل الملوحة واحيانا نباتات

المانجروف .(٢) الخبت ــ ويشكل معظم مساحة السهل وهو امتداد واسع لرمال مثبتة بسبب وجود بعض النباتات العشبية .

وتتكون التربة قرب الشواطىء إن لم تكن من السباخ – من رسوبيات أرصفة مرجانية حديثة وبعضها من قباب ملحية .

وتتكون تربة شرق مناطق الهضاب من مفتتات صخرية خشنة ، واحيانا من كثبان رملية جافة وخالية من المواد العضوية ، وتغلب عليها الملوحة فى المناطق المنخفضة بسبب شدة التبخر . (انظر شكل ١٢) عن توزيع الترب فى حوض البحر الأحمر والمستخلص من تقرير سوغريا [١] .

٦ ــ النبات الطبيعي :

يتميز الغطاء النباتى Natural Vegetation فى جنوب غرب المملكة بتنوعه واختلافه اكثر من اى اقليم آخر ، نظرا لتنوع ظروف البيئة الطبيعية المؤثرة بشكل مباشر فى النمو النباتى ، خاصة المناخ والتضاريس والتربة . ففى حين نجد فى بعض نواحيه غابات شجرية نجد فى نواح اخرى أكمات من نبات المانجروف الذى يتحمل الملوحة ورطوبة التربة . ونجد فى جهة مساحات واسعة من الأعشاب وفى غيرها نباتات شوكية . وبين هذه وتلك توجد مساحات شاسعة جرداء خالية من أى غطاء نباتى ؛ إما بسبب شدة انجراف التربة الناتج عن الانحدارت الشديدة فى المناطق الجبلية أو بسبب شدة الجفاف، أو ملوحة التربة .

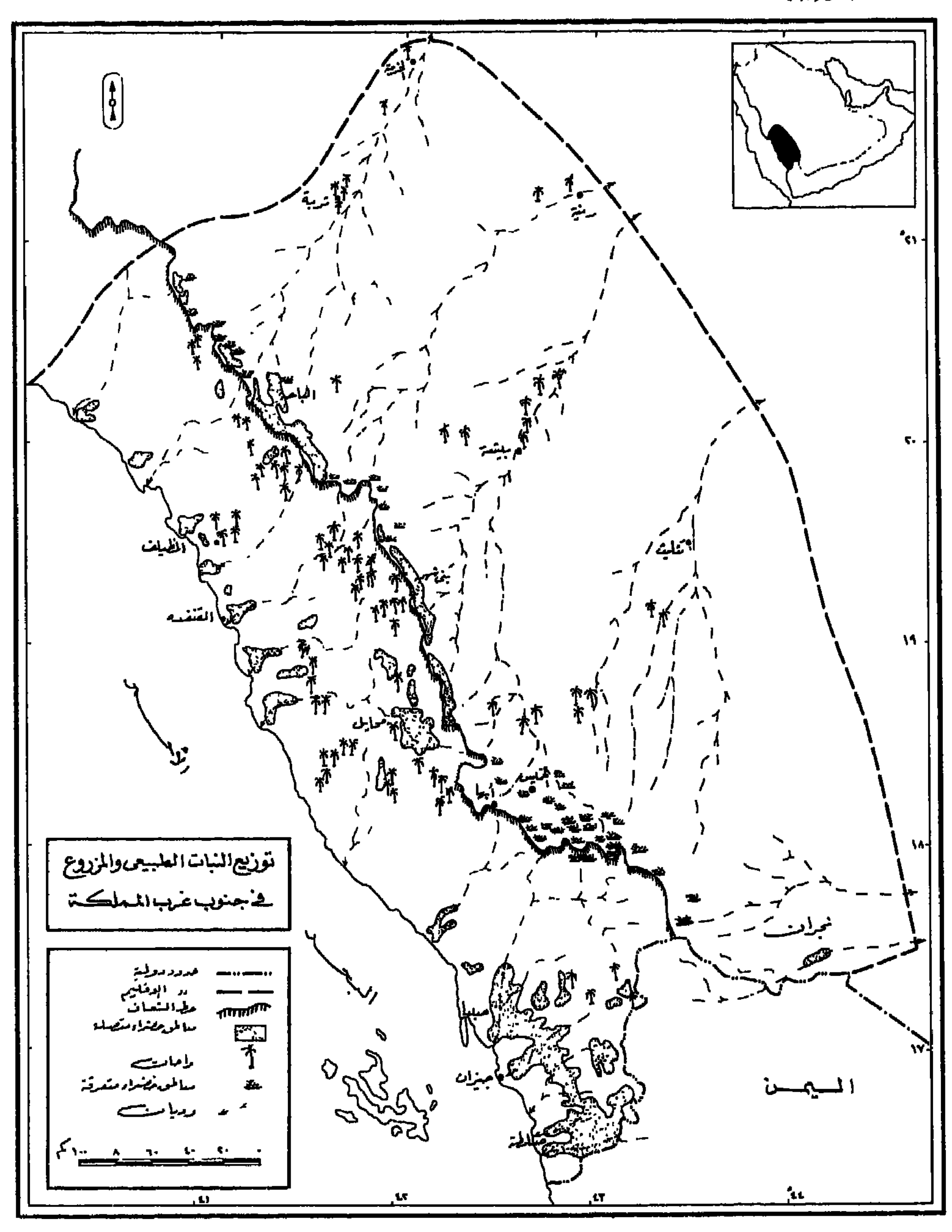
وعلى العموم تأثر النبات الطبيعى تأثرا كبيرا بنشاط الانسان الذى عمل على تعديله أو تغييره منذ آلاف السنين ؛ فقطع الاشجار لاستعمالاتها المختلفة بحيث أثر على انتشارها وعلى توزيعها ، وسمح لحيواناته الرعوية أن تعبث بها وبالثروة العشبية حتى قضى عليها فى بعض المناطق ، أو اجتثها ليقيم فى مكانها زراعاته المختلفه . ولذا يجب أن لايغرب عن بالنا أن النبات المزروع لا النبات الطبيعى هو الموجود فى المناطق التى خضعت للاستثمار (انظر شكل رقم ١٣) .

(1) Sogreah, Ibid.

شكل (١٢)

توزيع التربة في تهامة

شكل (١٣)



توزيع النبات الطبيعي والمزروع
في جنوب غرب المملكة
حدود دولية
واحات
وديان
كم ١٠٠ ٨٠ ٦٠ ٤٠ ٢٠ ٠
الطائف
القنفذة
بيشة
تثليث
نجران
جيزان
أبها
محايل
اليمن

ويمكن التقيد بالتقسيمات الاقليمية التقليدية لتوزيع النبات فى اقليم جنوب غرب المملكة ؛ وهى مناطق الاشجار ومناطق الأعشاب ومناطق النباتات الصحراوية لاستعراض أهميتها النسبية بالرغم من أنها متداخلة مع بعضها ويصعب وضع حد يفصل بينها :

١ - مناطق الأشجار :

تبلغ مساحة أراضى الغابات الطبيعية فى المملكة ١,٦ مليون هكتار ، تشغلها الاشجار بدرجات متفاوتة الكثافة تبعا لكمية الامطار السنوية ، والكثافة السكانية بالقرى المجاورة لها . ويتدرج وجود الغابات فى مناطق تواجدها من ارتفاع ١٦٠٠م الى ٣١٣٣م (فى جبل السودة) . وهى متفرقه عن بعضها ، وتختلف كثافة الأشجار فى كل منها ، خاصة وان قوة الانبات الطبيعى من البطء بحيث لا تستطيع ان تعيد التوازن الايكولوجى للمناطق التى تعرضت أشجارها للاستعمال . لقد ذكر على صالح الزهرانى أن جبال السراة « كانت غابة واحدة واخذت تتقلص (الى أن اقتصرت على) أماكن معينة تعرف بالحمى لأنها حميت من القطع » [١] . فقد تراجعت مساحة الغابات لاسباب منها : الاستثمار المفرط والرعاية وتوسع الزراعة ، وغزو الجراد وعدم مكافحة الآفات .

ان الاختلافات المناخية الناتجة عن اختلافات الارتفاع والموقع وعن تجاوز القمم العالية للوديان العميقة واختلافات التربة تزيد فى تباين كثافة الاشجار . ويمكن القول بصورة عامة أن مرتفعات الجنوب الغربى تعتبر أغنى مناطق المملكة بكثافة الغطاء الشجرى وبعدد الأنواع الشجرية ، خاصة على السفوح العليا المواجهة للرياح الجنوبية الغربية الرطبة ، حيث تظهر أشرطة من الغابات الدهليزية تتشعب بتشعب المجارى العليا للوديان الجبلية . وتغطى هذه الغابات مساحات متفرقة يتراوح اتساع الواحدة منها من عدة هكتارات الى عدة عشرات من الهكتارات .

فمن الغابات المعروفة فى جبال عسير على سبيل المثال لا الحصر والتى تدرس امكانية الاستفادة منها كمصايف واماكن للترويح : تمنية والحجلا والسودا . وفى سراة الحجر إلى الشمال منها : غابات بيحان والجعد (باللحمر) ، والجاضع وبنى منبح (باللاسمر) ، بحائل بنى التيم (بنى شهر) ، وحرفة والمطلى (بنى عمرو) ، وفى سراة

---

(١) على صالح السلوك الزهرانى - المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية . جـ٢ بلاد غامد وزهران . ص . ١٧٧ .

غامد : الملتقى والحمران والزرائب وبنى كبير وفيق والظفير والشهباء ورغدان والسكران .وفى سراة زهران : برحرج وجنبة وظهر الغدا وغليل والعشباء وعمضان . وفى ثقيف غابة غمدة وغابة الموقر .

تتكون هذه الغابات فى الغالب من أشجار العرعر (Juniperus Procera) فى الارتفاعات التى تزيد عن ٢٢٠٠ م عن سطح البحر تقريبا . وتقل كثافة الأشجار اجمالا إذا نقص الارتفاع ، وفى نفس الوقت تتناقص أهمية أشجار العرعر وتتزايد أهمية الأنواع الأخرى المشاركة لها فى المكان « حتى تتحول إلى مجموعات قليلة الكثافة من الأشجار أو الشجيرات المنفردة أو المتجمعة فى بعض الوديان أو على جوانبها » (١) . ومن أهم الأنواع الشجرية المشاركة للعرعر : اثب ابها Ficus Palmata) ، واثب الأودية (Ficus Sulicifolia) والزيتون البرى أى « العتم » (Olea chrysophylla)الذي يسود على السفوح الرطبة الدافئة نسبيا والتى لم تنجح عمليات تطعيمه واستثماره حتى الآن ، والشّث أى الديدونيا (Dodonea Viscosa) الذي تستغل أوراقه فى دباغة الجلود ، وكانت تسود بعض نباتات البحر المتوسط التى تسقط أوراقها فى الشتاء وقد تحول قسم منها إلى نبات مزروع مثل اللوز والمشمش (اللوزيات) والتفاحيات .

وتنتشر فى وديان السفوح الأكثر حرارة وجفافا ، أي حيث تقل الارتفاعات سواء فى الاتجاه الشرقى أو الغربى للجبال أشجار متنوعة من الاكاسيات (Acacia) ، وهى أشجار نصف شوكية تسود فى البلاد شبه الجافة ومن أهم أنواعها الموجودة : الطلح (Acacia Seyal) ، والسلم (Acacia Flasciculata) ، والسّمر (Acacia tortilis) ، وبعض أنواع أشجار الطرفيات ومنها : العبل (Tamarix gallica)والأثل العربى (Tamarix aphylla)والأراك (Salvadora Persica) وكذلك أشجار السدر « النبق » (Zezyphonus spina Christi) . ويعيش نوع من نبات الداعوق (Mistletoe)طفيليا على نبات السدر ويمتاز بأن له أزهارا قرمزية ، وتوجد أيضا أشجار السوس (Contourea sp.) ، وبعض الأشجار شبه الاستوائية الحساسة للصقيع .

---

(١) سعيد احمد سويدا الغامدى : تقرير عن الغابات بمنطقة جيزان واحتياجات تطورها . وزارة الزراعة والمياه - قسم الغابات سنة ١٩٧٢ م . ص (٣-٤) .

قد يتجمع نوع أو نوعان من هذه الأشجار فى بعض الوديان فتشكل ادغالا متجانسة . فعلى سبيل المثال نجد عند الارتفاعات (من ٦٠٠ – ٩٠٠ م) أدغالا من نبات الطرفا وأخرى من نبات السدر والأثل أو من نخيل التمر Palmونخيل الدوم (Hyphaene thebica) أو التمر هندى وشجر الحناء (Lawsonia inermis) ، ونجد أدغال الأكاسيات فى وديان هروب وبنى مالك [1]وفى كثير غيرها . وتظهر أيكات صغيرة المساحة من نبات Indigoferaعلى جوانب الوديان بين الارتفاع (٦٠٠–١٥٠٠م) . وقد وجدت أشجار القهوة والقات على بعض السفوح العالية لاسيما فى الجبال الساحلية العالية وقد تحولت الى نباتات مزروعة مثل جبل شدا وجبل فيفا .

لابد من الإشارة هنا أنه أدخل الى مناطق الجبال عدد من أنواع الاشجار الخشبية الطويلة والسريعة النمو مثل أشجار اليوكاليبتوس (Eucalyptus) ، والكازورينا (Casuarina) ، والصنوبر (Pinus sp)والسرو (Cypress) والكينيا (Cinchona)وذلك لتحسين نوعية الاخشاب وزيادة الانتاج الحراجى فى فترة قصيرة والتعويض عن الغابة الضائعة .

وتشكل نباتات عدة أنواع من فصيلة (Commiphora tree)عنصرا هاما فى الغطاء الشجرى فى عدة أجزاء متوسطة الارتفاع وتكون على شكل أدغال صغيرة المساحة تسقط أوراقها فى فصل الشتاء . وكانت نساء المنطقة يستعملن النوع الذي يعرف باسم « قطف » فى تنظيف الشعر ، كما كان يستعمل النوع الذي يعرف محليا باسم « قفال » كمادة مسهلة .

ويوجد فى المستنقعات المالحة « السباخ » فى بعض مناطق الساحل والجزر المقابلة لها بعض أدغال المانجروف (Aricenniamarin) وتدعى محليا باسم « شورا » ، وقد قدر حجم الشجرة منها بقدر حجم شجرة الزيتون ، وتمتاز بأنها إذا غرقت جذورها ، وحتى قسم من جذوعها بالماء نمت لها جذور هوائية ترتفع فى الفضاء ، على شكل الأصابع تمد الأجزاء المغمورة من النبات بالهواء خاصة الأكسجين . وتغطى كذلك بعض الجزر المقابلة للقنفذة أشجار السويدا (Fruticosa) تعرف محليا باسم « الدالوق » وتتميز بأن لها جذوعا كبيرة يستفاد منها كوقود وتظهر أيضا فى أسرة الوديان الجبلية .

---

(١) محمود حسين سالم – تقرير عن غابات المملكة العربية السعودية ، نشرة وزارة الزراعة والمياه . ادارة استثمار الأراضى – قسم الغابات . ص ٧ .

هذا وقد تعرضت أشجار الأكاسيات والطرفيات والسدر بصورة خاصة للقطع الجائر بقصد الحصول على الحطب ، أو بسبب تقطيرها للحصول على القطران والزيت الخشبى والفحم النباتى ، أو بقصد الحصول على عوارض خشبية تستعمل فى بناء البيوت أو الأكواخ أو كحواجز وسياجات لزرائب الحيوانات أو المزارع . وقد تعرضت قمم الأشجار وأعضائها الحديثة اللينة للقطع لاستعمالها كعلف للحيوانات فى مواسم الجفاف وقد أثر ذلك على نموها .

٢ – مناطق الحشائش :

وتغطى مساحة تزيد عن مساحة مناطق الأشجار فى هذا الإقليم ، بل إن الحشائش تشغل بالاضافة الى مناطقها الفراغات التى تفصل الأشجار عن بعضها ، بسبب قلة كثافة الثانية وبعدها عن بعضها ، لاسيما فيما بين أشجار الأكاسيات والطرفيات . وكما اختلفت الأشجار فإن الأعشاب تختلف أنواعها كذلك من مكان الى آخر حسب اختلاف طبيعة المناطق ، وبصورة عامة تعتبر أحواض الوديان أغنى مناطق الأعشاب كما وكيفاً ، فى حين كانت أجزاء منها من أغنى مناطق الاشجار أيضا لأنها تستفيد من تجميع مياه الأمطار مهما كانت قليلة .

ففى مناطق الجبال العالية تظهر أعشاب ألبيّة حقيقية على المهاميز البارزة فيما بين الوديان العميقة تتضمن القرنفل البرى (Diantus uniflorus) . وبعض النباتات الزاحفة من فصيلة المرار ذات الأزهار البيضاء الأرجوانية والنباتات الزاحفة الناقوسية (Campanule edilis) ذات الأزهار الزرقاء والجذور الطرية الصاحة للاكل . وتنمو نبتة السوس (Iris florentina) على شكل تجمعات حتى ارتفاع ٢٤٠٠م وقد تعود المواطنون زراعته فوق القبور .

وتنتشر الزنابق الأرجوانية (Commiphora abobalsamum)، وأنواع مختلفة من حشائش مزهرة مثل بعض أنواع من عائلة (Actanthus) وهى فى العادة قصيرة وشوكية ، ونبات البارليريا (Barleria) ونبات زنابق الـ (Justicias) الأزرق الزهور أو الاصفر أو الأحمر ، ونبات (Ruellias) الازرق الفاقع ، ونبات (Crossandras) الوردى اللون ، ونبات (Anisotes) الأرجوانى ، ونبات (Acanthus racemosus) الشوكى الأوراق والأغصان(١) .

(1) British Admirality and War office, Naval Intelligence Division, A Handbook of Arabia P. 202.

وتوجد عشبة البقلة الذيلية ذات الازهار البيضاء الصغيرة على ارتفاعات تقل عن ٢١٠٠م ، وكذلك الورد الأبيض البرى ونباتات الباديا الافريقية Buddeiapolystachyaوهو على شكل شجيرات صغيرة ذات أشواك برتقالية . وينمو الياسمين الابيض Jasmisum afficinale على المصاطب الحجرية والصخور حتى ارتفاع يقرب من ٣١٠٠م ، وتوجد تجمعات منخفضة منها ذات رؤوس بيضاء على نفس الارتفاعات فى الأراضى الصخرية بالاضافة الى تجمعات من نبات كعب الغزال التى تنزف عصارة سامة ومعها نبات ستابيليا (Stapelia) التى لها قطوف تشبه الاصابع اللحمية طولها عدة بوصات .

وتتواجد حشائش الفصيلة الخبازية البطيئة النمو على ارتفاعات قليلة وحتى نحو ٢١٠٠م . وتلون نباتات الفرنونيا الزاحفة ذات الرؤوس شبه المتهدلة المنحدرات الصخرية ، وتعيش عشرات الأنواع من عائلة السرخسيات على المنحدرات الغربية مثل الكزبرة وذيل الفرس والسيرا جنبيلا اليمنية (Selaginell yemensis) .

وينبت غطاء خفيف من الأعشاب فى بعض مناطق السهل الساحلى تتشابه مع الأنواع المنتشرة على ساحل البحر الأحمر الافريقى المقابلة لها ومنها (Crissa Cretica) وهو نبات عشبى له أوراق شعرية رمادية وزهور بيضاء وتتواجد على الشواطىء والمنبسطات المالحة .

٣ ـــ مناطق النبات الصحراوية :

وتشغل اكبر مساحة من هذه المناطق خاصة فى السهول الساحلية والأحواض المغلقة الغربية وفيما بين الكتل الجبلية ، وفى الهضاب الشرقية بسبب الجفاف الشديد الذى تعانى منه هذه المناطق ، اذ تعد المناطق الساحلية وشرق الهضاب الشرقية من أفقر أقاليم المملكة بالنبات الطبيعى من حيث الكم والكيف . وتتضمن مساحات واسعة جدا خالية من أى نبات .

يعيش فى هذه المناطق فى الواقع عدد محدود من الانواع النباتية التى توجد فى اقليم الأعشاب ؛ هى الأنواع التى استطاعت التأقلم لتتحمل الجفاف والحرارة الشديدتين اكثر من غيرها سواء من الأشجار الدائمة ، كالنباتات نصف الشوكية والشوكية التى اعتمدت على جذورها الطويلة للحصول على الرطوبة الباطنية فى الأرض ، وعلى التقليل

من النتح والتبخر لقلة أوراقها وصغر الموجود منها أو تحورها الى أشواك ، أو من الأعشاب التى تستطيع أن تنهى دورة حياتها فى مدة قصيرة جدا قد لاتتجاوز الاسابيع تنتهى بانتهاء الرطوبة .

ففى المناطق الشاطئية توجد تجمعات من نبات « الرطف » Netraria retusa الذى يشبه الحسك الشوكى ، والذى يعتقد البعض أنه من نبات اللوتس . ويوجد نوعان من فصيلة نبات أوراشيز (Atriplex leucocladum) ونبات القش (Junicus maritimus) ونبات السدب البرى Rata tuberculata ذى الرائحة النفاذة الممرضة .

ويوجد فى بعض الوديان الجافة أنواع من فصيلة كوميفورا ذات اللون القرمزى الذى يستخلص من نوع منها (وهو اللبان) زيت طيار هو Gum اذا كان من النوع الذى يذوب فى الماء ، أو Resinاذا لم يكن كذلك ؛ اذ كانت هذه البلاد حتى القرن الماضى من أحسن المناطق لجمع اللبان . والبلسم وهو نوع آخر من فصيلة كوميفورا هو أصل الراتنج الزيتى اى « بلسم مكة » . وكذلك أصل اللبان الذى يدعى « مر حضرموت » .

وينتشر على المرتفعات نوع شوكى طرى من الصبار يصل ارتفاعه من ٣-٤م وقد أمكن زراعته فى القرى للاستفادة من ثماره واستخدامه كسياج . كما ينتشر على الهضاب الحصوية المتوسطة الارتفاع أنواع أخرى من الصبار يصل ارتفاعها إلى المتر أو اكثر .

وتظهر نباتات سهوب البحر المتوسط الجافة على الهضاب الواقعة فى الشرق حيث تندر الأمطار مثل نبات كف مريم ، وهو من النباتات الكوزية التى تسقط أوراقها فى فصل الجفاف وتنطوى أغصانها على بعضها وتذروها الرياح ولا يبق منها سوى قرون مغلقة على البذور ، تتفتح حينما تصلها رطوبة موسم الأمطار التالى ، ومثل نبات الشيكوريا (Cichorium bottae) وهى نوع من البقلة البرية ذات الزهور الزرقاء والتى ليست لها ساق وتظهر على شكل باقات كثيفة [1] .

٦ - الحياة الحيوانية :

وعلى عكس العوامل الطبيعية الأخرى لايبدو للحياة الحيوانية تأثير كبير على الملامح الجغرافية فى الاقليم . وزيادة على ذلك فان اعمار الأرض والاستقرار فيها يتناقض مع

(1) British Admirolity and Wor Officc, Ibid P. 202.

الحياة الحيوانية الطبيعية ، وقد انعكس هذا التناقض فى اقليم جنوب غرب المملكة فى انكماش مواطن الحيوانات وتناقص أنواعها وأعدادها . وبالرغم من ذلك فقد استطاعت بعض الأنواع الحيوانية أن تستمر فى الحياة حتى أوائل هذا القرن ؛ اذ ذكر برى وايمن (Bury Wyman) ان قطط الزباد وثعالب التلال والنمور الجبلية الرقطا ، والفهود الهندية تسرح فى بعض الوديان النائية [1] . كما ذكر عمر رضا كحاله أن الغزلان والوعول والحبارى والنعام والقطا لازالت تطارد فى الهضبةالداخلية. [2] وتتواجد كذلك الأرانب الجبلية بين أشجار الطرفا وأرانب (Conies) فى المرتفعات المتوسطة ، والقرود النسانيس فى الجبال المشجرة والماعز الجبلى فى الجبال الجرداء المهجورة . وتتوافر الفئران والجرابيع والزواحف والرتيلات السامة والحشرات المؤذية وغير المؤذية ، والقليل من الافاعى والعقارب والقنافذ والسحالى والعديدة الأرجل وغيرها .

أما الطيور فالى جانب الحمام الجبلى الرمادى يوجد طير الشيكور ذو الرأس الاسود فى المرتفعات ، والدجاج السودانى والغربان عند اقدام الجبال ، والعصفور الدورى قرب مزارع الذرة وطائر الممسوخ المخطط بين الاشجار الشوكية [3] . وطائر الشحرور والكروان والبلبل والهدهد والحجل والقبرة والصقر [4] بين اشجار العناب والاكمات . وفى حين تندر الطيور فى تهامة بسبب شدة الاشعاع وقلة الظل تكثر الطيور المائية فى فصل الهجرة مثل طائر البليكان (البجع) الذى يظهر صيفا عند الشروق فينقض على الأسماك كالسهام وطائر أبو لهب الذى يتواجد فى مناطق السباخ ، والقبّرة وطائر البلشون قرب المدن .

ولكن مما يجب تأكيده ان وجود بعض هذه الانواع الحيوانية أصبح ضربا من الماضى لأنها انقرضت الآن كالنمور والفهود والنعام والجراد ، وقاربت بعض الأنواع الاخرى على الانقراض . ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى الانسان الذى اثر على الحياة الحيوانية بطريقة أو أخرى ، فقد حمل لواء القضاء عليها منذ بدأ إعمار الارض ، إما لانها تنافسه

---

(١) Wyman, BurryG., Arabia Infelix, Or the Turks in Yamen P.P. 95-97.

(٢) عمر رضا كحالة—جغرافية شبة جزيرة العرب—ط٢ ، راجعه احمد على . (١٩٦٤) ص٢٦ .

(٣) Wyman, Burry G., Ibid P 84-91 .

(٤) عمر رضا كحالة — نفس المصدر ، ونفس المكان .

على المكان والغذاء ، أو لأنها تعمل على ايذائه أو ليعتمد عليها فى طعامه . فمنذ وجد الانسان فى هذا الاقليم وهو يصارع الحيونات المتوحشة وتصارعه ، ويصطاد بعض أنواعها أو أنواع الطيور الصالح لحمها للاكل .

وقد ازدادت هذه الظاهرة خطرا حينما استعملت الأسلحة النارية ، ثم تضاعفت خطورتها اكثر فى القرن الحالى باستعمال السيارة فى المطاردة مما دعا الدولة لأن تشرع بعض التشاريع لحماية الحيوانات والطيور .

غير أن موقف الانسان على الحياة الحيوانية كان أبعد أثرا فى تدجين بعضها وتربيتها فى الحقول والبيوت ليستفيد من لحومها أو ألبانها أو اصوافها وجلودها ، كالابقار والجمال والأغنام والماعز وكذلك الدواجن . أو يستفيد منها فى الركوب والتحميل أو الحماية ونحو ذلك كالخيول والبغال والحمير والكلاب . فقد عمل على اختيار أصناف معينة دون غيرها وأعاد توزيعها فى الاقليم وعمل على توسيع وتغيير مناطق انتشارها وعلى أعدادها .

لم تكن الحياة الحيوانية عنصرا مهما فى اللاند سكيب الطبيعى ، ولم تجتذب دراستها كثيرا من الباحثين الجغرافيين ، ومع ذلك فقد لعبت فى بعض المناطق خاصة تلك القليلة السكان وذات الامكانيات الاقتصادية الضعيفة مثل اقليم جنوب غرب المملكة دورا هاما فى حياة الانسان . ومازالت تشكل الحيونات لدى فئات عريضة من السكان عماد حياتهم سواءكان اعتمادهم على الصيد كوسيلة من وسائل حياتهم أو على تربية الحيوانات كأسلوب حياة بدوية أو على تربيتها فى اماكن الاستقرار . ولذلك ستأخذ دراستها مكانها حيث تتوافر هذه الظروف ضمن الفصول الاقليمية المتعلقة بذلك من هذا الكتاب .

الفصـــل الثالـــث

الملامح البشرية فى جنوب غرب المملكة

يروى النسابون أن أصل العرب جاء من اليمن ، إذ أن جماعات منهم كانوا يخرجون منها على شكل موجات متتالية يتجولون داخل شبه الجزيرة العربية على حالة البداوة ، إلى أن يستقر قسم منهم حول محطة من محطات الطرق ، أو حول واحة غنية وذات مورد مائى كبير وكاف للإنتاج الزراعى ، وكانت الزراعة أساس الاستقرار البشرى .

ورغم أن طبيعة البداوة تتنافى مع الاستقرار ، وحياة البداوة هى سلسلة من التنقل والترحال ، إلا أن التاريخ العربي يعتبر البادية موطنا للعناصر العربية الأصيلة ، التى لم تشرع بعد بالاختلاط بالعناصر الخارجية . فتحاول كل قبيلة أن تعيش وتتجول داخل مساحة لايشاركها بها غيرها . على أن تكون مواردها العشبية والمائية كافية لاعاشة أفرادها وحيواناتهم . ومن هنا كانت أحواض الوديان الهامة – بسبب غناها بهما – هى دير البدو (جمع ديرة) التى كانوا يذودون عنها بأرواحهم ، والاعتداء على تلك الدير كان مدعاة لحدوث الغزو أو الرد على الغزوات . وتاريخ الغزوات فى البوادى كان مظهرا من مظاهر الصراع للاستحواذ على الدير . وقد أثبت التاريخ ان استقرار القبائل فى ديرها هو استقرار مؤقت ونسبى . وإن ملخص تاريخه هو تغير مستمر فى المواقع . فالقبائل الضعيفة أو التى تضعف من جراء الصراع تنكمش مواقعها أو تتراجع ، وتفسح المجال للقبائل الفتية التى كانت لها الغلبة لتحل محلها . وكثيرا ما اختفت بعض القبائل إثر الصراع أو أبيدت .

ومن أقدم القبائل العربية التى استطاعت استنبات الأرض والاستقرار حولها ، أولئك الذين سلكوا في تجوالهم – ابتداء من اليمن – الطريق الجبلى . إذ اقتضت طبيعة الأرض أن تكون حركتهم بطيئة ، وأن يكون اتصالهم بالفئات الأخرى صعبا ، وفى نفس الوقت كان تحولهم إلى الزراعة مجديا . فسكنوا الجبال وآثروا الانعزال انتظارا لجنى محاصيل الانتاج . ومع الزمن اطلقوا أسماء قبائلهم أو فروعها على المواقع كالوديان والجبال ، ثم

على القرى والمدن ومواقع المياه . وبقى التوزيع القبلى والعادات والعلاقات القبلية هى السائدة فى تلك المواقع حتى عهد قريب .

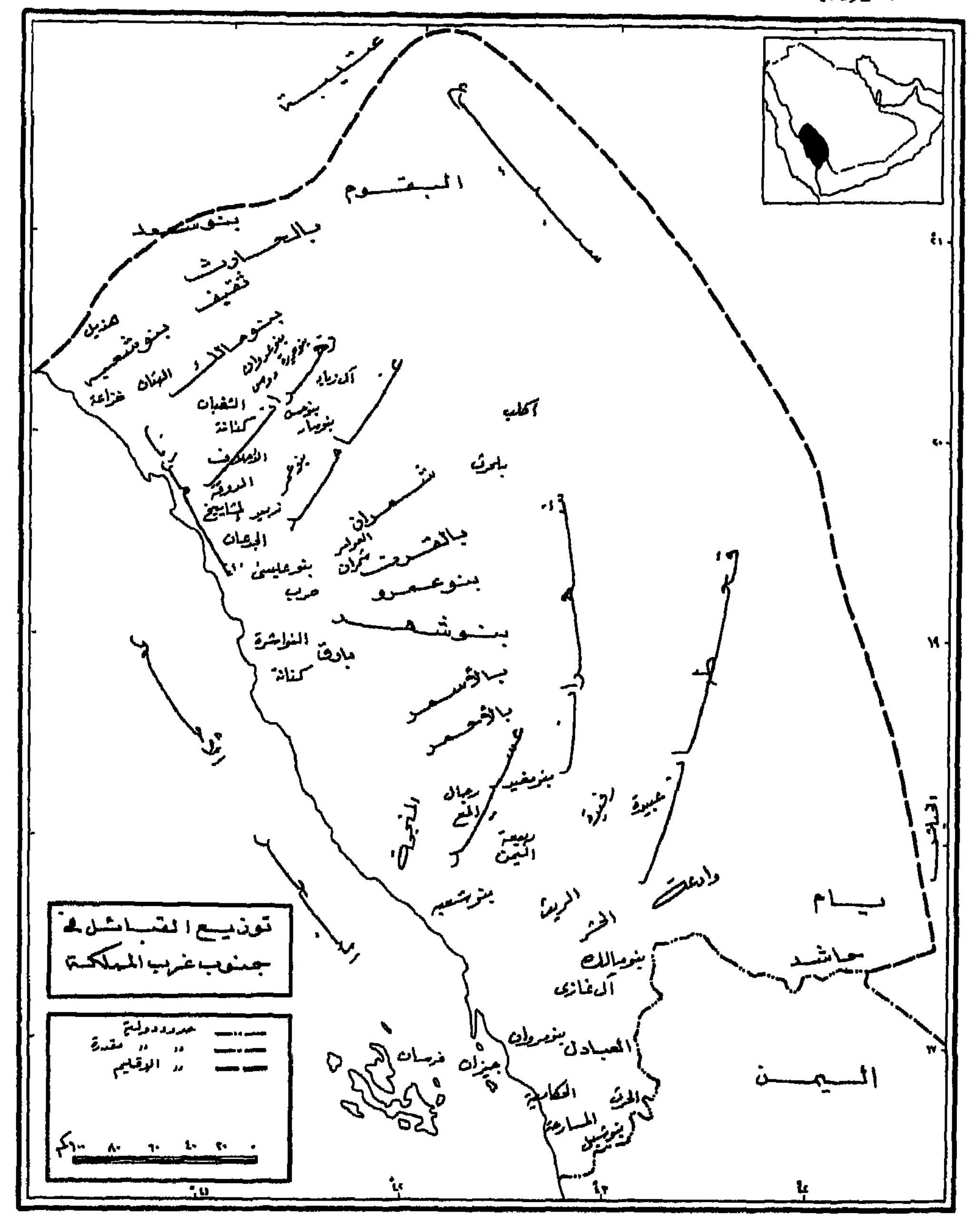
أما المناطق الساحلية المجاورة لها ، فكانت أكثر اتصالا بالبلاد الأخرى بسبب الاتصال الملاحى ، فسهل على مستوطنيها الانفتاح على الشعوب الأخرى لا سيما تلك الشعوب التى تعيش على الشاطىء الآخر من البحر ، وقد ظهر أثر اختلاط سكان ساحل البحر الأحمر بالشعوب الأفريقية واضحا فى المرافىء متمثلا فى تميز سحن الناس ، فى حين بقى مستوطنو الجبال أو البادية أكثر نقاء فى دمائها ، وبقيت تحتفظ بالعناصر الأصيلة للأجداد الأوائل .

ومع أن المستقرين أكثر التصاقا بالارض من البدو ، وان استبدال مواقعهم أكثر صعوبة ؛ إلا أن حركتهم ليست بدعة فى التاريخ ، ولكنها تتكرر ببطء شديد وعلى نبضات غير منتظمة . إذ تسود القبائل القوية في المناطق الزراعية حينما تشتد شوكتها ، وتحكم سيطرتها على منطقتها والمناطق المجاورة لها بما فى ذلك البوادى القفار ، وكانت القبائل تنتمى فى أغلب الأحيان لنفس المنشأ القبلى .

وكثيرا ماكانت القبائل تتحالف حتى تستطيع السيطرة ، أو أن بعضها كان ينطوى تحت جناح البعض الآخر ، أو يلتجىء اليها ويتحالف معها بالجوار ؛ فاسم عسير مثلا اطلق فى الماضى على حلف من القبائل كانت تسكن قسما من جبال السراة ، وهم غالبيتهم بطون من القبائل اليمانية إلا أن أقواها قبيلة عسير . ثم قويت شوكة القبيلة وحلفها ، وامتدت سيطرتها على بلاد القبائل المجاورة ، ليس في مناطق الجبال وحدها فحسب ، بل كذلك فى تهامة غربا وفى الهضبة شرقا . فطغى اسمها على اسم تلك القبائل حقبة من التاريخ .

تفسر الحركات البطيئة الإرادية أو القصرية للقبائل وتحالفاتها عبر تاريخ الاستقرار ابتعاد مواطنها فى فترة من الزمن عن مواطنها الأصلية ، وتكرر تغير تلك المواطن . كما تفسر الانتشار الحالى لها ، إذ قد تتجاوز البدائد التى تنتمى لأصول واحدة فى المكان أحيانا . وقد تتباعد عن بعضها وعن أصولها أحيانا أخرى . وكثيرا ما نصادف اشتراك عشائر مختلفة الأصول فى المكان الواحد . ويلقى الشكل (١٤) ضوءا على مواقع القبائل الحالية فى جنوب غرب المملكة . مع العلم أننا ركزنا على ذكر القبائل الرئيسية وحاولنا تجنب ذكر فروع القبائل – ما أمكن ذلك – لغرض التبسيط .

شكل (١٤)



توزيع القبائل في
جنوب غرب المملكة
حدود دولية
" " مقدرة
" الإقليم
١٠٠كم ٨٠ ٦٠ ٤٠ ٢٠ ٠
عتيبة
البقوم
بنو سعد
بالحارث
ثقيف
هذيل
بنو شعبة
بنو مالك
خزاعة
الشعبات
كنانة
آل زياد
الجدعان
شمران
بالقرن
بنو عمرو
حرب
بنو شهر
النواشرة
بارق
بالأسمر
بالأحمر
عسير
رجال ألمع
ربيعة اليمن
عبيدة
وادعة
يام
حاشد
اليمن
بنو شعبة
الحشر
بنو مالك
آل غازي
العبادل
بنو مروان
جيزان
فرسان
الحرث

١ - السكان حاليا وتوزيعهم فى الاقليم :

يبلغ عدد سكان جنوب غرب المملكة حاليا مايربو على مليونين وربع المليون نسمة ، وكانوا حسب تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ ، سنة ١٩٧٤ م ١٦٩٠٨٤٥ نسمة ، أي نحو ربع سكان المملكة فى ذلك الوقت ، فى حين بلغت ساحتها ١٥٢١٤٢ كم٢[١] أى نحو ٦,٨٪ فقط من مساحة المملكة . وتشير هذه الأرقام بوضوح إلى أن نسبة أعمار الأرض فى جنوب غرب المملكة بالسكان مرتفعة كثيرا بالقياس إلى أقاليم المملكة الأخرى باستثناء مواقع التجمعات المدنية الكبيرة .

ويتوزع السكان فى عدد كبير من القرى والمدن الصغيرة التى تعتمد حياتها بالدرجة الأولى على الزراعة ؛ إذ تبين الاحصائيات وجود ١١٨٣٥ قرية ومدينة أو هجرة أى نحو ٧٧٪ من مجموع عدد القرى والمدن فى المملكة كلها . وتوحى هذه الأرقام من طرف خفى إلى عدم وجود مدن كبيرة حتى بداية العقد الماضى على الأقل ، حيث لم يصل عدد سكان أكبر مدينة فى الاقليم وهى مدينة خميس مشيط ٥٠٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤ م .

يتمثل فى هذا الاقليم دون غيره إذن من اقاليم المملكة الريف الزراعى بمعناه الحقيقى ، ولكن يجب أن لايغرب عن بالنا أن معظم المساحات الزراعية فيه إما أنها تعتمد على الأمطار فى زراعتها كما هو الحال فى الجبال ، أو تعتمد على رى الحياض كما فى تهامة . وهى فى الحالتين زراعة متأخرة ضعيفة الإنتاجية ، والمزارعون فقراء . وتتصف زراعتهم بانها مختلطة أى ينقسم نشاطهم بين العمل الزراعى وتربية الحيوان .

وبالرغم من أن توزيع السكان فى المناطق الزراعية كثيف بالقياس إلى أقاليم المملكة الأخرى إلا أنه ليس كذلك بالقياس إلى المناطق الزراعية في البلاد الأخرى ، خاصة وأن الأراضى الزراعية فيها يندر أن تكون متصلة مع بعضها على امتداد كبير بل يفصلها عن بعضها أراض واسعة غير صالحة للزراعة . ومع ذلك فهم يتركزون بنسبة أكبر من غيرها فى بعض المواقع كالأحواض الدنيا للوديان في تهامة جيزان ، وفى المجارى العليا لوديان

---

(١) اخذت جميع الأرقام المتعلقة بالسكان سنة ١٣٩٤هـ من نتائج التعداد العام للسكان ، المجلدات الخاصة بالامارات الداخلية فى هذا الاقليم . وحسبت المساحات بواسطة جهاز Leitz (A.S.M.) على خرائط الامارات المرافقة لنتائج التعداد العام ، أما النسبة المئوية فهى من حساب الباحث .

السروات . كما نجدهم يتركزون بكثافة فى مواقع صغيرة متباعدة عن بعضها أى يتوزعون توزيعا واحيا فى أحواض الوديان التى تتوافر فيها المياه الجوفية والتربة الصالحة للانتاج كحوض نجران وبيشة وغيرهما .

أما أحواض الوديان الأخرى التى لم تتوافر فيها شروط الاستقرار فقد عمرت بالبدو الرحل . إذ تبين وجود ٢٥,٥٪ من سكان هذا الاقليم كانوا على حالة البداوة في سنة ١٩٧٤ م . وهى وإن كانت تقل قليلا عن نسبة البدو فى جملة المملكة كلها (والتى بلغت ٢٧ ٪) فهى نسبة لايستهان بها ، وهى فى سبيلها للنقصان .

أما النشاط البحرى فلم يساهم بشكل واضح فى اعمار المنطقة بالسكان بسبب انتشار الشعاب المرجانية بالقرب من الشواطىء وعدم وجود مرافىء طبيعية وبسبب طبيعة المناطق الساحلية الصحراوية ، إذ لم يكن فى خط الشاطىء الطويل سوى مرفأين كانا ضعيفين حتى عهد قريب ، الأول : جيزان والثانى القنفذة . ويتم الصيد فى عدد قليل آخر من القرى الشاطئية – بالإضافة إلى هذين المرفأين مثل : الشقيق والقحمه والبرك والليث .

ومن ناحية أخرى يتوزع سكان هذا الاقليم إداريا بين الإمارات التالية : جيزان وعسير والباحة ، والجزء الهام من امارة نجران وهو الجزء الغربى ، والجزء الجنوبى من إمارة مكة . وهى تختلف عن بعضها فى عدد سكانها وفي مساحتها .

وتنقسم كل إمارة من هذه الامارات الى وحدات ادارية أصغر يدعى كل منها إمارة تابعة أو فرعية . ويرجع المسئول في كل منها في الشئون الادارية وفي المعاملات الرسمية الخاصة بمنطقته إلى الإمارة التى يتبعها . والشكل (١٥) يوضح حدود الامارات والامارات الفرعية فى منطقة الدراسة طبقا للخرائط المرافقة لنتائج التعداد العام .

وبالاستعانة بالنتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان لسنة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م المتعلقة بالامارات الرئيسية أو التابعة الداخلة ضمن حدود منطقة الدراسة أمكن تلخيص المعلومات السكانية عنها في الجدول التالي :ـــ

شكل (١٥)


التقسيمات الادارية
في جنوب غرب المملكة
حدود دولية
حدود المنطقة
حدود الاقاليم
حدود الامارات الفرعية
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ ١٢٠ كم
الخرمة
رنية
بيشة
تثليث
عسير
الليث
القنفذة
المخواة
قلوة
صامطة
اليمن

جدول رقم (١)

سكان جنوب غرب المملكة عام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م [١]

الرقم	الإمــارة	السكـــــــــــان			عدد المدن والقرى	المسـاحة كم٢	الكثـافة السكانية
		الذكور	الاناث	المجموع			
١	جيزان	٢٠٢٦٤٥	٢٠٥٦٨٩	٤٠٨٣٣٤	٤٤٨٨	١٦٠٠٠	٢٦
٢	عسير	٣٣٥١٩٠	٣٤٣٤٨٩	٦٧٨٦٧٩	٣٥٦٧	٧١٤٩٦	٩
٣	الباحة	٨٧٦٢٦	٩٨٢٢٥	١٨٥٨٥١	١٢٢٩	١٠٦٦٠	١٧
٤	غرب نجران[٢]	٦٣٢١١	٥٧٨٢٩	١٢١٠٤٠	١٤٤	١٢٦٤٢	١٠
٥	جنوب مكة[٣]	١٤٦٨٨١	١٥٠٠٦٠	٢٩٦٩٤١	٢٤٠٧	٤١٣٤٤	٧
المجمـــــوع		**٨٣٥٥٥٣**	**٨٥٥٢٩٢**	**١٦٩٠٨٤٥**	**١١٨٣٥**	**١٥٢١٤٢**	**١١**

يؤخذ من أرقام هذا الجدول أن إمارة عسير التى تقع فى موضع القلب بالنسبة لهذا الاقليم تضم نحو ٤٠٪ من سكانه و ٤٧٪ من مساحته ، ولكنها لاتحوى سوى ٣٠٪ من مدنه وقراه . وتضم إمارة جيزان التى تقع فى الجنوب الغربى منه نحو ٢٤٪ من عدد سكانه ، رغم أن مساحتها لا تتجاوز ١٠٪ من المساحة الكلية ، كما تضم ٣٨٪ من عدد المواقع المستقرة فيه . وبكلمات أخرى فان أمارتى عسير وجيزان تضمان وحدهما ٦٨٪ من قرى ومدن الاقليم ، أو ٤٨٪ من مدن وقرى المملكة كلها ، رغم أن مساحتهما معا لاتتجاوز ٣,٩٪ من مساحة المملكة ، ولم يتجاوز عدد سكانهما ١٤٪ من سكان المملكة .

---

(١) مصلحة الاحصاءات العامة . التعداد العام للسكان ، البيانات التفصيلية ، المجلدات الخاصة بامارات المنطقة .

(٢) يضم هذا الجزء نحو عشر مساحة الإمارة لأنه لا يشمل الجزء الصحراوى : الخباش وشرورة وحما والوجيد والمنخلى والوديعة .

(٣) يضم القسم الجنوبى من الامارة والذي يتكون من الامارات الفرعية : تربة ، الخرمة ، رنية ، البرك ، القنفذة ، الليث والقسم الجنوبى منن امارة الطائف (القريع وحداد وثقيف وميسان وأبو راكه وقيا) .

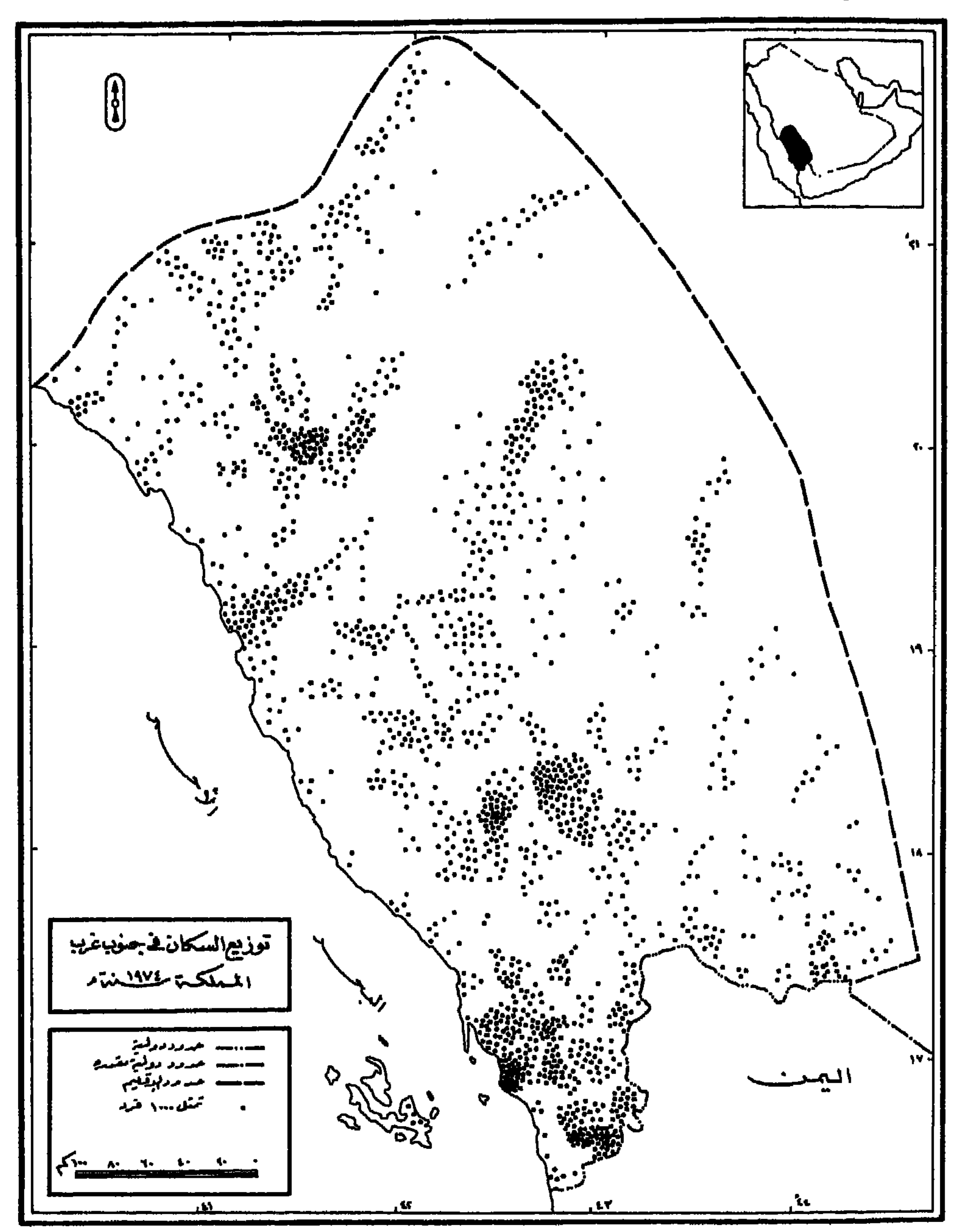
إن دلت هذه النسب على شيء ، فانها تدل على أهمية الزراعة فى توزيع السكان وتوزيع القرى فى هاتين الإمارتين ؛ فالإمارة الاولى تحوى أهم المناطق التى تعتمد الزراعة فيها على الأمطار ، وتحوى الإمارة الثانية أهم المناطق التى تعتمد الزراعة فيها على رى الحياض . والشكل (١٦) يوضح توزيع السكان بطريقة تمثيل العدد بواسطة النقط . ويظهر فيه أن تشتت السكان قد يكون فيها اقل منه فى مناطق المملكة الأخرى . وقد يفيد الشكل (١٧) الذى أعيد فيه رسم الامارات فى مواقعها حسب عدد سكانها وليس مساحتها ، فى إضافة تصور أكمل لأهمية سكان هذه الوحدات الادارية .

قد يكون من المفيد لفهم توزيع السكان فى هذا الاقليم زيادة على ذلك دراسة تباين توزيع الكثافة السكانية . ففى حين بلغت الكثافة فى المملكة ٣ أفراد / كم ٢ ارتفعت فى هذا الإقليم إلى ١١ فردا / كم (٢) أى مايقرب من أربعة أمثالها فيه ، لأنه لايضم سوى مساحات محدودة من الأراضى الصحراوية الجرداء الخالية من السكان وهى وإن اختلفت من وحدة ادارية إلى أخرى فهى أقل اختلافا مما هو حاصل فى المملكة (شكل ١٨) . ويبين (الشكل ١٩) والذى رسم بناء على أرقام الجدول أن الكثافة في القسم الغربى من نجران وفى إمارة عسير تقرب من معدل الكثافة فى الاقليم . فى حين أنها ترتفع كثيرا فى إمارة جيزان التى لاتحتل المرتبة الأولى فى الكثافة فى هذا الاقليم فحسب ؛ بل أنها تتفوق على مناطق المملكة كلها . وتقرب الكثافة فيها من ثلاثة أمثالها فى الإقليم كله ، ويليها فى الكثافة إمارة الباحة . وبالمقابل فإن الكثافة تنخفض عن المعدل فى القسم الجنوبى من إمارة مكة أى القسم الداخل فى حدود هذا الاقليم بسبب اتساع المناطق الجرداء فيه . وكأن الكثافة تتمركز حول محور يبدأ من ساحل جيزان ويتجه شمالا مع النطاق الجبلى . وفى الوقت الذى تتناقص فيه الكثافة مع اتجاه المحور فإنها تتناقص أيضا بالابتعاد عنه باتجاه الأطراف شرقا أو غربا .

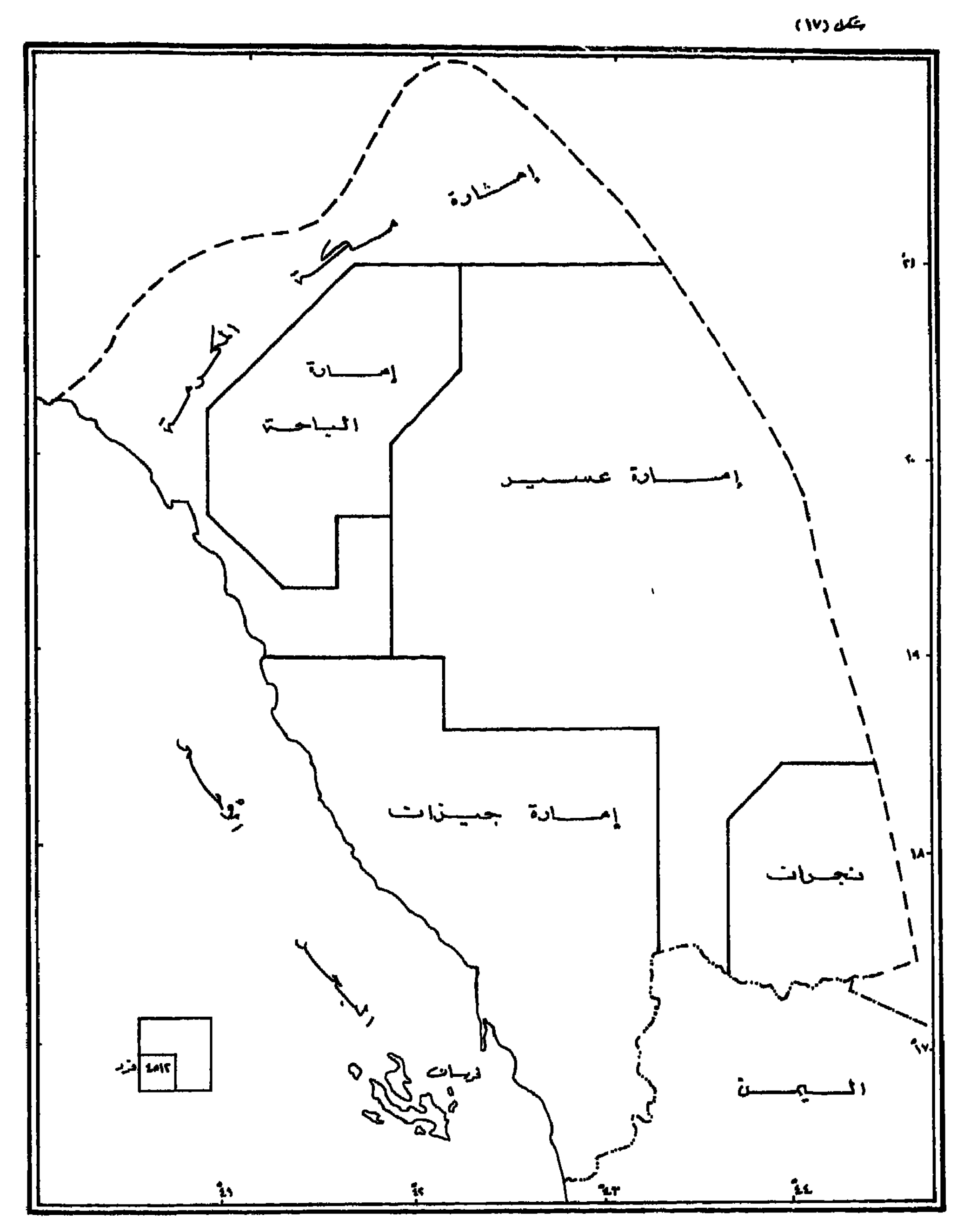
٢ - الخصائص الديمغرافية لسكان جنوب غرب المملكة :

لم تتح لنا الفرصة للاطلاع على أى مرجع موثوق لتسجيل المعلومات الحيوية كاعداد ونسب الولادات والوفيات أو الزواج والطلاق . لقد استحدثت دوائر خاصة فى المدن للقيام بمثل هذه التسجيلات ؛ إلا أنها تعتبر غير شاملة ولا تعبر أرقامها عن الواقع ، فهى لاتسجل سوى الحالات التي يحضر فيها المواطنون ويعلنون عن الحالات التى تخصهم ، أو مثل حالات الولادات أو الوفيات التى تتم فى المستشفيات ، ولذلك فإنها لاتسجل جميع أو معظم الحالات التى تتم في البادية والريف وحتى المدن الصغيرة .

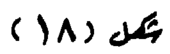
شكل (١٦)

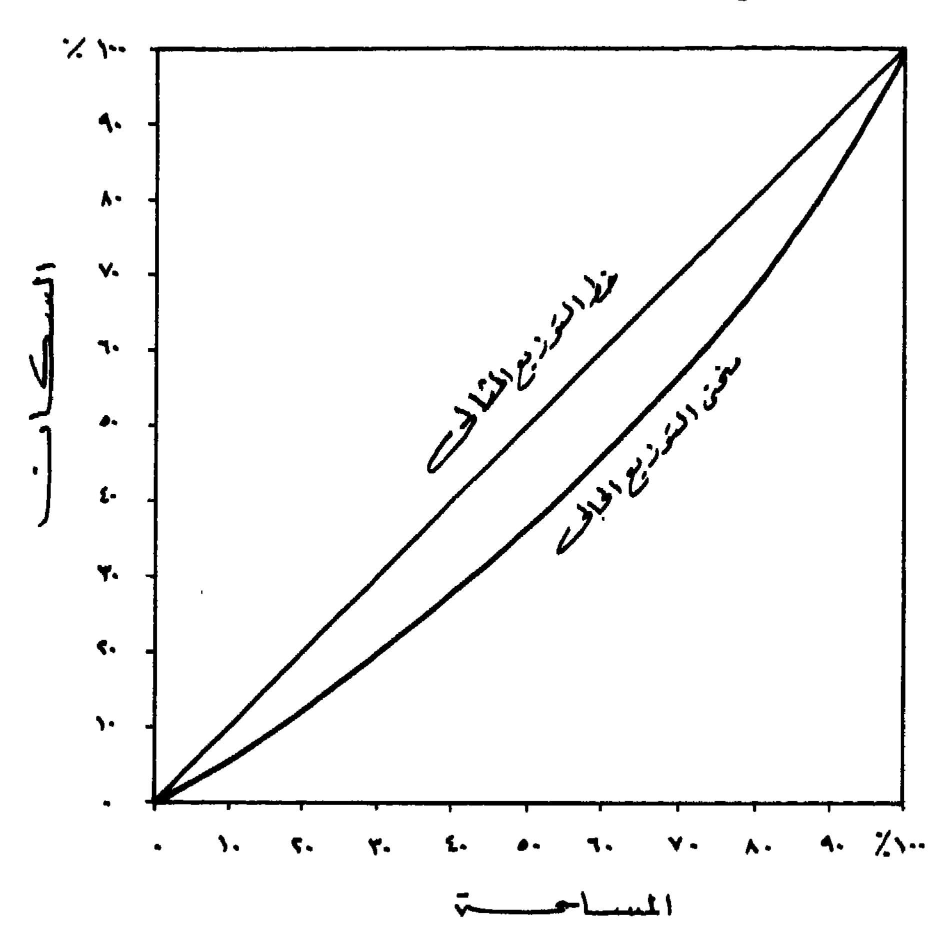

توزيع السكان في جنوب غرب
المملكة سنة ١٩٧٤م
حدود دولية
حدود دولية مقترحة
حدود الإقليم
تمثل ١٠٠٠ فرد
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠كم
اليمن

شكل (١٧)



شكل كارتوجرامي لتوزيع مساحة إمارات جنوب غرب المملكة حسب عدد السكان

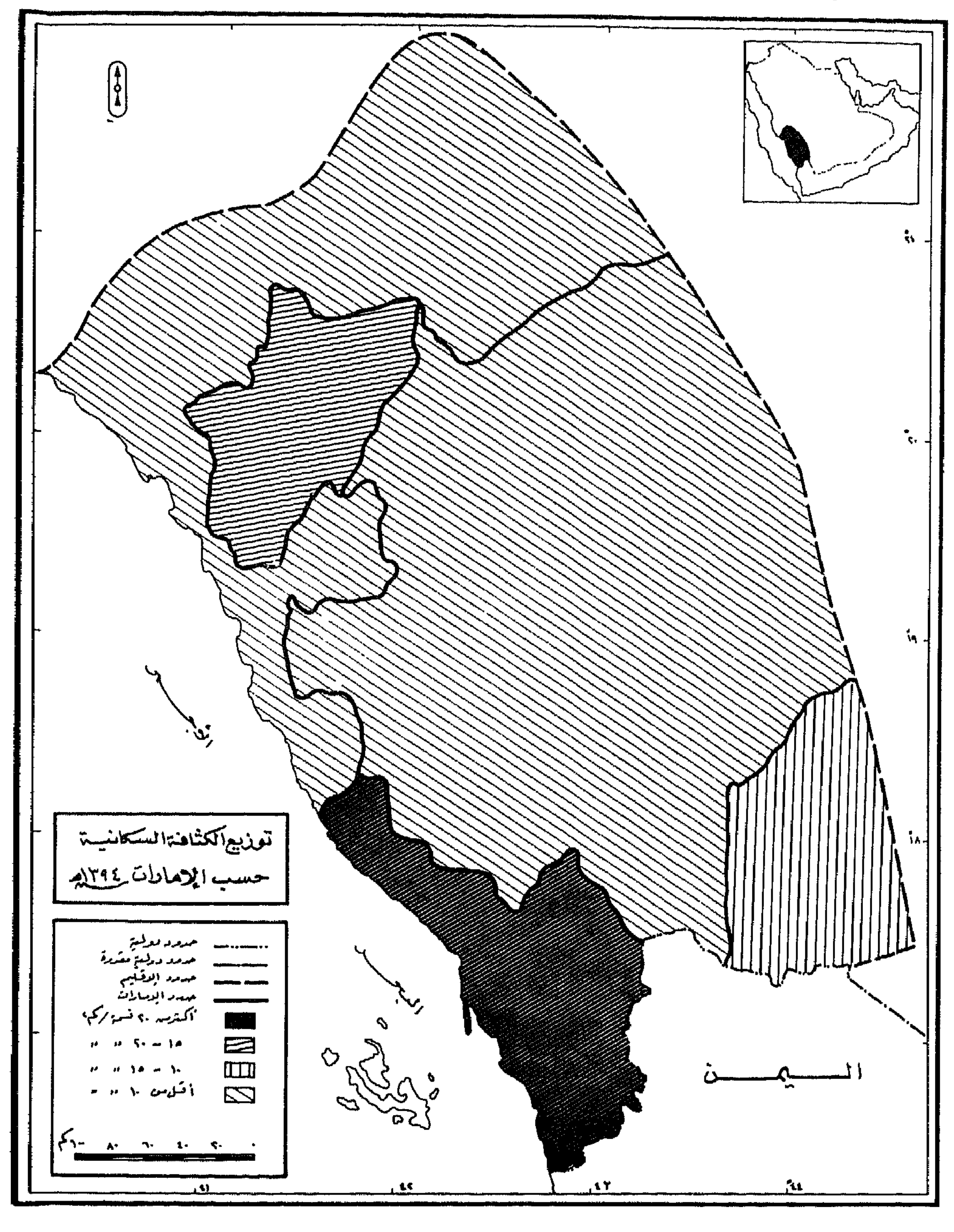




منحنى العلاقة بين توزيع السكان بحسب المساحة في جنوب غرب المملكة

سنة ١٩٧٤م

شكل (١٩)


توزيع الكثافة السكانية
حسب الإمارات سنة ١٣٩٤هـ
حدود دولية
حدود دولية مقدرة
حدود الإقليم
حدود الإمارات
أكثر من ٢٠ نسمة/كم²
١٥ - ٢٠ " "
١٠ - ١٥ " "
أقل من ١٠ " "
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠كم
اليمن

ولكن من المعروف أن المملكة العربية السعودية ككل تعتبر من البلاد ذات نسب الولادات المرتفعة خاصة فى الأقسام التى تطغى عليها الصفات الريفية . ولهذا يمكن اعتبار إقليم جنوب غرب المملكة من المناطق التى تكون فيها نسب الولادات مرتفعة ، كما يمكن اعتبار تغيرها خلال العقود الماضية محدودا .

فاذا قلنا ان تحسن ظروف المعيشة وارتفاع مستوى الصحة العامة والعناية بالأمهات الحوامل ، قد تساهم فى زيادة نسبة الولادات فى الفترة الماضية ؛ فان الاتجاه نحو تأخر سن الزواج نسبيا وضبط الأسرة لدى أفراد يتزايد عددهم باستمرار ، خاصة فى المدن النامية ، وتوافد أعداد متزايدة من الأجانب من أجل العمل قد ساهم من ناحية أخرى فى إنقاصها بنسبة تكاد تكون مقابلة للأولى .

أما نسب الوفيات فكانت مرتفعة جدا ، واتجهت نحو الانخفاض لنفس الأسباب المذكورة ، من حيث العناية الصحية والنظافة والوقاية أو تحسين طرق المواصلات وايصال الاسعافات الصحية الى أماكن لم يكن الوصول اليها متاحا فى السابق . ويمكن القول أيضا أن هذا الاتجاه فى تناقص نسب الوفيات سيستمر فى المستقبل القريب .

وينتج عن ذلك أن زيادة السكان الطبيعية كانت مرتفعة وقد زادت ارتفاعا خلال العقود القليلة الماضية وستستمر فى الارتفاع فى المستقبل القريب — على الأقل — وقد كان هذا العامل — اى الزيادة الطبيعة — هو المسؤول الرئيسى عن زيادة عدد أفراد هذا الاقليم فى الفترة الماضية اذ أن عامل الهجرة كان ضعيفا ، ان لم يكن سلبيا فى كثير من الأحيان .

إن إخراج هذا الاقليم من عزلته خلال العقدين السابقين اقتضى تحسين وسائل النقل البرى والجوى والقيام بعدد كبير من المشاريع الانشائية كالمبانى والطرق فى مراكز المناطق ، كما اقتضى توافر بعض الأعمال الجديدة كالوظائف الحكومية والخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية والخدمات المهنية ، مما تسبب بوجود هجرة الى هذا الاقليم . لكنها استهدفت مراكز المناطق دون توابعها ، بل كانت فى كثير من الاحيان على حساب المناطق التابعة التى فقدت قسما كبيرا ممن كانوا يعملون فى الزراعة أو في تربية الحيوانات .

ويعود السبب فى ذلك الى أن هذه النهضة الاقتصادية فى الاقليم لم تكن سوى صدى للنهضة الاقتصادية فى البلاد ، وقد جاءت متأخرة عنها وأقل منها سرعة وزخما .

فاستمرت تلك المناطق الاخرى – خاصة المدن الهامة – تمثل مراكز جذب قوية جدا للسكان بسبب تحسين سوق العمل فيها . وفى النتيجة كانت نسبة الخارجين من إقليم جنوب غرب المملكة الى مناطق التنمية الحديثة فى المملكة اكبر من نسبة القادمين اليه . وكانت أكبر خسارة للسكان تظهر فى المناطق الريفية أو فى البادية ، حيث هجر الناس أراضيهم أو حيواناتهم واتجهوا الى المراكز المحلية أو المراكز المدنية البعيدة للبحث عن أعمال اخرى أكثر مردودا من أعمالهم السابقة .

وبعد أن كان اقليم جنوب غرب المملكة يكفى نفسه من المواد الغذائية الزراعية والحيوانية – وقد شهد التاريخ أنه كان يزود الحجاز بالفائض من تلك المواد لاسيما فى مواسم الحج – بدأ انتاجه يتناقص وبنسبة متزايدة ، وأصبح يعتمد على المواد الغذائية المستوردة وبنسبة متزايدة أيضا . تتضح هذه الظاهرة برؤية كثير من مناطق المدرجات الجبلية التى كانت يانعة وقد تحولت الى « مدرجات دامرة » وتعرضت لانجراف التربة فكلح لونها وقبح منظرها ، كما تتضح أيضا برؤية بعض حقول تهامة جيزان والتى كانت حتى عهد قريب تزرع بأسلوب رى الحياض ، وقد تحولت الى مساحات جرداء بسبب انخفاض إنتاجية الارض وضعف مردودها ، وعدم توافقها وارتفاع الحاجات المادية الحالية .

وخلاصة القول أنه بالرغم من ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية فى هذا الاقليم ، فانه أبدى نموا محدودا فى مجمل السكان فيما بين عامى ١٩٦٢م ، ١٩٧٤م . وقد يقل هذا النمو عما يمكن أن تؤديه الزيادة الطبيعية وحدها والتى تقدر بما لايقل عن ٢٥٪ ولو فى بعض المناطق . مما يدل على أن الهجرة من هذا الاقليم كانت تعادل أو تفوق الهجرة اليه . وكانت نسبة النمو فيه تقل عنها فى باقى أقاليم المملكة .

اذا استبعدنا الأجزاء من إمارتى نجران ومكة لعدم توافر الارقام المتعلقة بسنة ١٩٦٢م يمكن أن نقارن أرقام الجدول التالى المتعلق بنمو سكان الامارات الثلاث : جيزان وعسير والباحة . مع العلم أن اجزاء تلك المنطقتين لاتختلف فى صفاتها ونموها السكانى عن باقى الوحدات :

جدول رقم (٢)

نمو السكان فى إمارات جنوب غرب المملكة[1]

الامارة	١٩٦٢م	١٩٧٤م	نسبة الزيادة
جيزان	٣٦٥٠٦٣	٤٠٣١٠٦	١٠٪
عسير	٣٩٣٥٩٥	٦٨١٣٦١	٩١٪
الباحة	١٢٠٤٦٤	١٨٥٩٠٥	٥٤٪
الامارات الثلاث	٨٧٩١٢٢	١٢٧٠٣٧٢	٥ر٤٤٪
المملكة	٣٢٩٧٦٥٧	٦٧٢٩٦٤٢	١٠٤٪

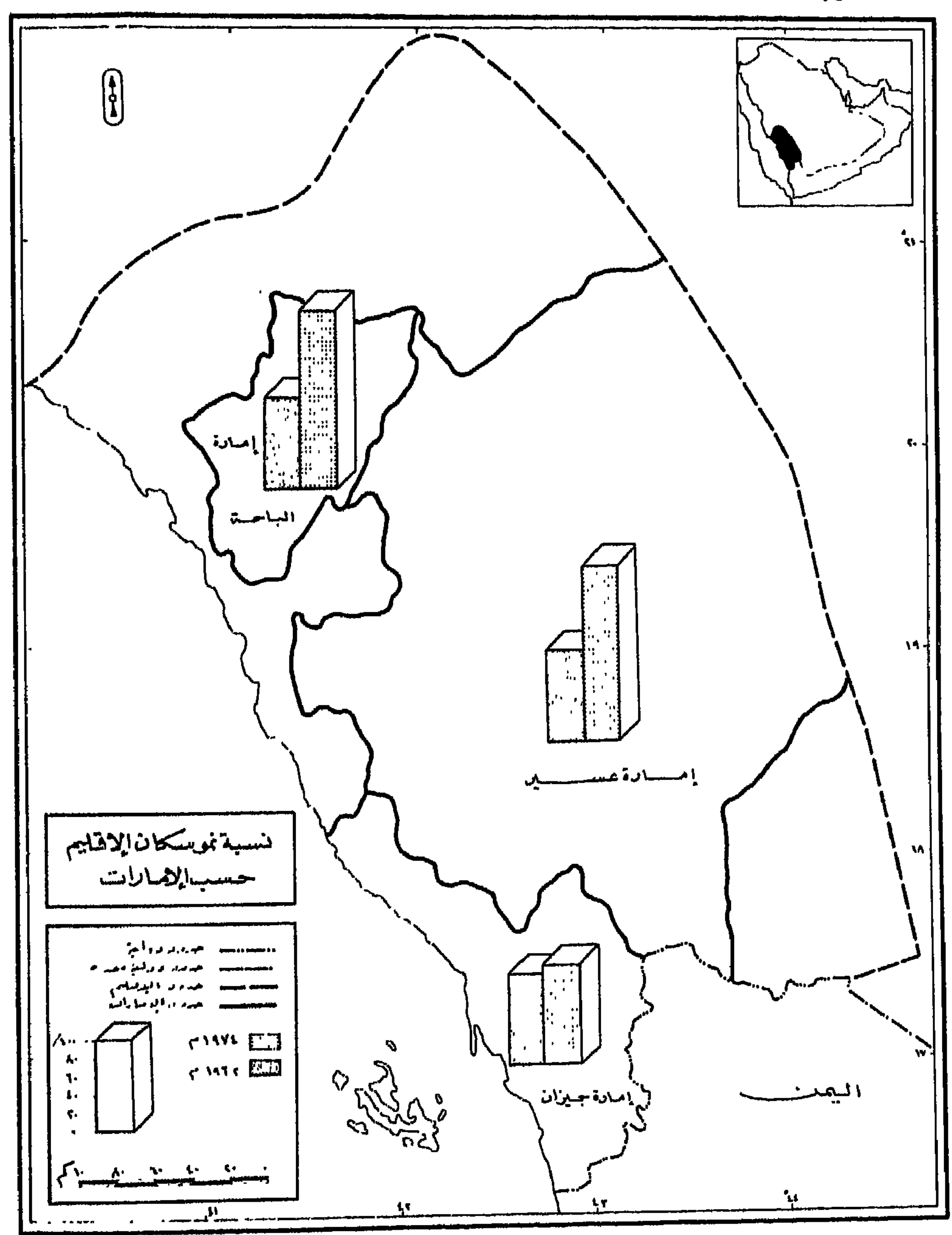
وقد حصلت أقل زيادة للسكان فى امارة جيزان ، وهى أقل زيادة بالنسبة لمناطق المملكة كلها . ومن الواضح انها تقل كثيرا عن الزيادة الطبيعية مما يدل على عظم فقدانها للسكان عن طريق الهجرة خلال الفترة بين التاريخين ، وهو يعبر عن فقدان مناطق زراعة الحياض للعاملين فيها . وبالمقابل فقد أبدت عسير أعظم نسبة زيادة فى الاقليم ، ولو أن تلك النسبة لم تبلغ معدل زيادة السكان فى المملكة ، مما يدل على استقطاب عسير أعدادا اكبر من المهاجرين اليها خلال نفس الفترة ، خاصة بعد انشاء المطار وطريق الجنوب وقيام عدد من المشاريع المائية والمدنية ، وتطور ونمو المدينتين الرئيسيتين أبها وخميس مشيط . هذا وكان معدل نمو أمارة الباحة متوسطا بين جيزان وعسير (شكل ٢٠) .

٣ ـــ التوزيع الاقليمى لنمو السكان :

لقد تبين من الدراسة السابقة أن توزيع السكان فى إقليم جنوب غرب المملكة غير متكافىء فيما بين أجزائه ، وكان العامل الرئيسى فى ذلك التوزيع هو امكانية الانتاج

(١) أرقام سنة ١٩٦٢ م من نتائج حصر السكان والمؤسسات بعد دمج بيشه مع عسير . وأرقام ١٩٧٤ م من نتائج تعداد السكان لذلك العام . وقد استبعدنا من مجموع سكان المملكة السعوديين فى الخارج .

شكل (٢٠)


نسبة نمو سكان الإقاليم
حسب الإمارات
١٩٧٤م
١٩٦٢م
١٠٠
٨٠
٦٠
٤٠
٢٠
٠
إمارة
الباحة
إمارة عسير
إمارة جيزان
اليمن

الزراعى . وتبين كذلك أن معظم المساحات الزراعية فيه إما أنها تعتمد على الأمطار ، وهى غير ثابتة ولامضمونة ؛ لأنها ترتبط بتغيرات المناخ ، أو أنها تعتمد على رى الحياض وهو رى بدائى قليل الكفاءة ويستفاد منه فى الغالب مرة واحدة فى العام . ويضاف اليها قليل من المساحات المتفرقة التى تعتمد على الرى من الآبار ، على شكل واحات معزولة عن بعضها فى الأنحاء التى تتوافر فيها المياه الجوفية والتربة الجيدة .

ولا تقتضى هذه الانواع الزراعية جميعا اى تركز كثيف للسكان ، ولو أن كثافتها تختلف من مكان إلى آخر حسب كفاءة الشروط المؤثرة . وفى خارج هذه المناطق بقى السكان على حالة البداوة ، وكثافتهم فى هذه الحالة تقل عن كثافة المناطق الريفية ، ومع ذلك فهم يتواجدون بنسبة اكبر فى بعض احواض الوديان الغنية . وتكاد بعض المناطق الاخرى تكون خالية من السكان تماما كبعض مناطق السهول الساحلية القاحلة .

كانت المدن صغيرة الحجم ، غير أن المراكز الادارية منها تحولت الى مراكز جذب للسكان من نفس الاقليم ومن خارجه ، فنمت وكبرت بسرعة حتى تحولت فى غضون سنوات قليلة الى مدن متوسطة الحجم وهى فى سبيلها الى الزيادة اكثر فى المستقبل .

وهناك مناطق اخرى عملت على تركيز السكان خلال العقد الماضى وهى مناطق المشاريع الانشائية الحديثة . فان كانت تلك المشاريع داخل المدن أو قريبة منها فانها سببت امتداد تلك المدن باتجاهها ، مثل مشروع سد أبها وشبكة المياه المرتبطة به ، أو مشروع ميناء جيزان أو مطار بيشة أو أبنية الدوائر الحكومية فى الباحة أو نجران ، أو مشاريع الكهرباء .

فاذا كانت تلك المشاريع خارج المدن– خاصة اذا توسطت فيما بين المدن – فإنها سببت زحف المدن باتجاهاتها ، مثل مشروع مطار أبها ومشروع كهرباء عسير فيما بين مدينتى أبها وخميس مشيط ، فقد عملا على جذب أعداد كبيرة من المشاريع الصغيرة والخدمات والوكالات التجارية لتستوطن على طول الطريق الواصل بينهما . ولن يمضى طويل وقت حتى تتصل المدينتان ببعضهما البعض عبر ذلك الطريق ، وسيتكون منهما تجمع مدنى كبير . وبشكل عام نشأت تجمعات بشرية جديدة على جوانب الطرق « المزفلتة » الحديثة لتقديم الخدمات للمسافرين ، أو نمت المراكز القديمة التى مرت منها الطرق وتحول بعضها الى بلدات أو مدن صغيرة .

وقد ساهمت مشاريع الرى الحديثة ، الكبيرة منهاوالصغيرة على تركيز السكان فى تلك المناطق اكثر من غيرها ؛ مثل مشروع سد جيزان والمستنبت الزراعى الحديث الذى سيعتمد على شبكة الرى المتفرعة من منطقة السد وهو الآن فى طور الانشاء ، وكذلك مشروع سد وادى نجران وما سيرتبط به من انجازات وما الى ذلك . كما أن تخطيط بعض مناطق الجبال وتحويلها الى قرى سياحية سيساهم فى تجميع السكان فى تلك المناطق حول القرى بعد أن كانت شبه خالية من السكان . وستتمدد باتجاه المدن القريبة منها .

٤ ــ مستقبل سكان الأقليم :

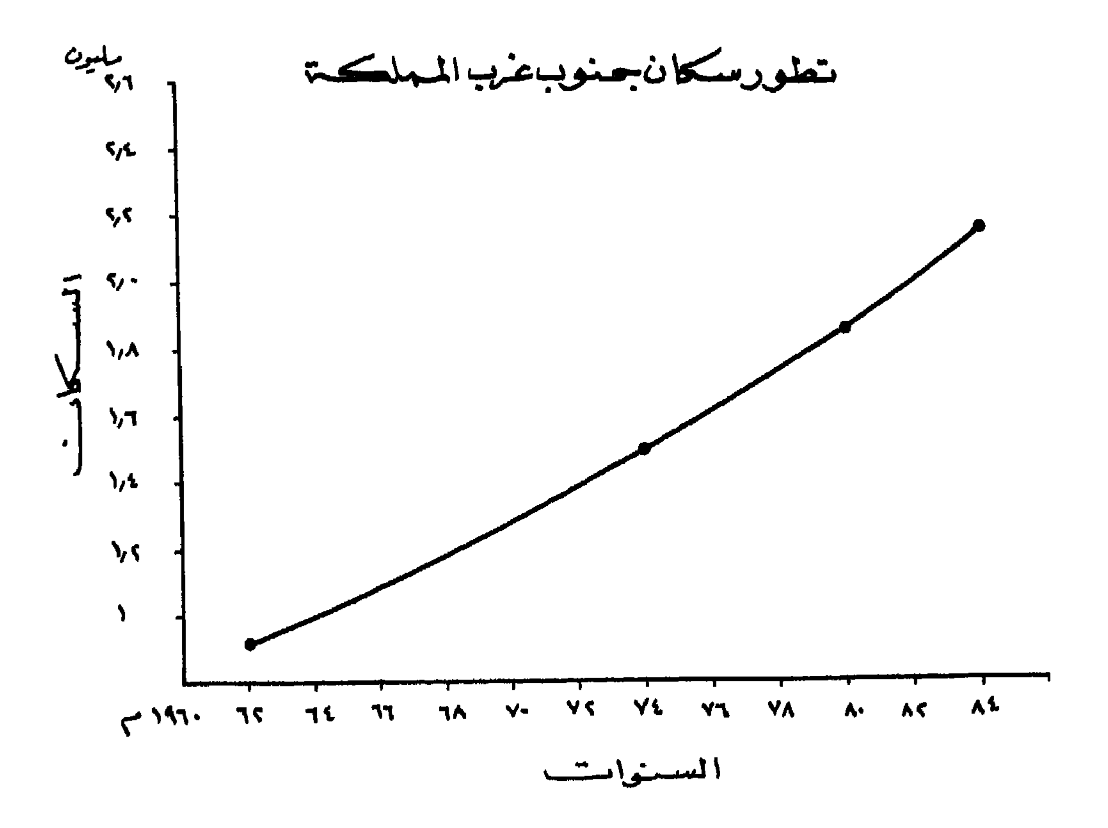
اذا توقفنا قليلا وحاولنا استعراض العوامل المؤثرة فى السكان ، لوجدنا مثلا أن هذا الاقليم اتصف بارتفاع نسبة الولادات وهى فى سبيلها الى الارتفاع البسيط فى المستقبل القريب ، بسبب ارتفاع نسبة الخصوبة وتحسين ظروف المعيشة والعناية المتزايدة بالأمومه . وقد اتصف أيضا بارتفاع نسبة الوفيات ، لكن هذه النسبة اتجهت للانخفاض ، وستستمر فى هذا الاتجاه فى المستقبل ؛ بسبب تحسن مستوى العناية الصحية والنظافة العامة ومكافحة الأوبئة . وهذا يعنى أن الزيادة الطبيعية مرتفعة وتتجه إلى الارتفاع أكثر فى المستقبل .

وهو وإن فقد ويفقدقسما كبيرا من مستوطنيه بسبب هجرة من هم فى سن العمل أو التعليم ، فهو يستقبل أعدادا أخرى – ولو بنسبة تقل عن السابقة – لعدم توفر العمل فيه بنفس المستوى والكفاءة التى تتوافر فى المناطق الاخرى . ولكن هذه النسبة ستزداد حثيثا فى المستقبل بسبب تحسين طرق المواصلات وتكثيف المشاريع الانشائية والخدمات وتنشيط التجارة ، وبسبب الاتجاه الى تحويل المناطق الجبلية فيه الى مناطق تصييف .

وهكذا يتضح أن العوامل التى تؤدى الى الزيادة تفوق تلك التى تؤدى الى النقصان . وتتجه هذه الزيادة الى الارتفاع النسبى خلال العقد الحالى على الاقل بالقياس الى العقد الماضى . مع العلم أن هذه الزيادة تقل عن مثيلاتها فى بعض مناطق المملكة الاخرى ، لاسيما مناطق الوسط والشرق والغرب ويمكن تقدير الحد الادنى للزيادة على النحو التالى (أنظر الشكل رقم ٢١) :

١٩٦٢	١٩٧٤	١٩٨٠	١٩٨٤
١١٢٠٢١٤	١٦٩٠٨٤٥	٢٠٥٠٠٠٠	٢٣٢٠٠٠

شكل (٢١)



تطور سكان جنوب غرب المملكة
مليون
٢/٦
٢/٤
٢/٢
٢/٠
١/٨
١/٦
١/٤
١/٢
١
السكان
١٩٦٠م ٦٢ ٦٤ ٦٦ ٦٨ ٧٠ ٧٢ ٧٤ ٧٦ ٧٨ ٨٠ ٨٢ ٨٤
السنوات

يتكلم سكان إقليم جنوب غرب المملكة – بمختلف مناطقه – اللغة العربية ، ولو أنها بلهجات محلية متباينة . ولكنها مهما تباينت يمكن التفاهم بها من قبل الجميع وهم جميعا يدينون بالاسلام . غير أن الهجرة الخارجية اليه ، وبالرغم من أنها منخفضة بالقياس الى باقى مناطق المملكة ، فانها يمكن أن تدخل تغييرا محدودا على هذه الحقائق ، ولاسيما اذا استمرت لسنوات عديدة . مع العلم أن الهجرة الخارجية تستقطب العرب والمسلمين بالدرجة الأولى .

لقد اتضح من تتبع ارقام تعداد السكان لاقليم جنوب غرب المملكة وجود ٨٪ من غير السعوديين كان معظمهم من البلاد العربية أو الاسلامية مثل اليمن الشمالى واليمن الجنوبى والاردن وفلسطين والباكستان ومصر وغيرها . ولم يصل الى هذه المنطقة حتى سنة ١٩٧٤م سوى القليل من البلاد الأجنبية الاخرى ، وكان معظم القادمين – إن لم يكن كلهم – من الخبراء للعمل فى بعض المشاريع الانشائية الكبرى أو فى بعض المؤسسات خاصة شركات انشاء المطارات أو الموانىء أو الطرق الخارجية أو شركات الكهرباء ، أو من الفنيين أو العمال . ومن المعتقد أن تكون قد زادت ظاهرة قدوم غير العرب وغير المسلمين فى الفترة التالية للتعداد بسبب تطور مشاريع التنمية .

٥ ـــ التركيب النوعى للسكان :

تكاد تكون نسبة ولادات الذكور الى ولادات الاناث متكافئة فى المملكة . واذا فرض وجود فروق بينها ، فانها ستكون فروقا بسيطة ، يمكن أن تعدلها اختلافات نسبة وفيات الأطفال بين الذكور والاناث فى سنوات العمر الأولى . ولكن تدفق الهجرة الخارجية الى المملكة سبب اختلافا ملحوظا فى نسبة كل من الجنسين الى مجموع سكان المملكة عامة ، وكان الاختلاف فى صالح الذكور ؛ لأن الهجرة استهدفت ـــ بصفة عامة ـــ الشباب فى سن العمل من الذكور ولأن معظمهم يحضرون الى المملكة ولو فى الفترة الأولى من قدومهم منفردين .

ويشتد هذا الاختلاف كلما زاد تدفق الهجرة ، ففى حين ارتفعت نسبة الذكور حسب نتائج حصر السكان لسنة ١٩٦٢م ارتفاعا محدودا ، فانها زادت اكثر من ذلك حسب نتائج تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م فبلغت ٥٣٦ ذكرا لكل ١٠٠٠ من السكان .

ولما كان هناك اختلاف فى قوة جذب مناطق المملكة أو مدنها للمهاجرين ، وكذلك اختلاف لقوة طرد بعض المناطق لشبابها ؛ وجد اختلاف كبير فى نسبة كل من الجنسين

بين المناطق حسب كونها مناطق جذب أو مناطق طرد بشرى ، أو أنها تقوم بالعمليتين فى آن واحد . فترتفع نسبة الذكور اذا تغلبت قوى الجذب على قوى الطرد وتنخفض فى الحالة المعاكسة .

ولقد لعبت منطقة جنوب غرب المملكة دور الجذب والطرد السكانى فى آن واحد ، ولكن حالة الطرد كانت هى الأقوى خلال العقدين الماضيين ، وتمثل ذلك بفقدانها عددا كبيرا من شبابها الذكور الذين استقروا فى مناطق اخرى بدافع العمل أو التعليم أو التجارة ، فانخفضت نسبتهم فى المنطقة ككل وبالتالى ظهر وكأن نسبة الاناث قد ارتفعت . اتضحت هذه الظاهرة فى الامارات الثلاث الداخلة فى حدود هذا الاقليم وهى جيزان وعسير والباحة . فبلغت نسبة الذكور فى مجمل سكانها معا ٤٩١ ذكرا لكل ١٠٠٠ من السكان حسب أرقام تعداد السكان المذكور . وظهرت اكبر خسارة فى إمارة الباحة التى بلغت نسبة الذكور فيها ٤٧١ فردا لكل ١٠٠٠ من السكان .

من الجدير بالملاحظة أننا أهملنا حساب الأجزاء الداخلة ضمن حدود هذا الاقليم من غرب إمارة نجران وجنوب إمارة مكة ، لتعذر حساب أعداد تلك الأجزاء بمعزل عن باقى الأمارة التابعة لها . مع العلم أن ظروف تلك الاجزاء لا تختلف عن ظروف المناطق المحسوبة والمجاورة لها . وبالتالى يمكن تعميم النتائج التى حصلت فى تلك المناطق عليها أيضا .

وستظهر خسارة هذا الاقاليم لقسم من أفراده الذكور اكثر مما قدم اليه منهم بالقياس الى مجمل المملكة أو الى بعض الاقاليم الاخرى بصورة اوضح بعد دراسة الفقرة التالية المتعلقة بالتقسيم العمرى للسكان ، والتى سيتبين منها أن نسبة الذكور لدى فئة الأعمار من سن ٢٠ – ٤٥ هى ٤٦٩ فردا لكل ألف من مجموع تلك الفئة ، فى حين كانت نسبتهم لدى فئة صغار السن أى ممن هم دون سن الخمس عشرة سنة – ٥٠٥ لكل الف ، مما يدل على عدم تدخل الهجرة بشكل فعال فى أفراد الفئة الأخيرة .

ولقد لوحظ انعكاس هذه الظاهرة لدى فئة الكهول . اذ تبين ان نسبة الذكور لفئة الأعمار بين سن ٤٥ – ٦٥ بلغت ٥١٣ لكل ١٠٠٠ أي انها تزيد عن نسبة الذكور في المنطقة وتزيد عن نسبة الاناث أيضا ؛ مما يشير الى أثر الهجرة الايجابية الى هذا الاقليم على عدد أفراد هذه الفئة أكثر من الفئات الأخرى كاستقطاب عدد من المهاجرين الكهول من اليمن للعمل في الحقول أو فى بعض الخدمات .

ومن الطبيعي جدا فى مثل هذا المجتمع ان ترتفع نسبة الاناث كثيرا لدى فئة كبار السن بسبب ارتفاع نسب الوفيات لدى الذكور عنها لدى الاناث فى جميع فئات السن التالية لسن الشباب ، بسبب تعرضهم باستمرار لمخاطر المهنة ، أو الحروب وقسوة الحياة اكثر من تعرض الاناث ، وتراكم الفرق فى نسبتي وفيات الفئتين ابتداء من سن الشباب حتى نهاية الأجل . اذ تبين ان نسبة الذكور لدي فئة الأعمار التى تزيد عن ٦٥ سنة فى الامارات الثلاث هى ٤٧١ فردا لكل ١٠٠٠ من مجموع هذه الفئة ، وكما هو واضح ليس للهجرة دخل فى انخفاض نسبة الذكور لدى هذه الفئة (انظر الجدول رقم (٣) والشكل رقم ٢٢) : —

جدول رقم (٣)

فئات النوع والعمر فى الامارات : جيزان وعسير والباحة سنة ١٩٧٤م[1]

فئات الأعمار	الباحة		عسير		جيزان		الامارات الثلاثة	
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث
أقل من ٥	١٧٦٨٢	١٧٧٩٥	٦٠٦٧٧	٦١٥٣٤	٣٦٠٧٩	٣٥٧٨٠	١١٤٤٣٨	١١٥١٠٩
٥ — ٩	١٦٩٠٢	١٧٣٠٨	٥٩٧٤٨	٥٨٧٩١	٣٥٤٢٤	٣٣٤٢٢	١١٢٠٧٤	١٠٩٥٢١
١٠ — ١٤	١٢٣٣٩	١٢٣٨٥	٤٠٧٦١	٣٩٣٢٦	٢٦٤٠٥	٢٣٢٣٠	٧٩٥٠٥	٧٤٩٤١
١٥ — ١٩	٧٠٠٣	٧٢٠٢	٢٩٣٤٣	٣١٧٦٥	١٨٧٥٧	٢٠٠٥٩	٥٥١٠٣	٥٩٠٢٦
٢٠ — ٢٤	٣٤٨١	٥٢٢٤	١٨٨٨٧	٢٢٠٥٨	١١٦٠٠	١٤٩٩٩	٣٣٩٦٨	٤٢٢٨١
٢٥ — ٢٩	٣٤٠٥	٥٤٧٥	١٨٣٦١	٢٢٤٤٠	١٠٤٧٦	١٤٤٩٩	٣٢٢٤٢	٤٢٤١٤
٣٠ — ٣٤	٣٢٨٨	٥١٤٥	١٧٨٠٢	١٩٨٧٦	١٠٥٢٦	١٢٧٢٨	٣١٦١٦	٣٧٧٤٩
٣٥ — ٣٩	٣٣٣٠	٤٦٣٦	١٩١٣٥	١٨٠٩٠	١٠٩٨٩	١٠٢١١	٣٣٤٥٤	٣٢٩٣٧
٤٠ — ٤٤	٣٢١٠	٤٧٥٥	١٦٠٩٣	١٥٥٨٧	١٠١٤٦	٩٩٦٤	٢٩٤٤٩	٣٠٢٩٧
٤٥ — ٤٩	٢٦٥٩	٣١٣٢	١١٨٢٧	١٠١٨٤	٧٨٢٥	٦٣٥٥	٢٢٣٠١	١٩٦٧١
٥٠ — ٥٤	٢٥٧٩	٣٧٣٧	١١٧٩٢	١٢٠٤٨	٧٨٠٦	٧٣٧٣	٢٢١٧٧	٢٣١٥٨
٥٥ — ٥٩	٢١٣٤	١٧٧٤	٦٦١٥	٢٥٩٣	٤٤٠٥	٣٤١٠	١٣١٥٤	١٠٤٧٧
٦٠ — ٦٤	٣٤٨٨	٣٤١٤	٩٨٩١	٩٩٩٤	٥٧٣٩	٦٢٨٩	١٩١١٨	١٩٦٩٧
٦٥ فأكثر	٦١٢٠	٦٢٤٠	١٤٢٤٠	١٦٥٠٩	٦٤٣١	٧٣٤٣	٢٦٧٩١	٣٠٠٩٢
المجموع	٨٧٦١١	٩٨٢٢٢	٣٣٥١٧٢	٣٤٣٤٨٦	٦٠٢٦٠٨	٢٠٥٦٦٢	٦٢٥٣٩١	٣٤٧٣٧٣

(١) استخلصت هذه الأرقام من الجداول الواردة فى التعداد العام للسكان ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، البيانات التفصيلية فى المجلدات بالامارات الثلاث .

٦ - التركيب العمرى للسكان :

إن تتبع الأرقام المتعلقة بسكان المملكة والدراسات المبنية عليها يوحى بأن التقسيم العمرى لفئات الأعمار فى جميع مناطق المملكة هو فى صالح صغار السن وبنسب مرتفعة جدا . غير أن عامل الهجرة الذى أشرنا إليه في فقرات سابقة والذى تختلف قوته وإيجابيته من منطقة إلى أخرى على ايجاد تباين فى نسب فئات السن بينها ، إذ زاد من نسبة صغار السن أكثر من المعدل العام فى بعضها ، وأنقصها فى بعضها الآخر . زادها فى المناطق الريفية التى هاجر قسم من شبابها بنسبة تزيد عن نسبة القادمين إليها ، وأنقصها فى مناطق التنمية بسبب ارتفاع نسبة القادمين اليها من فئة الشباب .

وحيث أن الهجرة سببت اختلافا كبيرا من منطقة إلى اخرى فى فئات النوع ، لأنها تستهدف فى الحالتين الايجابية والسلبية الذكور دون الإناث فانها تسبب اختلافا موازيا فى فئات السن لأنها تستهدف الشباب من أولئك الذكور . ولذلك فبالرجوع الى الجدول رقم (٣) الذى يقسم سكان الإمارات : الباحة وعسير وجيزان إلى فئات النوع وفئات العمر فى آن واحد ؛ يمكن أن نستشف أهم ملامح هذا التقسيم إلى فئات العمر .

يتضح من أرقام الجدول المذكور أن الذين تقل أعمارهم عن ٢٠ سنة يبلغون فى مجمل هذه الإمارات ٥ر٥٦٪ من المجموع أى أكثر من نصف المجتمع . ولايختلف هذا الرقم كثيرا عن نسبة هذه الفئة فى مجمل المملكة وهو ٥٧٪ . ويدل ارتفاعه دلالة واضحة على نقص الفئات الأخرى من هذا الإقليم .

وقد بلغت نسبة من تقل أعمارهم عن ١٥ سنة ومعظمهم من فئة المعالين ٦ر٤٧٪ من المجموع ، بالقياس إلى ٤٥٪ فى مجمل المملكة . أما فئة الأعمار الوسطى والتى تضم من تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٦٠ سنة ويندرج ضمنها كل العاملين أو من هم فى سن العمل ، فقد بلغت ٩ر٤٤٪ . وهى وإن كانت مرتفعة نسبيا ، لكنها تقل عما هى فى المملكة كلها (٤٩٪) مما يثبت من جديد ، أن هذا الاقليم فقد قسما ممن هم فى سن العمل من شبابه أكثر ممن يأتيه من نفس الفئة .

وقد تأثرت بهذه الظاهرة بطبيعة الحال نسبة الشيوخ أو كبار السن ، وتضم من تزيد أعمارهم عن ٦٠ سنة ، إذ بلغت ٥ر٧٪ ، وهى بالرغم من صغرها فإنها تزيد عن نسبتها فى المملكة (٦٪) ، بسبب عدم تعرض أفراد هذه الفئة إلى الهجرة إلى مناطق أخرى .

ويمكن الاستزادة بمعالجة هذه النقاط من دراسة الشكل (٢٢) الذى رسم بناء على أرقام الجدول (٣) وفيه هرم السكان لكل إمارة من هذه الإمارات الثلاث منفردة ، وهرم السكان لها مجتمعة . ويوضح الشكل بجلاء أن ظروف هذه الإمارات الثلاث متشابهة إلى حد كبير فهى أجزاء من إقليم واحد . ويؤيد الشكل ماتوصلنا إليه من قبل وهو ملاحظة اتساع قاعدة هذه الأهرامات اتساعا كبيرا وملفتا للانتباه ، وملاحظة ضيق قطاعه الأوسط ، وبالتالى ضعف القوى العاملة فيه نسبيا . لأنه فقد قسما كبيرا من أفراده فى سن العمل ولم يستطع أن يجتذب عددا معوضا له من المهاجرين إليه . وهذا يعنى أنه فى حاجة ماسة إلى القوى العاملة فى حالة قيام مشاريع التنمية .

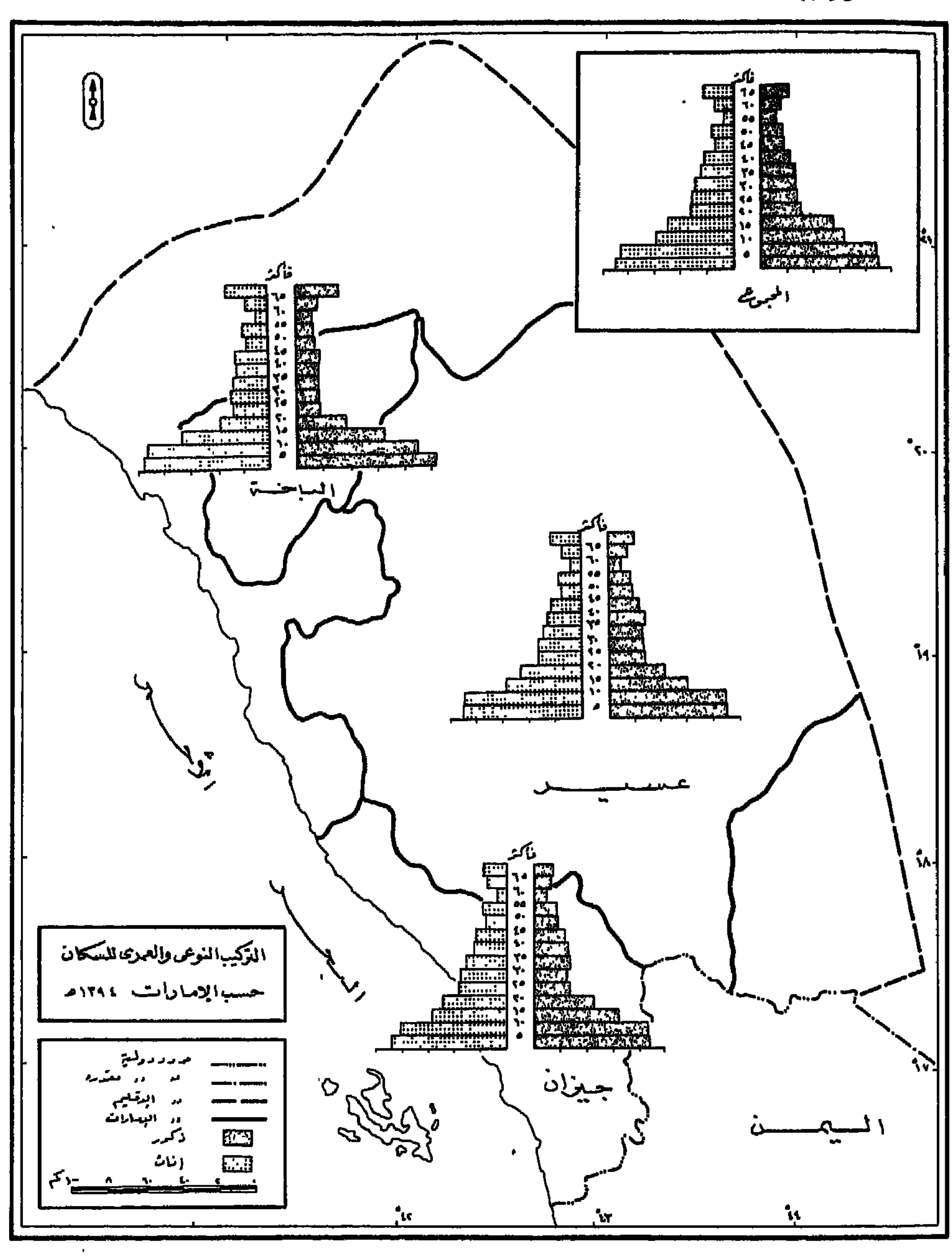
ويوحى هذا الوضع بطريقة غير مباشرة بمقدار العبء الملقى على العاملين فى هذا الاقليم ، لاسيما وأن النساء الذين حسبوا ضمن تلك الفئة لايشتركن بشكل فعال بالعمليات الإنتاجية . كما أن قسما كبيرا من الأعداد المحسوبة ضمنها أيضا من فئة الطلاب الذين لم يشتركوا حتى تاريخ التعداد فى عمليات الإنتاج . فقد تبين على سبيل المثال أن نسبة الطلاب فيالمرحلة الابتدائية بلغت فى الإقليم ٥ر٥٪ من مجموع سكانه أى أكثر من ١٠٪ من أفراد فئة الأعمار الوسطى . ولو أن انتساب هذا الجيل فى سلك التعليم سيرفع من مستواهم الثقافى ويحسن استعدادهم مما سينعكس على سوق العمل فى المستقبل القريب .

٧ – أنماط المعيشة :

توجد فى إقليم جنوب غرب المملكة الأنماط المعيشية ا تقليدية الثلاثة ، التى تنتشر فى جميع البلاد العربية ، ولو بنسب مختلفة . وقد طرأ على أهميتها النسبية فى الاقليم تغير كبير فى الوقت الراهن نظرا للتحولات الاقتصادية الكبيرة التى تتعرض لها المملكة الآن وهذه الأنماط هى :

أ – **نمط الحياة الريفية** : لقد سبق الاشارة إلى أن إقليم جنوب غرب المملكة يتفوق على جميع الأقاليم الأخرى فى توافر امكانية الانتاج الزراعى – على ضعفها وتخلفها – وبالتالى فإنه يضم نحو ٧٧ ٪ من عدد قراه ومدنه بالرغم من صغر مساحته النسبية . ولهذا وجدنا أن نمط حياة القرية أو نمط الحياة الريفية كان يسود فى هذا الاقليم فى مختلف أرجائه ، ليس فى قراه فحسب ؛ بل حتى فى مدنه حيث يمارس الناس إلى جانب الزراعة أعمالا مدنية كالتجارة والمهن والنقل والخدمات أو

شكل (٢٢)



التركيب النوعى والعمرى للسكان
حسب الإمارات ١٣٩٤هـ
حدود دولية
" " غير محددة
" الإقليم
" الإمارات
ذكور
إناث
الباحة
عسير
جيزان
اليمن

نحوها ، لأن المدن فى حد ذاتها كانت عبارة عن قرى كبيرة اتخذت بسبب الضرورة مراكز لتبادل المنتوجان وتوزيعها أو بسبب اتخاذها مراكز إدارية .

غير أن نمط الحياة الريفية يتخذ سبيله إلى التقلص باستمرار بسبب ظهور حياة المدن وتطورها شيئا فشيئا من ناحية ، وبسبب ماطرأ على طبيعة الزراعة ذاتها وعلى المزارعين من تغير خلال ربع القرن الماضى .

إذ قد هجر كثير من المزارعين أراضيهم الزراعية فى مناطق الجبال التى تعتمد على الأمطار بسبب ضعف موردها وقلة انتاجيتها وعدم كفاية الدخل الناتج عنها والحاجات المادية الحديثة والمتزايدة ، فتحولت مزارعهم إلى مدرجات « دامرة » ، كما هجر كثير من مزارعى « ري الحياض » فى سهول تهامة أراضيهم الزراعية أيضا خاصة تلك البعيدة نسبيا عن مجارى الوديان ولنفس الأسباب المذكورة . واتجهوا فى أغلب الحالات إلى سكن المدن .

وبالمقابل فقد زاد الاهتمام بالزراعة وزاد عدد العاملين فيها في بعض المناطق الأخرى التى تعتمد على الرى من المياه الجوفية نتيجة استعمال الحفارات الآلية وتحسين شبكات توزيع المياه داخل المزارع ، وارتفاع مستوى الانتاج الزراعى والانتاجية . وقد توسعت المساحات المزروعة في مناطق لم تكن قد استخدمت فى الزراعة سابقا ، خاصة فى مناطق المشاريع الحكومية كمناطق السدود والآبار الارتوازية لا سيما بالقرب من المدن بسبب زيادة الطلب على المنتجات وارتفاع أسعارها كالخضروات والفواكه . كما زادت المساحات المزروعة بسبب التشجيع الحكومى وذلك بتقديم القروض وتوفير الآلات الحديثة والأسمدة والبذار ، وتقديم الخدمات الارشادية والتوجيهية وغير ذلك .

لقد أوضحت أرقام تعداد السكان لسنة ١٩٧٤ م أن نحو ثلثى سكان اقليم جنوب غرب المملكة كانوا يعلمون فى النشاط الأولى ، أي فى الزراعة وتربية الحيوانات والصيد البحرى والغابات ، وبالطبع فإن أهمها جميعا هو الزراعة . غير أن هذه الارقام لاتفرق العاملين فى تربية الحيوان : فكم منهم من البدو وكم من الريفيين الذين يمارسون الزراعة فى نفس الوقت . كما أنها لاتضم الذين يعيشون حياة ريفية ممن يشتغلون فى بعض الأعمال المدنية . ويمكن أن يؤخذ من تلك البيانات أيضا أن الأفراد الذين يعيشون فى القرى وحدها يمكن تقديرهم بـ ٦١٪ من مجموع سكان هذا الاقليم .

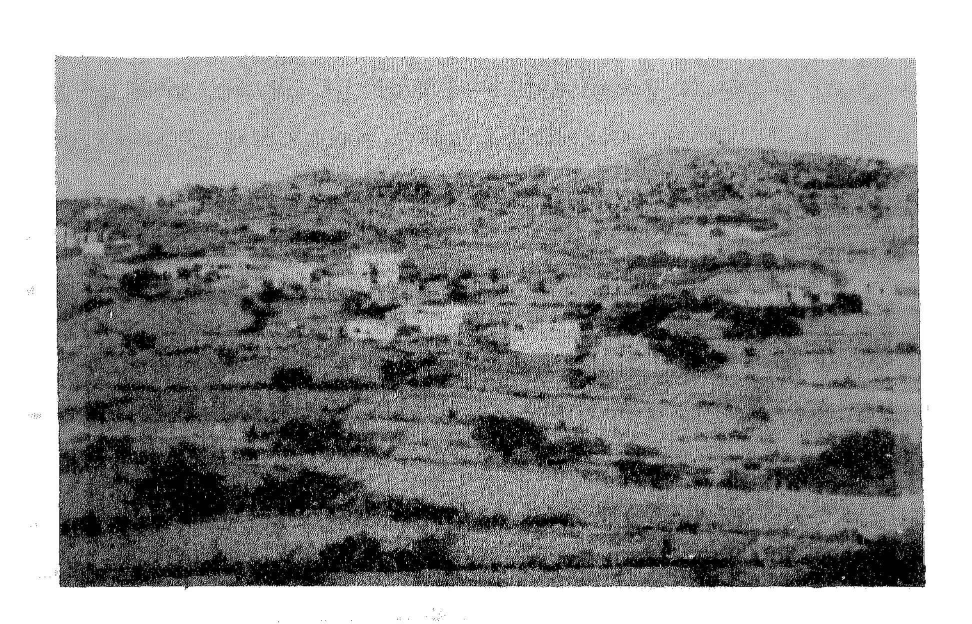
ونظرا للتغير الذى طرأ على الزراعة يمكننا القول أن عدد المشتغلين فيها زاد فى بعض المناطق ونقص فى غيرها ، ويصعب تقدير الاتجاه العام لتغير عددهم . إنما من المؤكد أن زيارتهم – إن حصلت – لا توازن زيادة عدد السكان الاجمالى حيث تضاعف الاخير خلال العقدين الماضيين ، وهذا يعنى ان نسبة العاملين بالزراعة ، وكذلك نسبة الذين يعيشون حياة الريف الى مجموع سكان هذا الاقليم ، قد طرأ عليها نقص كبير ، وسيستمر هذا الاتجاه خلال العقد الحالى على الأقل .

ب –**نمط الحياة البدوية** : يحتل نمط الحياة البدوية أو عدم الاستقرار المرتبة الثانية بعد الزراعة من حيث عدد الأفراد والانتشار . اذ يسود هذا النمط فى مناطق تزيد فى مساحتها عن سيادة مناطق الزراعة ، تلك المناطق الرعوية التى تشمل معظم مساحة البلاد . والجدول التالى يوضح أعداد ونسبة البدو فى الوحدات الادارية الداخلة فى جنوب غرب المملكة .

جدول رقم (٤)
المستقرون والبدو فى إمارات جنوب غرب المملكة فى سنة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م (١)

م	الامـارة	عدد المستقرين	نسبتهم ٪	عدد البدو	نسبتهم	عدد مناهل الماء
١	جيزان	٣٨٧١٦١	٩٦	١٥٩٤٥	٤	٥٠
٢	عسير	٤٣٤٨٨٤	٦٤	٢٤٦٤٧٧	٣٦	١٠٥٧
٣	الباحة	١٥٦٩٩٧	٨٤,٥	٢٨٩٠٨	١٥,٥	٨١
٤	غرب نجران	٨٠٣٢٧	٦٦,٥	٤٠٤٠٧	٣٣,٥	١٠١
٥	جنوب مكة	٢١٥٦٤١	٦٧	١٠٦١٥٥	٣٣	٣٤٤
	مجموع الأقليم	**١٢٧٥٠١٠**	**٧٤,٥**	**٤٣٧٨٩٢**	**٢٥,٥**	**١٦٣٣**

(١) حسبت جميع النسب من واقع الارقام المستخلصة من نتائج التعداد العام للسكان ـــ المجلدات الخاصة بالامارات المعنية .



(صورة ٣)

تظهر قرى دوس ومزارعها فى فرعة متسعة ترتفع نحو ٢١٥٠م عن سطح البحر وتهبط من الغرب كالحائط على وادى الجرداء فى تهامة .



(صورة ٤)

جانب من مدينة أبها الحديثة .

يتضح من أرقام هذا الجدول أن البدو كانوا يشكلون أكثر من ربع سكان جنوب غرب المملكة ، وتقل هذه النسبة قليلا عن معدل نسبة البدو فى المملكة . (شكل ٢٣) ولكن يتضح منها أيضا تفوق إمارة عسير التى تحوى وحدها ٥٦ ٪ من بدو الاقليم والذين يبلغون ٣٦ ٪ من مجموع سكانها ، وذلك لاتساع مساحتها وشمولها على مجموعة كبيرة من الوديان الغنية بالأعشاب . ويظهر تفوق هذه الإمارة فى عدد مناهل الماء التى تملكها . ومناهل الماء المقصودة هنا تعنى مواقع استقرار البدو الفصلية ، لأن البدو يتجمعون – مهما اتسعت حركة انتشارهم – حول موارد ثابتة للماء فى فصول الجفاف . فقد ضمت امارة عسير وحدها ٦٤,٧ ٪ من مناهل جنوب غرب المملكة ، وهى تعادل ٢٩ ٪ من المناهل الخاصة بالبدو فى المملكة كلها .

ومع ذلك فإننا نستدرك القول بأن كثرة المناهل هذه لاتقتضى بالضرورة ارتفاعا موازيا له فى أعداد البدو ، حيث بلغت نسبة البدو فى عسير ١٣ ٪ من بدو المملكة ، وهذا يدل من طرف خفى إلى صغر تلك المناهل ، وصغر الجماعات البدوية التى تتجمع حول كل منها ، وهذا يفسر التوزيع المبعثر للسكان فى البوادى التابعة لهذه الإمارة . ويمكن ارجاع ذلك إلى طبيعة تركيب صخور المنطقة وضعف قدرتها على تخزين الماء .

وفى حين بلغ البدو نحو ثلث سكان كل من غرب نجران وجنوب مكة ، فقد انخفضت نسبة تواجدهم فى جيزان إلى درجة أصبحت معها أفقر إمارات المملكة بهم ، حيث لم تتجاوز نسبتهم فيها ٤٪ من سكانها ، وأقل من ١٪ من بدو المملكة ، بسبب فقرها بالمراعى . هذا بالرغم من غناها بالثروة الحيوانية التى تعتمد فيها على زراعة الأعلاف .

وأهم ما يميز حياة البدو هو عدم الاستقرار وتنقلهم من مكان الى آخر خلال مواسم السنة حسب متطلبات الرعى ، كتوفر الكلأ والماء . يعيشون فى بيوت مصنوعة من الشعر ويعتمدون فى حياتهم على تربية الحيونات خاصة الجمل الذى كان يمثل الحيوان الرعوى الرئيسى ووسيلة النقل والحمل الوحيدة فى الصحراء .

وقد طرأ على البدو وعلى اسلوب حياتهم تغير يفوق التغير الذى طرأ على حياة الريفيين وعلى أعدادهم . ومن أهم تلك التغيرات تخليهم عن الابل نهائيا كوسيلة من وسائل النقل والحمل واستبدالها بالسيارات ، وكذلك لم تعد لها الأهمية السابقة

شكل (٢٣)

مكة المكرمة
إجمالي المنطقة
الباحة
عسير
نجران
جيزان
فرسان
اليمن

٦٠٠,٠٠٠
٤٠٠,٠٠٠
٢٠٠,٠٠٠
١٠٠,٠٠٠

نسبة البدو والمستقرين في
امارات جنوب غرب المملكة

حدود دولية
" " مقدرة
" الإقليم
المستقرون
البدو

٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم

كحيوانات رعوية . لم يستعمل البدو السيارات فى تنقلاتهم فحسب بل صاروا يستعملونها فى حمل الحيوانات أحيانا الى بعض المراعى أو الى الأسواق ، وينقلون لها الأعلاف من أماكن بعيدة ، وحتى أنهم صاروا ينقلون الماء لهم ولحيواناتهم بواسطتها ، ولم تعد تنقلات البدو التقليدية خلال الفصول ضرورة من ضرورات الحياة البدوية كما كانت فى السابق .

ومن التغيرات الهامة الاخرى التى تعرض لها البدو هو تناقص عددهم ، نظرا لعزوف بعضهم عن حياة الترحال ، وهروبهم من قسوتها والتجائهم الى مناطق الاستقرار سواء فى الريف أو المدن ، ومن ثم انخراطهم فى الحياة المستقرة . وقد تناقصت نسبتهم فى الفترة التالية للتعداد حتى صاروا يقلون بالتأكيد عن خمس السكان فى الوقت الحاضر .

ومن ناحية أخرى ساعدت السيارة على سهولة اتصالهم بالمدن فنقلوا منها كثيرا من السلع والحاجيات والادوات ، فى حين لم يكن متاحا لهم استعمالها فى الماضى مما كان له تأثير على حياتهم . اذ جلبوا الى بيوت الشعر مولد الكهرباء والمذياع وحتى التلفزيون . وقد نقلت الدولة الى كثير من مناطقهم المدارس والمستوصفات وبعض الخدمات الاخرى . وبدأت حياتهم تقترب من حياة الاستقرار شيئا فشيئا . وبنوا بيوتا شبه مستقرة أو مستقرة .

ج ـــ **حياة المدن** : لم يكن للمدن بمعناها ووظائفها الحديثة وجود فى هذا الاقليم . وأن ما اطلق عليها اسم المدن لم تكن سوى قرى بمعناها ووظائفها ، وقد اتخذت مراكز ـــ بسبب توسط موقعها ـــ لتقوم بالوظيفتين الادارية والتجارية الى جانب الوظيفة الزراعية .

وهما وظيفتان قليلتا الشأن فى ذلك الوقت ؛ إذ أن معظم تلك المدن كانت تكتفى للقيام بالوظيفة التجارية بوجود سوق اسبوعى (اى كان يعتقد مرة فى الأسبوع) . وكانت أيام الأسواق تتناوب بالترتيب بين المراكز المتجاورة . وكان التجار والريفيون – وحتى البدو – ينتقلون من السوق الواحد الى السوق الذى يليه فى رحلة واحدة تقل عن اليوم . وكانت تكتفى للقيام بالوظيفة الادارية بوجود شيخ القبيلة ومساعديه فيها .

وكثيرا ماكان يطلق اسم المدينة على مجموعة من القرى المتجاورة على شكل نوى مدنية مبعثرة ، كما كانت حال أبها وبيشة ونجران فى الماضى .غير أن النهضة

الاقتصادية الحديثة التى طرأت على المملكة ، وانعكس قسم منها على الاطراف ، استهدفت المراكز المدنية المذكورة وحتى النوى المدنية ؛ فأسست فيها أولا بلديات وظهرت فيها بعض الأعمال الانشائية ، خاصة المبانى الحكومية ، وبعض المشاريع كمشاريع للكهرباء والماء ، وتوسعت فيها الخدمات المهنية والحكومية والتجارية .

تحولت هذه المراكز المدنية الصغيرة الى مراكز جذب قوى للسكان سواء من الاقليم المحيط بها أو من خارجه فنمت بسرعة مذهلة ، واتصلت النوى المدنية بعضها بالبعض الآخر ، بل وقد اتصلت ببعض القرى القريبة وامتدت فى مختلف الاتجاهات ، لاسيما حسب اتجاهات الطرق الواصلة بينها ، فتحولت تلك النوى الى أحياء ، كما استحدثت أحياء جديدة وخططت الشوارع الحديثة .

بدأ تغير هذه المراكز منذ ربع قرن تقريبا ، ولكن ظاهرة نمو المدن واستقطابها لأعداد متزايدة من السكان اتضحت خلال العقد الماضى حيث تبلورت فيها الوظائف المدنية المعروفة وهى :ــ

١ ــ الوظيفة الادارية :وقد اقتضت افتتاح فروع تمثل معظم الدوائر الحكومية التى لها صلة بحاجات المواطنين : كالجوازات والداخلية والشرطة والشئون الاجتماعية والزراعة والتعليم والمحاكم الشرعية والصحة والمواصلات وغيرها ، فى المدن التى اعتبرت مراكز ادارية . فزاد عدد الموظفين الحكوميين والعاملين فى الخدمات الحكومية ــ خاصة فى المدارس والمستشفيات ــ أو المستوصفات الصحية ، وكذلك العاملون فى المؤسسات العاملة فى بعض المشارع التابعة للحكومة .

٢ ــ كانت هذه المراكز تقوم بالوظيفة التجارية ، ولكنها لم تعد تكتفى بالأسواق الاسبوعية وحتى بالأسواق الدائمة السابقة لتوسعها وريادة الطلب على البضائع . فتحولت إلى مراكز لتجميع بضائع الاقليم ومن ثم توزيعه . كما تحولت إلى مراكز لعرض البضائع المجلوبة من الخارج لغرض استهلاك سكانها المتزايدين وسكان المنطقة المحيطة بها . ونظرا لتزايد الطلب على هذه البضائع وتلك ، نمت التجارة وتضاعفت مقاديرها وزاد عدد تجار الجملة والمفرق ، وتوسع نشاطهم وافتتح فيها فروع لوكالات الشركات التجارية الأجنبية .

٣ - اقتضى هذا التوسع زيادة فى الخدمات الشخصية والفنية كالمصورين والحلاقين والخياطين . ولزم التوسع في المهن المتعلقة باصلاح السيارات واصلاح بعض الأدوات والأجهزة الحديثة . واستحدثت بعض الأعمال المهنية المعدنية أو الأسمنتية ، كما لزم التوسع فى الأعمال الفندقية والمطاعم والمقاهى وما إلى ذلك ، وصار يقصد المدينة عدد من سكان ريفها المحيط بها من أجل بعض هذه الخدمات أو للعمل ببعضها .

٤ - الموانىء - كان فى جيزان مرفأ صغير يخدم أعمال الملاحة الصغيرة كالصيد ، وله اتصال خارجى ضعيف . وكان في القنفذة مرفأ أصغر منه لم يكن له اتصال خارجى . غير أن التطور الذي تعرضت له المنطقة اقتضى جلب كميات كبيرة ومتزايدة من البضائع من الخارج ، لدرجة اقتضت تطوير ميناء جيزان ليقوم بوظيفة استقبال سفن كبيرة محملة بالبضائع المستوردة بكميات كبيرة ، لاسيما من الأسمنت وغيره من مواد البناء ، ومن ثم توزيع هذه البضائع على جميع انحاء الاقليم خاصة عسير .

لقد اختيرت المراكز المدنية فى الأصل دون غيرها من القرى لما تتمتع به من موقع يتوسط مجموعة القرى الاخرى التى تحيط بها فتقع على مفترق الطرق الموصلة بينها ، وقد تشابهت تلك المراكز فى ان أهم ما يجب توافره فيها أو بالقرب منها المورد المائى الصغير الذى يكفى سكانها . وكانت تبنى – شأن القرى أيضا – حول المسجد الجامع والسوق والساحة العامة المجاورة لها . وقد يكون هناك قصر لحاكم المدينة أو المنطقة . وقد تحول السوق الأسبوعى فى بعضها إلى سوق دائم منذ اختيرت مركزا مدنيا ، ولكن – فى الغالب – يظهر السوق الدائم جوار السوق الأسبوعى ، إذا لم يفقد الأخير أهميته الخاصة حتى عهد قريب .

غير أن تلك المراكز كانت تختلف عن بعضها فى كثير من الخصائص كاختلافها فى مادة بناء المساكن وحجمها وأسلوب بنائها ، كما تختلف فى حجم المركز أو امتداده وطابعه العام ، إذ كانت المساكن تبنى فى بعض المناطق من الطين والخشب كبيوت قرى مناطق الهضاب مثل بيشة على سبيل المثال ، أو من الحجر والطين كبيوت القرى الجبلية (أبها) ، أو من القش والطين كاعشاش جيزان .

وكانت تبنى البيوت متلاصقة فى أحياء ذات أسوار طينية مرتفعة لغاية الحماية فى بعضها (فى الهضبة) ، أو تبني متفرقة على السفوح الجبلية بحيث تشرف على الأرض الزراعية وفى هذه الحالة يكون كل بيت - لا الحى - كالقلعة الحصينة . وقد تكون المساكن مستطيلة واسعة وتبنى حول ساحة مكشوفة كما فى الهضبة ، أو تكون مستطيلة الشكل وأصغر مساحة ومرتفعة كقلاع الجبال ، أو دائرية مخروطية الشكل كأعشاش الساحل .

إلا أن جميع تلك المراكز المدنية بدأت تفقد شكلها وطابعها القديمين شيئا فشيئا ، بسبب اعتماد توسعها الحديث فى مادة بناء المساكن على الأسمنت المسلح والطوب الأسمنتى بشكل عام ، وبسبب أنها تأثرت بالتخطيطات والمشاريع الحكومية ، فاتخذت التمدد الأفقى والتخطيط الشبكى على امتداد الشوارع الجديدة التى تتقاطع بزوايا قوائم فى أغلب الأحيان .

وأهم التغيرات التى طرأت على مدن جنوب غرب المملكة ، هو تطور منطقة الأسواق التجارية في قلب المدينة القديمة ، حيث أخذت تتوسع على حساب المساحات السكنية ، وهذه بدأت تنتقل إلى أحياء سكنية جديدة تحيط بالأولى . وقد تركزت المبانى الحكومية في المنطقة الأولى ، ولو أن بعضها بنيت فى بعض الأحياء الخارجية لاسيما المدارس . وقد اقتضت الحاجة فى بعض هذه المدن إنشاء مناطق صناعية فى أحد أطرافها حتى تضم الورش والخدمات المهنية التى يفضل إبعاد ازعاجها أو تلويثها عن المدينة .

لقد سورت المقابر التى كانت تقع فى خارج المدن ثم أصبحت فى داخلها بعد تمدد تلك المدن . وقد أنشئت فى المدن حدائق خضراء (صورة رقم ٤) أو ساحات فارغة ، ومواقف للسيارات وملاعب . وتم تشجير بعض الشوارع ، وبدأ يظهر فيها مختلف الاستخدامات التى ترى فى المدن عادة . وتحولت إلى مدن متوسطة الحجم ، واعتمدت فى نموها وتطورها منذ البداية على استخدام السيارة .

وبعد أن كانت مدن هذا الاقليم تكتفى بمواردها المائية الضعيفة ، برزت الحاجة إلى إيجاد مشاريع مائية كانشاء سد وادى أبها ، أو حفر آبار ارتوازية ولو بعيدا عن المدينة وتوصيلها إليها وإنشاء شبكات التوزيع داخل المدن . وفى نفس

الوقت الذي برزت فيه حاجة ملحة إلى إنشاء الشوارع الحديثة « وزفلتتها » برزت الحاجة أيضا– وبالحاح – إلى تخطيط وانشاء شبكات التوزيع المدنية الأخرى كشبكات الكهرباء والتليفون والمجارى وتصريف مياه المطر ... واختلطت هذه الأعمال ببعضها وأعطت طابعا عاما لمدن جنوب غرب المملكة بأنها مجموعة ورشات موزعة فى كل الانحاء .

وفى حين أن سرعة نمو هذه المدن تختلف من مدينة إلى أخرى حسب أهمية الوظائف التى انيطت بها وحسب كثافة المشاريع التى تتم داخلها ، إلا أن انتشار وطريقة الحياة المدنية للسكان كحقيقة جغرافية تتم فيها جميعا بسرعة فى الوقت الحاضر . ولم يعد الطابع الريفى ظاهرا فيها بالرغم من أن قسما من سكانها مازال يمارس الزراعة ويعتمد عليها فى حياته .

وبعد أن كان سكان تلك المراكز لايشكلون ٣ ٪ من مجموع سكان هذا الاقليم ارتفعت نسبتهم حسب أرقام تعداد السكان لسنة ١٩٧٤ إلى ١٧ ٪ من المجموع ، وقد حسب ضمن هذا الرقم جميع مراكز الامارات الفرعية والتى لم يصل عدد سكان بعضها فى ذلك الوقت إلى ١٠٠٠ نسمة . وقد اعتبرت المدينة كل مركز ادارى سواء مركز إمارة أو مركز إمارة فرعية . وقد بلغ عددها حسب هذا التعريف ٤٦ مدينة .

ويحسن القاء نظرة سريعة على المدن التى زاد عدد سكانها عن ١٠٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤ م وهى مرتبة حسب حجمها فى ذلك الوقت (شكل رقم ٢٤) :

وثمة بعض الملاحظات على أرقام هذا الجدول وهى :

١ – بلغت نسبة سكان هذه المدن السبع ١١,٥٪ من مجموع سكان الأقليم . وهذا يعنى ان الاتجاه نحو التمدين مازال فى أول مراحله . وقد زادت هذه النسبة كثيرا خلال الفترة التالية لوقت التعداد .

٢ – بلغت نسبة الذكور فيها ٥٦ ٪ من مجموع سكانها ، وهى نسبة عالية جدا تدل على عظم قيامها بدور مركز الجذب السكانى لفئة الذكور ممن هم في سن العمل ، على عكس ما ابداه الأقليم ككل حيث ارتفعت فيه نسبة الاناث . وتتضح هذه الظاهرة فيها جميعا عدا مدينتى صبيا وابو عريش وهما ذواتا طابع ريفى تتبعان جيزان ولا تقومان بأى دور إدارى .

جدول رقم (٥)
مدن جنوب غرب المملكة فى ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤ م [١]

الرقم	اسم المدينة	عدد الذكور	عدد الأناث	المجموع
١	خميس مشيط	٢٨٩٥٨	١٩٢٣٩	٤٨١٩٧
٢	نجران	٢٥٢٠٦	١٧١٧٦	٤٢٣٨٢
٣	جيزان	١٧٦٦٥	١٥١٢٧	٣٢٧٩٢
٤	أبها	١٦٩٥٤	١٣٤٠٠	٣٠٣٥٤
٥	بيشة	٧٤٨٣	٦٥٥٧	١٤٠٤٠
٦	صبيا	٦٦٢١	٦٨٤١	١٣٤٦٢
٧	أبو عريش	٦٠١١	٦٢٦١	١٢٢٧٢
	المجموع	**١٠٨٧٩٨**	**٨٤٦٠١**	**١٩٣٣٩٩**

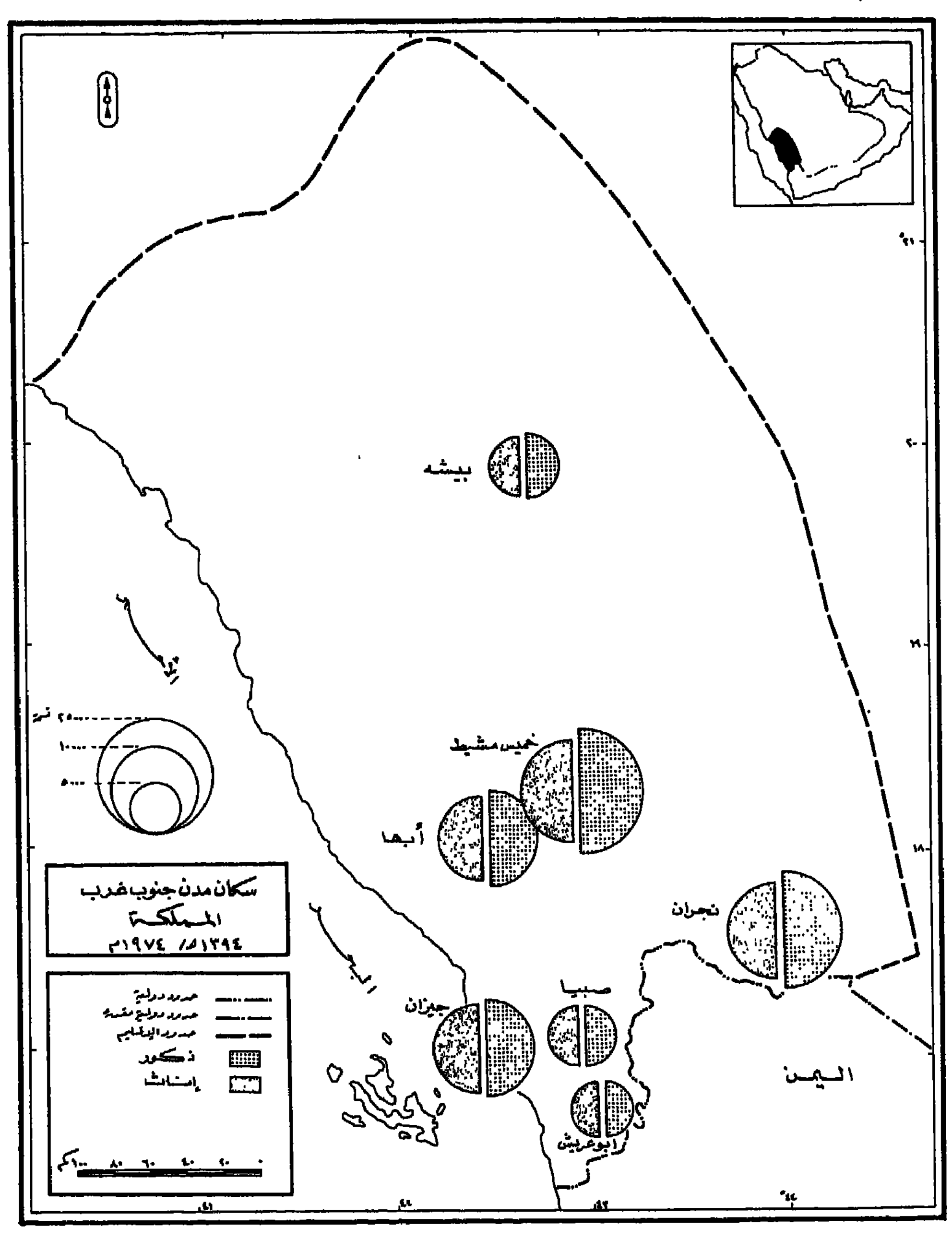
٣ - تضم مدينتا أبها وخميس مشيط - وتبعدان عن بعضهما ٣٠ كم ؛ ٤١ ٪ من مجموع سكان هذه المدن . وتتعرضان فى الوقت الحاضر لأسرع حركة تمدين فى المنطقة ، ولن يمضى طويل وقت حتى تتصلا ببعضهما وتتمددا فى الاتجاهات الأخرى وسيتكون منهما أول مجمع مدنى واسع فى الاقليم .

٤ - لم يذكر فيه أى مدينة من منطقة جنوب مكة ومنطقة الباحة ، وهما من المناطق التى مازال الطابع الريفى سائدا فيهما . وقد كان أكبر تجمع مدنى فيهما هو مدينة بلجراشى التى كانت قاعدة إقليم الباحة سابقا ، ويليها مدينة الباحة التى تكونت من تطور مدينتى الباحة والظفير وانتقل إليها المركز الإدارى للامارة . ولذلك يتعرض هذان المركزان لتطور سريع . ومن الجائز أن يكون قد بلغ كل منهما رقم ١٠٠٠٠ فى الوقت الحاضر .

---

(١) الأرقام مستخلصة من التعداد العام للسكان .

شكل (٢٤)



سكان مدن جنوب غرب
المملكة
١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م
بيشه
خميس مشيط
أبها
نجران
صبيا
جيزان
أبو عريش
اليمن
حدود دولية
حدود دولية مقترحة
حدود الإقليم
ذكور
إناث
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠كم

٨ - نشاط السكان الاقتصادى :

يشترك هذا الاقليم مع غيره من اقاليم المملكة بانخفاض نسبة العمالة لدى البالغين سن العمل ، إذ اتضح من حساب الأرقام الواردة فى احصاء السكان لسنة ١٩٧٤ م أن عدد المشتغلين ممن تزيد أعمارهم عن ١٢ سنة فى الامارات التى يتكون منها اقليم جنوب غرب المملكة ٤٤١٤٦٤ فردا وهذا يعادل ٤١ ٪ من مجموع افراد هذه الفئة فقط . ويعود ذلك إلى اختفاء عنصر النساء من سوق العمل نسبيا ، وعدم مساهمتهم بشكل فعال ، بدليل أن أرقام التعداد المشار إليه أوضحت وجود ما نسبته ٣٩ ٪ ممن تزيد أعمارهم عن ١٢ سنة كربّات بيوت ، أى أنهن لايمارسن عملا انتاجيا . ويساهم فى انخفاض النسبة كذلك ارتفاع عدد الطلبة والطالبات (فى المرحلة الاعدادية ومابعدها) . حيث وجد ٩ ٪ من أفراد تلك الفئة أدرجوا تحت اسم طلاب أو طالبات . ولم يدرج تحت عنوان العاجزين فعلا عن العمل أكثر من ٨ ٪ (١) ، ولم يتبق حسب هذه الأرقام للعاطلين عن العمل فعلا أكثر من ٣ ٪ .

يترتب على انخفاض نسبة العمالة ارتفاع نسبة الإعالة وضخامة ثقل التبعات الملقاة على كاهل أولئك القائمين بالعمل ، فإذا علمنا أن نسبة الإعالة قدرت بـ ٥ : ١ فهذا يعنى أن على الفرد العامل أن يعول خمسة أفراد بالمعدل ، ويترتب على ذلك انخفاض مستوى المعيشة . وتزداد المسألة تعقيدا اذا أدخلنا فى الحساب أن العمل كان يتم فى مختلف مجالات الانتاج بالطرق التقليدية المتوارثة منذ قرون ، والتى تتصف بانخفاض الإنتاجية . ولذلك فلا غرابة إذا وصف اقليم جنوب غرب المملكة فى الماضى بأنه إقليم الفقر والكفاف ، بالرغم من تفوقه وغناه بالموارد لاسيما فى مجال الانتاج الزراعى والثروة الحيوانية .

وقد أخذ هذا الاقليم - كمعظم أقاليم المملكة الأخرى - بالتغير الاقتصادى السريع منذ عشر أو خمس عشرة سنة ، متأثرا بالتحول الاقتصادى الشامل الذى طرأ على ظروف المملكة العربية السعودية كلها . ومازالت حركة التغير فى مراحلها الأولى وهى صاعدة فى مسارها بحيث تطال جميع فروع الانتاج ، ولو أنها تؤثر عليها بنسب مختلفة وبسرعات متباينة .

---

(١) حسب هذه الأرقام والنسب من نتائج التعداد العام للسكان .

إن حداثة حركة التغيير فى هذه المناطق لم تمكن من انجاز تغيير كامل فى تركيب الأهمية النسبية في مجالات فروع الانتاج حتى الآن ، بالرغم من بزوغ مجالات جديدة تندفع لتحتل مكان الصدارة ، وانطواء بعض المجالات حتى تكاد تنقرض . ومن ذلك مازال الانتاج الزراعى والحيوانى يحتلان المقام الأول ، فمن حيث مساحة الأرض الزراعية ومساحة المراعى بالقياس إلى نظيرتها بالمملكة و من حيث عدد القائمين على هاتين المهنتين بالقياس إلى مجمل العاملين ، ومن حيث مجمل الانتاج الزراعى والحيوانى إلى مجمل الانتاج ؛ من جميع هذه النواحى فإن هذا الأقليم يتصدر أقاليم المملكة الأخرى .

الإنتاج الزراعى :

بينت احصائيات سنة ١٩٧٤ م وجود ٢٨٦٧٠٢ فرد من الذين تتجاوز أعمارهم ١٢ سنة فى إمارات جنوب غرب المملكة يعملون فى القطاع الأولى ، الذى يتكون من الزراعة وتربية الحيوان والصيد والغابات ، وبلغ هذا الرقم ٧٢ ٪ من مجمل العاملين فعلا فى هذه المنطقة وقت اجراء الاحصاء . وهذا يبرر نعت هذا الاقليم بأنه إقليم « ريفى » . ويبدو من المفيد صياغة الجدول التالى المتعلق بنشاط العاملين :

جدول رقم (٦)

العاملون فى جنوب غرب المملكة حسب النشاط الاقتصادى سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م [1]

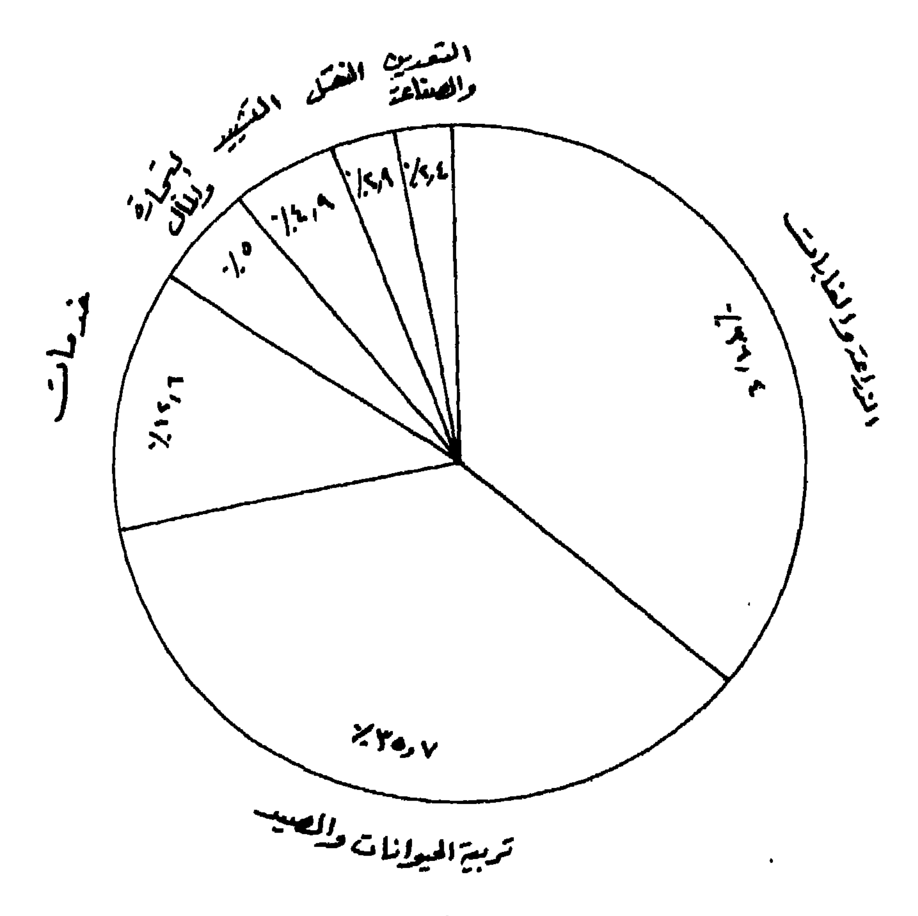
الرقم	النشاط	العدد	النسبة
١	الزراعة والغابات	١٤٧١٢٤	٣٦,٤
٢	تربية الحيوان والصيد	١٤٤٥٨٤	٣٥,٧
٣	التعدين والصناعة	٩٦٨٨	٢,٤
٤	التشييد	١٩٩٧٧	٤,٩
٥	التجارة والمال	٢٠٤٣٦	٥,٠
٦	النقل	١١٦٥٥	٢,٩
٧	الخدمات	٥٠٩٧٧	١٢,٦
	المجموع	٤٠٤٤٤١	٪١٠٠

(١) استخلصت هذه الأرقام من جداول النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان ، المجلدات الخاصة بالامارات الداخلة فى الاقليم ، وقد استثنيت منها حسابات سكان جنوب الطائف الواقعة ضمن هذا الاقليم لتعذر معرفتها ، كما استثنى العاطلون عن العمل ، وكذلك الذين لم توضح الاحصائيات نوع نشاطهم .

بلغت نسبة العاملين فى الزراعة وحدها كما هو واضح ٣٦,٤٪ من مجموع العاملين ، ولا يضم هذا الرقم سوى نحو ٢٥٥٠ من العاملين فى الغابات . غير أنه لايساوى سوى ١٥ ٪ ممن هم فى سن العمل أى ممن تزيد أعمارهم عن ١٢ سنة بسبب عدم مشاركة النساء والطلاب بشكل فعال فى سلك العمل كما سبق ذكره . والشكل (٢٥) يوضح دور الزراعة بالقياس إلى مجالات النشاط الاقتصادى الاخرى فى اتاحة فرص العمل .

وطبقا لطبيعة جنوب غرب المملكة نقسم الزراعة فيها إلى نوعين : الزراعة العثرية (على الأمطار) والزراعة المروية . وتوجد الأولى على السفوح الجبلية العالية والتى تواجه

شكل (٢٥)



الرياح الممطرة . أى تلك التى تستقبل كميات كافية من الأمطار تكفى للقيام بهذا النشاط ، اعتماداً على رطوبة التربة . ودون الحاجة إلى رى . وقد عمد الفلاحون منذ القدم إلى اقامة المدرجات الجبلية على السفوح لحفظ التربة من الانجراف وزيادة سمكها . وهذا يؤدى إلى زيادة كمية الرطوبة المختزنة في التربة نتيجة سقوط الأمطار . وقد زرعت هذه المناطق منتوجات المناطق المعتدلة والدافئة ، التى تكتفى بكميات محدودة من الطاقة الحرارية ومن الرطوبة مثل : القمح والشعير والذرة الشامية . كما زرعت بعض الأشجار المثمرة وفي مناطق محدودة جدا كاللوز والخوخ والرمان والعنب وغيرها ، وتنمو أشجار البن بشكل جيد فوق ارتفاعات معينة من السفوح الغربية من الجبال خاصة جبال تهامة كشدا وفيفا ، وكان يزرع القات في قليل من المناطق إلا أن زراعته انتهت الآن . كما اعتنى بعض الفلاحين بتربية النحل وانتاج العسل .

أما الزراعة المروية فتوجد فى أحواض الوديان التى تنحدر أصلا من المرتفعات الجبلية العالية التى تسقط عليها الأمطار ، وتنحدر منها بسبب طبيعة الصخور النارية التى لا يتسرب فى داخلها شيء من المياه ، وتحمل معها فتات التعرية حتى تجد لها متسعا من الأرض فتفرشه بالتربة الفيضية الخصيبة . ويتوافر هذا فى موضعين : الموضع الأول مجارى الوديان الوسطى حيثما يحصل اعتدال فى الميل ، أى حيثما تسمح طبوغرافية الارض وتركيب الصخور ومرحلة تطور التعرية فى الوديان ببناء مصاطب رسوبية على جوانبها ، حتى ولو كانت فى مناطق جبلية عالية أو متوسطة الارتفاع . ويتوقف سمك الرسوبيات فى المصاطب على العوامل السابقة ، بالاضافة إلى كمية المياه المارة فى الوديان وما تحمله معها من فتات التعرية . وكلما زاد سمك الرسوبيات فى بطون الأودية وفى مصاطبها زادت بالتالى امكانيات قيام القرى والمزارع عليها .

تعتمد الزراعة فى مجارى الوديان الوسطى فى الغالب على سحب مياه الفيضانات ببناء أقنية جانبية خاصة يطلق عليها محليا اسم « خلجان » ، واغراق المصاطب الرسوبية بعد تسويتها وتحويلها الى أحواض منفصلة بواسطة الجريان السيحى ولمدة كافية ، فتزرع الأرض بعد جفاف السطح ببعض أنواع الحبوب الخاصة بالمناطق المدارية ، أى تلك التى تحتاج الى طاقة حرارية ورطوبة اكثر من سابقتها مثل : الذرة والدخن والسمسم ، وقد تزرع بعض أنواع الاشجار المثمرة اذا أمكن الاعتماد على مورد ثابت للماء ، كالينابيع أو الآبار مثل : اشجار الموز والنخيل والرمان والخوخ وغيرها . أما القرى فتعتمد فى أغلب الأحيان على مياه الآبار التى تحفر فى رسوبيات تلك الوديان للتزود بماء الشرب .

الموضع الثانى : مجارى الوديان الدنيا كمناطق السهل الساحلى حيث يتوقف ميل الوديان حينما تخرج من المناطق الجبلية وتخف سرعة الجريان الى حد كبير ، فتعمل على التخلص مما تحمله من فتات التعرية فى المجارى ذاتها أو على جوانبها فى أوقات الفيضانات ، فتشكل سهولا رسوبية واسعة على شكل مخاريط انصباب ، أو على شكل دلتاوات تتقدم باتجاه البحر .

فكلما كانت الوديان كبيرة وعديدة الروافد ، وقادمة من مناطق أغزر بالمطر وأكثر ترددا ودواما ؛ كانت الفيضانات اكثر تكرارا ، وتحمل كميات أكبر من المياه والطمى ، زادت أهمية السهول التى تبنيها . أى تكون اكثر اتساعا ورسوبياتها أعظم سمكا ومياهها المختزنة فى باطنها أوفر كمية ؛ وبالتالى زادت امكانيات اخضاعها للعملية الزراعية . وهذا يفسر سبب اتساع مساحة الأرض المزروعة فى الساحل الجنوبى للمملكة على البحر الأحمر اى فى المجارى الدنيا للوديان مثل : خلَّب وجيزان وضمد وصبيا وبيش وغيرها ، بحيث تظهر وكأنها متصلة ببعضها مشكلة سهلا ساحليا خاضعا للإنتاج . فى حين تتناقص أهمية هذه السهول كلما اتجهنا شمالا وتصبح على شكل مساحات مقتصرة على نهايات الأودية وتفصلها عن بعضها أراض قاحلة جرداء . وتتناقص مساحات كل واحدة منها إجمالا فى ذلك الأتجاه حتى تتلاشى وتنتهى الأودية بدون سهول زراعية مثل وادى الغالّة ووادى سعية ووادى سعدية .

قامت الزراعة فى المجارى الدنيا للوديان على أسلوبين : الأول هو سحب مياه الفيضان إلى الحقول المجاورة وإغراقها بها فترة كافية لكى تمتص تربتها الرطوبة المطلوبة لتقوم عليها الزراعة ، كما يحصل فى مجارى الوديان الوسطى،وذلك إذا سمحت طبوغرافية الأرض وضمانة تكرر مياه الفيضان بذلك . والثانى حفر الآبارفى السهول الرسوبية للوصول إلى المياه الجوفية المختزنة من مياه الفيضان لتزويد القرى بمياه الشرب ولرى الحقول الزراعية . ويتم ذلك إذا توافرت مياه جوفية كبيرة وقادرة على اعطاء صبيب شبه ثابت من المياه المسحوبة . وقد زاد الاتجاه نحو الاعتماد على الآبار فى رى وتحويل الزراعة إلى زراعة مروية . (انظر شكل ١٣)

وقد تخصصت هذه المناطق أيضا لزراعة حبوب المناطق المدارية خاصة الذرة والدخن والسمسم حتى أصبحت تحتكر هذا النوع من الزراعة ، وهى الوحيدة فى المملكة التى يمكن زراعتها فى الموسمين الصيفى والشتوى بسبب مناخ السهول الساحلية الدافىء فى الشتاء .

قد نستشف من دراسة ومقارنة الإحصائيات الزراعية أو التقديرات العديدة المتعلقة بفترة الخمس عشرة سنة الماضية ، بالرغم من تناقض أرقامها ، حصول اتجاه عام يبدأ فى أواخر الستينات ويستمر فى اوائل السبعينات نحو تراجع مساحة الأرض المزروعة فى جنوب غرب المملكة بسبب عزوف الفلاحين عن الزراعة كما ذكرنا بنسبة تزيد عن قدوم بعضهم إلي إخضاع أرض جديدة للزراعة .

إذ يؤخذ من دراسة الشركات الاستشارية العاملة مع وزارة الزراعه أن إقليم جنوب غرب المملكة ضم فى سنة ١٩٦٨م نحو نصف مساحة الأرض المزروعة فى المملكة . لكن هذا النصيب تراجع حسب ارقام التعداد الزراعى الشامل لعام ٧٣/ ١٩٧٤ والذى أصدرته وزارة الزراعة فى سنة ١٩٧٧م ، وذلك باستثناء جنوب إمارة مكة إلى نحو ثلث المساحة الكلية فقط . وقد حصل أكبر تراجع فى مساحة الأرض الزراعية وقتها فى منطقة جيزان التى تراجعت عن المركز الأول الى المركز الخامس من بين مناطق المملكة ، وانخفض الرقم إلى نحو ثلث ما كان عليه سنة ١٩٦٨[١].

ومع ذلك فقد ساهم هذا الإقليم فى ذلك العام بإنتاج أكثر من ٩٠٪ من حاصلات المملكة من كل من الذرة ومن الدخن وبنحو ٨٠٪ من مجمل إنتاج الشعير ، ٢٥٪ من مجمل إنتاج القمح ، وساهمت أحواض الوديان : بيشة ورنيه وتربة ونجران بنسبة لا بأس بها من التمور .

ولكن يبدو كذلك أن الوضع بدأ يتغير فى النصف الثانى من السبعينات حيث تطور اتجاه نحو ارتفاع نصيب إقليم جنوب غرب المملكة من الأرض الزراعية كَمّاً ونسبةً من جديد . وقد ظهر هذا فى تصاعد مقدار المساحات المحصولية وتصاعد نسبتها وإنتاجها ، بفضل التشجيع الحكومى عن طريق القروض والإعانات وتنفيذ بعض المشاريع الزراعية ، خاصة وأن هذا الإقليم يتميز عن أقاليم المملكة الأخرى بتوافر إمكانيات التوسع الزراعى . ويلاحظ كذلك أن أكبر تقدم فى مساحة الأرض المزروعة حصل فى منطقة جيزان ذاتها حيث زادت بما لا يقل عن ثلاثة أمثال ما كانت عليه فى التاريخ السابق ، مما يوحى بضرورة افتراض وجود أخطاء فى أرقام سنة ٧٣/ ٧٤ لتفسير هذا الهبوط ثم الارتفاع الصارخين .

---

(١) انظر : وزارة الزراعة والمياه . نتائج التعداد الزراعى الشامل لعام ١٩٧٤/٧٣ . الجزء الأول . من عدة جداول .

ويمكن تتبع زيادة المساحة المحصولية فى الإقليم ومقارنتها مع المساحة المحصولية فى المملكة خلال ثلاثة أعوام متتالية من نهاية السبعينات .

جدول رقم (٧)

تقدير المساحة المحصولية فى جنوب غرب المملكة للفترة من سنة ٧٦ / ٧٧ إلى سنة ٧٨/٧٩ (١)

السنـــة	المساحة المحصولية فى الإقليم (٢)	المساحة المحصولية فى المملكة	النسبة
٧٦/ ١٩٧٧	٢٩٢٠٥١٠	٥٥٧٧٠٧٨	٥٢٪
٧٧/ ١٩٧٨	٣١٨٥٨٠١	٥٦٠٩٨٦٠	٥٧٪
٧٨/ ١٩٧٩	٣٥١٧٣٦٤	٦٠٨٦٥٢٥	٥٨٪

ويستفاد من هذه الأرقام وجود زيادة مستمرة فى المساحة المحصولية لسببين الأول : زيادة المساحة الخاضعة للزراعة فعلا ، أى التوسع الافقى والثانى التركيز ورفع مستوى الانتاج في المساحة الخاضعة للزراعة السابقة ، أى التوسع الرأسى . ولما كانت هذه الظروف – أى التوسع الافقى والتوسع الرأسى – غير متاحة فى أقاليم المملكة الاخرى بنفس القدر المتاح به فى هذا الاقاليم وجدنا ان النسبة أخذت ترتفع بانتظام .

وقد أنعكست أسبقية جنوب غرب المملكة فى المجال الزراعى في نسبة استقرار السكان وفى نسبة الريفيين بشكل عام ونسبة عدد القرى بالقياس الى مناطق المملكة الاخرى ، اذ يوجد فيه أكثر من ٧٧ ٪ من عدد المسميات السكانية فى المملكة فى وقت تعداد السكان ، والتى تتكون معظمها من القرى . فتنتشر القرى الزراعية الصغيرة والمتوسطة الاحجام على سفوح المرتفعات الجبلية العالية ، كقرى : سراة عبيدة وعسير والنماص أو زهران وبنى مالك أو جبل فيفا وشدا ، وتنتشر فى أحواض الوديان الداخلية والساحلية كقرى نجران وبيشة ورنية ، وقرى المخواه والحقو ومحايل ، وفى السهول الساحلية على مجاريها الدنيا كسهول جيزان والقنفذة والليث ، بالاضافة الى القرى الشاطئية التى تعيش على صيد الاسماك .

(١) مصلحة الإحصاءات العامة . الكتاب الإحصائى السنوى العدد ١٧ ص٤٨٩ .

(٢) لم يدخل ضمن هذه الأرقام مساحة الأراضى فى جنوب إمارة مكة لعدم التمكن من حسابها .

تربية الحيوانات :

من الجدير بالملاحظة ان الزراعة فى جنوب غرب المملكة من النوع الذى يطلق عليه : « الزراعة المختلطة » وتتصف بها الزراعة التقليدية فى العالم القديم ، وهى التي يمارس فيها الفلاح تربية الحيوانات فى حقله الزراعى اثناء قيامه بالاعمال الزراعية ، ويهدف من ذلك عدة اغراض ؛ فهو يعتمد على قسم منها فى الاعمال الزراعية — قبل استعمال الآلات كالابقار فى الحراثة والبغال والحمير والجمال فى النقل والتحميل . يربى قسماً منها للحصول على اللحوم والالبان أو الاصواف والأوبار والجلود ، ويحصل عن طريقها على جزء مكمل لدخل الزراعة . ووجود الحيوانات فى المزارع التقليدية ضرورى للحصول على فضلاتها واستعمالها كأسمدة طبيعية لإكساب الأرض الخصوبة ، أو لإعادة الخصوبة اليها ، قبل وبعد استعمال الأسمدة الكيماوية . وتربية الحيوانات فى المزارع لا تكلف شيئا لانها تعيش على الفضلات النباتية والأعشاب ، وحتى لو عاشت على الأعلاف المزروعة فهى متوافرة أو يمكن توفيرها .

وفى كثير من الحالات يوكل أهل القرى أحد الأفراد أو بعضهم للاهتمام بحيواناتهم ورعايتها فى البرارى بعيدا عن الأرض الزراعية ، فيسرح أو يسرحون بها يوميا من القرية إلى السفوح الجبلية المعشبة القريبة للقرية أو التابعة لديرة القبيلة ، ويختص هذا النوع من الرعاية بالأغنام والماعز ، وقد يكون بالأبقار فى بعض المناطق الجبلية الغنية بالأعشاب . وتترك القرى أو بعض القبائل مساحات من السفوح المعشبة كحمى يحرم رعيها إلا فى حالات معينة وبشكل جماعى ، كالالتجاء إليها فى سنى القحط والجفاف .

ومع ذلك فإن القسم الأكبر من الثروة الحيوانية يمارس تربيتها البدو الرحل غير المستقرين بطريقة تقليدية كما توارثوها عن أجدادهم منذ آلاف السنين ، وقد اختصوا بها دون أن يقوموا بأي عمل آخر . فيتوزعون قبائل وأفخاذا وفروعا ويتنقلون من مكان إلى آخر ، ولكن ضمن حدود معينة لايتخطونها ، هى حدود الديرة التى تخصهم . ولا يتحكم فى تلك الحركة سوى توفر العشب والماء حسب نظم وتقاليد لايخرجون عنها . وتتبع كل ديرة حاضرة معينة يعود إليها البدو فى حالة تبادل المنتوجات ، ويعقدون صلات معينة بالمستقرين في تلك الحواضر . أهمها الصلات التجارية .

وأهم الحيوانات التى يعتنون بها الجمال ، ولكن قد تكون الأغنام والماعز من حيث العدد . وتحتل الماعز المقام الأول في المناطق الجبلية ، ولكن الأغنام مهمة فى أكثر

المناطق . ويتواجد الرعاة بكثرة فى الهضاب والسفوح الجبلية شبه الجافة والتى لاتصلح للزراعة ، ولكنها قد تكون بالقرب من المناطق الزراعية . وفى أغلب الأحيان فإنهم يمتون بصلة من النسب لأولئك الزراع المجاورين لهم ، بل أن الزراع هم الذين هجروا حياة البدو واستقروا فى المناطق التى تصلح للاستقرار داخل ديرة القبيلة الواحدة ، فانقسمت القبيلة إلى قسمين : قسم من الحاضرة وقسم من البادية . ومن الأمثلة على ذلك بادية قحطان وبادية شهران ، وبيشة وغامد والبقوم وغيرها .

يتضح من أرقام الجدول رقم (٦) أن العاملين فى تربية الحيوانات بلغوا فى جنوب المملكة ٣٥,٥٪ من مجمل العاملين فعلا فى وقت التعداد ، لأن العاملين فى الصيد وقتئذ والداخلين ضمن العدد لم يبلغوا ٠,٢٪ وهذا يجعل فئة العاملين في تربية الحيوان لا تقل شأنا — من ناحية الكم على الأقل — عن العاملين فى الزراعة (شكل ٢٥) .

ولكن بالرغم من أنه ليس من المنتظر أن يكون قد تناقص عددهم فى الفترة التالية للتعداد ، إلا أنه من المنتظر أن نسبتهم إلى مجمل العاملين تكون قد انخفضت كثيرا بسبب أن جلّ الزيادة التى حققها السكان اتجهت للقيام بالأعمال المدنية وللعمل فى مناطق المشاريع . علاوة على أن العديد من البدو هجروا حياة البداوة وأن العديد من المزارعين تركوا مزارعهم لاسيما فى مناطق الزراعة المطرية أو زراعة الحياض للالتحاق بتلك الأعمال المدنية .

مجالات الانتاج الأخرى :

وفيما عدا العاملين في الزراعة وتربية الحيوانات ، فإن مجمل باقى العاملين في جنوب غرب المملكة لايبلغون حسبما ورد فى الجدول رقم (٦) ٢٨٪ من المجموع رغم تعدد النشاطات واختلافاتها . ومن المؤكد انهم كانوا يشكلون فئة أكثر ضآلة منذ ربع قرن ، إلا أن الوقت كان — من دون شك — فى عهد النهضة الاقتصادية الحديثة فى صالحهم . فتزايدوا —كماً ونسبةً— حتى بلغوا مابلغوه ، وهم فى سبيلهم إلى الزيادة بانتظام .

ومن أهم النشاطات التى تعرضت للتغير السريع هى الفئة التى ادرجناها تحت اسم **الخدمات** مع العلم أنها ايضا تضم نشاطات مختلفة منها : الخدمات الخاصة والشخصية وبعض الخدمات المهنية ، والخدمات الحكومية كالوظائف والخدمات التعليمية والطبية والاجتماعية وغيرها . وقد انتشرت هذه الخدمات على نطاق كبير فى مراكز تجمع

السكان كالمدن ، وفى مناطق تركز المشاريع . وقد بلغ عدد أفراد الفئة وحدها نحو ٥١٠٠٠ فرد في سنة ١٩٧٤ م أى مايقرب من ١٣٪ من مجمل العاملين ولا يستبعد أن يكون قد تضاعف هذا العدد الآن أو اقترب من ذلك .

ومن أهم النشاطات القديمة والتى نالت اهتماما أكبر وتقدما عظيما هو مجال **التجارة والمال** ، بسبب ارتباط نموها بنمو النشاطات الأخرى عامة . نشأت التجارة فى المواقع المستقرة ، وتركزت فى المدن ، فتوسعت من أجلها الأسواق ، ونشأت المؤسسات والشركات التى تقوم بالمبادلات التجارية مع الخارج ، وجذبت وكالات للشركات الأجنبية الكبرى ، فهيأت من فرص العمل مابلغ ٥٪ من جموع الفرص فى وقت التعداد المذكور .

ومن النشاطات القديمة الهامة غير مجال التجارة والمال مجال **التشييد والبناء** وكان يتمثل بالعاملين ببناء البيوت فى مختلف المناطق مهما اختلفت أساليبها . غير أن نمو السكان ورفع مستوى المعيشة والاتجاه نحو التمدن قد ضاعف من عدد وأهمية العاملين في هذا المجال . وقد ساهمت المشاريع الإنشائية الكبيرة ومعظمها مشاريع حكومية — لاسيما مشاريع الطرق وبناء المطارات والموانىء ، وتشييد المباني الحكومية كالمستشفيات والمدارس والدوائر الحكومية وتنظيم الشوارع والأحياء من قبل البلديات والمشاريع الخاصة — فى ايجاد فرص عمل كثيرة أمام المهندسين والإداريين والعمال الفنيين وغير الفنيين ، بحيث بلغ عدد العاملين فى هذه المجالات حسب أرقام الجدول رقم (٦) نحو ٢٠٠٠٠ فرد أى مايقرب من عدد العاملين فى التجارة .

أما المدن والحواضر فكانت من السابق تمثل مراكز أساسية **للمهن اليدوية** القديمة ، وكانت تشغل نسبة كبيرة من سكانها . فتزودها وتزود المناطق المحيطة بها بالسلع المصنوعة محليا خاصة فى عهد الاكتفاء القديم ، وقبل الانفتاح على استيراد البضائع المصنوعة فى الخارج . ومن تلك المهن : صنع الأدوات الزراعية ، والصناعات الخشبية والقشية ، ودباغة الجلود والصناعات الجلدية ، وصناعة الفحم والقطران وزيت الخشب وبعض الصناعات المعدنية .

فإذا أضفنا إلى هؤلاء العاملين فى بعض الصناعات الاستهلاكية التى ظهرت مؤخرا ، وفى تصليح السيارات والآلات الحديثة والأدوات الكهربائية وكذلك العاملون فى مجال الكهرباء والماء والغاز ، يرتفع عددهم حسب ارقام تعداد السكان المذكور إلى مايقرب

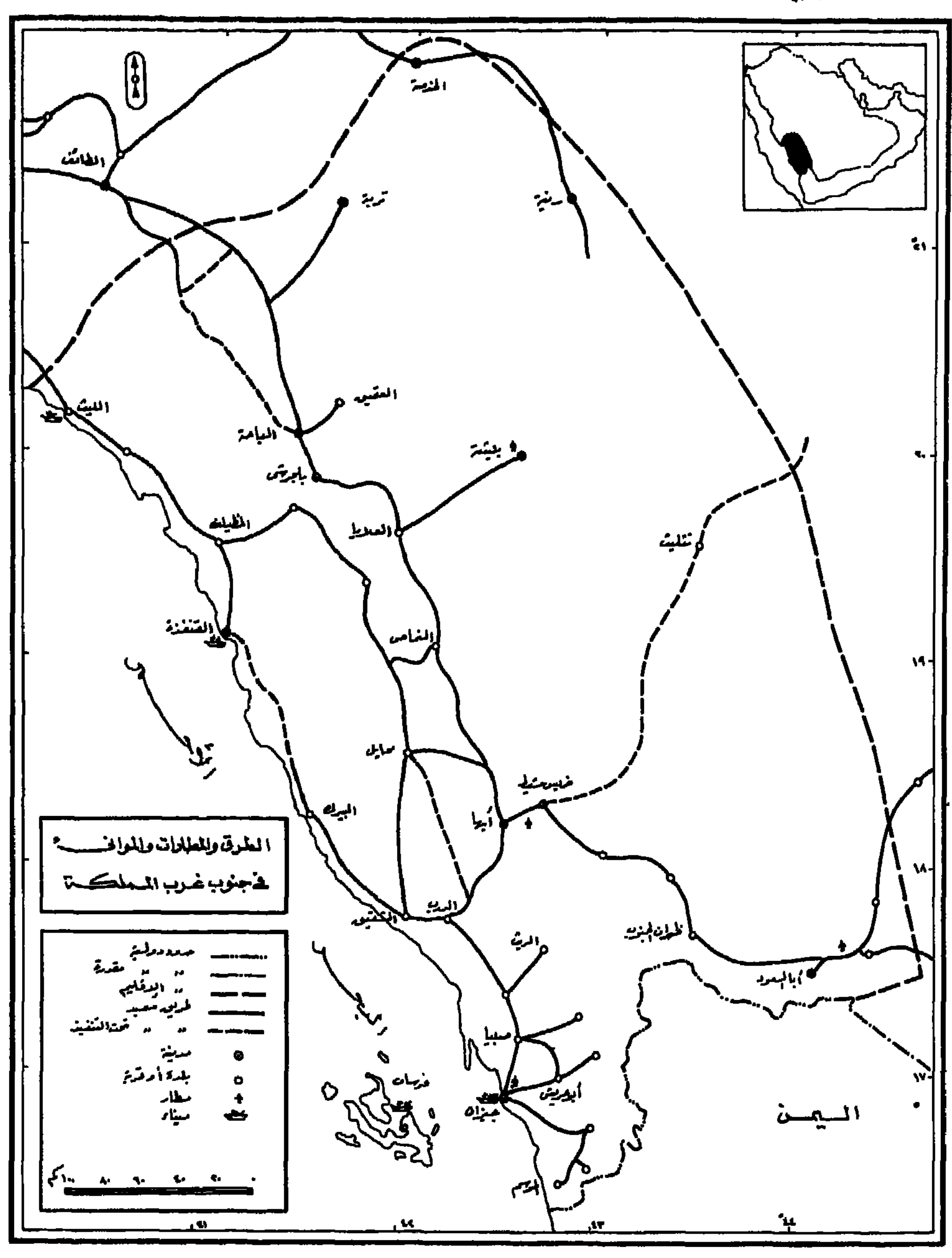
من عشرة آلاف فرد ، ويقل هذا عن ٢,٥٪ من مجمل العاملين فى هذه المنطقة . ومن المنتظر أيضا أن يكون عددهم قد تضاعف الآن .

ونظرا لوجود أربعة مطارات حديثة في جنوب غرب المملكة (فى جيزان وأبها ونجران والعقيق) ، ووجود أربعة موانىء أحدها من الموانى الهامة التى لها اتصالات خارجية والتى تعرضت لحركة توسعة وتشييد جديدة هو جيزان . أما الموانىء الصغيرة التى درست جدوى توسعتها - وكانت تخدم عمليات الصيد بالدرجة الأولى - فهى القنفذه والليث وفرسان . ونظرا لانشاء شبكة واسعة من الطرق البرية المزفلتة شملت المنطقة بكاملها وربطت أجزاءها بعضها ببعض ، وهى فى حالة توسع وتحسن مستمرين (شكل ٢٦) ، فقد زادت فرص العمل فى **مجال النقل** حتى بلغت نسبة العاملين بها ما يقرب من ٣٪ من المجموع وقد زادت - بالتأكيد - هذه الفرص خلال السنوات التسع التالية للتعداد .

ومن مجالات الانتاج التى اعتمد عليها قسم من سكان القرى والبلدات الشاطئية **صيد الأسماك** ، ولو أن الصيد كان ومازال يتم - فى الغالب بالطرق التقليدية ، ويسوق انتاجه محليا ، وينقل القليل منه إلى مناطق أبعد إلى الداخل . ومن مناطق الصيد الرئيسية فى شاطىء هذا الاقليم : جيزان والقحمة والبرك والقنفذة والليث وجزائر فرسان . ولكن لم يتجاوز عدد القائمين بأعمال الصيد فيها ١٤٠٠ فرد فى سنة ١٩٧٤ م ولا يتوقع أن يكون قد ارتفع كثيرا بعدئذ .

كان لمهنة الغوص فى فرسان وفى بعض المواقع الأخرى أهمية كبيرة في السنين الغابرة ، إلا أن هذه المهنة اتجهت إلى الانقراض من هذه المنطقة بسبب المخاطر الشديدة التى كان يتعرض لها الغواصون مقابل دخل ضئيل ويكون فى أغلب الأحيان لصالح التجار والممولين .

شكل (٢٦)


الطرق والمطارات والموانئ
في جنوب غرب المملكة
حدود دولية
" " مقدرة
" " الأقاليم
طريق معبد
" " تحت التنفيذ
مدينة
بلدة أو قرية
مطار
ميناء
كم
الطائف
تربة
رنية
الليث
العقيق
الباحة
بلجرشي
بيشة
القنفذة
تثليث
النماص
محايل
أبها
خميس مشيط
البرك
الشقيق
الدرب
صبيا
أبو عريش
جيزان
فرسان
ظهران الجنوب
اليمن

البـــاب الثانـــى

الفصل الرابع : منطقة جيزان
الفصل الخامس : منطقة القنفذة
الفصل السادس : منطقة سروات عسير
الفصل السابع : منطقة سروات الحجاز
الفصل الثامن : منطقة نجران
الفصل التاسع : حوض وادى تثليث
الفصل العاشر : حوض وادى بيشة
الفصل الحادى عشر : منطقة الحرات البركانية في هضبة الحجاز الجنوبي .

البــاب الثانــى

أقاليم جنوب غرب المملكة

رأينا فيما سبق أن هناك من الأسباب ماحملنا على رسم حدود إقليم جنوب غرب المملكة على اعتباره وحدة جغرافية واحدة ،. ولايعنى هذا بحال من الأحوال تجانس هذا الإقليم الواسع الذى تبلغ مساحته نحو ١٥٢٠٠٠ كم٢ تجانسا كاملا ، فهو يضم وحدات عديدة تختلف فى خصائصها الطبيعية ، وفى حياة سكانها ونشاطهم من وحدة إلى أخرى . وأن وضعنا إياه فى اقليم واحد لاينفى أن سكانه يتباينون في العادات والتقاليد وفى اللهجة وفى أسلوب المعيشة وفى النظرة إلى الحياة .

وفى كثير من الحالات تبدو الظروف الطبيعية واضحة التأثير فى ذلك الاختلاف ، فحياة البدو أو مزارعى الجبال أو مزارعى رى الحياض أو صيادي الشواطىء على سبيل المثال متأثرة إلى حد كبير بالظروف الطبيعية لكل منهم . ومع ذلك فإن العلاقات الوشيجة بين الفئات المختلفة لم تنقطع خلال الزمن الماضى ، سواء كانت علاقات إيجابية أم سلبية . وكان ينتج باستمرار عن تلك العلاقات تأثيرات متبادلة مختلفة بينهم .

يتعلق الاختلاف الإقليمى فى حالات أخرى بصورة أوضح بالحضارة البشرية أكثر مما يتعلق بالبيئة الطبيعية . ولما كانت الأرض والبيئة تتغيران ببطء شديد ، فإن حركة السكان وتفاعلهم مع البيئة ، وتغير مسارح نشاطهم ، وتطوير معرفتهم بطرق استثمارهم لموارد الأرض ، تحدث باستمرار تغييرا كافيا في جغرافية الأقاليم .

لقد مضى على احتلال الانسان لاقليم جنوب غرب المملكة آلاف السنين ، وتناوبت عليه شعوب وقبائل عديدة . لم يجمعه خلالها بحدوده المشار اليها وحدة سياسية واحدة ، رغم أنه عرف أنواعا من الحدود الادارية ، بل وأنواعا أخرى من التقسيمات الادارية ، كانت تتغير حدودها بتغير الأزمان والشعوب دون أن يترك هذا التغيير أثراً واضحا فى حياة سكان أجزاء هذا الاقليم بعضها بالنسبة للبعض الآخر .

ولما كانت الجغرافيا الاقليمية تربط بطبيعة محتواها وأسلوب بحثها المعطيات من العلوم الطبيعية مع تلك من العلوم الاجتماعية ، وهى النظام المنطقى المؤهل لمعالجة الأقاليم ، فهى لا ترى فى الاقليم تضاريسه أو مناخه أو نباته ، أو مجتمعات سكانه أو نشاطهم الاقتصادى وحضارتهم ، كل على حدة ، بل أنها تجمع وتركب هذه العوامل جميعا . أى أنها ترى الإقليم فى كليته . لاتدرس العناصر الفاعلة مجردة ، ولكنها تنظر إلى نتائج تفاعلاتها والعلاقات الناتجة عن ذلك التفاعل .

ومثلما صار لزاما علينا عدم التقيد بحدود الوحدات الطبيعية طبقا لأحد أو بعض العوامل الطبيعية ، صار لزاما علينا كذلك أن لانتقيد بالوحدات الإدارية الفرعية في تقسيم هذا الإقليم ، ولو أننا سنحاول باستمرار الاستفادة من التقسيمات الإدارية ما أمكن فى الحصول على المعلومات الرقمية أو الإحصائية ، لأن تلك المعلومات لا تتوافر عادة إلا ضمن الحدود الإدارية السائدة . وذلك لإعطاء صورة حقيقية عامة للأوضاع الراهنة لأجزاء هذا الاقليم المختلفة . فالاستفادة من المعلومات الإحصائية تقود إلى تقديرات أسلم لما سيحصل فى المستقبل ؛ وبالتالى يمكننا أن نتصور وضعا أمثل لما يجب أن يكون عليه الاقليم .

نشعر أن دراسة اقليم جنوب غرب المملكة يمكن أن يفهم بصورة أوضح إذا اتبع في تقسيمه إلى أقاليم فرعية أسلوب الأقاليم المتجانسة ، أي الأسلوب الذي يقسم الاقليم الكلي بحيث يحتفظ كل أقليم فرعي بعدد من عوامل التجانس مهما امتدت مساحته . ويحوى الاقليم المتجانس منطقة محورية أو بؤرية تحيط وترتبط بها مناطق الأطراف بخطوط التوزيع . وتختلف المنطقة المحورية فى خصائصها التفصيلية عن المناطق المحورية المجاورة ، بحيث تقارن الصفات الاقليمية بوضوح فيما بين المناطق المحورية . وتبهت هذه الخصائص المميزة شيئا فشيئا كلما ابتعدنا من المناطق المحورية باتجاه الأطراف .

وقد قادتنا دراستنا لجنوب غرب المملكة أن خير ما يمثل المناطق المحورية فيها هو أحواض التصريف المائى التى تلتقى فيها مؤثرات عوامل البيئة الطبيعية وتقوم بدور محصلة تفاعلها في المكان . ولذلك وجد أن توزيع القبائل وانماط السكان كان – ومازال – مرتبطا بتلك الوديان . وأن أهم تغير طرأ على حياتهم أو أنماط معيشتهم نتج عن هجرهم « ديرهم » واستبدالهم أحواض وديان بأخرى . سواء حصلت الهجرة بفعل هروبهم من ضغط يفوق طاقتهم أو بسبب قوتهم وسيطرتهم على ديرة جديدة تضاف إلى ديرتهم ،

وبالتالي قد تتغير طرز حياتهم ، فيتحولون إلى الإستقرار أو يعودون إلى حياة البداوة وما إلى ذلك .

ومن هنا كان تقسيمنا للأقاليم الفرعية في جنوب غرب المملكة متأثرا إلى درجة كبيرة بتوزيع أحواض الوديان . ولكننا نستدرك ونقول : إننا لن نهمل العوامل الأخرى في نفس الوقت ، بل سنحاول التوفيق بين تلك العوامل ، خاصة تلك التى يظهر أثرها بجلاء كالحدود الإدارية التى توفر لنا المعلومات الرقمية فى كثير من الأحيان .

وطبقا للاعتبارات المختلفة المشار إليها أعلاه نجد من المناسب تمييز المناطق التى تقع ضمن حوض البحر الأحمر حتى ولو كانت لها صلات أخرى كالصلات البشرية أو الإدارية مع المناطق الأخرى . وكذلك المناطق التى تقع فى جبال السروات العالية ، وتلك التى تقع فى الهضبة الشرقية ، أى في أحواض الوديان الداخلية . ونظرا لامتداد الاقليم على مايزيد عن ٤ درجات عرضية ، أو أكثر من ٥٠٠ كم شمال جنوب فكان لابد من تقسيم كل منطقة من هذه المناطق عدة أقسام فرعية أخرى .

وباختصار وجدنا من المناسب تقسيم إقليم جنوب غرب المملكة إلى ثمانية أقسام فرعية تشكل كل واحدة منها منطقة جغرافية تتميز عن غيرها . وقد حاولنا تمييز كل منها باطلاق أسماء أبرز المواقع المحورية لكل منها ، وهذا يقودنا إلى التنبيه منذ البداية على أن تلك الأسماء لاتعنى التقيد بما تتطلبه مفاهيمها الإدارية الحالية أو معناها الموضعى الضيق ، بل أنها تعنى مناطق جغرافية معينة سنعمد إلى تحديد مواقعها ومساحاتها فى مواضعها : هذه المناطق الثمانى هى التالية (شكل ٢٧) .

١ – منطقة جيزان
٢ – منطقة القنفذة
٣ – منطقة سروات عسير
٤ – منطقة سروات الحجاز
٥ – منطقة نجران
٦ – حوض وادى تثليث
٧ – حوض وادى بيشة
٨ – منطقة الحرات البركانية

شكل (٢٧)

تقسيم إقليم جنوب غرب المملكة إلى مناطق جغرافية

حدود دولية	ـ ـ ـ ـ
" " معتمدة	ـ . ـ . ـ
" الأقاليم	ــــ
" المناطق	━━━

١٠٠ كم ٨٠ ٦٠ ٤٠ ٢٠ ٠

تربه
منطقة الحرات البركانية
حوض وادي بيشة
بيشة
الباحة
منطقة القنفذة
القنفذة
تثليث
منطقة نجران
أبها
منطقة جيزان
جيزان
أبا السعود
اليمن

الفصــــل الرابــع

منطقة جيزان

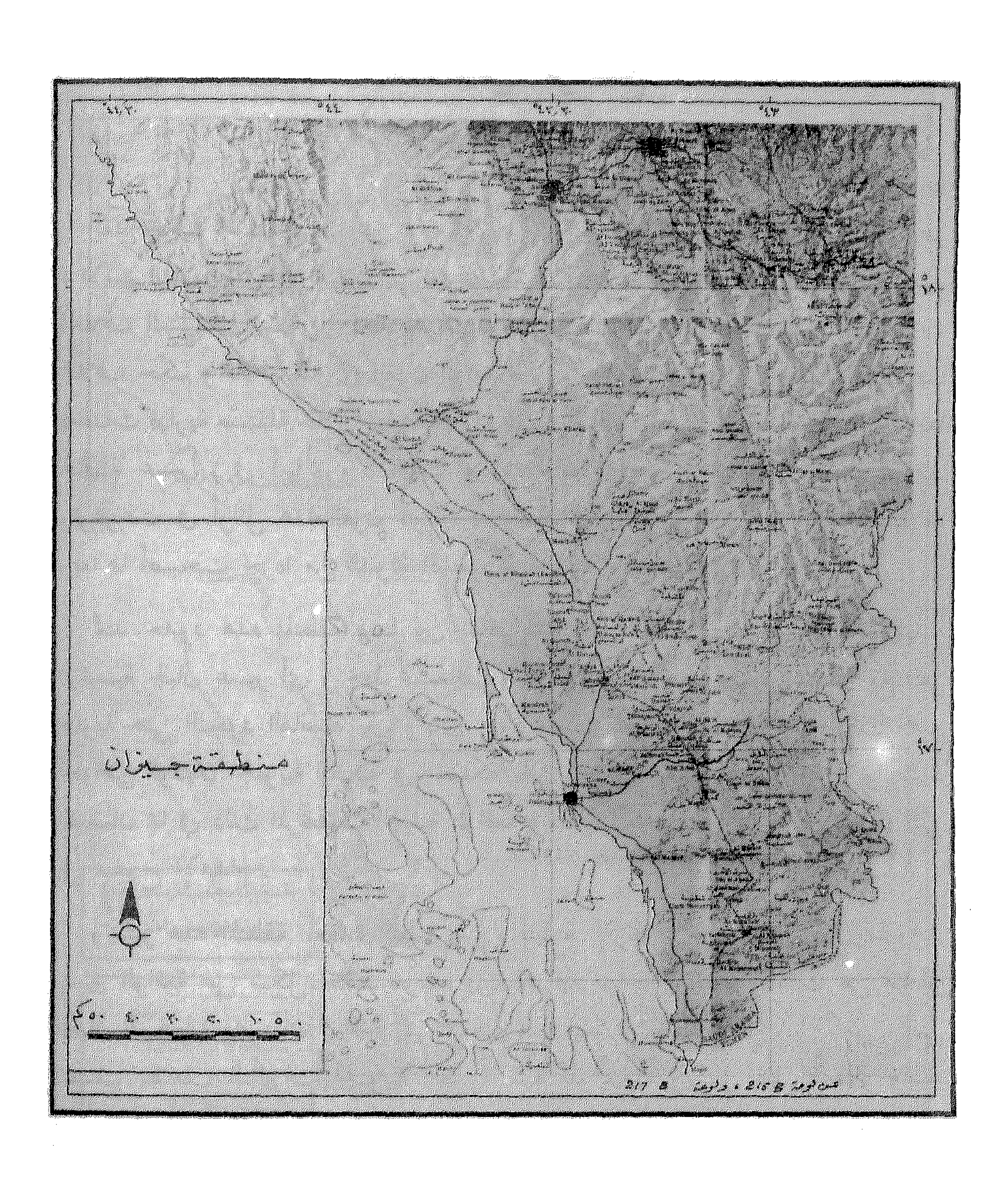
لقد تحرف اسم جيزان عن « جازان » المذكور فى الأدب القديم ، وجازان هو « الاسم الذي يطلق على البلاد التي مدينة جازان قاعدتها الادارية ، وكانت تعرف باسم المخلاف السليمانى نسبة إلى أحد أمرائها وهو سليمان ابن طرف الحكمى الذى وحد مخلاف حكم ومخلاف عثر فى القرن الرابع الهجرى تحت امارته (١) . وقد تشكلت فيها وحدات ادارية مستقلة خلال التاريخ ، وحكمها العثمانيون فترة طويلة حيث كانت تابعة لمحافظة عسير (فى أبها) وكان فيها ميناء المحافظة (ميناء جيزان) . ونشأت فيها وترعرعت فى أوائل هذا القرن دولة الأدارسة التى اتخذت من بلدة صبيا قاعدة لها وبعدها أصبحت جزءا من الدولة السعودية الحديثة منذ سنة ١٩٣٢ م .

تمتد حدود هذه المنطقة فيما بين شاطىء البحر الأحمر غربا حتى حافة الانهدام الرئيسية لجبال عسير أى (خط الشعاف) شرقا ، ومن خط حدود المملكة مع اليمن جنوبا حتى النجود الفاصلة بين وادي عِتوِد ووادى حَلى شمالا . وتضم بذلك جميع أحواض الوديان الجنوبية الغربية في المملكة تلك الوديان الغنية بمياهها الجارية والكثيرة الفيضان بما في ذلك المرتفعات الجبلية الواقعة فيما بينها وحتى مناطق « الأصدار » التى تلى سفوح الإنهدام .

وتتميز هذه المنطقة المعقدة التضاريس والمتباينة الإرتفاع عن مناطق جبال سروات عسير الواقعة على شكل حائط مرتفع إلى الشرق منها . كما تتميز كذلك عن مناطق الجبال الساحلية والوديان الواقعة إلى الشمال منها فيما يلى خط عرض ١٨ ° ش ، التى تتصف بضعف التأثيرات الجنوبية الغربية شبه الموسمية ، وبالتالى قلة الأمطار والمياه الجارية فى الوديان وندرة الفيضانات وصغر مساحة الرقع الزراعية وتباعدها بعضها عن بعض واتخاذها الصفات الواحية .

---

(١) محمد أحمد العقيلى – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية مقاطعة جيزان . ص١٤ .


منطقة جيزان
٠ ٥ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ كم
عن لوحة B 215 ، ولوحة B 217

تعتبر جيزان أهم منطقة ريفية فى المملكة العربية السعودية ، فهى لاتحوى على أكبر مساحة من الأرض الزراعية فى المملكة فحسب ؛ بل أن المساحات الزراعية تمتد فيها بدون انقطاع على مسافات كبيرة أكثر من أى مكان آخر . وقد نتج عن ذلك أنها تحتل المرتبة ؛ الأولى فى كثافة الزراعة وبالتالى فى كثافة السكان ، أى عدد السكان في وحدة المساحة ، وأن معظم السكان يعملون إما فى الزراعة أو فى مهن تتعلق بالزراعة . ولها تاريخ حضارى طويل ، فقد عرفت الانتاج الزراعى منذ أقدم العصور ، وكانت فى نفس الوقت معبرا وممرا لطرق القوافل المتجهة شمالا وجنوبا ، وزادت هذه الأهمية بعد الإسلام بالنسبة لحجاج اليمن .

تأثرت هذه المنطقة من مجاورتها للبحر الأحمر ؛ فمن ناحيةٍ استفاد سكان المناطق الشاطئية من الفعاليات التى يوفرها البحر عادة : كالصيد والغوص والملاحة . غير أن طبيعة البحر الأحمر التى ساعدت على انتشار الشعاب المرجانية على طول خط الشاطىء وحول الجزر قد أعاقت وجود المرافىء الطبيعية ، فكانت المرافىء نادرة متباعدة صغيرة الحجم . ومع ذلك فقد كانت لها صلات قوية منذ القدم مع الشعوب التى تقع على الجانب الآخر من البحر ، ومع الشعوب الساحلية الأخرى بعيدا عنه مثل : الأحباش والدناكل وشعوب شرق افريقيا إلى جانب علاقاتها القوية مع سكان اليمن بحكم مجاورتها لها .

وتأثرت المنطقة كذلك من مجاورتها للجبال من ناحية أخرى ، حيث تسقط عليها أمطار غزيرة ، فتجرى المياه الناتجة عنها في الوديان المنحدرة منها محملة برسوبيات التعرية ، إلى أن تنتهي إلى أحواضها الدنيا حيث يقل الانحدار ، فتبنى فيها تربة خصبة وتزودها بمياه الفيضان ، فتوفرت فيها مساحات واسعة قابلة للانتاج الزراعى .

البيئة الطبيعية في جيزان :

تتصف جيزان بأنها مناطق جبال وسهول ساحلية ، جرداء في قسم منها ، خضراء يانعة في قسمها الآخر ، تربتها قليلة السمك لا سيما فى الجبال التى تفصلها عن بعضها وديان شديدة العمق متعرجة ، تتسع حينما تعبر السهل فتكون أحواضا طموية عميقة . ويتكون باقى السهل من مناطق رملية قاحلة ، أو سباخ مالحة ، تعمل الرطوبة والحرارة العاليتان فيها على قسوة الحياة .

وبحر جيزان غنى بالأحياء المائية خاصة الأسماك . وتنتشر على طول شواطئها الشعاب والأرصفة والجزائر المرجانية بحيث حرمتها من كثرة المرافىء الطبيعية . ويتواجد فى الأحواض الضحلة بين الشعاب مغاصات أصداف اللؤلؤ ، كما يتواجد على شواطئها محاجر الملح الصخرى وفى سبخاتها ملح الزهر .

مظاهر السطح :

يوجد في جيزان نوعان من التضاريس ، السهول والجبال :

أ- أما السهل فهو شريط منبسط من الأرض يمتد بمحاذاة شاطىء البحر الذي يتجه من شمال الشمال الغربى إلى جنوب الجنوب الشرقى مسافة تبلغ نحو ٢٧٠ كم ، وذلك من جنوب وادى حَلى حتى الحدود اليمنية . ويختلف عرض السهل ، ولو أنه يتزايد بشكل إجمالى باتجاه الجنوب حتى يصل إلى ٤٠ أو ٤٥ كم .

يرتفع السهل تدريجيا من البحر باتجاه الداخل ، وتعترضه احيانا تلال قليلة الإرتفاع ولذلك فهو قليل الإنحدار شبه مستو ، حيث أن المناطق التى تزيد ارتفاعاتها عن مائة متر عن سطح البحر نادرة ، والسطوح الشديدة الانحدار قليلة ، تقتصر على القباب الملحية الشاطئية في جيزان ، أو البراكين الحديثة في صبيا وأبو عريش أو القحمة والبرك .

ومع أن السهل الساحلى الجيزانى يتكون مثل سهول البحر الأحمر من صخور الزمن الرابع وتظهر صخور الزمن الثالث كأشرطة ضيقة - أحيانا - عند نهاية السهل الساحلى فى الشرق ، إلا أنه يمكننا تمييز ثلاثة مظاهر أرضية متباينة فى السهل هى الأحواض الدنيا للوديان ، والخبت والسبخات :

فالأحواض الدنيا للوديان المنحدرة من مناطق الجبال هى عبارة عن سهول فيضية واسعة بنتها تلك الوديان من ترسيب مفتتات التعرية ؛ وتتكون من الرمل والطين والحصى غير مميز بعضها عن بعض بشكل واضح . وقد نشأت فى الأصل من رواسب مراوح انصباب الأودية بعد أن يقل الانحدار ، أو من رواسب مصاطب تلك الأودية . وقد امتدت باتجاه البحر ، إذ عمل بعضها على تشكيل دالات متقدمة كأنها دالات الانهار .

أما الخبت فيشكل معظم مساحة السهل ويتكون من مفتتات مفككة يغلب عليها الرمل ، وقد ثبتتها النباتات العشبية المتفرقة بفعل رطوبة الشواطىء ، وتقع فيما بين المجرى الأدنى للوادى والمجرى الأدنى للوادى الذى يليه .

والسباخ سهول مالحة مستنقعية تمتد محاذية للشواطىء مسافة عدة كيلو مترات وبعرض يصل ٤ كم واحيانا ٥ كم ، بعضها مستنقعات دائمة الرطوبة أو قد تجف في فترات طويلة . وهى قاحلة خالية باستثناء بعض النباتات التى تتحمل الملوحة .

وتوجد بالاضافة إلى هذه الملامح التضريسية بعض التلال الرملية في بعض الأماكن كما توجد القباب الملحية فى بعض الأماكن الأخرى الأقرب للشاطىء . وينتشر على خط الشاطىء أو فى داخل المياه بعد خط الشاطىء أرصفة مرجانية كلسية . ويظهر فى النطاق الشرقى بعض المسكوبات البازلتية وتشمل مخاريط بركانية ورمادا بركانيا على شكل بقع متفرقة ، وتحتل مساحة واسعة فى وادى جيزان وذلك إلى الشرق من خط صبيا – أبو عريش . وتحتل مساحة أوسع بالقرب من خط الشاطىء في منطقة الشقيق – القحمة – البرك حتى قد يغطى ماء البحر أطرافها ويغمرها .

تقع منطقة جيزان على ساحل البحر الأحمر في منطقة يكون البحر فيها فى اقصى اتساع له حيث يبلغ العرض بين جيزان والسودان ٣٥٠ كم . ويتدرج البحر في العمق على شكل انقطاعات (درجات) من الشاطىء باتجاه وسط البحر بفعل الانكسارات السلمية ، فينخفض قعرة فى الوسط فى غرب حَلى عن ١٥٠٠ م ، ويزيد عن ذلك إلى الشمال من هذه المنطقة . ولكن الجزء القريب من الشاطىء يشكل رصيفا قاريا ضحلا وعريضا . إذ أننا نرى خط الأعماق (٢٠٠ م) يبتعد مابين ١٢٠ – ١٤٠ كم عن خط الشاطىء .

أما خط الشاطىء فهو قليل التعاريج والفجوات نسبيا ، ومع ذلك يصعب تحديده فى بعض المناطق التى يطغى عليها المد ، أو تكتسحها فيضانات الوديان . إلا أن هذا الشاطىء يعتبر من أغنى شواطىء العالم بالأرصفة والشعاب المرجانية ، ويتجمع الكثير منها بحيث تشكل مجموعات من الجزر معظمها خال من السكان ، ينتشر فى الشاطىء فى نطاق يبلغ عرضه نحو ٨٠ كم تقريبا . وقد عملت هذه الأرصفة على خلق تعاريج ورؤوس وفجوات عديدة ، إلا أنها لا تتلاءم مع توافر المرافىء الطبيعية لخطورة الشعاب على الملاحة . وأهم الرؤوس فى خط الشاطىء رأس طرفاء الواقع فى غرب صبيا .

ويحف بخط الشاطىء على أبعاد مختلفة فوق سطح الرصيف القارى مجموعات عديدة من الجزر والأرصفة ساهمت الشعاب المرجانية في نموها واتساعها من أهمها :

جبل صبيا وقطوع وحضارة ومركا وحصر الأم وصبية وزقاق وظهر مرايا وتقع جميعا إلى الجنوب الغربي من حَلي ، وسمير وظهرة سمير وكتمبل فى غرب القحمة . أما أوسع وأهم مجموعة من جزر المملكة فتقع فى غرب جيزان ويطلق عليها اسم جزائر فرسان ، وهى الوحيدة التى يوجد منها ماهو مأهول بالسكان ، وأكبر واهم جزيرة فيها فرسان الكبير ، ويليها سقيد وقماح وأبو غنم وزفاف .

ب – الجبال الساحلية :

وهى سلاسل من الجبال شكل النحت المتراجع للوديان الساحلية فيها مناطق واسعة ذات أسطحة معقدة ، غير منتظمة فى ارتفاعاتها واتجاهاتها وامتدادات كتلها . وقد نتجت عن الانهدام الكبير لحوض البحر الأحمر ، وتنحصر فيما بين حافة الانهدام الرئيسية التى تفصلها عن جبال السروات وبين السهل الساحلى . ورغم أن ظاهرة الجبال الساحلية موجودة على طول ساحل البحر الأحمر إلا أنها لاتوجد بمثل الاتساع والعرض والتعقيد الذى توجد فيه في منطقة جيزان (١) .

وقد تأثرت طبوغرافيتها كثيرا بالتعرية التالية لعملية الانهدام فاحتلت الوديان والسيول مواقع الأغوار الانكسارية ، والتقت بعضها بالبعض الآخر من اتجاهات مختلفة فردمت أجزاء منها بفتات التعرية ، وتشكلت أحواض رسوبية جبلية ، لكنها وجدت سبيلها في النهاية إلى البحر . ومن هنا عملت هذه الوديان على فصل الجبال أو القنن أو النجود العالية بعضها عن بعض ، وانتجت تضاريس غاية فى الوعورة ، يصعب – حتى بالاستعانة بالحيوانات أحيانا – الارتقاء إليها مما كان له أبلغ الأثر على حياة سكانها ، إذ عاشوا فيها فى عزلة شديدة ، وعرفت كل كتلة جبلية باسم القبيله التى استوطنتها ، ومن هذه الكتل على سبيل المثال :

١ – جبال بنى قيس والعبادل وجبل سلا التى تبدأ منها بعض روافد وادى جيزان قرب الحدود اليمنية فى جنوب هذا الاقليم ، ويصل ارتفاع قممها إلى نحو ١٠٠٠ م ،

---

(١) انظر اللوحات 1-210B 1-216B 1-217B. من خرائط المملكة مقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠ . عمل جلين براون وروى جاكسون .

فى حين تنخفض قرية العارضة على مجرى وادى جيزان فيما بينها إلى ارتفاع ٢٠٠ م .

٢ - جبال فيفا فيما بين روافد وادى ضمد وترتفع إلى نحو ١٠٠٠ م أيضا .

٣ - جبال بنى مالك إلى الشمال منها مباشرة والتى يصل ارتفاع أحد قممها إلى ١٥٥٢ م ، فى حين ينخفض وادى ضمد عند قرية سوق عيبان قرب تلك الجبال إلى ٢٠٩ م عن سطح البحر .

٤ - جبال بلغازى إلى الشمال الغربى من السابقة فيما بين حوض صبيا وبيش ويصل ارتفاع جبل منجد إلى ١٥٢٨ م ، وجبل المعادى إلى ٢٤٥٠ م عن سطح البحر .

٥ - جبال هروب إلى الشمال من السابقة مباشرة . ويصل ارتفاع جبل هروب إلى ٢٢٩٢ م ، وجبل ظريف إلى ٢٤٤٦ م في حين تقع قرية هروب بالقرب منها على ارتفاع ٥٠٠ م .

٦ - جبال الريث إلى الغرب من هروب وترتفع إلى ١٩٠٠ م ، وتنخفض قرية الريث بالقرب منها إلى ٢٥٧ م فقط عن سطح البحر .

٧ - جبال الربوعة وتقع على حدود اليمن في شرق هذا الاقليم ويرتفع فيها جبل القرى إلى ٢٢٦٧ م .

٨ - جبال الفرشة فى تهامة قحطان وإلى الشمال من جبال الربوعة مباشرة ، ويرتفع فيها جبل المهيجة إلى ٢٢٤٨ م .

٩ - جبال الحشر وتقع فى شمال المجرى الرئيسى لوادى بيش في قطاعه الأوسط ، ومنها كتل تختلف في ارتفاعها مثل جبل البزماء ٢٠٦٤ م وجبل العوراء ١٢٩٩ م فى حين يقع المجرى فى تلك المناطق على ارتفاع ٣٥٠ م .

وبذلك يصل ارتفاع المجموعة الأخيرة من الكتل الجبلية والتى تقع فى حوض وادى بيش إلى مايضاهى ارتفاع جبال السروات فى منطقة ظهران الجنوب الواقعة إلى الشرق أو الشمال الشرقى منها . وتوجد كتل جبلية عالية أخرى كذلك إلى الشمال الغربي من مواقع المجموعة السابقة ، أى إلى الغرب من سراة عسير تختلف فى ارتفاعاتها وامتدادها وتقع فى أحواض الوديان : عتوِد وريِم وحَلى .

مناخ جيزان :

تقع جيزان فى المنطقة المدارية ويسود فيها المناخ المدارى ، إلا أنه يختلف من حيث التفاصيل الدقيقة من مكان إلى آخر حسب الموقع والقرب أو البعد عن البحر واتجاه وارتفاع التضاريس . ولما كانت السهول الساحلية تقع بمحاذاة البحر ويبدأ ظهور الجبال على بعد ٣٠ – ٤٥ كم عن خط الشاطىء فإنه من المنطقى التمييز بين مناخ السهول ومناخ الجبال .

تتصف مناطق سهول جيزان بارتفاع معدلات درجات الحرارة ارتفاعا كبيرا ، إذ يزيد المعدل الشهرى للحرارة عن ٢٥° م فى جميع أشهر السنة فى محطات السهل الساحلى الجيزانى . وتصل درجات الحرارة العظمى فى الصيف إلى مايقرب من ٥٠° م . وتتصف كذلك بانخفاض السعة الحرارية ، إذ لم يتجاوز معدل الفروق الحرارية ١١° م حيث بلغت معدلات الحدود القصوى والحدود الدنيا للحرارة الشهرية ٣٥° ، ٢٦° م على التوالى . وتشير هذه المعطيات إلى أن سهل جيزان لايعتبر من أكثر أقاليم المملكة حرارة فحسب ؛ بل أنه أكثرها حرارة فى فصل الشتاء ، ولا يشهد فصلا باردا على الأطلاق .

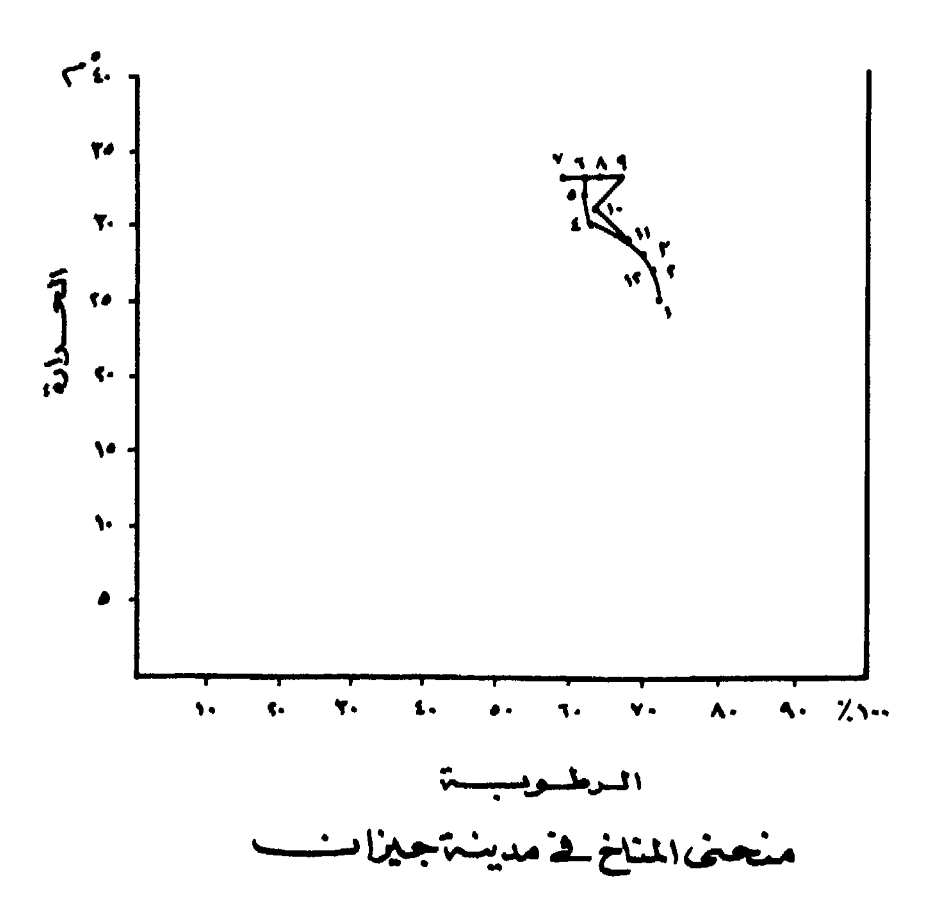
ونظرا لوقوعه على ساحل البحر وتعرضه للرياح التى تهب عليه من هذا الاتجاه لاسيما نسيم البحر ، لذا ترتفع نسبة الرطوبة على طول أيام السنة تقريبا . إذ تزيد عن ٦٠ ٪ فى جميع الأشهر وتقترب فى أحيان كثيرة من درجة التشبع . مما يجعل هذا الاقليم صعب الوطأة على الإنسان . ويزيد من قسوة مناخ هذا السهل موجات « العج » المعروفة فى جيزان باسم الغبرة التى تهب على الاقليم فترة تستمر أربعة أشهر هى فصل الخريف [١] . وهى رياح شديدة بالغة القسوة تتحول المنطقة حينها إلى حمام ساخن مقيت – كما وصفها أمين الريحانى – لايخفف العرق الذى يفرزه الإنسان من وطأتها ، فهو يبلل الملابس ولايبرد الجلد ، بل وقد يزيد من الحرارة كما لو أن الماء يغلى فوق النار . وقد أضاف الريحانى أن لرطوبتها جسماً وطعماً ولوناً ، لايلطفها هبوب نسيم البحر[٢] ومنحنى المناخ (الشكل ٢٩) يساعد على ادراك ذلك .

---

(١) محمد أحمد العقيلى – المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية – مقاطعة جازان . ص ١٧ .

(2) Ameen Rihany, Around the coasts of Arabia. P. 190 .

شكل (٢٩)



منحنى المناخ في مدينة جيزان

وبالرغم من ارتفاع نسبة الرطوبة ومن تعرض الاقليم للرياح التى تهب عليه من البحر فى معظم أشهر السنة ، تلك الرياح التى تسقط الأمطار على الجبال ، فإن اقليم سهل جيزان يعتبر من أفقر أقاليم المملكة بالأمطار ، إذ لم تزد معدلاتها السنوية عن ٥٠ ملم فى جيزان و٦٨ ملم في الدرب و٤٧ ملم فى صامطة . ووصلت فى المحطات الأبعد فى داخل السهل والأكثر ارتفاعا نسبيا إلى ١٣٧ ملم فى أبو عريش و١١١ ملم فى صبيا .

تسقط هذه الأمطار القليلة خلال عشرة أيام ممطرة بالمعدل موزعة فى الأشهر بدون نظام ولو أنها تميل لأن تكون فى الشتاء والربيع . ولذلك فإنها ليست قليلة فى كميتها فحسب ، بل أنها سيئة التوزيع أيضا .

أما مناطق الجبال التى تقع بين السهل الساحلى من جهة ومرتفعات السروات من جهة أخرى ، فهى تواجه الرياح الجنوبية الغربية الرطبة والسائدة دون أن يحول بينها عوارض حاجزة . ففي حين تتصف بارتفاع الحرارة إجمالاً فإنها تقل عن نظيراتها في منطقة السهول . وبالإضافة إلى ذلك فهى تختلف في مقدار اعتدالها من مكان إلى آخر حسب مواقعها وارتفاع تضاريسها ، ففى حين بلغ معدل درجة الحرارة فى ملاق الواقعة على خط التقاء الجبال بالسهول ٢٥° م فى شهر كانون الثانى (أى الشتاء) و ٣٤° م فى شهر تموز (أي الصيف) فإن المعدلات تقل عن ذلك فى الصيف وفى الشتاء كلما زاد الارتفاع . ومع أن السعة الحرارية منخفضة فى منطقة الجبال إلا أنها تزيد عما هى فى منطقة السهول . وفى حين ترتفع فيها نسب الرطوبة فإنها تقل عن مثيلاتها فى السهول أيضا . ومن هنا يتبين أن طقس المناطق الجبلية يعتبر أكثر ملاءمة لحياة الإنسان وأدعى لراحته بل وفى بعض المناطق يكون جميلا رائعا ، لايعيبها سوى عزلتها وصعوبة الوصول إليها .

وعلاوة على ماسبق فإن منطقة الجبال تعتبر من أكثر مناطق المملكة بالأمطار مثل العارضة (٥١٠ ملم) ، وجبل فيفا (٥٢٤ ملم) فتضاهى فى هذه الناحية مرتفعات السروات . ومع ذلك فإنها كثيرة التباين ، إذ تختلف كمياتها حسب اتجاه التضاريس وارتفاعها ، وبالتالي مواجهتها للرياح الممطرة . ففى حين بلغت كمية الأمطار السنوية فى جبل سلا الذى يرتفع ٩٠٠ م (٤٧٦ ملم) لم تتجاوز نصف هذه الكمية فى جبال الريث والربوعة والحشر رغم ارتفاعها الذى يزيد عن مثلى ارتفاع الأولى وذلك ، بسبب عدم مواجهتها للرياح واعتراض حواجز جبلية أخرى تجعلها بعيدة عن مسارها .

وقد نجد خروجا على هذه القواعد فى مناطق المنخفضات والوديان المنخفضة ، حيث نجدها حارة كمناطق السهول بالرغم من وقوعها فى الداخل . غير أن بعض الوديان المواجهة للجنوب الغربى ترتفع فيها كميات الأمطار بالرغم من قلة ارتفاعها ، مثل سوق عيبان الواقعة على وادى ضمد والتى لايصل ارتفاعها ٢٠٠ م ويسقط فيها ٤٤٨ ملم سنويا . ومثل ذلك العارضة ، التى ترتفع ٢٢٣ م ويسقط فيها ٥١٠ ملم سنويا ، وملاق على وادى جيزان والتى يقل ارتفاعها عن ٢٠٠ م ويسقط فيها ٣٢٤ ملم سنويا . ويحتمل سقوط الأمطار فى جميع الفصول ، ولو أن المحطات الجبلية تميل لان تكثر أمطارها فى فصل الصيف والخريف .

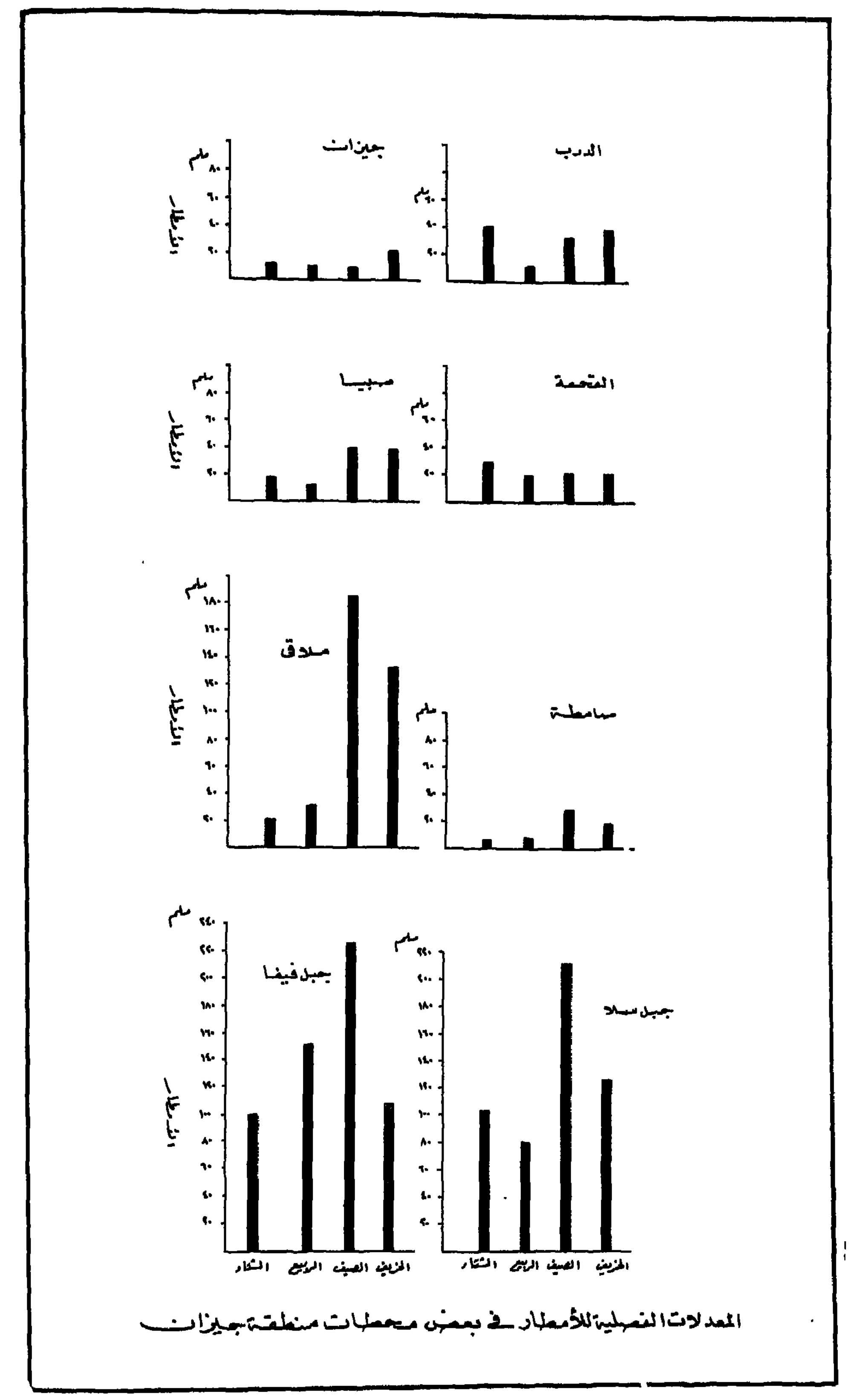
النباتات الطبيعية في منطقة جيزان :

لقد انعكس الاختلاف بين مناخ الجبال ومناخ السهول على الغطاء النباتى ففى حين تكتسى الجبال بالنباتات الطبيعية اشجارا وشجيرات وأعشابا ، فإن السهول الساحلية والمنخفضات النائية فى خارج مناطق الأحواض الرسوبية الزراعية ، تكاد تكون خالية من أى نبات . إذ يتواجد فى اقليم الجبال الساحلية مجموعات من الأشجار الخشبية تتفاوت في النوع والكثافة . وبالرغم مما تعرض له الاقليم خلال قرون طويلة من أعمال التحطيب والرعى الجائر ، وموجات الجراد وانعدام الحماية ومخاطر الفيضانات ، وتعرية المياه الجارية لسفوح المنحدرات مما يعطل التجديد الطبيعى لنمو النباتات فإنه لايزال هناك مجموعات من الأشجار تشكل فى بعض المناطق غابات حقيقية ، ولو أنها صغيرة المساحة خاصة فى السفوح العالية المعتدلة الانحدار والمواجهة للجنوب الغربى والغرب . فعلى سبيل المثال وجد فى وادى الجو فى جنوب جبال بنى مالك غابة صغيرة تشمل بعض الأشجار الضخمة بلغ محيط الشجرة منها ٧,٥ م مما يوحى بأهمية الغابات قبل أن تتعرض للتدهور بالقياس لما هى عليه اليوم .

تتألف المجموعات الشجرية فى الغالب من أشجار العرعر فى المناطق العالية وتضم أشجار العتم (الزيتون البرى) والبلوط والتلجا . ووجدت فيها أشجار البن والقات والتي تحولت إلى نباتات مزروعة . كما تسود أنواع الأكاسيات المختلفة Acacia مثل : السّلم والسّمَر والعرفج فى الوديان الأدفأ مثل غابة منطقة الحسينى فى جبال هروب . وتنمو مجموعات من الأشجار والشجيرات منفردة أو متجمعة فى بعض الوديان ، تتألف من مجموعة الطرفيات بأنواعها كالطرفا والعبل والأثل (Tamarix) ، وتوجد أشجار السدر وشجيرات السوس والآراك فى مناطق مختلفة . أما الوديان الأكثر حرارة فينمو فيها نخيل الدوم المروحى ونخيل التمر وبعض الأشجار شبه الاستوائية . ووجد في بعض الوديان أنواع كثيرة من الأشجار عريضة الأوراق كالتين .

غير أن الاستغلال الجائر لتلك الأشجار ، والذى دام قرونا طويلة قضى على معظم الثروة الخشبية ، ولم يبق منها سوى القليل . وقد بالغ السكان مؤخرا فى الجور عليها بأن قطعوا أغصان الأشجار ليستعملوها بدل الأعلاف لإطعام الحيوانات فى مواسم الجفاف . أو أنهم تركوا الحيوانات تتسلط عليها وتقضمها وهى فى طور النمو ، لاسيما الماعز التى تكثر فى المناطق الجبلية . غير أن وزارة الزراعة اتخذت بعض الاجراءات

شكل (٣٠)



المعدلات الفصلية للأمطار في بعض محطات منطقة جيزان

اللازمة لحماية ما تبقى من هذه الأشجار وتنميتها ، فأنشأت مشاتل لأنواع شجرية جديدة سريعة النمو وجيدة الأخشاب ، ووزعت شتلاتها فى مواسم الغرس نظرا لأهمية الثروة الخشبية ، بالإضافة إلى دورها فى تلطيف الطقس وإضفاء الجمال على البيئة ، والمحافظة على التوازن الايكولوجى بتقليل انجراف التربة .

وتنتشر النباتات العشبية الحولية فيما بين الأشجار وفى المناطق الخالية منها ، وبذلك فإنها تغطى معظم مساحة الاقليم الجبلى . وقد سمح وجودها بظهور حياة رعوية غنية بالقياس إلى مراعى المملكة الأخرى التى تتصف فى معظمها بأنها مراع فقيرة . وقد نتج عن ذلك أن ارتفعت نسبة السكان البدو فى الجبال وزادت على نسبة المستقرين ، إلا فى المناطق التى تمتد فيها الزراعة على نطاق كبير كاحواض الوديان الرسوبية . وأهم حيواناتها الماعز والأغنام .

أما السهول الساحلية فى خارج مناطق أحواض الوديان الطموية المزروع منها وغير المزروع ، فهى فقيرة جدا بنباتاتها الطبيعية بل إنها من أفقر مناطق المملكة بها ، لدرجة حرمت معها البدو من إيجاد بيئة رعوية كافية لأن يستوطنوا فيها . وهذا يفسر قلة نسبة البدو فى الساحل ، إذ كانت إمارة جيزان أقل إمارات المملكة بالبدو حسب احصاء السكان لعام ١٩٧٤ م . أما الوديان غير المزروعة فهى غنية بنباتاتها وتعتبر بطبيعة الحال امتدادا للاقليم الجبلى فى المناطق الساحلية بسبب توافر الماء فيها .

موارد المياه :

لقد ذكرنا أن الأمطار تسقط بكميات كبيرة على بعض المناطق الجبلية وقد أقام المزارعون فيها منذ القدم المدرجات الجبلية التى ساعدت – بالإضافة إلى حماية التربة من الانجراف – على زيادة كمية المياه المختزنة في التربة عقب سقوط الأمطار بحيث مكنتهم من إقامة زراعة « عثرية » .

أما فى المناطق الأخرى خاصة تلك الأقل ارتفاعا أو السهول فلا يمكن الاعتماد على الأمطار بسبب قلتها فى إقامة حياة زراعية . غير أن الأمطار التى تسقط على الجبال ، فإنها تسبب ، بسبب طبيعة صخورها التى لاتمتص شيئا يذكر من المياه ، فيضانات متتالية فى الوديان الهابطة منها . وقد تمكن المواطنون من الاستفادة من تلك الفيضانات فى بعض قطاعات مجارى الوديان الجبلية ، أى المجارى الوسطى حيث تمكنت من تشكيل ترب

ومصاطب رسوبية ، وذلك بإقامة عقوم ترابية على جوانب المجارى وسحب مياهها إلى المصاطب المجاورة لتغريقها بها ، ومن ثم بزراعتها .

تأتى المياه في وديان منطقة جيزان على شكل فيضانات سريعة فجائية ، وقد تستمر عملية الجريان فيها عدة أشهر بسبب تلاحق فيضاناتها الناتجة عن تردد الأمطار على الجبال . وتختلف كمية مياه الفيضانات حسب كمية الأمطار على الجبال ، وتختلف أهميتها حسب امكانية التخزين الأرضي ، أى قدرة التربة على الامتصاص ، وعلى مساحة أحواض التصريف . ولذلك يختلف الصبيب الدائم فى وديان هذه المنطقة من عدة عشرات إلى عدة مئات من اللترات فى الثانية على طول العام [١] .

فمن التسجيلات التى قام بها قسم الهيدولوجيا بوزارة الزراعة على عدة وديان هامة فى منطقة جيزان أمكن صياغة الجدول التالى الذى يوضح مقدار التصريف المائى لتلك الوديان .

جدول رقم (٨)
التصريف المائى فى منطقة جيزان [٢]

اسم الوادى	مساحة التصريف	معدل التصريف	تصريف سنة ٧٢	ملاحظات
وادى حلى عند حسان	٤٥٠٠ كم٢	٢٫٦٩ م٣/ث	١١٨٫٠٠٠٫٠٠٠	
وادى عتود ، المحطة الرئيسية	١٣٥٠	٫١٢٠	٧٨٥٫٠٠٠	
وادى بيش عند فاتحة	٤٧٥٠	١٫٥	١٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠	
وادى ضمد ، شرق صبيا ٥٠ كم	١٠٠٠	٫٩٤	٢٩٫٥٠٠٫٠٠٠	
وادى جيزان عند ملاقى	١٢٠٠	١٫٨٧	٤١٫٥٠٠٫٠٠٠	المعدل لتسع سنوات
وادى خلب عند سوق الأحد	٩٠٠	١٫٧٦	٥٥٫٦٠٠٫٠٠٠	

(1) Sogreah- Ibid, P. 46.

(2) Ministry of Agriculture and Water. Sediment Data for Area VI Hydrological publication No. 63.

ولذلك فإن أعظم استغلال لمياه فيضانات الوديان يتم فى أحواضها الدنيا أى بعد خروجها من مناطق الجبال . إذ أقام المزارعون سدودا ترابية عليها فى أوقات الفيضان تعمل على ادخال المياه إلى الحقول المجاورة والمحاطة بجدر ترابية أيضا . فتنتقل المياه من الحوض إلى الحوض الذى يليه إلى أن ترتوى جميعها . وكانت تزرع هذه الأحواض بعد جفاف مياه الفيضانات . وتبنى السدود والجدر من الرمل والطين والحصى وتؤخذ من أحد جوانب المجرى . ولذلك فهى تتخرب بسرعة ويعاد بناؤها عادة عند كل فيضان .

جدول رقم (٩)

تصريف وادى جيزان من سنة ٥٤ – ١٩٧٠ م

السنة	تصريف الفيضان	معدل التصريف	التصريف السنوى
١٩٥٤	٥١٠م٣/ث	٤ر١ م٣ /ث	١٣٠٠٠٠٠٠٠م٣
١٩٥٩	٦٥٥	٧٩ر١	٥٦٦٠٠٠٠٠
١٩٦٣	٣٦٣	٩٩ر	٣١٣٠٠٠٠٠
١٩٦٨	٦٤٨	٧٧ر١	٥٦٠٠٠٠٠٠
١٩٧٠	٤٢٨	١٧ر١	٣٦٩٠٠٠٠٠
معدل تصريف ١١ سنة	**٦٢٨**	**٨٧ر١**	**٤١٥٠٠٠٠٠**

وتشير هذه الأرقام إلى وجود ثروة مائية كبيرة يمكن استثمارها بإقامة مشاريع مائية على الوديان الرئيسية في هذه المنطقة كالمشروع الذى أقيم على وادى جيزان .

التربة فى جيزان :

تتصف تربة جبال منطقة جيزان بأنها ناقصة النضج قليلة السمك بسبب سرعة تعريتها ، رغم أن الظروف المناخية من حيث كمية الأمطار ودفء الإقليم وارتفاع نسبة الرطوبة – خاصة فى السفوح المواجهة للجنوب والغرب – تساعد على سرعة تفكك الصخور . إذ يصعب تجمع تربة سميكة على سفوح الجبال بسبب الانحدارات وماينتج عنها من انجراف للتربة . وتوجد مساحات واسعة من السفوح الجبلية الشديدة الانحدار مجردة تماما من التربة .ولهذا عمل المواطنون على حماية التربة من الانجراف فى السفوح المتوسطة أو القليلة الانحدار وذلك ببناء المدرجات ، كما ذكرنا بحيث أصبحت المظهر المميز لمناطق الجبال المأهولة بالسكان .

وقد تتجمع التربة فى المنخفضات وتختلط بالرسوبيات التى تنحدر اليها من الجبال العالية ، وتظهر على شكل أشرطة خطية من التربية الطموية على جوانب الوديان الهامة ، فى قطاعاتها الوسطى فوق التكوينات الصخرية المحلية ، كأن يحصل انقطاع فى انحدار المجرى وتقل سرعة جريان المياه . ويتوقف امتداد وعمق ونسيج هذه التربة الرسوبية على بنية وطبوغرافية تلك المجارى .

ولكن تمكنت الوديان من تشكيل أحواض رسوبية طموية واسعة فى منطقة السهل الساحلى بسبب توقف الانحدارات بشكل فجائى وترسيب معظم حمولتها الصلبة . وتتصف تربة هذه الأحواض بأنها صفراء مختلطة تتكون من السلت والرمل والطين ، جيدة الانفاذ غنية بالمواد المعدنية والعضوية ومعتدلة الملوحة ، وتعتبر بذلك من أكثر ترب مناطق المملكة ملاءمة للانتاج الزراعى .

ويمكن أن نتخذ من وادى جيزان – الذى خضع لدراسة مكثفة من قبل منظمة الأغذية والزراعة الدولية منذ الخمسينات ومن قبل وزارة الزراعة فيما بعد – مثالا لما تحمله أودية تهامة من طمى أثناء الفيضان ، ومساهمتها فى تشكيل تربة الاقليم مع تقادم الزمن . وقد اخترنا عددا من السنوات فى الجدول التالى :

جدول رقم (١٠)
الحمولة الصلبة فى وادى جيزان (١)

السنـة	الحمولة العالقة بالطن	معدل التركيز
١٩٥٤	١٫٥٣٦٫٣٠٠	١٫٣٥ غم /لتر
١٩٥٩	٣٩٣٫٢٠٠	٠٫٤٢
١٩٦١	٦٢١٫٦٠٠	٠٫٥٧
١٩٦٣	١٣٤٫٥٠٠	٠٫٨٦
١٩٦٨	٣٧٨٫١٠٠	٠٫٤٥
١٩٧٠	٣١٥٫٥٠٠	٠٫٣٤
معدل السنوات ٥٤ – ١٩٧٠	**٤٢٥٨١٠**	

(1) Kingdpm of Soudi Arabia, Ministry of Agrieulturi

ومما يثير الدهشة ان أسوأ أنواع التربة تجاور هذه الترب الخصبة ، إذ يوجد فى خارج الأحواض الرسوبية مناطق الخبت ومناطق السبخات والقباب الملحية والتلال الرملية ، والتى يصعب تصنيف معظمها من ضمن قائمة الترب كما يصعب استصلاح القسم الأكبر منها حتى لو توافر ماء الرى لها .

نشاط السكان :

تعتبر شبه الجزيرة العربية من أسبق مناطق العالم فى الاحتلال البشرى وقد انحدر سكانها الأوائل من أحد جذرين ساميين : العرب القحطانيين والعرب العدنانيين . وقد تعرضت معظم مناطقها خلال تاريخها الطويل إلى هجرات بشرية عديدة كانت لها نتائج واضحة على سحنهم وعلى خصائصهم الانثروبولوجية عامة . إلا أن سكان مناطق الجبال في اقليم جيزان – والذين ينحدرون من العرب القحطانيين – بقوا على أصولهم دون تغيير يذكر ، فاحتفظوا بسيمائهم الأصلية والتى منها الشفاه الغليظة والأنف المنحنى وبروز عظام الوجنات وما إلى ذلك .

وقد جاءوا لاستيطان هذه المنطقة على شكل دفعات أو موجات كانوا فى الأصل قبائل رعوية ، وقد تحول قسم منهم إلى الزراعة حيثما ساعدتهم ظروف البيئة على ذلك ؛ فبنوا المدرجات على سفوح الجبال والحياض فى السهول وزرعوهما ، وشيدوا المساكن بالقرب من المزارع وتحولت إلى قرى صغيرة مبعثرة بين الحقول الزراعية . وقد عرف قسم كبير من تلك القرى باسماء القبائل وأفخاذها مما يدل على أهمية أواصرهم القبلية وإصرارهم عليها .

قاموا بتسويق الفائض من انتاجهم الزراعى أو الحيوانى فى أماكن خاصة داخل تلك القرى وقاموا بعملية تبادل المنتوجات فيما بين القرى ومع القبائل البدوية المجاورة لهم ، والتى حافظوا على صلاتهم معها فى داخل بعض القرى التى تتميز بكبرها أو بموقعها واتفقوا على عقد تلك الأسواق فى أيام محددة من الأسبوع ، فتحولت تلك القرى إلى أسواق أسبوعية .

أما مناطق الساحل فى خارج المناطق الزراعية فلم تتح لها الفرصة أن تظهر بها مواقع بشرية مستقرة ماعدا بعض المرافىء الطبيعية وهى قليلة ومتباعدة عن بعضها بسبب طبيعة الشواطىء المرجانية . وكانت على صغرها أكثر تأثرا بالشعوب الأخرى واختلاطا بهم .

وتدل سيماؤهم على عظم الاختلاط مع تلك الشعوب – خاصة الأحباش والصوماليين والدناكل والهنود وغيرهم من الأفارقة – عن طريق الملاحة .

فكما كان يهاجر قسم منهم إلى مواطن تلك الشعوب – وفى أحيان كثيرة كانوا يعودون بعد استقرارهم هناك فترة من الزمن – كان يستقر قسم من القادمين إليها وباعداد متفاوته خاصة من فئتى التجار والعبيد . أما البدو وهم بطبيعة الحال أكثر محافظة على أصولهم العرقية فهم قليلون فى السهل الساحلى ، وهم على صلة بالمزارعين أكثر منها بسكان المرافىء .

يعيش فى منطقة جيزان نحو نصف مليون نسمة ، يقع نحو ٨٠٪ منهم ضمن حدود إمارة جيزان الإدارية ، والباقون هم سكان الجزء التهامى من إمارة عسير . ويتوزعون ضمن وحدات إدارية صغيرة يبلغ عددها ٣٤ وحدة .

ولكن معظم هذا العدد من السكان الزراعيين ، كما تشير إلى ذلك نتائج التعداد الزراعى الشامل لعام ٧٣ /١٩٧٤ م حيث بلغت نسبة هذه الفئة فى جيزان نحو ٥٧ ٪ من مجموع سكان المنطقة (١) .. وتشير كذلك نتائج التعداد العام لسكان المملكة سنة ١٩٧٤ م إلى أن نسبة العاملين فى الزراعة وتربية الحيوان والصيد بلغت ٥ر٦٤٪ من سكان إمارة جيزان . فى حين أنها بلغت فى منطقة القصيم على سبيل المقارنة – وهى من أهم المناطق الزراعية فى المملكة – ٥ر٥٣ ٪ (٢) .

ويضاف إلى ذلك أن قسما كبيرا من العاملين فى التجارة والنقل والخدمات تتعلق أعمالهم من قريب أو بعيد بالزراعة أو تربية الحيوان . وقد ازدحم السكان فى الأقضية التى تحوى مساحات زراعية كبيرة مثل صبيا والعارضة وأحد المسارحة وصامطة وأبو عريش وغيرها .

الزراعة فى منطقة جيزان :

لقد سبق أن أشرنا إلى أن جيزان اقليم ريفى ، وأن الزراعة – وهى عماد حياة سكانها – تحتل المرتبة الأولى فى اقتصاد هذا الاقليم . وأن الأراضي الزراعية تنتشر فى منطقتين متباينتين : منطقة الجبال حيث تسقط أمطار كافية لاقامة زراعة مطرية

---

(١) وزارة الزراعة والمياه . وقد صدر فى سنة ١٩٧٧ م .

(٢) مصلحة الاحصاءات العامة . نتائج التعداد العام للسكان سنة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م .

(عثرية) ، وحيث عمل السكان على اقامة المدرجات الجبلية للحفاظ على التربة من الانجراف وزيادة نسبة تسرب وتخزين المياه في تلك التربة ، ومنطقة أحواض الوديان التى تنحدر من منطقة الجبال الممطرة ، وتتجه إلى المنخفضات فالسهل الساحلى ، وتتعرض لحدوث فيضانات مستمرة ، وتجد لها متسعا من الأرض تفرشه بالتربة الفيضية الخصبة ، وتغنيه بالمياه الجوفيه نتيجة التسرب . وقد عمل المزارعون على إقامة عقوم ترابية مؤقتة على تلك الوديان وتحويل مياه الفيضان إلى الحقول بحيث تغمرها ، ثم تحول لتدخل الحقول (الأحواض) المجاورة وهكذا بالترتيب . ويطلق على هذا النوع من الزراعة « زراعة رى الحياض » .

لقد أوضحت الإحصائيات أن المساحة المحصولية فى إمارة جيزان وحدها بلغت ١٢٣٨٨٩٣ دونما فى الموسم الزراعى الشتوى والصيفى سنة ١٩٨١/٨٠م أى أكثر من ٢٩٪ من مجمل المساحة المحصولية فى المملكة كلها . وتشير التقارير إلى أن هذه المساحة كانت تتزايد خلال الفترة الأخيرة . علما بأن سهول جيزان حارة فى فصل الشتاء ولايتعطل فيها نمو النبات بسبب البرد . فيمارس مزارعو المنطقة بأساليبهم التقليدية زراعة موسمين كاملين فى السنة .

ان الملكيات الزراعية صغيرة المساحة فى منطقة جيزان بسبب قدم الاستثمار وتجزئها بفعل الوراثة . إذ تبين وجود ٣٦٢٥٣ حيازة زراعية فى عام ١٩٧٤/٧٣م اى بنسبة ٢٠٪ من عدد الحيازات فى المملكة (٢) .

لوحظ من خرائط منطقة جيزان أن الزراعة تمتد فيها من وادى حرض جنوبا حتى وادى بيش شمالا مسافة ١٣٠ كم تقريبا بدون انقطاع . ويعتبر هذا الامتداد أكبر تجمع للأراضى الزراعية فى المملكة(٣) . كما انها تنتشر على سفوح المرتفعات الواقعة الى الشرق من تلك الأحواض مباشرة لا يقطعها – أحيانا – سوى السفوح الشديدة الانحدار ، غير أنها تنتشر فى مساحات صغيرة ومتفرقة على سفوح المرتفعات الاكثر بعدا فى اتجاه الشرق أو الشمال حتى تكاد تختفى ، وذلك بسبب تناقص الأمطار فى هذا الاتجاه . وتوجد متفرقة أيضا فى بعض قطاعات من الوديان التى تلى وادى بيش شمالا .

---

(١) الكتاب الاحصائى السنوى ، العدد ١٨ . ص ٥٤١ .

(٢) وزارة الزراعة والمياه شعبة الاحصاء الزراعى . نتائج التعداد الزراعى الشامل لعام ١٩٧٤/٧٣م . الجزء الأول ، ص ٧ ، ٨ .

(٣) حسين حزة حجرة . المصدر السابق ص ٥٠ .

وبالرغم من ضخامة هذه الأرقام ومن ارتفاع نسبتها ، وبالرغم من أن التربة فى جيزان من أخصب أنواع الترب فى المملكة لانها طموية صفراء مختلطة ، وتتجدد فى الحقول سنويا وتنتشر مع كل فيضان ، والمنطقة فى نفس الوقت من أغنى المناطق بالموارد المائية نظرا لكثرة الأمطار على الجبال وجريان الفائض منها فى الوديان ، ويساهم تكرر حدوث الفيضانات فى تسرب قسم كبير من المياه داخل طبقات الطمى ؛ فيجب أن لايدعونا ذلك الى الاستنتاج أن أهمية الزراعة والانتاج الزراعى تتوافق مع نسبة هذه الأرقام .

اذ تتصف الزراعة فى جيزان – سواء تلك المنتشرة على سفوح المرتفعات أم تلك الممتدة فى أحواض السهول الرسوبية – بأنها تقليدية من حيث الاسلوب الزراعى والادوات الزراعية ، وبالتالى فانتاجيتها ضعيفة جدا ، ومردودها الاقتصادى محدود للغاية ، وان الفئات التى تمارس الزراعة تعتبر من أفقر الفئات .

ولهذا فقد خصصت هذه المنطقة لدراسات مبكرة من أجل التنمية الزراعية ؛ اذ قامت منظمة الأغذية والزراعة الدولية بدراسات فى وادى جيزان منذ أوائل الخمسينات ، ثم قامت بمزيد من الدراسات فى سنة ١٩٦٠م ، ثم استأنفت مؤسسة ايتالكونسلت الدراسة فى سنة ١٩٦٥م وقدمت مرئياتها لوزارة الزراعة ، التى ستسترشد بمثل تلك الدراسات فى تنفيذ المشاريع المستقبلية .

فمنذ السبعينات تم إنشاء سد على وادى جيزان الذى تبلغ مساحة حوضه ١٦٠٠كم٢ ، وذلك فى عالية مدينة أبو عريش قبيل خروج الوادى من المناطق الجبلية . وكانت الغاية منه تخزين مياه الفيضان ووقاية الأراضى والتربة ، وتنظيم توزيع المياه بواسطة شبكة من الرى على الحقول . يستطيع السد أن يحجز ٧١ مليون متر مكعب من المياه ، وبالتالى يستطيع أن يحول ٨٥٠٠ هكتار من الأراضى المزروعة بطريقة رى الحياض الى الزراعة بطريقة الرى الدائم . وقد خفف السد بعد إنشائه حدة الفيضانات المدمرة ، وتمكن من التحكم بالمياه المخزونة وصرفها عن طريق بوابات خاصة يتم فتحها وغلقها أتوماتيكيا ، وفق متطلبات الزراعة . وكان قد قدر أن متوسط الجريان السطحى فى وادى جيزان ٨٠ مليون م٣ سنويا ، بسبب تعرضه لحدوث (١٥ – ٣٥) فضيانا يتراوح حجم الواحد منها من ٥ر٠ – ١٠ ملايين م٣ .

وقد أنشىء فى الوادى محطة تجارب زراعية قرب قرية حاكمة ، مساحة أرضها ٥٠ هكتارا تستمد المياه للرى من الوادى ومن الآبار المحفورة فى الطمى ، ولكن لم تستغل جميع أرضها حتى الآن . ويجرى إقامة قنوات الرى الرئيسية والفرعية للمشروعات . وسيقام فى المنطقة مشروع تجارب لتطوير الانتاج الحيوانى . ولربط هذه المنطقة بجيزان ثم إنشاء طريق معبد بينهما .. وبالاجمال سترسم هذه المشاريع الطرق السليمة لتطوير الزراعة فى المنطقة كلها .

الانتاج الزراعى :

تتصف الزراعة فى جيزان بأنها زراعة اكتفاء ذاتى ، أى أن المزارعين يعتمدون فيها على زراعة مايكفى حاجة أسرهم ، وأحيانا حاجة أسر ملاك الأراضى التى يعملون فيها من المواد الغذائية لفترة عام على الأقل . وتتكون المواد الغذائية فى العادة من الحبوب . وقد تخصص هذا الاقليم بزراعة الذرة الرفيعة والدخن لملاءمتهما لمناخ الاقليم فى الموسم الصيفى والموسم الشتوى ، ولو أن قيمتهما الغذائية منخفضة . ويضاف اليهما السمسم والذرة الشامية فى السهول ، والقمح والشعير فى مناطق مدرجات الجبال . وكان يعتبر اقليم جيزان من أقل مناطق المملكة الزراعية عناية بانتاج الخضروات والفواكه حتى التمور .

ويؤخذ مما تصدره وزارة الزراعة أن منطقة جيزان تنتج معظم المحاصيل الشتوية التى سجلت فى المملكة فيما يتعلق بالذرة الرفيعة (٨٤٪) ، والدخن (٤٢٪) ، والتى يشاركها فى هذا الانتاج باقى مناطق تهامة التابعة للامارات الاخرى . وقد بلغت فى شتاء ١٩٨٠/٧٩م ٥٦١٨٠ طن ذرة ، ٢١٩١ طن دخن ، ٩٤٦٠٧ أطنان من الاعلاف (٥٣٪ من منتوج المملكة من الأعلاف الشتوية) . وقد انتجت نسبة كبيرة من هذه الحاصلات فى الصيف أيضا .

وقد لوحظ من تتبع الاحصائيات المتتالية أن انتاج هذه المنطقة من الحاصلات فى تذبذب شديد بسبب اعتماد الزراعة على الفيضانات وترددها وهى غير منتظمة أو مضمونة . فقد بلغ تذبذب انتاج الدخن على سبيل المثال من ١٧٠٠٠٠ طن سنة ٧١/٧٠ إلى نحو ٣٠٠٠ طن فقط سنة ٨٠/٧٩م . وفى حين بلغ انتاج المنطقة من الذرة ١٠٠٠٠ طن فقط فى سنة ١٩٧٤/٧٣م ارتفع الى ٩٣٨٠٠ طن سنة ١٩٧١/٧٠م وكان هذا الرقم يساوى ٧٠٪ من انتاج المملكة .

وتنتج منطقة جيزان – بالاضافة الى ماذكر – كميات ليست قليلة من القمح والشعير والسمسم والخضروات وغيرها . ومن الملاحظ الاتجاه نحو التوسع فى زراعة الخضروات .

ومن الجدير بالملاحظة أيضا أن سهول جيزان لاتساهم بشيء يذكر من انتاج الأشجار المثمرة لأن المزارعين يحاولون أن يحصلوا بأسرع مايمكن من حاصلات المواد الغذائية لتقيم أود أسرهم وليخزنوا منها مايكفيهم من الغذاء فى الفصول الاخرى ، وليس عندهم متسع من الوقت لانتظار أشجار الفواكه التى تحتاج الى عدة سنوات حتى تثمر . وفى نفس الوقت يعتبر انتاجها بمثابة مواد رفاهية يمكن الاستغناء عنها .

غير أن الجبال العالية من هذه المنطقة تكاد تكون هى الوحيدة المتخصصة بزراعة البن والقات ، اللذين لاتجود زراعتهما الا فى مساحات محدودة جدا ، ولذلك كان انتاجهما الاجمالى ضئيلا للغاية . ويوجد القليل من أشجار فواكه المناطق الحارة والمعتدلة فى الوديان الجبلية كالموز والحمضيات .

يستهلك المزارعون معظم الانتاج السنوى ويشاركهم فيه الملاك فى الأراضى الزراعية المستأجرة والذين يتقاضون فى العادة نسبة مئوية من الانتاج أجرة لأراضيهم (أى اجرة عينية) ، ويفيض القليل منه كل عام خاصة فى السنوات الخصيبة ، حيث يجد سبيله الى الأسواق المحلية فى مواسم الحصاد ، أى فى الوقت الذى تكون فيه الأسعار منخفضة .

تربية الحيوانات :

تكاد تكون الزراعة فى منطقة جيزان زراعة مختلطة بمعنى أن المزارعين يقومون بتربية الحيوانات بالاضافة إلى قيامهم بالأعمال الزراعية الأخرى ، وفى هذه الحالة فانهم يربونها على الأعلاف التى يخصصون لها مساحات واسعة من الأرض الزراعية ، وكذلك على أعقاب النباتات بعد الحصاد . ويهتمون بتربية عدد من أنواع الحيوانات لأغراض مختلفة ، حيث يستعان ببعضها فى الأعمال الزراعية . فتقوم بذلك بمثابة الآلات كالابقار والبغال والحمير للحراثة والحمل ونحو ذلك . ويربى بعضها للحصول على اللحوم أو الألبان ويستفاد من أصوافها وجلودها وما الى ذلك . والأنواع التى تربى لهذا الغرض هى الأبقار والأغنام والماعز .

وفى حين أن الأبقار تعتبر أهم حيوانات مناطق السهول ، فان الماعز والأغنام تكاد

تكون أهم حيوانات المناطق الجبلية سواء تلك التى يربيها المزارعون أو تلك التى يمتلكها البدو الرحل ، كما أن الجمال من أهم حيوانات البدو ..

ومن هنا وجدنا أن منطقة جيزان غنية بالثروة الحيوانية ، بالرغم من انخفاض نسبة البدو الرحل ، اذ لم تتجاوز نسبة البدو فى امارة جيزان سنة ١٩٧٤م (٤٪) من مجموع السكان فى حين أنها (٢٧٪) فى المملكة . يدل على ذلك أن جيزان ساهمت فى عام ١٩٨٠/٧٩ بما نسبته (٢٠٪) من أبقار المملكة و(١٨٪) من جمالها و(١٢٪) من ماعزها و(٩٪) من أغنامها [1] .

الاخشاب وزيت الخشب :

لقد استثمر سكان مناطق الجبال فى جيزان الأشجار التى توافرت فى أراضيهم واستغلوها فى كثير من الاستعمالات . فقد استخدموا أخشاب أشجار الأكاسيات ونبات الصومل Angious Prime والسدر والعتم لاستخراج القطران وزيت الخشب ، وذلك بعملية « كربنة » الخشب بمعزل عن الهواء ثم تقطيره ، ولاتزال مقاطر الخشب القديمة موجودة فى كثير من الأماكن مثل منطقة نخلان ومنطقة عيبان[2] .

لقد استخدم زيت الخشب فى الماضى فى الاضاءة ، ولايزال يستخدم فى تليين الجلود لاسيما قرب الماء قبل استعمالها . واستخدم القطران فى طلاء عوارض القوارب الخشبية ، وقد صدر من أجل هذه الغاية ، كما استخدم فى طلاء الابواب والنوافذ وبعض عوارض المنازل الخشبية ، وفى معالجة الأمراض الجلدية التى تصيب الحيوانات « كالجرب » . واستخدم الفحم المتبقى من عملية التقطير فى الوقود .

قطع المواطنون الاشجار واستخدموا أخشابها كذلك كحواجز وسياجات فى المزارع أو بناء المنازل أو اقامة هياكل الأعشاش ، فضلا عن استعمالها فى الوقود . ونظرا لطول أمد هذا الاستثمار فى منطقة أشجارها ليست كثيفة ، ونمو النباتات فيها بطىء بحيث لايستطيع أن يعيد التوازن الأيكولوجى بعد الاضطراب الذى أحدثته عوامل القطع ؛ لذلك فانهم كادوا أن يقضوا على هذه الثروة النادرة ، والتى لابد من استثمارها بحكمة وعقلانية ، كما لابد من تنشيط نموها الطبيعى لتعويض وزراعة عدد من الأنواع الحرجية التى تمتاز بسرعة نموها وجودة أخشابها وملاءمتها لظروف بيئة هذه المنطقة .

---

(١) الكتاب الاحصائى السنوى ، العدد ١٧ ص ٥٠٦ .

(٢) سعيد احمد سويد الغامدى ـــ تقرير عن الغابات بمنطقة جيزان واحتياجات تطويرها (١٣٧٣هـ) ص ٣ .

صيد الأسماك :

يعتبر البحر الأحمر من البحار الغنية بالأحياء المائية لاسيما بالأسماك بسبب دفئه ونقاء مائه وكثرة الشعاب والارصفة المرجانية فى منطقة الرصيف القارى العريض والقليل العمق . غير أن انتشار الشعاب والحواجز المرجانية على طول خط الشاطىء حرم الاقليم من وجود المرافىء الطبيعية ، وصارت قليلة العدد ، متباعدة بعضها عن بعض . وقد عمل سكان هذه المرافىء على استغلال الثروة السمكية منذ العصور القديمة ، ولكنهم احتفظوا — بسبب انعزالهم — باساليبهم القديمة فى عمليات الصيد دون أن يطرأ عليها تطورات ذات شأن حتى الآن . وانتاجية تلك الاساليب ضئيلة ودخل الذين يمارسونها محدود للغاية .

يعتمد سكان هذه الشواطىء فى غذائهم البروتينى على الأسماك ويمارسون بيع الفائض من الصيد لسكان المناطق المجاورة لاسيما عن طريق البلدات الهامة التى لها اتصال بظهيرها الداخلى مثل مدينة جيزان . ومن هنا تبرز أهمية استبدال وسائل الصيد الحديثة بدل القديمة وذلك بتجهيز قوارب خاصة معدة لهذه الغاية . ويرتبط بذلك تطوير وسائل تصبيرالأسماك سواء بالتمليح أو التبريد ، وايجاد صناعة التعليب حتى يمكن توسيع مناطق تسويقها فى مناطق المملكة الداخلية أو للتصدير للخارج .

الغوص :

كان يتم الغوص فى شواطىء جيزان وجزائر فرسان الواقعة فى بحر ضحل ورائق (صاف) وحار ، وهى شروط ملائمة لنمو حيوان المرجان وكذلك أصداف اللؤلؤ الطبيعى . كان الغواصون يعانون متاعب شديدة ويتعرضون للمخاطر ، ويعملون بالأجرة لصالح عدد من التجار الأثرياء الذين يستغلون جهودهم ويسيطرون على عمليات الغوص وعلى تجارة اللؤلؤ . غير أن منافسة اللؤلؤ الاصطناعى فى بعض الدول كاليابان ، وتطور اقتصاد المملكة وتوفر فرص عمل أفضل أمام العمال والغواصين فى مناطق أخرى بالمملكة قضى على هذه المهنة نهائيا .

ومع ذلك يمكن استغلال هذه الثروة الكامنة التى أتاحتها ظروف البيئة استغلالا اقتصاديا من قبل سكان هذه الجزر ؛ وذلك باتباع الأساليب الحديثة لتنمية اللؤلؤ اصطناعيا كما يحدث الآن على نطاق كبير فى اليابان ، فينفتح بذلك مجال واسع من مجالات الرزق يمكن الاعتماد عليه بالاضافة الى المجالات الأخرى فى النهوض بالمستوى الاقتصادى للمنطقة .

الملح الصخرى والتعدين :

تنتشر قباب الملح الصخرى على طول خط الشاطىء فى منطقة جيزان وبعض الجزر القريبة من الشاطىء . وقد استثمرها سكان المنطقة منذ القدم وذلك بتكسيرها وتعبئتها بأوعية خاصة كاكياس الجوت وبيعها فى المنطقة وخارجها . وكان ملح جيزان يصل الى مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية ويستثمر من تلال داخل المدينة (اليوم) يبلغ سمك الملح فيها ٤٠م .

-ذكر أمين الريحانى الذى زار المنطقة عقب الحرب العالمية الأولى وفى عهد الدولة الادريسية أن جيزان تنتج ما مقداره حمولة ٥٠ جملا من الملح شهريا(١) وقد أوضح كذلك أن استثمار الملح كان من بين مجالات الانتاج فى جيزان فى ذلك الوقت . وتشير الدراسات الحديثة الى وجود نحو ٣٠٠ مليون طن من احتياطى الملح الصخرى فى منطقة جيزان بما فى ذلك جزائر فرسان .

كان الملح يستثمر – ولايزال – بالطرق البدائية القديمة وتعتبر انتاجيتها ضعيفة ومردودها المادى ضئيلا للغاية ، وأهم التغيرات التى طرأت عليها هو استعمال السيارات في نقل الملح وتسويقه بدل الحيوانات . ويتكون ملح جيزان من كلوريد الصوديوم بنسبة ٩٦٪ ومن أملاح أخرى بنسبة ٢ر٣٪ وشوائب سيليسية بالنسبة الباقية .

ويمكن استثمار هذه الثروة بانشاء معامل حديثة لتنقية الملح وتعبئته ومن ثم يمكن تسويقه فيتوافر مجال آخر من مجالات الرزق لعدد من سكان هذه المنطقة .

وتعتبر المناطق الشاطئية فى جيزان غنية كذلك بمعدنى الشب والجبس ؛ اذ أن الأول يغطى أرض الشاطىء من قمران فى اليمن جنوبا حتى الليث شمالا على شكل خط يوازى الشاطىء من الداخل ، ويوجد كذلك فى جزائر فرسان الكبرى والصغرى الا أنه لم يستثمر . كما يوجد الثانى فى مناطق متفرقة من الساحل فى جزائر فرسان أيضا حيث يبلغ سمكها هناك ١٠٠م ويقدر الاحتياطى بنحو ٢٠ مليون طن .

ويعتقد الخبراء كذلك بتوافر جميع أنواع الصخور اللازمة لصناعة الأسمنت ، وقد اعتقدوا بوجود البترول فيما بين الجزر والشاطىء خاصة فى المناطق المغمورة . ولذلك

---

(1) Ameen Rihany-Around the Coasts of Arabia, P. 203.

يمكن الاستفادة من توافر هذه الثروات وإنشاء صناعة تعدينية فى المنطقة لإنتاج الشب وانتاج الجص والجبس والإسمنت لاسيما فى هذه الفترة الحرجة من حياة هذه المنطقة خاصة وحياة المملكة عامة ، وهى فترة البناء والتشييد حيث تستهلك كميات هائلة من الاسمنت وغيرها من مواد البناء .

لقد تبين من الدراسات التى تمت على ميناء جيزان أن أهم ما يستورده هو مادة الاسمنت التى تستهلك محليا وفى مناطق إمارات الجنوب . ومن المعروف أن انتاج معامل الاسمنت الثلاثة فى المملكة لايكفى سوى نحو نصف حاجة البلاد ويغطى الاستيراد النصف الآخر . ولذلك فمن المنطقى إنشاء هذه الصناعة فى جيزان ، لاسيما وأن سكان اقليم جنوب غرب المملكة تزيد نسبتهم عن ربع سكان المملكة . فتساهم هذه الصناعة فى تخفيف حركة استيراد هذه المادة من الخارج .

أما بالنسبة للبترول فقد عقدت الدولة اتفاقا مع الشركة الفرنسية للبترول « اكسيراب » فى عام ١٩٦٥م للتنقيب عن البترول فى ثلاثة مواقع من المناطق الساحلية للبحر الأحمر ؛ أحدها جزائر فرسان والمناطق المغمورة وجزء من اليابس المقابل لها ، ثم تنازلت هذه الشركة عن ثلث حصتها لشركة تنكو الامريكية ... هذا فضلاً عن امكانية إنشاء صناعات تعدينية ومعدنية نظرا لتوافر خام بيريت الحديد ، والكبريت فى شرق المنطقة ، ووجود خام النحاس فى وادى بيض ، والنيكل وغيرها .

إن انشاء مثل هذه الصناعات يساهم فى تطوير الحركة الصناعية فى المملكة من ناحية ، ويوفر وجود فرص عمل تعمل على توازن التطور الاقتصادى فتخفف من هجرة الشباب منها الى غيرها ، وقد تجذب عددا من المهاجرين اليها .

البيئة الطبيعية والسياحية :

تمتاز منطقة جيزان بانها تحتوى على مناطق تتباين فى ظروفها الطبيعية ، وأن هذه الظروف تتغير فيها على بعد مسافات قصيرة . فاذا كانت ظروف البيئة الطبيعية فى المناطق الساحلية سيئة – خاصة الظروف المناخية ، وهى غير مريحة للحياة البشرية وتمر عليها فترات يصعب تحملها – فانه يوجد بالقرب منها جبال عالية من جهة ، وجزائر بحرية من جهة أخرى تتصف كل منهما بخصائص طقسية معينة تجعلهما متكاملتين . فيتوافر بذلك مجال اقتصادى واسع لم يستغل حتى الآن.، ألا وهو المجال السياحى .

تتمتع جبال جيزان صيفا بطقس جميل ، فهى معتدلة الحرارة ، معتدلة الرطوبة ، يتخللها فترات انعقاد الغيوم وسقوط المطر . وتحوى مناظر خلابة تتضمن تناوب القمم الجبلية والوديان السحيقة والسفوح ذات المدرجات الجبلية والمساكن على شكل القلاع تتوزع فيما بين الحقول ، وتتوشى الأرض بحلل خضراء سواء من النباتات الطبيعية أو المزروعة .

وتتمتع جزائر المنطقة - خاصة جزائر فرسان شتاء - بطقس جميل أيضا ، حيث تكون دافئة لاتعرف البرودة . هواؤها عليل ، بعيدة عن الضجيج وعن المستنقعات والسبخات والأمراض الناتجة عنها ، أمطارها قليلة وسماؤها صافية فى أغلب الأحيان فتتمتع بمناظر خلابة فيما بين الماء والشواطىء . بحرها الضحل مملوء بالشعاب المرجانية المختلفة الألوان ، وتوفر ظروفاً ملائمة لرياضة الماء كالسباحة والتزلج ، وملائمة لاشباع رغبة بعض الهوايات كالصيد والغوص .

تعتبر هذه الميزات الطبيعية ثروة كامنة لم تتح الفرصة لاستغلالها بعد ، بسبب انعزال هذه المناطق وتأخرها الاقتصادى والحضارى . وقد كرس هذا الانعزال وذلك التأخر صعوبة الانتقال ومخاطره . إذ كانت تقتصر المواصلات البرية على طرق القوافل غير الممهدة ، ولاتحيد فى مناطق الجبال عن مجارى الأودية . وبعد الوصول الى صدور الأودية لم يكن بالامكان بلوغ السفوح العالية الا بمساعدة الحيوانات وأحيانا يصعب على الحيوانات أن تجتاز بعض المعابر وهى محملة .

وبالرغم من سهولة المواصلات البحرية وقدم استخدامها ، فان ظروفها فى البحر الأحمر ليست يسيرة كما يعتقد ، بسبب الشعاب المرجانية والأرصفة على طول خطوط الشواطىء وحول الجزر ، مما جعل الملاحة خطرة جدا وأنقص فرص ايجاد الموانىء الطبيعية . فانعزل سكان الجزر بجزرهم مكتفين بما تجود به بيئتهم من مواد غذائية . وليس من السهولة زيارة مثل هذه الاماكن فضلا عن ارتيادها بقصد السياحة .

ولذلك يمكن اعتبار أن تطوير منطقة جيزان لايمكن اتمامه إلا على أساس تخطيط إقليمى ، يعتمد بالدرجة الأولى على انشاء شبكة مواصلات أرضية « مزفلتة » تصل خطوطها الى المناطق الجبلية العالية وكذلك بإنشاء موانىء مجهزة فى كثير من مواقع الشواطىء وفى بعض جزر المنطقة ، وايجاد تنظيم حركة ملاحة دائمة فيما بين هذه الموانىء .

بعدئذ يمكن استغلال هذه الظروف سياحيا بانشاء الفنادق والمطاعم من مختلف الدرجات ، وتأمين المواد الغذائية والخدمات وبعض السلع التى يسأل عنها القادمون ، وتشجيع سكان المناطق الساحلية لقضاء أوقات الاجازات أو أوقات الفراغ فى مناطق الجبال صيفا وفى الجزر شتاء ، ومن ثم تشجيع الناس للقدوم اليها من مناطق مختلفة من المملكة .

وهكذا يتضح أن منطقة جيزان تختلف فى صفاتها وفى خصائصها وطرق استثمار البيئة فيها من مكان إلى آخر متأثرة بذلك الى حد كبير بظروف البيئة الطبيعية ، بحيث يمكننا أن نقسمها الى أربع مناطق متباينة فى طبيعتها وفى مظهرها العام وفى حياة سكانها وهى :

أ – منطقة السهول الزراعية : وتحتل الأحواض الدنيا للوديان الهابطة من الجبال . وهى سهول رسوبية طموية شكلتها الوديان من ترسيب ماتحمله من طمى وزودتها بمياه الفيضانات . ويمارس السكان الزراعة فيها باسلوب رى الحياض ، وأهم حاصلاتها الحبوب والثروة الحيوانية .

ب – الشواطىء والسهول الساحلية فيما بين الأحواض الدنيا للوديان أى خارج الأحواض الطموية . وهى مناطق قاحلة جدا بسبب ندرة الأمطار وفقر التربة . ولذلك فهى فى معظمها شبه خالية من السكان . وحتى أن البدو لم يجدوا لحيواناتهم مسرحا فيها . إلا أن الشاطىء يحتوى على بعض المواقع التى صلحت لقيام مرافىء طبيعية ، فاعتمد سكانها على البحر فى حياتهم فى المقام الأول . وقد جلبوا ماء الشرب من أماكن بعيدة بواسطة الحيوانات .

ج – منطقة الجبال الساحلية وتلى المنطقتين السابقتين باتجاه الداخل . وهى تتباين فى طبوغرافيتها وفى ارتفاعاتها واتجاهات تضاريسها . وتمتاز بأنها تستقبل كميات لا بأس بها من الأمطار بحيث اكتست بغطاء نباتى كثيف وبحيث أمكن تحويل قسم من سفوحها العليا الى مدرجات جبلية لزراعتها اعتمادا على الأمطار وحدها .

د – منطقة الجبال التى تلى السابقة باتجاه الداخل ، وتقع فيما بينها وبين جبال السروات . فنظرا لبعدها عن البحر وانزوائها ؛ ظهرت وكأنها أصبحت فى ظل المطر بالنسبة للأولى ، وقلت أمطارها بالرغم من ارتفاعاتها العالية بحيث لاتكفى بالكاد لإنبات

غطاء فقير استغله البدو فى تربية الحيوانات . ولذلك ارتفعت نسبة البدو فى هذه المناطق بالقياس الى المستقرين .

ولكن – ولأسباب بشرية – يمكن أن ندخل تعديلا على هذا التقسيم وندرسه على النحو التالى وبشىء من التفصيل :

١ ـــ السهل الساحلي فى منطقة جيزان :

يطلق على المنطقتين أ ، ب اسم سهل تهامة ويعتبر بمثابة السهل الساحلى الذى يمتد بمحاذاة شاطىء البحر بعرض يتراوح بين ٣٠ – ٤٥ كم فيما بين الحدود مع اليمن جنوبا حتى الشقيق شمالا وينقسم الى ١٨ وحدة إدارية تتبع جميعا إمارة جيزان يطلق على كل منها اسم امارة فرعية . وسنفضل استعمال كلمة قضاء للدلالة عليها خشية الالتباس بين آمارة وإمارة فرعية أو تابعة . وتتأثر حدود الأقضية فى الغالب باحواض الوديان بسبب تأثرها بتوزيع ملكيات القبائل والظروف القبلية ، وهذه متأثرة فى الأصل بامكانية الانتاج وبتوزيع الوديان ، ولهذه التوزيعات جذور تاريخية .

بلغ عدد سكان الاقضية التى تشكل السهل الساحلى فى سنة ١٩٧٤ م(١) ٢٨٥٥٦٣ منهم ١٤١٩٤١ من الذكور و ١٤٣٦٢٢ من الاناث . ويدل نقصان عدد الذكور عن عدد الاناث على أثر هجرة الشباب الذكور من هذه المناطق الريفية للتفتيش عن أعمال فى مدن المملكة الرئيسية ومناطق التنمية فيها .

ويدل كبر هذه الأرقام من ناحية ثانية على ازدحام السكان وارتفاع كثافتهم بسبب كثافة الانتاج الزراعى . اذ تبلغ الكثافة فى هذا السهل اجمالا ٢٨ فرد/كم٢ وهذا يفسر كثرة القرى حيث وجد فيها ١١٧٢ قرية وبلدة أى بنسبة ٦ر٧٪ من قرى المملكة ، كما يفسر أيضا قلة عدد البدو ، إذ لم يكن فيه سوى ٦٢١١ فردا منهم تواجدوا فى القسم الشمالى منه ومازالوا يعيشون فى بيوت الشعر ، فى حين أن المزارعين كانوا يعيشون فى أعشاش مصنوعة من القش والطين . ويمكننا أن نقسم هذا السهل الهام الى عدد من الأقسام حسب توزيع أحواض الوديان ، يضم كل منها عددا من الأقضية ، أى الوحدات الإدارية :

---

(١) جميع أرقام أعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م الواردة فى هذا الفصل أخذت من تعداد السكان الذى صدرت نتائجه فى ١٩٧٧ والصادر عن مصلحة الاحصاءات العامة .

شكل (٣١)

تهامة جيزان
حدود دولية
طرق معبدة
وديان
مدينة
قرية
بيش
صبيا
جيزان
أبو عريش
الشقيق
الموسم
المضايا
صامطة
جزائر فرسان
فرسان الكبير
فيران
البحر الأحمر
الجمهورية العربية اليمنية
٠ ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ كم

أ ــ **قضاء الموسم** :ــ ويقع فى أقصى امتداد للمملكة العربية السعودية باتجاه الجنوب ، أى الى الشمال مباشرة من الحدود اليمنية ــ السعودية فى منطقة الساحل ، شمال ٢٢َ ١٦°ش . وذلك فى حوض وادى حرض الذى ينحدر من جبال اليمن ويشكل دلتا من الرسوبيات الطموية ، يبدأ رأسها على بعد ١٨كم ، خضعت بكاملها للزراعة .

وقد نشأ فى هذا السهل ١٨ قرية أهمها بلدة الموسم ، وهى بلدة حدودية تقابل ميناء ميدى اليمنى وتبعد ٨ كم عن شاطىء البحر . ومن القرى الأخرى : الزرّبة وتقع الى الغرب من الموسم ، والعكاشيم وقطينة والكدمى الى الشرق منها ، والعرجين والقنبور والأسودية والحفيرة وتقع قرب حافة السهل الرسوبى فى الجنوب الشرقى[1] .

لم يتجاوز عدد سكان القضاء سنة ١٩٧٤ ٤٥٠٠ نسمة ، ولكن مساحته أيضا لم تتجاوز ٤٠٠ كم٢ مما يجعل الكثافة لاتتجاوز ١١ فردا للكيلو متر المربع أى دون الكثافة فى امارة جيزان ككل . ولكن تبين أن أكثر من ٦٠٪ من السكان كانوا من الذكور مما يدل على أثر الهجرة اليها بسبب وقوعها على الحدود مباشرة ، مما يقتضى استقطاب عدد من الموظفين الذكور اليها .

ب ــ **حوض وادى تعشر** : يقع وادى تعشر الى الشمال من وادى حرض ، ولكنه يختلف عنه بأنه يسير أكثر من ٥٠ كم فى الأرض السعودية بعد أن تنحدر روافده من جبال اليمن . وهو يتكون فى الواقع من اجتماع عدد من الروافد أهمها : وادى مغيالة ووادى لية الى المجرى الرئيسى . وقد شكلت هذه الروافد وكذلك المجرى الرئيسى سهلا رسوبيا واسعا متصلا ، مما حول المنطقة بكاملها الى مساحات خاضعة للانتاج الزراعى بفضل غناها بالموارد المائية المنحدرة من الجبال تظهر على الخرائط بامتداد ٥٠ كم شرق – غرب وبعرض يصل احيانا الى ٢٠ كم . وهذا يفسر كثرة القرى الزراعية وارتفاع عدد السكان ، وطبعهم بالطابع الريفى . فقد وجد فى هذه المنطقة التى لاتتجاوز مساحتها كثيرا ١٠٠٠ كم٢ نحو ١٨٠ قرية تجاوز سكانها ٥٠٠٠٠ نسمة . فترتفع الكثافة فيها الى نحو ٥٠ نسمة/كم٢ .

وقد قسمت هذه المنطقة إداريا الى ثلاثة أقضية هى :

---

(١) من أجل هذه المواقع أنظر مجموعة لوحات منطقة جيزان . مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ . عمل شركة اسيا ايروسيرفى – سيول كوريا .

١ ـ قضاء الطوال : ويحتل مساحة صغيرة الى الشمال من خط الحدود ، والى الشمال الشرقى من قضاء الموسم ، وذلك فى الحوض الأوسط لوادى تعشر ، أى الرافد الجنوبى للوادى وقبل اجتماعه بوادى مغياله . ولاتزيد مساحة هذا القضاء عن ١٥٠ كم٢ خضعت أرضه لرى الحياض باجمعها ونشأ فى وسطها ٣٩ قرية ، بلغ عدد مستوطنيها نحو ١١٠٠٠ نسمة ، من أهمها قرية الطوال التى تقع جنوب الوادى فى وسط السهل ، وقد تحولت الى بلدة حدودية . ومن قراه أيضا : عنطوطة والشهمانية العليا والسفلى وتقعان الى الغرب منها ، وماغص وشعب الديب ومحرقة والمجنة والخوجرة والمصفق والمكنبل والخيث ووعلان والمعزاب والخلفة والغاوية والمجروب فى الاتجاهات الأخرى .

٢ ـ قضاء صامطة : ويقع الى الشمال من القضاءين السابقين ، وتنطبق حدوده الشرقية على جزء من حدود المملكة مع اليمن ، ويفصله عن البحر غربا قضاء المضايا . ويحتل قضاء صامطة حوض وادى تعشر الأدنى حيث تلتقى روافد الوادى الرئيسية الثلاثة فيتشكل سهل يزيد عرضه عن ٢٠ كم ويمتد بامتداد الروافد يتكون من الرسوبيات الطموية ، خضع فى سنة ١٣٩٤هـ (٤٨) كم٢ منها لزراعة رى الحياض أى نحو ١١٪ من مساحة الأرض الزراعية فى اقليم جيزان ، فى حين أنه يضم – بالاضافة الى ذلك – مثل هذه النسبة من مساحة الأرض القابلة للزراعة فيه .

ولذلك كان قضاء صامطة من أكثر الأقضية سكانا بفضل الزراعة ؛ إذ تواجد فى وسط الحقول الزراعية ١٣٨ قرية متوسطة أو كبيرة الحجم بلغ تعدادها فى سنة ١٣٩٤هـ ٣٨٠٠٠ نسمة . ولأيتوقع أن يكونوا قد زادوا فى الفترة التالية . وأهم هذه القرى : صامطة التى تحولت إلى بلدة كبيرة حينما تبوأت قاعدة القضاء ، وتقع على وادى لية ، ويصل اليها طريق مزفلت قادم من جيزان . ومنها الحرادية والعامرية والدرعية وتقع الى الغرب منها على الحافة الشمالية للدلتا ، والركوبة والجادى وأبو حجر الأسفل والاعلى والوتد وتقع على الحافة الشمالية لحوض لية ، ومجفر والحيانية والقائم واللقية والشعب والقفل الى الشرق .

٣ ـ الجزء الجنوبى من قضاء المضايا : ذلك الجزء الواقع فى سافلة وادى تعشر ويحتل الواجهة البحرية لهذه المنطقة الى الشمال من واجهة الموسم . ولذلك يمكن التمييز بين الجزء الواقع فى حوض الوادى والذى يعتبر امتدادا طبيعيا لسهل صامطة الرسوبى ، والذى يضم أراضى زراعية وفيه قرى ؛ وبين الجزء الشاطئى الذى يفصل الاجزاء

السابقة عن شاطىء البحر . ولما كان السهل الشاطئى بعرض ٤ - ٥ كم بين خط الشاطىء والداخل يتعرض لحقن مياه البحر المالحة ، صارت معظم مساحته غير صالحة للزراعة ، وضعيفة الموارد إجمالا ، علاوة على أن الشعاب المرجانية أعاقت أى استفادة من البحر ، فكان هذا الجزء قاحلا شبه خال من السكان .

جـ ـــ **حوض وادى خَلَّب** : يقع وادى خلب الى الشمال من الوادى السابق فى مكان يزداد فيه عرض المنطقة فيما بين الحدود شرقا والبحر غربا ، ولذلك فانه يقع بين منطقة جبلية داخلية ضمن الحدود السعودية شرقا (منطقة الخوبا) والتى تنحدر منها روافد وادى خلب وبين الساحل غربا . ونظرا لغزارة المياه المنحدرة اليه من الجبال وكثرة تردد الفيضانات ، فقد شكل الوادى سهلا رسوبيا طمويا يمتد مع امتداد المجرى نحو ٤٠ كم متصلة ، ويتراوح عرضه بين ١٠ - ١٥ كم . وقد خضع بأجمعه للزراعة ، مما سبب وجود نحو ١٦٠ قرية بلغ تعدادها أكثر من ٢٦٠٠٠ نسمة وقعت ضمن حدود وحدتين اداريتين هما :.

١ ـــ قضاء أحد المسارحة : ويشغل معظم مساحة حوض الوادى باستثناء الواجهة البحرية فقط . ولذلك فهو يقع بين منطقة الخوبا الجبلية والمضايا الشاطئية وذلك فيما بين قضاءى صامطة جنوبا وأبو عريش شمالا . وتبرز أهمية هذا القضاء فى انه يضم ٧٪ من مساحة الأرض الزراعية فى امارة جيزان ، كما أنه يضم ١٩٪ من المساحة القابلة للزراعة فيه . وهذا يفسر كثرة القرى التى بلغ عددها ١٥٥ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، واتخذت قرية « سوق الأحد » ، أو « أحد المسارحة » قاعدة إدارية لهذه المنطقة وتقع فى وسط السهل . لذلك نشأ فيها عدد من الدوائر الحكومية وتركزت فيها المدارس . وانشىء فيها المجمع القروى الموكل اليه تطوير قرى المنطقة .

كانت تمر منها طرق القوافل المتجهة من جيزان الى اليمن ووصل اليها مؤخرا الطريق المعبد الذى أنشىء فى نفس الاتجاه . فكبرت القرية وتحولت الى بلدة عامرة .

ومن قرى القضاء أيضا : الحصامة وجحا والعبادية وأم الشطيفية والمنصورية والمقدّرة والمرابى والطّاهرية والصوارمة وتقع فى الشمال الغربى من سوق الأحد . ورمادة وحاكمة والدغارير ومختارة والزاوية وتقع فى جنوب الوادى . وعتبة والمنجارة والبدوى وقزع والمقرقم وتقع باتجاه عالية الوادى .

٢ ــ الجزء الأوسط من قضاء المضايا : ذلك الجزء الواقع فى سافلة وادى خلب ويحتل القسم الأوسط من الواجهة البحرية لقضاء المضايا . وهنا أيضا يسهل التميز بين الجزء الواقع فى دلتا الوادى والذى يعتبر امتدادا طبيعيا لسهل أحد المسارحة الرسوبى ، والذى يضم الأراضى الزراعية وفيه عدد من القرى ؛ وبين الجزء الشاطئى الذى يفصل القسم السابق عن شاطىء البحر ، والخبت الذى يفصل الوديان بعضها عن بعض ، أى فيما يلى الوادى شمالا وجنوبا . وهذا السهل كسابقه يتعرض لحقن مياه البحر المالحة وصار قاحلا ضعيف الموارد ، وخاليا من المرافق الطبيعية ، وشبه خال من السكان .

د ــ **منطقة أبو عريش – جيزان** : وتحتل مساحة واسعة من أحواض الوديان : فجا وأملح وجيزان وضمد ، والتى تهبط جميعها من المناطق الجبلية ضمن الأراضى السعودية فى شرق المنطقة باتجاه السهل الساحلى فتشكل سهلا رسوبيا يمتد بامتداد الوديان مسافة تتراوح بين ٢٠ – ٤٠ كم ، غير أن اقترابها من بعضها واتصال سهولها جعل منها سهلا واحدا ممتدا عرضانيا من الجنوب الى الشمال ٤٥ كم ، وقد خضعت معظم مساحته للزراعة . ولذلك وجد فى هذه المنطقة أكبر تجمعات الأراضى الزراعية فى المملكة ، وبالتالى أكبر تجمعات السكان الريفيين .

بلغت مساحة هذه المنطقة نحو ١٦٥٠ كم^2 ووجد فيها نحو ٢٦٠ قرية ، عاش فيها نحو ٧٥٠٠٠ نسمة ، فيما عدا سكان مدينة جيزان البالغ تعدادهم فى سنة ١٣٩٤هـ نحو ٣٣٠٠٠ نسمة . وتقسم هذه المساحة بين الاقضية التالية :ـــ

١ ــ قضاء أبو عريش : ويحتل الجزء الجنوبى من السهل المزروع فيما بين قضاء العارضة الجبلى فى الشرق وامتداد قضاء المضايا الشاطئى فى الغرب ، وذلك الى الشمال من قضاء أحد المسارحة . وقد تشكل السهل من اتحاد أحواض الوديان : الفجا وأملح والقسم الجنوبى من سهل وادى جيزان . وخضع جميعه للزراعة مما تسبب فى وجود ١٨٠ قرية مختلفة الحجم والأهمية بلغ مجموع ساكنيها أكثر من ٣٣ الف فرد . غير أن أهم هذه القرى أبو عريش التى تحولت الى مدينة هامة سيأتى الحديث عنها فيما بعد .

ومن القرى الهامة فى المنطقة : خبت سعيد والسلامة والبديع القرنى وقامرة والعقدة فى شمال غرب أبو عريش ، والمبترية والقواشة والأساملة وتقع فى وادى أملح ، وزخمية وزيارة رشيد وسلام بن واصل وتقع فى وادى الرياح فى جنوب شرق أبو عريش . والدبوش وحاكمة والخضراء الجنوبية والشمالية وفلس والبيض والمجصص وأم نورة وتقع فى عالية وادى جيزان .

٢ ـ قضاء ضمد : ويقع فى شمال القضاء السابق وكأنه امتداد له فينحصر بين قضاء بلغازى الجبلى فى الشرق وقضاء وادى جيزان الساحلى فى الغرب . ويحتل مساحة صغيرة لاتتجاوز ٤٣ كم٢ فى جزء من حوض وادى ضمد ، وقد خصصت هذه المساحة بكاملها لزراعة رى الحياض ، مما جعله يضم (على صغر مساحته) ٥ر٦٪ من مساحة الأرض الزراعية فى امارة جيزان . فانتشر فيه تبعا لذلك ٧٤ قرية بلغ تعدادها سنة ١٣٩٤هـ ٢٣٠٠٠ نسمة يتوقع زيادتهم عن ذلك بعد اتمام مشروع وادى جيزان .

ومن أهم هذه القرى : قرية ضمد قاعدة القضاء . ومنها الشقيرى والخضيرة والسليل والحرجا والحصن والقايم والجمأة وأم جروع .

٣ ـ قضاء وادى جيزان : ويحتل الواجهة البحرية لحوض وادى جيزان وضمد ويمكن أن يقسم الى قسمين : القسم الشرقى وهو جزء من السهل الرسوبى لهذين الواديين ولذلك فقد خضع للانتاج الزراعى وانتشر فيه السكان الريفيون فى قرى زراعية ، والقسم الغربى القريب من شاطىء البحر القاحل وشبه الخالى من السكان ، باستثناء مدينة جيزان والتى كانت مرفأ طبيعيا منذ القديم وسيرد الحديث عنها فيما بعد .

لقد انتشرت فى القسم ٥٣ قرية أهمها : الريّان وتقع على ضفة جيزان الشمالية ، ومزهرة والعشوة وملقوطة والخصاوية والفقهاء وخرادلة والعمارية والجوابرة ورحيقة وتقع فى غربها ، والخثاعبية والماطرى وصنبة والقوس وتقع فى شمالها الشرقى . لقد بلغ مجموع سكان هذه القرى نحو ١٥٠٠٠ نسمة تتميز بأنها تضم ٥ر٧٪ من مساحة الأرض القابلة للزراعة فى اقليم جيزان والتى يمكن تنميتها بعد أن يتم مشروع وادى جيزان .

٤ ـ القسم الثالث والشمالى من قضاء المضايا الذى يحتل الواجهة البحرية فيما بين نهاية وادى حرض جنوبا ووادى جيزان شمالا ، ولذلك فهو يضم نهاية الأودية : تعشر وخلب واملح (والفجا) . ونظرا لملوحة التربة وعدم صلاحيتها للانتاج الزراعى وفقر مواردها ، وخلو الشاطىء من المرافىء الطبيعية أو القرى الشاطئية ، فقد اقتصر وجود السكان على دلتاوات الوديان المذكورة والذين لم يزد تعدادهم عن ٥٥٠٠ فرد وقد توزعوا على الدلتاوات الثلاث المذكورة فى نحو ٣٠ قرية صغيرة .

وتقع قرية الحكامية – التى تحولت الى بلدة لاتخاذها القاعدة الادارية للقضاء فى جنوب دلتا وادى الفجا – على بعد ٧ كم من البحر ، ويمر منها الطريق المعبد الذى يبدأ

من جيزان باتجاه الجنوب الشرقى (الى صامطة) ، ويطلق عليها اسم المضايا . ومن قرى المنطقة : الوحلة والعقدة ومزهرة .

هـ ـــ **منطقة صبيا – بيش** : وتحتل مساحة واسعة من السهل الساحلى الواقع شمال جيزان يبلغ عرضها نحو ٤٠ كم وتمتد من شمال ضمد حتى جنوب عتود مسافة ٦٠ كم تقريبا فتبلغ مساحتها نحو ٢٢٥٠ كم٢ . وتجرى فيها الوديان صبيا وبيش والتى تتشكل من اجتماع عدد كبير من الروافد المنحدرة من المناطق الجبلية : بلغازى وهروب والحقو والريث . ويمكن أن نقسم هذا السهل الى قسمين متميزين : القسم الشرقى وهو القسم الذى تلتقى فيه الروافد المنحدرة من المناطق الجبلية وتشكل فيه سهلا طمويا واسعا وممتدا مسافة ٥٠ كم شمالا وجنوبا بدون انقطاع ، وبعرض يتراوح بين ١٠ – ٢٠ كم ، وقد خضع معظمه لزراعة رى الحياض ، وهو غير منفصل تماما عن سهل أبو عريش – جيزان الذى يضاهيه فى المساحة والامتداد والاعمار ، والذى يقع الى الجنوب منه فينتج من اجتماعهما سهل واحد . والقسم الغربى وهو الواجهة البحرية شبه القاحلة .

وجد فى سهل صبيا – بيش نحو ٣٦٥ قرية بلغ تعدادها نحو ٨٥٠٠٠ نسمة بما فى ذلك المدن الصغيرة التى نشأت من توسع القرى الزراعية ، مثل صبيا – وبيش وقد قسم اداريا الى عدد من الاقضية هى :–

١ ـــ قضاء صبيا : ويحتل أكثر من نصف مساحة المنطقة ويقع الى الشمال من وادى ضمد فيما بين البحر غربا وجبال بلغازى وهروب شرقا بعرض يزيد عن ٥٠ كم . وينتهى فيه دلتا كل من وادى صبيا ووادى بيش . ولذلك فقد خضعت معظم مساحة هذا القضاء للانتاج الزراعى مما تسبب فى انتشار ٣١٠ قرى مختلفة الحجم والأهمية بلغ مجموع سكانها نحو ٦٣٠٠٠ نسمة أى مايقرب من ١٥٪ من سكان إمارة جيزان .

وقد اتخذت صبيا قاعدة القضاء إداريا وقد نمت وتحولت الى مدينة صغيرة ولو أنها لاتزال تحتفظ بطابعها الريفى . وتقع على طريق جيزان – الدرب – أبها . ومن القرى فى عالية صبيا : طابية والمعترض ووتيشة والعريش والقرشة وصلهبة والحسينى وحلّة الأحوس . ويقع فى سافلة الوادى : الفراء والباحر والجويين وجربة والحقاوبة والفقرة وعطيف . ويقع فى حوض وادى بيش الادنى : أبو القاعد والفرشة وأبو السلع والعشة والجارة والخميمة وأم القحفة والعدايا وقلبية والأثلة والرجيع وعوانة وأبو الطيور والصنيف والقوز . وقد وجد منهلان لاستقرار البدو المؤقت فى المنطقة القريبة من البحر تلك الظاهرة التى لم نرها باتجاه الجنوب .

٢ ــ قضاءا بيش ومسلية : ويحتلان مساحة صغيرة لاتبلغ ٤٠٠ كم٢ فى حوض وادى بيش بعد هبوط الوادى من المنطقة الجبلية (بالريث) ، ويتجه مجراه نحو الجنوب فى منطقة السهل الى أن يدخل قضاء صبيا . فتنحصر المنطقة بين « الحقو » الجبلية فى الشرق وبين قضاء العالية الشاطئى فى الغرب . وقد خضعت معظم مساحة هذه المنطقة لزراعة رى الحياض مما أوجد فيها ٣٢ قرية ، ٢١ منها فى القضاء الأول و١١ فى القضاء الثانى بلغ تعدادها ١١٠٠٠ فى الأول بما فى ذلك بلدة بيش الواقعة فى غرب المجرى ، ونحو ٥٠٠٠ فى القضاء الثانى .

ومن القرى التابعة لبيش : أم الخشب وتقابل بيش على ضفة الوادى الشرقية ، والشريعة والحلة والكدرة والمطعن والقريف وقائم الدش . ومن قرى قضاء مسلية : بلدة مسلية التى تقع على ضفة الوادى الغربية وفيها نحو ثلث سكان القضاء ، ويقابلها على ضفة الوادى الاخرى أم الدمنين . وتقع قرية النخرى فى عالية الوادى .

٣ ــ قضاء العالية : ويحتل الواجهة البحرية لهذه المنطقة أى فيما بين صبيا وعتود غير أنه يضم مصبات عدد من الاحواض الدنيا للوديان الصغيرة : السّر والردحة وسمرة وبيض ، والتى لم تستطع أن تشكل سهولا كالوديان السابقة . ولذلك كانت معظم مساحة هذا القضاء غير صالحة للاستثمار . ونظرا لاتساع مساحته والتى تبلغ أكثر من ٦٠٠ كم٢ فقد وجد فيه ٢٢ قرية بلغ عدد افرادها نحو ٦٥٠٠ فرد ، غير أن ٣٠٪ منهم عاشوا فى قرية العالية التى تقع على ضفة وادى بيش الغربية وذلك الى الجنوب من بلدة بيش . ومن قرى القضاء فى وادى بيش أيضا : الملحاء والسلامة السفلى والمجديّرة .

و ــ **قضاءا عتود والدرب** : ويبدآن من واجهة بحرية يبلغ طولها نحو ٢٥ كم فى شمال قضاء العالية بينه وبين الشقيق ، وذلك فى حوض وادى عتود الادنى ، ويشغل قضاء عتود الزاوية الجنوبية الغربية من هذه المنطقة ، ويحيط قضاء الدرب به على شكل هلال من الشمال الغربى والشمال والشرق . وتبلغ مساحتهما معا نحو ١٦٥٠ كم٢ .

يشكل وادى عتود الادنى سهلا طمويا يمتد مع امتداد الوادى مسافة تزيد عن ٢٠ كم فى حدود القضائين المذكورين ، ويقع على بعد نحو ١٠٠ كم فى شمال جيزان . يبدأ تشكل الطمى فى الوادى بعد اختفاء طبقات الزمن الثالث فى الشرق ، ويكون حصويا خشنا قبيل الدرب لايلبث أن يزداد سمكه شيئا فشيئا ويقل قوامه خشونة باتجاه البحر . وفى حين يبلغ سمكه ٨م فى الدرب يصبح ٩٢م بعد القضب ويتحول الى رملى طينى فى

عتود . غير أنه بالاقتراب من البحر يبدأ بان يحقن بالماء المالح وهذا يؤدى الى تراجع فى سمك الطبقة الخازنة للماء العذب فى هذا الاتجاه . ويتراوح عمق الماء تحت السطح بين ٤م فى الدرب و١٦م فى عتود(١) . ويدل هذا على قلة كمية المياه المختزنة فى الطمى ويمكن تقدير صبيبها فى الدرب بـ٣٠ لتر/ث .

وقد استغل هذا السهل الطموى من الماضى باقامة حواف حجرية على المجرى الحصوى بارتفاع من ٢ – ٣م ، وبادخال مياه الفيضان الى الأحواض الزراعية بواسطة اقنية ترابية . وقامت بذلك حياه مستقرة قوامها الانتاج الزراعى . فقد وجد فى هذا السهل ٥٦ قرية منها ٢٠ فى قضاء عتود لم يتجاوز مجموع سكانها ٢٢٥٠ نسمة ، من أهمها قرية عتود الواقعة فى طرف الدلتا وعلى بعد ٤ كم عن شاطىء البحر والتى اتخذت قاعدة للقضاء . وقرية القضب الى الشمال من عتود بمسافة ٥ كم ، وتقع على الجانب الأيمن للمجرى الرئيسى للوادى والمسيد ورملان وحيوية وتقع الى الشمال الشرق وذلك فى مجرى وادى رملان . ووجد ٣٦ قرية اخرى فى قضاء الدّرب الى الشمال من مواقع القرى السابقة ، بلغ مجموع سكانها ٦٤٠٠ نسمة ينتمون الى بنى شعبة . أكثر من ربعهم يعيشون فى بلدة الدرب وحدها .

يبدو أن بلدة الدرب اكتسبت اسمها من وقوعها على مفترق طرق القوافل الرئيسية ، . والتى اهمها : طريق جيزان عبر الطريق الساحلى الى بيش فصبيا ، وطريق أبها عبر وادى عتود وضلع ، وطريق القنفذة ومكة عبر الشقيق والبيرك فى الشمال الغربى ، وطريق محايل عبر وديان ومعابر الجبال الساحلية فى الشمال . وقد سارت الطرق المعبدة الحديثة فى اتجاهات طرق القوافل . ويقع الى الشرق من الدرب القرى : القائم الأعلى والغريف والقومة والكدره ، والى جنوبها الغربى على طريق الشقيق تقع بحره وابو السرار وأبو يحيى .

وقد تواجد فى المناطق المحيطة بهذا السهل الرسوبى عدد من الجماعات البدوية بلغ عددهم نحو ٢٢٥٠ نسمة منهم اكثر من ٥٠٠ فى قضاء عتود الصغير يستفيدون من منهل ماء فى منسبة ، والباق فى قضاء الدرب الأكبر مساحة ويشكلون نحو خمس سكان القضاء ويستفيدون من سبعة مناهل . أما المناطق الشاطئية فتكاد تكون خالية من السكان .

---

(1) Sogreah, Ibid, 161-163.

ز – **قضاء الشقيق** : ويحتل الواجهة البحرية بين الدرب والقحمة بطول لايزيد عن ١٥ كم ويمتد فى الداخل حتى منطقة الجبال الساحلية الواقعة فى قضاءى رجال ألمع وقنا والبحر ومساحة هذا القضاء صغيرة لاتتجاوز ٨٥٠ كم٢ ، وتضم المجارى الدنيا للوديان القادمة من منطقة الجبال الساحلية والواقعة بين عتود وحلى وهى : ريم والشام وعرمرم ونهب . ولذلك فبالرغم من أنها وديان صغيرة وقليلة الأهمية فقد سمحت بوجود مساحات متفرقة من رسوبيات الطمى حواليها ساعدت على إقامة حياة مستقرة ، تعتمد على الزراعة ؛ إلا انها متبعثرة فى السهل الرسوبى المتشكل من اتحاد مجاريها الدنيا إجمالا .

انتشر فى هذه السهول ٣٢ قرية صغيرة يصل مجموع ساكنيها ٤٨٠٠ نسمة وقاعدتها بلدة الشقيق – التى وجد فيها نحو « خمس » هذا الرقم وحدها – وتقع قبيل مصب وادى ريم وعلى جانبه الايسر . ويمر منها الطريق الساحلى القديم . ويقع بالقرب منها القرى : ساحل العلاطة والراجحية وتقعان على الجانب الأيمن من الوادى ، ويقع الى الشمال الشرقى منها : القاع والجعارة والصّندلية وذلك فى وسط سهل رسوبى الى الجنوب الشرقى من مجرى وادى ريم .

ح – **قضاء القحمة** : وهو آخر امتداد لمنطقة جيزان فى الشمال الغربى ويحتل الواجهة البحرية فيما بين الشقيق والبيرك ، ويمتد فى الداخل حتى قضاء قنا والبحر . وتشكل هذه المنطقة الساحلية الطرف الجنوبى للمسكوبات البركانية البازلتية الساحلية الممتدة من هذه المنطقة حتى وادى حلى . ولذلك فهى هضبة قاحلة جدا وشديدة الوعورة ، ولو أننا نجد القسم الجنوبى منها (بين الشقيق والقحمة) أقل وعورة من القسم الشمالى (بين القحمة والبيرك) .

تزيد كمية الأمطار الساقطة على هذه الهضبة الساحلية عما هى على الساحل الواقع الى الجنوب منها ، نسبيا اذ تتجاوز ١٠٠ ملم سنويا . وقد تشكل فيها عدد من الأودية الساحلية الصغيرة مثل وادى نجلاء فى شمال القحمة ووادى عريك فى جنوبها . وترجع أهمية وادى عريك – الذى يصرف معظم مساحة الهضبة – إلى أن أحد روافده تمتد من منطقة الجبال الساحلية ، وقد حفر بعمق فى شرق المنطقة وحمل جريانا داخليا يغذى عدة عيون ضعيفة أهمها عين « ابن هادى » التى يستعملها الرعاة وتغذى مياهه اكمات من الأشجار الشوكية كالدوم والنخيل والأعشاب . ويزداد عرض الوادى فى سافلته حيث يسمى وادى « حمادا » .

وقد استغلت مياه الفيضان وكذلك المياه المترشحة فى الطمى فى رى عدد من الحقول سمحت بوجود حياة مستقرة مبعثرة فى مواقع التربة الرسوبية ، انتشرت فيها ٢٦ قرية صغيرة لم يتجاوز مجموع سكانها ١١٣٣ نسمة أى بمعدل ٤٥ فردا للقرية الواحدة ، يعتمدون على زراعة النخيل . ولم يتجاوز عدد بدو المنطقة ١٠٠ فرد . غير أن بلدة القحمة – قاعدة هذا القضاء وموطن قبيلة المنجحه – نشأت فى السهل قرب الشاطىء وفى صدر خليج محمي عميق ، له مدخل ضيق بين الشعاب المرجانية وقد اعتمد سكانها الذين أربى عددهم على ألف نسمة على ماء آبار محفورة فى الطمى ، والتى تسربت المياه من الأمطار الساقطة على الجبال البركانية المجاورة مثل جبل حشاحش وجبل حومة وجبل قرين ، ويعملون فى صيد الاسماك وفى جمع أوراق الدوم (الطفى) .

ط ـــ **جزائر فرسان** : تتكون من مجموعة من الجزائر يقرب عددها من ٨٠ جزيرة ، معظمها غير مأهول بالسكان لايتجاوز بعد اقصاها ١٠٠ كم عن ساحل جيزان ، تنتشر فى رصيف قليل العمق تكثر فيه مستعمرات المرجان . ويمكن اعتبار ثلاث جزر منها كبيرة ومأهولة بشكل دائم ، وقد عاش سكانها فى ١٨ قرية صغيرة ، وجزيرتين اخريين مأهولتين مؤقتا أى فى مواسم وأوقات معينة . هذه الجزر هى :

١ ـــ جزيرة فَرسان الكبير : وهى اكبر وأهم جزيرة فى المملكة . يبلغ أقصى طول لها ٦٠ كم واقصى عرض لها ٢٥ كم ومساحتها ٤٣٢ كم ٢ ، وتبعد عن ميناء جيزان ٧٥ كم . يبلغ عدد سكانها نحو ٣ آلاف نسمة يعيشون فى ٥ قرى هى بلدة فرسان ، والقصار والمحرّق وصيّر وابو الطوق . لقد بنى الاتراك فى فرسان قلعة لاتزال آثارها باقية واقاموا فيها حامية(١) .

٢ ـــ جزيرة السقد وتقدر مساحتها بنحو ثلث مساحة الأولى وتقع الى الشمال منها يفصلهما ممر ضحل تخوضه الجمال ، ويرحل اليها أهالى فرسان ابان نضج التمور(٢) وفيها قرى : السقد وختم وخولة .

٣ ـــ جزيرة قماح وهى صغيرة تقع فى جنوب فرسان الكبير ويفصلها عنها ممر ضيق . بها قرية قماح وفيها نخيل .

---

(1) Admiralty- A Handbook of Arabia. P. 144.

(٢) محمد احمد العقيلى ـــ المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ـــ مقاطعة جازان ص ٧٥ .

٤ ــ جزيرة أبو غنم وهى صغيرة وتقع فى غرب فرسان ، غنية بالاعشاب لذلك ينتقل اليها الرعاة باغنامهم من الجزر الأولى بواسطة القوارب فى مواسم الجفاف .

٥ ــ جزيرة زفاف وهى متوسطة الحجم تقع فى غرب فرسان وهى غنية بالاعشاب ومأهولة بالغزلان ، يأتيها هواة الصيد من الجزر السابقة .

وأقرب الجزر الى جيزان : جزيرة آمنة وبناتها وتقع على يسار المتجه من جيزان الى فرسان على بعد ١٠ كم من الميناء . ويليها جزيرة حبار على بعد ٣ كم من السابقة على يمين الخط ، ثم جزيرة درّاكه وتوابعها على بعد ١٢ كم من الثانية .

وتتصف جزائر فرسان بأنها مسطحات قليلة الارتفاع تتكون من صخور الكلس الجصّي والمرجاني ومن بعض الترسبات الكلسية والطينية الأخرى . وتتكون الشواطىء من قواقع صغيرة مختلطة بالطين الرملى الناتج عن نحت الحصى أو الكلس المرجاني . ولذلك فالجزر جرداء فقيرة التربة نادرة الأمطار وتقل فيها المساحات الصالحة للزراعة الا أن طقسها معتدل . ويعيش سكانها من الصيد وزراعة النخيل والحبوب ومن تربية الحيوانات . ويقوم البعض بصناعة الجص والنورة (الجير) من الصدف وفى أعمال التحجير ، وكانوا يمارسون الغوص والتجارة .

٢ ــ منطقة جبال جيزان :

وتقع بين السهل الساحلى الجيزانى وخط الانهدام الرئيسى الذى يحد جبال السروات فى الداخل . فهى تعتبر البداية الغربية لإقليم الدرع العربى الذى تكوّن نتيجة الإنكسارات المرافقة للإنهدام الكبير ، فبرزت النجود (Horsts) فيه على شكل مرتفعات عالية ، تتناوب مع الاغوار (Grabens) التى احتلتها الوديان المنحدرة من الجبال . وتحتل الجبال هنا مساحة واسعة بالقياس الى الجبال الساحلية الاخرى على البحر الأحمر ، اذ يبلغ عرضها الخطى بين ٥٥ – ٧٥ كم . وقد أدى هذا الاتساع الى تقسيمها الى قسمين : الأول الغربى الواقع تحت تأثير الرياح الجنوبية الغربية الرطبة والذى تسقط فيه أمطار غزيرة بالقياس الى قسمها الشرقى الواقع خلفها والبعيد نسبيا عن ذلك التأثير ، والذى يستقبل أمطارا قليلة بالرغم من ارتفاع التضاريس . وصار مظهره العام شبه صحراوى .

توجد الأراضى الزراعية فى مساحات واسعة على السفوح العليا للقسم الأول ، وقد عمد السكان الى بناء المدرجات الجبلية للحفاظ على التربة وللاحتفاظ بمياه الامطار ، كما تواجدت مساحات زراعية محدودة متباعدة عن بعضها فى أحواض وديان القسم الثانى ، معتمدة على مياه فيضاناتها وعلى ما تختزنه فى رسوبياتها . وقد سمح هذا الانتاج الزراعى بوجود حياة مستقرة تتمثل فى القرى الزراعية ، وهى عديدة ومتقاربة فى القسم الأول ، قليلة ومتباعدة وتقل نسبتها بالقياس الى غير المستقرين (البدو) فى القسم الثانى . ولايوجد فى كلا القسمين مدن هامة إطلاقا .

يبنى السكان بيوتهم فى هذه القرى من الحجارة والطين والقش وتكون باشكال أسطوانية أو مربعة ، وقد بدأ ينتشر ببطء استعمال البيوت الإسمنتية خاصة فى بعض المبانى الحكومية فى مراكز الأقضية . وكان سكانها يعيشون فى شبه عزلة بسبب تباعد المواقع المعمورة وصعوبة المواصلات وبطئها ، إذ كانت الحيوانات هى الوسيلة الوحيدة المستخدمة فى التنقل لأنها تسلك معابر معينة وتجتاز عقبات كأداء فى المناطق الجبلية .

يتبع القسم الأول من هذه المنطقة الجبلية – أى القسم الجنوبى الغربى إداريا– إمارة جيزان ، ويتبع القسم الثانى إمارة عسير . ويتكون القسم الذى يتبع إمارة جيزان من ١١ قضاء تختلف فى مساحتها وعدد سكانها ، الذين بلغ مجموعهم نحو ١٢٠٠٠٠ نسمة يعتمدون فى حياتهم على الإنتاج الزراعى والإنتاج الحيوانى ، ولايتجاوز البدو فيه ٩٪ من مجموع السكان . ومع ذلك فان هذه النسبة الضئيلة تشكل ٦٢٪ من بدو إمارة جيزان .

ويمكن أن نقسم هذه المنطقة حسب الكتل الجبلية على النحو التالى :

أ ــ قضاء الخوبة أو قضاء بنى الحرّان : ويقع فى عالية وادى خلب محاذيا لحدود المملكة مع اليمن شمال خط عرض ٤٠- ١٦° بينه وبين أقضية صامطة وأحد المسارحة والعارضة . وهو أبعد المناطق الجبلية التابعة للمملكة باتجاه الجنوب ، فيتصف بوعورة أرضه حيث تتراوح الارتفاعات بين ٦٠٠م و ١٣٧٠م (جبل شودة) . ولذلك تنوع مناخه ووجد فى وديانه غيول عديدة وأشجار باسقة ، وعلى سفوحه مراع جيدة وهى من أجمل المناطق . وقد تشكلت مصاطب رسوبية غنية حول وديانه خاصة لية وذهبان ودهوان ، استغلت فى الزراعة ، فانتشرت فيها ١٣٨ قرية معظمها صغيرة الحجم . بلغ مجموع سكانها نحو ٢١٠٠٠ نسمة . أهم هذه القرى بلدة الخوبة الواقعة على وادى

دهبان ، والدّحن والمدفن والقرن الواقعة الى الجنوب منها . وتوجد الى الشمال الغربى منها أم القضب والشعنون والمقلوع والمروة والسودة والمغشوش والسلب والملحى . والى الشمال الكرعن وقوّا .

ب – قضاء العارضة : ويقع فى حوض وادى جيزان الأعلى بين خط الحدود مع اليمن وأقضية : أحد المسارحة والخوبة وأبو عريش . وتزيد مساحته عن ٩٠٠ كم٢ ويضم جبال العبادل وسلا التى ترتفع الى ١٤٨٤م و١٣١٣م على التوالى . وقد تشكلت مصاطب رسوبية غنية أيضا فى أحواض الوديان خضعت للاستثمار الزراعى بالطرق التقليدية منذ القدم ، مما سبب ارتفاع كثافة المستقرين الذين عاشوا فى قرى صغيرة متفرقة بين المزارع بلغ عددها ٦٠٨ قرى عاش فيها نحو ٣٠٠٠٠ نسمة ومن أهم هذه القرى « العارضة » قاعدة جبال العبادل الواقعة على وادى المحاضة رافد جيزان . ويقع الى الجنوب منها فى وادى الخرت (مشرف) المقطاع والخرت وأم الخرق والجلايا ورفيل والمصياد والرخة وبطحان والقويد . ويقع الى الشمال منها : الجبانة ومنصورة وأم سمعة وأم الدود ومسقية والكثيفة والضباية وذات الرحلين والحميرة .

ج – جبال حوض وادى ضمد (فيفا وبنى مالك وبلغازى) :– وتشكل كتلة جبلية واسعة تبلغ مساحتها نحو ١٨٠٠ كم٢ وتشرف على سهول جيزان من الجهة الشرقية ، وتقع فى حوض وادى ضمد الأعلى بعد خروج بعض روافده من جبال اليمن . وقد شكلت هذه الروافد وديانا منخفضة فيما بين كتل شديدة التعقيد ، فترتفع بعض جبالها الى ١٨٢٠م (جبل المغامر) فى فيفا ، ويرتفع جبل منجد ١٥٣٨م وجبل عفقن ١٤٩٥م فى حين يرتفع جبل المعادى الى ٢٤٥٠م فى كتلة جبال بلغازى ، ويرتفع جبل بنى مالك ١٤٢١م ، فى الوقت الذى تتلوى فيه الوديان بين هذه المرتفعات على ارتفاع يتراوح بين ٣٠٠ – ٥٠٠م فقط .

وقد تسبب موقع هذه الكتلة الجبلية مع خصائصها التضريسية فى احتلالها المركز الأول فى المملكة فى غزارة الأمطار الساقطة ، ولكن طبيعة تركيب صخورها النارية وشدة انحدارها تسبب فى ضياع هذه المياه عن طريق الوديان دون أن يتسرب قسم كبير منها الى داخل الأرض . ومع ذلك أمكن الاستفادة من هذه المياه عن طريق إقامة المدرجات الجبلية على السفوح العليا وبالتالى زراعتها ، وهذا سبب انتشار المساحات الخضراء فى تلك السفوح سواء ، من النباتات الطبيعية والمزروعة . غير أن صعوبة

التضاريس وانعزال المناطق بعضها عن بعض لم يسمح باستثمارها الا على شكل مساحات متفرقة منعزلة يصعب الاتصال فيما بينها . وكذلك أمكن استثمار بعض السهول الرسوبية الضيقة التي تشكلت فى مجارى الوديان بفضل سحب مياه الفيضانات اليها فنشأت مساحات زراعية متفرقة منها . وقد تبعثرت القرى الزراعية فى الاقليمين : أى على السفوح العليا وفى مجارى الوديان . وقد اتصفت بانها قرى صغيرة الحجم عديدة جدا . إذ أمكن احصاء ١٨٨٦ قرية فى هذه المنطقة الجبلية ، ولكن لم يتجاوز عدد سكانها ٤٠٠٠٠ فرد فى سنة ١٣٩٤هـ ، ولا يعتقد أنهم قد زادوا عن ذلك فى الفترة التالية ، ويبلغ هذا الرقم نصف عدد قرى امارة جيزان .

وتنقسم هذه المنطقة الى أربع وحدات ادارية هى التالية :

١ ـــ قضاء بنى قيس : ويحتل مساحة صغيرة فى جنوب شرق هذا الحوض أى فيما بين حوضى جيزان وضمد وبالقرب من الحدود اليمنية . وأهم الملامح الجغرافية فيه جبل قيس الذى يرتفع الى ١٢٠٠م وتنحدر منه المياه الى المجرى الرئيسى لوادى ضمد الذى يقع على ارتفاع ٦٠٠م تقريبا . وقد بنى الوادى فى هذا المستوى رسوبيات طموية سميكة تحولت الى أراض زراعية متفرقة ، وأقل كثافة مما هى فى قضاءى الخوبة والعارضة . ولذلك لم يتواجد فيه سوى ١٧ قرية لم يكد يبلغ مجموع سكانها ٩٠٠ نسمة فقط ، كانت أكبرها قرية المجازيع قاعدة القضاء .

٢ ـــ قضاء فَيْفَا – وهو عبارة عن كتلة جبلية مرتفعة تقع بين روافد وادى ضمد الرئيسية ، وهى شديدة الوعورة يصعب ارتقاؤها حتى بواسطة الحيوانات للوصول الى قرى السفوح العليا . وتمتاز هذه الجبال بانها سجلت أكبر معدل للأمطار فى المملكة (٥٥٠ملم) ، وأنها مكسوة بالنباتات الخضراء وتتوافر الاشجار من مختلف الأنواع . يزرع فيها البن وكان يوجد فيها القات .

وقد حول المواطنون سفوحها العليا الى مدرجات جبلية وزرعوها ، وبنوا القرى فى وسطها فظهرت البيوت كالقلاع فيما بين الحقول . ولذلك ارتفع عدد القرى حتى بلغ ١١٦ قرية بلغ تعداد سكانها فى سنة ١٣٩٤هـ ١٣٠٠٠ فرد . ومن أهم قرى قضاء فيفا : النفيعة وفيفا وظنبر والنحت والمثيبى وآل العبدلى وآل المغامر والامامى . ويعيش على السفوح غير المزروعة أو فى الوديان نحو ٨٠٠ بدوى .

٣ ــ قضاء بنى مالك :– ويقع في نفس الحوض الى الشمال من القضاءين السابقين وبجوار الحدود مع اليمن . أى أنه يقع فى قلب المنطقة الجبلية الشديدة الوعورة والتى ترتفع بعض قممها الى مايزيد عن ١٥٠٠م وتنخفض الوديان فيما بينها الى أعماق سحيقة ؛ اذ يرتفع مجرى وادى الجوراء عند قرية الدائر ٧٠٠م وعند مصب وادى طيبة ٥١٥م . وقد استخدمت الوديان كممرات يصعب النفاذ الى المواقع الجبلية الا عن طريقها .

وقد تمكن بنو مالك من إنشاء المدرجات على السفوح العليا مثل جبل فيفا وزرعوها بالحبوب والأشجار ، وانتشرت فى وسطها القلاع التى تحولت الى قرى صغيرة جدا ، مما رفع عدد القرى فى هذا القضاء الى ٨٧٠ قرية فى حين لم يتجاوز عدد ساكنيها ١٥ الف فرد أى بمعدل ١٧ فردا للقرية الواحدة ، أو نحو أسرتين أو ثلاثة للقرية . وأكبر قرى بنى مالك قرية الدائر قاعدة القضاء وتقع على مهماز مرتفع عند التقاء رافدين صغيرين بوادى الجوراء (عالية ضمد) ، فهى على مفترق الطرق المؤدية الى بنى مالك وفيفا وبنى قيس من الشرق وبلغازى من الغرب . ومن قراها أيضا ضمه الواقعة على وادى أهرين ، والقهبه الواقعة فى جنوب القضاء وريد العابدى ومتراره الواقعتين فى شمال شرق الدائر (الداير) .

٤ ــ قضاء بلغازى (بنى الغازى) : ويحتل الجزء الغربى من هذه الكتلة الجبلية فيقع بين الاقضية الثلاثة السابقة شرقا والسهل الساحلى لجيزان وصبيا غربا . ويقع فى الحوض الأوسط لوادى ضمد ويضم بعض مجاريه العليا المنحدرة من الشمال فيصل حتى جبلى المنجد والمعادى . ويمتاز بأنه أكثر وعورة من الاقضية السابقة بسبب شدة ارتفاع القمم الجبلية وانخفاض الوديان الواقعة بينها .

وقد حول السكان أيضا قسما كبيرا من سفوح هذه الجبال الى مدرجات زراعية ، ولو أنها أقل تكاثفا مما هى فى جبل فيفا أو العارضة أو بنى مالك . وبالتالى فهى أقل كثافة بالسكان . فبالرغم من أن مساحة هذا القضاء تزيد عن ١٠٠٠ كم٢ ، وان القرى بلغ عددها ٨٨٣ قرية ، إلا أن سكانها لم يبلغوا أكثر من ١١٠٠٠ نسمة اى بمعدل ١٢ فردا للقرية الواحدة ، وكأن القرية هى سكان مزرعة واحدة أو مزرعتين .

ومن القرى ذات الشأن عيبان (سوق الاثنين) وتقع عند حافة الكتلة الجبلية على جانب وادى الجوراء فى جنوب شرق القضاء ، وهى قاعدته وسوقه التجارى وتقع فى

الطريق المؤدية الى فيفا وبنى مالك وبلغازى . وتقع الى الشمال من عيبان قرية أحماد وفوسان والرباطة والمعادى ، وتقع الى الشرق من هذه المجموعة المرماد والقاع .

د ـــ جبال حوض وادى بيش : وهى كتلة جبلية واسعة تقع الى الشمال الغربى من الكتلة السابقة وتمتد نحو ٥٠ كم فى هذا الاتجاه ومثل ذلك فى الاتجاه المعاكس . وهى تشبهها من حيث شدة تعقيد التضاريس ووجود كتل جبلية ترتفع قممها الى مايزيد عن ٢٠٠٠م مثل جبل هروب (٢٢٩٢م) ، وجبل القرى (٢٢٦٧م) ، واختراق الوديان التى تشكل جميعها روافد وادى بيش لتلك الكتل فتهبط الى ارتفاعات تتراوح بين ٣٠٠ – ٦٠٠م فقط . وتبدأ منها روافد وادى صبيا .

ويعتبر وادى بيش أهم وديان حوض البحر الأحمر واكثرها طولا وأعظمها روافدا واضخمها صبيباً وأهمها فيضانات . وتبدأ روافده العليا العديدة من سفوح سراة وادعة وقحطان وشعف شهران بالاضافة الى جبال اليمن . ولكن الاتجاه العام للمجرى الرئيسى بعد أن تلتقى فيه الروافد المنحدرة من مناطق إصدار قحطان ينحنى نحو الشمال الغربى أولا قبل أن ينحنى ويتجه نحو الجنوب .

ويبدو أن هذا الاتجاه المعاكس لاتجاه حركة الرياح الجنوبية الغربية الجالبة للرطوبة جعل هذه المنطقة الجبلية وكأنها فى ظل المطر بالنسبة للكتلة الجبلية السابقة الواقعة فى حوض وادى ضمد ، فنقصت أمطارها بالرغم من ارتفاعاتها الشديدة وزاد الجفاف فى ربوعها وتحولت الى مناطق شبه صحراوية ، باستثناء بعض السفوح الجنوبية الغربية التى تنبع منها روافد وادى صبيا وبعض روافد وادى بيش . ولذلك وجدت المناطق الزراعية فى مساحات محدودة ومتفرقة فى السفوح أو فى مجارى الوديان ، وقد تبعثرت فيما بينها القرى الصغيرة جدا .

وبالرغم من أن مساحة هذه المنطقة تبلغ ٢٦٠٠ كم٢ الا أن سكانها لم يتجاوزوا ٣١٢٠٠ فرد . ومع ذلك فقد عاش قسم منهم فى ٧٥٦ قرية صغيرة فى حين عاش الباقى (٢٧٫٦٪) كرحّل ، خاصة فى منطقة الريث فى الشمال الغربى من المنطقة .

وقد قسمت هذه المنطقة الى خمس وحدات ادارية مختلفة هى :

١ ـــ قضاء الربوعة : ويقع فى أقصى شرق منطقة جيزان محاذيا لخط الحدود مع اليمن عند حافة السراة . وينحصر بين قضاءى بنى مالك والحشر التابعين لمنطقة جيزان من

جهة وبين قضاء الفرشة التابع لمنطقة عسير من جهة أخرى . ونظرا لأن خط الشعاف يتجه فى هذه المنطقة من الغرب الى الشرق ويفصله عن البحر مجموعات واسعة من المناطق الجبلية ؛ فقد احتجب هذا القضاء عن تأثير الرياح الموسمية مما جعله بالرغم من ارتفاعاته الشاهقة قليل الأمطار ، اذ تزيد ارتفاعاته عن ٢٠٠٠م وتصل فى جبل المندية الى ٢١٦٩م وفى جبل مخرور الى ٢٢٠٥م وجبل روك ٢٠٦١م وجبل القرى الى ٢٢٦٧م . وزيادة على ذلك فقد حفرت المجارى العليا لوادى الدفاع ووادى القاعة (رافدا بيش) بعمق شديد فهبط ارتفاع الوديان بين هذه الكتل بين ١٢٠٠ – ١٤٠٠م مما زاد فى تعقيد التضاريس وانعزال المنطقة . وقد أدت هذه العوامل الى ندرة الأراضى الزراعية وصغر مساحاتها وقلة عدد السكان المستقرين وغير المستقرين ؛ اذ لم يبلغ عددهم ٢٤٠٠ نسمة ، توزعوا على ١٢١ قرية للمستقرين و٨ مناهل للبدو أى بمعدل ١٨ فردا للقرية أو المنهل .

٢ ـــ قضاء الحشر : ويقع فى شمال قضاءى بنى مالك وبلغازى ويفصله عنهما جبال الحشر (٢٠٩٤م) والمعادى (٢٤٥٠م) ومصيدة (٢٠٦٤م) التى تعمل بمثابة خط تقسيم المياه بين حوض وادى ضمد فى الجنوب ووادى بيش فى الشمال . فهو كما هو واضح اقليم جبلى شديد الوعورة شأن الاقضية السابقة وتحفر فيه الوديان بعمق شديد حيث ينخفض مجرى وادى الدفاع عند مصب وادى بزماء الى ٩١٩م . وهى لاتتأثر كثيرا بالرياح الجنوبية الغربية الممطرة ، وكأنها فى ظل المطر بالنسبة للمرتفعات التى تسبقها فى الاتجاه الجنوبى الغربى ، أو كأنها محصورة بين الأولى وبين جبال السروات التى تقع الى الشمال الشرق منها والتى ترتفع الى مايزيد عن ٢٠٠٠م . ولذلك كانت مرتفعات هذا القضاء جافة شبه صحراوية ، ساهمت صعوبة المواصلات على شدة انعزالها ، فقل استثمارها الزراعى وقل عدد سكانها حتى أنهم لم يتجاوزوا ٣٠٠٠ نسمة منهم ٩٠٠ من البدو . ومع ذلك فقد انتشر المستقرون هؤلاء فى ١٤٨ قرية صغيرة . ينتمون جميعا الى قبيلة الحشر ، ذلك الاسم الذى أعطى للجبال والوديان والقرى أسماءها . ومن قراه المرجلة قاعدة القضاء رغم صغرها .

٣ ـــ قضاء هروب : وهو اقليم جبلى شديد الوعورة فيه أعلى مرتفعات الجبال الساحلية يقع بين قضاءى الحشر وبلغازى من الشرق ، وصبيا والحقو والريث من الجهات الأخرى . ويضم حوض وادى صبيا الأعلى فيما بين ضمد وبيش وبعض الأحواض العليا لروافد بيش مثل شهدان ووساع ونخلان . ويقع فى شماله الجبال : هروب

(٢٢٩٢م) ، وظريف (٢٤٤٦م) ، وجبل منجد (٢٢١٤م) التى تشكل خط تقسيم المياه بين روافد ضمد فى قضاء هروب وروافد بيش فى قضاء الريث .

وتنخفض روافد صبيا المنحدرة من هذه المرتفعات الى أقل من ٥٠٠م ، وتشكل مصاطب رسوبية واسعة، واستغلت فى الزراعة فانتشرت فيها القرى بأحجام مختلفة ، بلغ مجموع أفرادها مايزيد عن ١٤٠٠٠ نسمة ، ويقل عدد البدو عن ٧٠٠ فرد . ويتوزع المستقرون فى ١٥٠ قرية من أكبرها هروب قاعدة القضاء . وتقع فى الوادى المنحدر من الجبل الأسود قبل أن يصب فى وادى هروب ، ومنها أم جحا ومشرف وام عرقا ومطايعة وتقع فى الشمال ، وآل طعطان وأم العقدة وأم سيادة وأم البهم وأم رمايد والكدرة وأم قحمة وأم القصيب وسرين وبصة والمنقعرة وتقع بالتتالى بعد هروب باتجاه الجنوب .

٤ ـــ قضاء الحقو : وهو صغير المساحة (١٦٠ كم٢) ينحصر بين الاقضية : الريث وهروب وصبيا وبيش ومسلية والفطيحة . ويشمل المجارى الوسطى والدنيا للوديان : وعال وقرى وسايلة وطافشة فى مواقع التقائها بوادى قرى وقبل أن يصب الاخير فى وادى بيش . فيشكل منخفضا يتدرج فى هبوطه من ٥٧٠م الى ١٧٠م . وتنحدر اليه المياه من الجبال المجاورة فتشكلت فيه مصاطب رسوبية واسعة استغلت فى الزراعة ، وانتشرت فيها القرى التى بلغ عددها ٢٣ قرية وعدد سكانها معا نحو ٣٦٠٠ نسمة . الا أن مايقرب من ثلث هذا العدد وجد فى بلدة الحقو قاعدة القضاء الواقعة على جانب وادى طافشة . ومن قراه الاخرى : القنادى والفيدانى واللصمة والحبيب والقواه وتقع جميعها فى جنوب الحقو ، والغاوية والقمر وتقع الى الشمال ومقزع الى الشرق فى وادى قرى .

٥ ـــ قضاء الريث : وهو أبعد الأقضية الجبلية التابعة لجيزان باتجاه الشمال ، ومن الاقضية الجبلية الداخلية الشديدة الوعورة كالحشر وهروب . وعلاوة على أن أمطاره قليلة فان تربته ومياهه محدودة . ولذلك فهو من أجف الاقضية وأفقرها وأقلها زراعة وسكانا بالرغم من اتساع مساحته التى تبلغ ١٢٧٠ كم٢ ، وامتداده أكثر من ٤٠ كم فيما بين الأقضية : الحشر وهروب والحقو التابعة لجيزان من جهة ، والاقضية : الفطيحة والجوة والفرشة التابعة لعسير من الجهة الأخرى . يخترقه عدد من روافد وادى بيش من الشرق باتجاه الغرب وذلك الى الجنوب من المجرى الرئيسى مثل وادى عتران الذى بدأ

من جبل القهرة . ومجارى وادى نحرف الذى يبدأ من جبال القربين والحطم والحرف ، ووادى راخية الى الجنوب ويبدأ من جبل الكحة . وترتفع هذه القمم التى تبدأ منها الوديان الى مايزيد عن ١٧٠٠ ، ١٩٠٠م وتشكل سطوحا شبه مستوية أو قليلة الانحدار (فراعا) ، تخترقها الأودية وتحفر فيها بعمق مما زاد فى تعقيد تضاريسها من ناحية ، وساعد على تشكيل مصاطب رسوبية فى السفوح العليا القليلة الانحدار والأكثر أمطارا ، فتحولت أجزاء متفرقة منها الى أراض زراعية ، وانتشرت القرى الصغيرة فيما بينها ، وتحولت الوديان الى مراع لحيوانات البدو ؛ الأمر الذى رفع نسبة البدو بالقياس الى المستقرين .

لم يتجاوز سكان قضاء الريث ٨٢٠٠ نسمة ،٨٧٪ منهم من البدو الرحل يتجمعون فى فصول الجفاف حول ٢٧ مورد ماء . ولذلك فان بدو هذا القضاء يشكلون ٧٢٪ من مجموع بدو منطقة جبال جيزان ونحو ٤٥٪ من مجموع بدو المنطقة . أما المستقرون فقد توزعوا فى ١١٤ قرية صغيرة أى بمعدل يقل عن ١٠ أفراد للقرية ، أى أن معظمها من الحصون المأهولة والمتباعدة . وأهم قرى القضاء قرية الريث (راخية) وتقع فى وادى راخية عند التقائه بالروافد : الفقارة والكحة والحرف . وفيها نحو نصف عدد المستقرين فى القضاء . وتقع قرية أشرين على فرعة جبل خرطم (١٩٠٠م) . كما تقع قرية الرأس الى الغرب من الريث .

٣ ــ تهامة عسير فى منطقة جيزان :

يطلق اسم « تهامة » على جميع الأراضى الواقعة فى غرب جبال السروات بعد خط الانكسار الرئيسى (escarpment) ، وتضم مناطق اصدار الأودية والجبال الساحلية والاحواض التى بينها والسهول الساحلية . وهذا ينطبق على مناطق اصدار روافد بيش وعتود وحلى الهابطة من سفوح الشعاف فيطلق عليها اسم « تهامة قحطان » ، و« تهامة عسير » وتتبع إداريا إمارة عسير وهى تبعد عن الشاطىء مسافة قد تزيد عن مائة كيلومتر .

غير أننا سنترك القسم الشمالى من « تهامة عسير » وهو الذى يقع شمال خط يمتد من جنوب منطقة البيرك حتى اصدار باللحمر لوقوعه ضمن منطقة القنفذة حسب تحديدنا لتقسيم منطقة تهامة الى قسمين .

تقع منطقة تهامة عسير الواقعة ضمن منطقة جيزان الى الشمال الشرقى من القسم الجبلى التابع لإمارة جيزان ، وينحصر بينه وبين جبال السروات . ويمتد بمحاذاة السروات نحو درجتين من دوائر العرض ويتجه من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى مسافة ٢٠٠ كم وبعرض غير ثابت ولو أن معدله يزيد عن ٥٠ كم .

وبالرغم من اعتباره امتدادا مكملا لجبال إمارة جيزان من حيث الملامح الطبيعية فانه يتميز عنها بظاهرتين : الأولى بأنه يحتل مناطق الإصدار ؛ أى يغلب عليه الشكل الحوضى فيما بين السروات والجبال الساحلية العالية رغم أنه يحوى كثيرا من القمم التى تضاهى مجموعتى الجبال المذكورتين . والثانية بانه يتميز بتطرف موقعه باتجاه الشمال وبعده النسبى عن التأثيرات شبه الموسمية التى تسيطر على المنطقة وتأتيه من جهة الجنوب الغربى وتكون قد مرت على كتلة الجبال السابقة الذكر واعتصرت معظم رطوبتها هناك .

وقد نتج عن ذلك أن انخفضت معدلات الامطار الساقطة وزادت سيطرة الجفاف وضعفت أهمية الروافد المحلية ، فى حين استمدت الوديان الهامة (بيش وعتود) روافدها الرئيسية من شعاف السروات الممطرة ، والتى لم تتأثر لتطرفها ، بفضل ارتفاعها وحسن مواجهتها للتأثيرات الجنوبية الغربية .

ولهذه الأسباب اختفت ظاهرة المدرجات الجبلية على السفوح العالية وتضاءل الغطاء النباتى . واقتصرت الزراعة فى الاقليم على وجود مساحات صغيرة متفرقة فى الأحواض الوسطى للوديان الرئيسية ، حيث تجتمع الروافد الجبلية ، ويقل الانحدار ، فتشكلت فى جوانب الوديان مصاطب رسوبية طموية ، أمكن ريها من مياه الفيضان أو من الآبار التى تحفر فيها . أما السفوح الجبلية خارج تلك الأحواض فقد سمحت بانتشار حياة رعوية مجدية . فتفوقت حياة البداوة على حياة الاستقرار الزراعى وزادت أهمية البدو بالنسبة لمنطقة جيزان . فارتفعت نسبتهم فى المنطقة الى أكثر من ٤٨٪ من مجموع سكانها البالغ عددهم ٨٠٥٠٠ نسمة فقط .

ينتمى سكان هذا الاقليم الى أصول سكان السروات أى الى قحطان وعسير ، وبقوا على صلة بهم إداريا وتجاريا . وكان يتم الوصول بين المجموعتين عن طريق العقبات (رؤوس الاودية) التى تشق خط الشعاف . وقد عمل قسم منهم فى زراعة المناطق الصالحة للزراعة وأنشأوا القرى الصغيرة المتفرقة ، وعمل القسم الآخر فى تربية الحيوانات لاسيما الماعز والاغنام والجمال وعاشوا حياة أنصاف مستقرين أو بدو رحل .

شكل (٣٢)

تهامة عسير
حدود دولية
طرق معبدة
وديان
جرف إنحناف
مدينة
قرية
خميس مشيط
أبها
أحد رفيدة
سراة عبيدة
الحرجة
تهامة قحطان
باشوت
رجال ألمع
البحر
البرك
القحمة
الدرب
عتود
ظهران الجنوب
اليمن
جبل هروب
جبل الحرث
١٨°
٤٢°
٤٣°
٤٠ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ ٠ كم

ولذلك يسهل علينا أن نقسم هذا الاقليم الى قسمين : تهامة قحطان ، وتهامة عسير ويتكون كل منهما من عدد من الاقضية ، ويستوطن كل قضاء أحواض مجموعة من روافد الوديان المنحدرة من شعاف السروات .

أ ــ تهامة قحطان : وتقع فى شمال شرق منطقة جيزان ، وتنحصر بين كتلة جبال جيزان فى الاقضية : بنى مالك والحشر والريث من جهة وبين شعاف السروات من الجهة الأخرى . وهى على شكل حوض واسع شغله الجزء العلوى من وادى بيش ، والذى يتجه مجراه الرئيسى ابتداء من الحدود اليمنية نحو الشمال الغربى ثم ينحنى نحو الغرب فالجنوب الغربى فالجنوب . ويتكون هذا الاقليم من ثلاثة أقضية هى :ــ

١ ــ قضاء الفرشة : وهو أبعد أقضية تهامة قحطان نحو الجنوب . ويحتل الحوض الأعلى لوادى القاعة ووادى عطف (رافدى بيش) ، وينحصر فيما بين الأقضية : الربوعة والحشر والريث من جهة ، وقضاء ظهران الجنوب فى السراة من الجهة الأخرى . ويحاذى الحدود اليمنية .

يتضمن هذا الحوض كتلا جبلية عالية يتجاوز ارتفاع بعضها ٢٠٠٠م مثل : المهيجة (٢٢٤٨م) . وقد حفرت الوديان فيها بعمق ، مما زاد فى تعقيد التضاريس وأعاق حركة الناس وانتقالهم وزاد فى عزلة الاقليم . ونظرا لموقعها وقلة أمطارها وشدة انحدار الوديان فيها ؛ فقد ندرت المصاطب الرسوبية وشحت المياه الجوفية ، وسيطرت الصفات الصحراوية وضعف الاحتلال البشرى . وهذا يفسر أن معظم سكانها البالغ عددهم ١٠٢٠٠ نسمة ، رغم أن مساحتها تبلغ نحو ٩٠٠ كم٢ كانوا من البدو الرحل ، والباق من أنصاف البدو . ولم يكن فيها سوى قرية واحدة صغيرة هى قرية الفرشة . وقد توزع البدو فى ثلاث دير (جمع ديرة) : يملكون ٢٠ مورد ماء هى :ــ

أ ــ بادية وادعة والحباب والحمرة : وتقع الى الغرب من سراة وادعة مباشرة .

ب ــ بادية آل السعدى من سنحان وتقع فى غرب السابقة باتجاه سافلة الوديان : الغابل والقاعة والغول .

جـ ــ بادية آل السِّرى وتقع الى الغرب منها أيضا(١) .

---

(١) مجلة العرب ، الجزء ١١ ، السنة ٧ . عدد آيار ١٩٧٣م .ص ٧٩٧ .

٢ ــ قضاء الجوة : ويضم حوضى وادى الراحة ووادى بيشة (رافدى بيش) ويقع فيما بين قضاء الريث التابع لجيزان وبين الاقضية الفرشة والفطيحة التابعين لعسير ، وخط الشعاف لسروات أحد رفيدة وعبيدة . وهو شبيه بقضاء الفرشة فى ظروفه الطبيعية ؛ من حيث وجود الكتل الجبلية العالية والوديان التى تحفر فيما بينها بعمق ، وانزوائها عن المؤثرات الجنوبية الغربية وقلة أمطارها ، وضآلة سمك التربة وندرة الأراضى الزراعية ، وفقدان الحياة المستقرة وسيطرة البدو الرحل الذين يستثمرون أعشابها ويملكون ٢٩ مورد ماء . فقد تبين أن جميع سكانه البالغ عددهم ٥٦٠٠ نسمة من البدو ماعدا سكان قرية الجوة التى وجدت لتكون المركز الادارى للقضاء .

٣ ــ قضاء الفطيحة : ويمتد من شعاف شهران عسير باتجاه الجنوب فى غرب قضاء الجوة الى أن يصل أقصى امتداد لامارة عسير باتجاه الساحل حيث تحيط به الأقضية : الريث والحقو ومسلية والدرب ويضم حوض وادى بيش الأوسط بعد اجتماعه بروافده الرئيسية : الدفاع والقاعة والراحة وبيشة ، ويجتمع فيه بعض الروافد الصغيرة . ينخفض مجرى الوادى خلاله من ارتفاع ٥٦١م عند مصب وادى الدفاع الى ٢٠٢م عند قرية الفطيحة ، وترتفع الكتل الجبلية على جانبيه وعلى جوانب روافده الى مايزيد عن ١٢٠٠م فى الشمال و٦٠٠م فى الجنوب ، مثل جبل الشعراء قرب مصب وادى سريال (١٣٦٤م) ، وجبل العوراء الى الغرب منه (١٢٩٩م) ، وجبل الظهراء الى الجنوب الغربى (٦٧٢م) ، ونظرا لشدة انحدار المجرى فى الصخور النارية لم يستطع الوادى على أهمية كمية المياه المنحدرة فيه من عاليته أن يشكل مصاطب رسوبية ذات شأن تحوى مياها جوفية ، ولذلك كانت هذه المنطقة قاحلة تضاءلت فيها الأراضى الزراعية . وقل عدد سكانها اذ لم يتجاوزوا ٥٢٠٠ نسمة كان ٨٢٪ منهم من البدو الرحل ، الذين يملكون ثلاثة مناهل ماء . ويتوزع المستقرون فى ٦ قرى صغيرة تواجدت فى مجرى وادى بيش ، أهمها قرية الفطيحة قاعدة القضاء الذى سمى باسمها .

ب ــ تهامة عسير : وتقع فى شمال غرب تهامة قحطان وتعتبر امتدادا لها فى هذا الاتجاه . ولكنها تختلف عنها بأنها لاتنحصر بين مرتفعات السراة ومرتفعات ساحلية أخرى ؛ بل أنها تنحصر بين مرتفعات السراة والسهل الساحلى مباشرة ، وبالتالى ظهرت خصائصها وكأنها امتداد لمرتفعات تهامة جيزان التى ينالها قسط أوفر من الرطوبة والأمطار . وبالرغم من أنها مثلها تتضمن أحواضا داخلية فى مناطق اصدار الأودية ويقع

بينها وبين الساحل مرتفعات عالية ، الا أن اتجاه هذه الاحواض — فى الغالب — مفتوح على التأثيرات الجنوبية الغربية مثل وادى عِتودِ وروافده وريِم والجزء الاوسط من وادى حَلى .

ويتكون هذا الاقليم أيضا من ثلاثة اقضية تقع ضمن منطقة جيزان واربعة أقضية أخرى تقع ضمن القنفذة سنتعرض لها فيما بعد . أما الاقضية الأولى فهى :—

١ — القسم التهامى من قضاء أبها : حيث أن قضاء أبها فى السراة يتجاوز خط الشعاف ويمتد فى تهامة باتجاه الجنوب الغربى بامتداد المجارى الرئيسية للوديان : ضلع وعتود ومرابا الى أن تلتقى معا على بعد ٥٠ — ٦٠ كم من خط الشعاف بالقرب من منطقة الدرب . ويضم كذلك شريطا من الأرض يتجاوز خط الشعاف فى قضاء شعف شهران فى السراة باتجاه تهامة .

وان كانت هذه المنطقة كبيرة الشبه فى صفاتها الطبيعية بالاقضية الجبلية السابقة الذكر كالجوة والفرشة فهى تمتاز عنها فى اعتدال مناخها مما ادى الى غناها بالثروة العشبية نسبيا ، فمنحها إمكانيات إعالة حيوانات نحو عشرة آلاف من البدو الرحل هم معظم سكان هذه المنطقة ، وإمكانيات توفر الآبار بحيث امتلك البدو ٤١ منهل ماء . ولكنها تشبهها فى تواجد عدد محدود جدا من القرى الصغيرة ، يقع بعضها فى وادى رِكان أو وادى ضَلع أو وادى مَرابا أو عتّود ؛ مثل عبلاء ومَربا والمديرى .

هذا وقد استفيد من الوديان المنحدرة من السراة فى الاتصال بهذا الاقليم ، ولذلك فقد أنشىء طريق أبها — جيزان وهو المرحلة النهائية من طريق الجنوب الذى يبدأ من الطائف ، ومر من وسط هذه المنطقة عن طريق عقبة ضَلع . فبدأ يضفى تغيرا محسوسا على مظهر المنطقة بشكل عام .

فبعد أن كان يعيش سكان وادى عتود — ضلع وهم من ربيعة اليمن « فى مغائر بين الصخور أو أكواخ حجرية مغطاة بالخصف أو بالقماش ، لها أبواب صغيرة جدا وليس لها أقفال » فى فترة من السنة ، ثم كانوا يتركونها اذا انتقلوا الى مكان آخر بحثا عن المرعى . ويعيشون من تربية الابل والماعز ، وكان غذاؤهم ولباسهم بسيطين(١) ، تغيرت هذه المظاهر الآن بسبب تأثرهم بما يحدث فى باقى الاقليم .

---

(١) فؤاد حمزة ، فى بلاد عسير ، ص ١٠٦ .

٢ ــ قضاء رجال ألمع : ويقع فى شمال غرب القضاء السابق فيما بينه وبين قضائى قنا والبحر ومحايل . ويشغل الاحواض العليا ومناطق الاصدار لأربعة وديان هى :

١ ــ وادى حلى الأعلى ويتكون من خمسة روافد تنحدر من سراة عسير هى : الشعبين ومندر العوص وعمقه وفودة ووسانب . ويتجه المجرى الناتج عنها نحو الشمال الغربى .

٢ ــ وادى كسان الذى يتجه نحو الجنوب ثم يصب في وادى ريم .

٣ ــ المجرى الأعلى لوادى ريم والذى يتجه أيضا نحو الجنوب .

٤ ــ وادى حسوة الذى يتجه نحو الجنوب فيما بين مرابا والعوص ويصب فى ريم .

لقد قسمت هذه الوديان الكتل الجبلية المرتفعة فيما بينها وعزلتها عن بعضها ، وانتظمت على شكل سلاسل متوازية أو متتابعة ، وتحولت الى معابر (أو احواض مفتوحة) جيدة لدخول التأثيرات الجنوبية والجنوبية الغربية شبه الموسمية ، بالقياس الى الكتل الجبلية السابقة الذكر فارتفعت فيها معدلات الأمطار نسبيا ، واغتنت الوديان بالمصاطب الرسوبية وتحولت الى مدرجات زراعية ، فتعددت القرى وتوزعت فى وسط الحقول الزراعية ، فارتفع عدد وكثافة السكان بالقياس الى الاقضية المجاورة .

بلغ عدد سكان هذا القضاء ٣٣٢٠٠ نسمة عاش ٧٥٪ منهم فى ٣٧٠ قرية معظمها صغيرة الحجم ، ومازال الباقى على حالة البداوة . وقد امتلكوا ١٠ مناهل ماء . ومن أهم قرى رجال ألمع الشعبين وهى قاعدة القضاء وتقع فى وادى حلى الأعلى ، وقرية رجال والعوص ومندر العوص والصدارة وقوة والجرف .

يتصف أفراد قبيلة ألمع الذين ينتسبون الى أزد شنودة بقصر القامة ونحافة الجسم والوجه وعيونهم خضراء . هم وسط فى عاداتهم بين قبائل السراة وقبائل تهامة ، ينضوون تحت سبعة أفخاذ كبيرة هى : بنو قطبة ومركزهم الشعبين ، وبنو ظالم ومركزهم بلدة رجال ، وبنو شحب ، وبنو قيس ، وبنو زيد ، وبنو حبونة ويسكنون مع الصواقعة فى عدة قرى فى وادى ريم ، وأهل صلب . وكان يقيم بينهم فريق من « السادة الحفاظية » وكانوا بمقام الفقهاء والقضاة للقبيلة .

٣ ــ **قضاء قنا والبحر** : ويقع فيما بين قضاء رجال ألمع والأقضية الساحلية الشقيق

والقحمة والبرك ، ويضم أحواض عدة وديان صغيرة أهمها مجزوعة الذى يصب فى وادى حَلى شمالا ، ووادى عريك الذى يتجه جنوبا وينتهى الى منطقة القحمة ، ووادى نهب ووادى عرمرم وتبدأ جميعها من كتل الجبال الساحلية التى لاتزيد ارتفاعاتها عن ٦٠٠م ، ولكنها حفرت مجاريها بعمق، خاصة حينما تقطع طبقات من الحجر الأخضر القاسية جدا، والتى تعمل بمثابة سد طبيعى ، يتشكل خلفه رسوبيات غرينية أفقية نتيجة ملء البحيرة المتشكلة خلف السد . وقد ظهرت المياه الجوفية على شكل ينابيع ماء . فقامت عليها الزراعة المروية حول قريتى أم رهط والبحر .

ينتمى معظم سكان قنا والبحر الى قبائل المنجحة وبنى هلال . وقد بلغ عددهم فى سنة ١٣٩٤هـ ٩١٠٠ نسمة وعاش معظمهم (٧٨٪) فى ١٠٤ قرى مختلفة الحجم . وقد حلّوا مشكلة ماء الشرب فى تلك القرى بحفر آبار كبيرة فى صخور الشست التى تمثل خزانات تستمد ماءها مما يترشح فيها ببطء شديد ، ولذلك فهى تجف فى فصول الجفاف ، أو فى الطمى الذى يعتبر أغزر وأعذب من الشست . وتعمل سيارات الصهاريج على نقل الماء الى القرى .

أما باق السكان فما زالوا على حالة البداوة ويملكون ٢٢ منهل ماء ، ويعملون على استثمار أعشاب الوديان فى تربية الحيوانات . ومن أهم قرى هذا القضاء : بحر وأم رهطا وقشيعة وتقع فى وادى مجزوعة الواسع والمزدان بنباتاته الطبيعية أو الأراضى المزروعة . وقد مرّ طريق محايل ــ الدرب المعبد من قرية بحر (أو خميس البحر) فانتعشت وتوسعت خاصة وأنها قاعدة القضاء ، وهى بمثابة سوق تعقد يوم الخميس . ومن القرى أيضا: ابن جازى ومهدوة وتقع فى وادى خيم الذى ينتهى الى وادى عريك فى الساحل والغنى بنبات الدوم الذى يستغل فى الحصول على « الطفى » .

٤ - نمو المدن في منطقة جيزان :

لقد سبق الإشارة إلى أن أقليم جيزان منطقة ريفية ، وأن إنتاج السكان الرئيسى فيها هو الانتاج الزراعى والحيوانى . وأن اقتصادها اقتصاد اكتفاء ذاتي متخلف وفقير . ولم تكن تقضي هذه الظروف بوجود مدن بمعناها ووظائفها الحديثة . وما المدن الصغيرة التى وجدت فيها سوى قرى كبيرة توسعت أكثر لأنها اتخذت – في الغالب – مراكز إداية . وتوسعت فيها وظيفة توزيع التجارة ، وكانت تقوم فيها وظيفة تبادل المنتوجات فيما بين البدو والريفيين وأفراد القوافل من السابق . ولذلك وقع معظمها على مفترقات الطرق ، وأحاطت بها القرى الزراعية .

غير أن التطورات الاقتصادية الحديثة التى تتم فى المملكة ، وتنعكس آثارها على الأقاليم النائية والريفية عن طريق توزيع المصروفات الحكومية ونشر الخدمات ، وتصميم إنشاء البنية الأساسية عملت على تحويل المدن الصغيرة تلك الى مراكز جذب للسكان للقيام بتلك التغييرات ، فاتجهت الى النمو بسرعة . وفى الوقت الذى احتفظت فيه بطابعها الريفى أخذت تكتسب مظاهر مدنية حديثة لم تكن معهودة فيها .

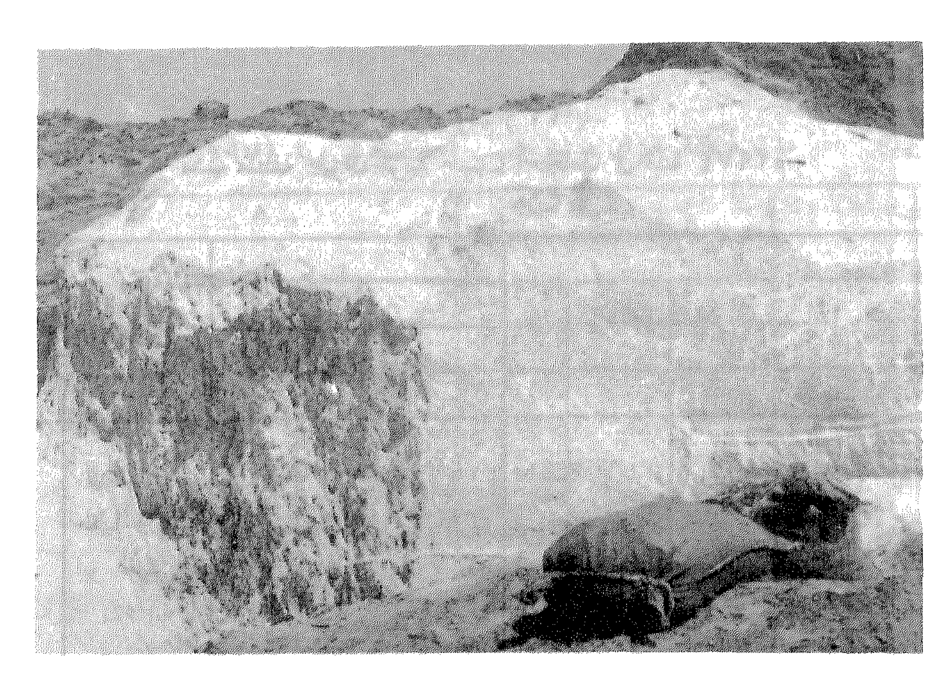
إن تنظيم الجهاز الإدارى وتطويره اقتضى زيادة عدد الموظفين الإداريين فى الأقاليم ، وخلق وظائف إدارية جديدة وملئها بافراد لابد أن يسكنوا هذه المراكز . كما اقتضى ايجاد فرص أعمال كثيرة فى الخدمات الحكومية كالخدمات التعليمية والصحية والإجتماعية أو الخدمات الشخصية . وقد تأثرت بذلك الحركة التجارية وأعمال النقل فنمت وتوسعت . وظهرت بعض الخدمات المهنية التى لم يكنْ لها وجود فى السابق : كصيانة السيارات واصلاحها واصلاح الآلات أو الأدوات ، وكذلك المهن المتعلقة بالانشاء بسبب التحول الى البناء بالاسمنت المسلح بدل الطرق التقليدية . وقد أدى التوسع فى البناء وإنشاء الطرق والإنشاءات الأخرى الى توفر فرص عمل عديدة فى المدن ، فاجتذبت الأفراد والجماعات للتوطن فيها .

وقد توطنت كذلك جميع المشاريع الحكومية (ما عدا مشاريع الطرق الخارجية) خاصة إنشاء المبانى الحكومية ومؤسساتها ومشاريع البلديات ، والمشاريع الفردية كتلك التى يقصد من ورائها الاستثمار المادى ، وجميع فرص الأعمال الجديدة المرتبطة بتلك المشاريع أو الناتجة عنها توطنت جميعها فى تلك المدن أيضا .

ومن هنا وجدنا أن ميزان الفعاليات الاقتصادية النسبية التى دامت قرونا طويلة — دون أن يطرأ عليها أى تغيير يذكر — أخذت خلال العقدين الماضيين تنقلب جذريا ، فقد بقى الانتاج الأولى خاصة الزراعة وتربية الحيوانات وصيد الأسماك واستثمار الملح يحتفظ بطابعه القديم إلا من بعض إرهاصات التطور التى لم تنتشر على نطاق كبير كمشروع وادى جيزان . وتكاد تكون قد اختفت بعض المجالات الأخرى كقطع الأخشاب واستثمارها والغوص ، إلا أنه لم يعد يحتل المركز الذى كان يتمتع به فى السابق . وأخذت الأعمال المدنية الحديثة كالوظائف الحكومية ، وأعمال الإنشاء والخدمات المهنية ، والتجارة والنقل والأعمال العقارية والمالية والتعليم والصحة تسيطر شيئا فشيئا على المظهر العام للمدن .

ونتج عن ذلك زيادة عدد سكان هذه المدن واتساع مساحاتها بسرعة خارقة ، فبعد أن كان عدد سكان الواحدة منها لايتجاوز بضعة آلاف من الأفراد وأحيانا بضع مئات ، رغم قدم بعضها الذى يصل الى قرون . ومجموع سكانها جميعا لم يتجاوز ٤ — ٥٪ من مجموع سكان الاقليم ؛ ارتفع عدد أفراد بعضها الى عدة عشرات من الآلاف كما ارتفع مجموعهم الى نحو ربع سكان هذا الاقليم .

ومن دراسة أرقام الجدول رقم (١١) والمستخلص من نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٤م الصادر فى سنة ١٩٧٧م ، والذى يتعلق بعدد سكان العشرين مدينة فى منطقة جيزان يمكن ايراد الملاحظات التالية :ـــ



(صورة ٥)

محاجر الملح الصخرى داخل مدينة جيزان من احدى قباب الملح المنتشرة على ساحل البحر الأحمر ، ويعبأ فى أكياس استعدادا للاتجار به .



(صورة ٦)

منظر عام لمدينة جيزان فى سنة ١٩٧٧م . وقد اخذت الصورة من مكان مرتفع

جدول رقم (١١)
مدن منطقة جيزان مرتبة حسب أحجامها فى سنة ١٩٧٤م

الرقم	المدينة	عدد السكان			موقعها وأهميتها
		الذكور	الاناث	المجموع	
١	جيزان	١٧٦٦٥	١٥١٢٧	٣٢٧٩٢	عاصمة الإمارة وميناء الجنوب
٢	صبيا	٦٦٢١	٦٨٤١	١٣٤٦٢	فى حوض وادى صبيا ، قاعدة قضاء صبيا .
٣	ابو عريش	٦٠١١	٦٢٦١	١٢٢٧٢	فى حوض وادى جيزان ، قاعدة قضاء أبو عريش .
٤	صامطة	٣٤٤٧	٣٥٥٦	٧٠٠٣	فى حوض وادى لية رافد تعشر ، قاعدة قضاء صامطة .
٥	بيش	٢٩٢٦	٣٣٢٣	٦٢٤٩	فى حوض وادى بيش ، قاعدة قضاء بيش (أم الخشب) .
٦	الشقيرى	١٧١٠	١٦٤٤	٣٣٥٤	فى حوض وادى ضمد ، قاعدة قضاء ضمد .
٧	أحد المسارحة	١٥٦٦	١١٤٤	٢٧١٠	فى حوض وادى خلب ، قاعدة قضاء أحد المسارحة .
٨	الدرب	١٥٤٤	١٠٣٣	٢٥٧٧	فى حوض وادى عتود ، قاعدة قضاء الدرب .
٩	الطوال	١٣٣٠	٨٢٩	٢١٥٩	فى حوض وادى تعشر الأوسط ، قاعدة قضاء الطوال .
١٠	العارضة	٩٩٢	١٠٣٤	٢٠٢٦	فى حوض وادى محاضة رافد جيزان ، قاعدة قضاء العارضة .
١١	الموسم	١٢٦٣	٦٥٧	١٩٢٠	فى حوض وادى حرض ، قاعدة قضاء الموسم .
١٢	العالية	٨٦٤	١٠٠٧	١٨٧١	فى ضفة وادى بيش الغربية ، قاعدة قضاء العالية .
١٣	المضايا	٧٢٩	٦٩٨	١٤٢٧	فى حوض وادى أملح رافد الفجا ، قاعدة قضاء الحكامية .
١٤	مُسْلِيَة	٦٥٦	٧٣٥	١٣٩١	فى حوض وادى بيش الأوسط ، قاعدة قضاء مسلية .

[تابع] جدول رقم (١١)
مدن منطقة جيزان مرتبة حسب أحجامها فى سنة ١٩٧٤م

الرقم	المدينـــة	عدد السكـــــــــان			موقعهـــا وأهميتهـــا
		الذكور	الاناث	المجموع	
١٥	فَرسان	٦٣٠	٧١٥	١٣٤٥	فى جزيرة فرسان الكبير ، قاعدة جزائر فرسان .
١٦	الحقو	٦١٨	٧١٠	١٣٢٨	فى أحد روافد وادى بيش ،قاعدة قضاء الحقو .
١٧	الريَّان	٦٦٨	٥٣٥	١٢٠٣	فى وادى جيزان قاعدة قضاء وادى جيزان
١٨	الخُوبة	٥٨٢	٤٤١	١٠٥٣	فى حوض وادى دهبان رافد خلب .
١٩	القحمة	٥١٥	٥٠١	١٠١٦	مرفأ قرب مصب وادى نجلا ، قاعدة قضاء القحمة .
٢٠	الشقيق	٤٥٧	٤٧٨	٩٣٥	فى حوض وادى ريم ، قاعدة قضاء الشقيق
	المجموع	٥٠٧٩٤	٤٧٢٦٩	٩٨٠٦٣	

١ ـــ اعتمد التعداد على الوظيفة الإدارية فى تعريف المدن فاعتبر جميع المراكز الادارية مدنا رغم أن بعضها لا يصل عدد سكانه إلى ١٠٠٠ نسمة ، وقد وضعنا فى هذا الجدول المراكز التى تزيد عن ١٠٠٠ نسمة (عدا الشقيق) رغم انها تحتفظ بالطابع الريفى ، ولايزال يعتمد معظم سكانها على الانتاج الزراعى أو الحيوانى.

٢ ـــ بلغت نسبة سكان المدن فى سنة ١٩٧٤م حسب تعريف المدن السابقة نحو ٢٤٪ من سكان هذا الاقليم نظرا للتطور الذى طرأ على المدن الكبيرة نسبيا . فقد استقطبت عددا كبيرا من المهاجرين من الاقليم ومن خارجة . إذ وجد فى جيزان وحدها وهى عاصمة الإمارة وميناء اقليم جنوب غرب المملكة نحو ثلث سكان مدن المنطقة ، ووجد فى المدن الثلاث الأولى وهى جيزان وصبيا وابو عريش ٥٩٪ من سكان مدنها ، أو ١٤٪ من مجموع سكانها . وهى فى الواقع المدن الوحيدة التى تتصف بالمظاهر المدنية الحقيقية فى الوقت الحاضر (انظر شكل ٢٣) .

٣ ــ يزيد عدد الاناث على عدد الذكور فى معظم مدن المنطقة ، ويعود ذلك الى عامل الهجرة إذ أن عدد المهاجرين الذين يسعون للحصول على فرص وظيفية فى مدن مناطق المملكة التى سبقت هذا الإقليم فى مضمار النمو الاقتصادى – وهم فى الغالب من الذكور – أكثر من عدد المهاجرين اليها .

غير أن مدينة جيزان ذاتها وهى أكبر وأهم مدينة فى المنطقة ترتفع فيها نسبة الذكور الى ٥٣٫٨٪ من مجموع سكانها لأنها ــ شأن المدن النامية ــ تستقطب هى الأخرى هجرة الذكور من نفس المنطقة ومن خارجها بسبب انفتاح فرص العمل فيها . ولوحظ كذلك ارتفاع نسبة الذكور فى بعض المدن الصغيرة خاصة تلك الواقعة على مفترقات الطرق ولنفس الأسباب مثل : الدّرب ، وأحد المسارحة والطوال والريان والخوبة والموسم . وقد ارتفعت فيها هذه النسبة ارتفاعا مقبولاً عدا بلدة الموسم التى ارتفعت فيها نسبة الذكور الى ٦١٪ . ويمكن تفسير هذه الظاهرة الشاذة بسبب وقوعها على الحدود مباشرة ، فزادت نسبة جذبها لعدد أكبر من الموظفين والحراس وهم من الذكور بالقياس الى عدد سكانها القليل . وقد أدى هذا الى ارتفاع نسبة الذكور فى مدن المنطقة الى ٥٢٪ من مجموع سكانها .

٤ ــ لوحظ أن ظاهرة استمرار نمو المدن بسرعة واضحة أفرزت نتائج سلبية على المنطقة وعلى اقتصادها ، وهى هجر عدد كبير من المزارعين لأراضيهم الزراعية فتحول قسم منها الى خرائب ، وهذا يفسر تناقص مساحة الأراضى الزراعية حسب أرقام الاحصاء الزراعى الشامل لسنة ١٩٧٤/٧٣م .

٥ ــ يجب أن نأخذ بالاعتبار أثر التخطيط الحكومى وتنفيذ المشاريع الحكومية فى المراكز الإدارية فى تنمية ظاهرة التمدن . وقد تمثل ذلك بانشاء بلديات أو إنشاء المجمعات القروية فى المدن حتى الصغيرة ، لتقوم بتنفيذ المشاريع البلدية ، وتهيمن على تنمية المدن ونموها . فقامت بانشاء الشوارع وزفلتتها وبناء أرصفتها وتشجيرها ، وتخطيط مناطق التنمية وتشجيع المواطنين على البناء .

وفيما يلى نبذة عن أكبر ثلاث مدن فى منطقة جيزان :

مدينة جيزان :

عاصمة إمارة جيزان وميناء القسم الجنوبى الغربى من المملكة ، وتقع قرب مصب وادى جيزان فى نهاية الشمال الغربى لبروز فى خط الشاطىء باتجاه البحر . وكانت بمثابة

عقدة مواصلات تصل المرفأ الطبيعى بطرق القوافل البرية : كالطريق الساحلى الجنوبى الى ميدى (على بعد ٨٠ كم) والطريق الساحلى الشمالى الى صبيا (٤٥ كم) والطريق الجبلى الى صعدة (١٣٥ كم) .

وهى مدينة قديمة قيل أنها وجدت قبل العهد الإسلامى ، حيث كان لها صلات بالغساسنة فى العهد الرومانى . وشاركت اليمن فى تجارة البن فى القرن الثامن عشر دون أن تتبعها . وكانت بلدة صغيرة وصفها الزائرون كموقع لايتجاوز سكانه ٤٠٠ نسمة (فى سنة ١٨٣٤م)(١) مبنية من أكواخ العشش المخروطية المتكونة من الاعشاب المجدولة والطين ، ومن بيوت الطوب المربعة المستوية السطح . كان بها مسجد صغير وقصر كبير مسور ، وقلعتان : الأولى قديمة مبنية على الطابع اليمنى ، حصينة استعملت فى أول العهد السعودى كدار للضيافة ، والثانية حديثة وتقع على تل مجاور(٢) لاتزال خرائبها قائمة حتى الآن .

نمت جيزان بسرعة خلال الحرب العالمية الاولى لأن ميناءها بقى مفتوحا للتجارة أثناء الحصار . واستمرت فى النمو بعد الحرب لأنها أصبحت العاصمة الساحلية لدولة الأدارسة . فقدر عدد سكانها فى سنة ١٩٢١م بـ٦٠٠٠ نسمة ، كما قدرت مساحتها بكيلومتر مربع واحد ، تمتد على شكل شريط ضيق من الأرض محصور بين الشاطىء وبين تلال ملحية لاطئة لايزيد ارتفاعها عن ٦٥م . وقد تبعت المملكة السعودية فى سنة ١٩٣٢م ، وأصبحت قاعدة إمارة جيزان ، فاستقرت فيها الوظيفة الإدارية وترسخت الوظيفة التجارية بفضل المرفأ .

بدأت جيزان منذ أواسط هذا القرن تتحول الى مركز جذب قوى للسكان حينما توطنت فيها المشاريع الحكومية ، وتوفرت فيها فرص الأعمال ، وقدم اليها المهاجرون من ظهيرها الريفى ومن الخارج ، فتزايد عدد سكانها حتى بلغوا ٢٠٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٦٢م ، ثم وصلوا ٣٢٨١٢ نسمة فى صيف ١٩٧٤م ، وأربت مساحتها على عشرة كيلو مترات مربعة .

وليس من شك أن سكان جيزان يتجاوزون الآن الـ٥٠٠٠٠ لاستمرار عوامل تزايد السكان التى حصلت خلال العقد الماضى ، لاسيما الهجرة من المناطق الأخرى أو

---

(1) British Admiralty and War office, Naval Intelligence division, Ibid, P.545.

(2) Ameen Rihani-Around the coasts of Arabia, P. 176.

المجرة الخارجية . يدل على ذلك أن مكتب جوازات جيزان منح خلال عام ١٤٠٢هـ (١٠٧٢٨) تصريح اقامة دائمة لغير السعوديين(١) ليقيم معظمهم فى المنطقة .

ومع ان نشاطات السكان الاقتصادية التقليدية لاتزال باقية كالصيد والملاحة والتجارة وبعض المهن واستثمار الملح ؛ الا ان نشاط قطاع الوظائف المهنية صار هو المسيطر على حياة جيزان الاقتصادية .

كانت جيزان من أوائل المدن السعودية التى أنشىء فيها بلدية لتشرف على نموها وتنظم مبانيها وتنشىء شوارعها وتقوم بالمشاريع البلدية الأخرى . فظهر فى جيزان الشوارع المستقيمة المزفلتة ذات الأرصفة . والتى ازدانت جنباتها بالمحلات التجارية الحديثة والمنارة بالكهرباء ؛ مثل شارع الملك عبد العزيز ، وشارع الملك فيصل ، وشارع الكورنيش (الميناء) . وظهرت المبانى المتعددة الأدوار . وقد بنيت جميع هذه التوسعات بالاسمنت .

لقد حافظت جيزان على وظيفتها السابقة كعقدة مواصلات وأصّلتها ، فقد أنشىء فيها مطار حديث منذ الخمسينات ساهم فى اتصال سكانها بمدن المملكة الاخرى وفي الخارج . وقد انطلقت من جيزان عدة طرق معبدة حديثة سارت كما يبدو على هٰذى طرق القوافل هى : جيزان ــ ابو عريش (٣٥كم) ، جيزان ــ أحد المسارحة فالحدود ، جيزان – الدرب (١١٧كم) مارا بصبيا وبيش . والاخير هو أهم الطرق الخارجية لأنه يعتبر المرحلة النهاية لكل من طريق الجنوب (الطائف – ابها ــ الدرب – جيزان) ، وقد تم افتتاحه (١٣٩٨هـ) ، والطريق الساحلى (جدة ــ القنفذة – الدرب – جيزان) .

كان يتكون ميناء جيزان من مرفأين أحدهما مفتوح للسفن الكبيرة التى ترسو على بعد ٢ ــ ٣ كم من الشاطىء ، والثانى داخلى صغير وضيق يقع فيما بين الشعاب المرجانية والشاطىء ، لاتدخله سوى القوارب والسفن الصغيرة . ويصل بين المرفأين قنال ضيقة . وقد خضع المرفأ الثانى للتحسين والتوسع حتى يستطيع استقبال السفن الكبيرة فأنشىء فيه رصيفان منذ الستينات . وفى أواخر السبعينات جرى إنشاء ميناء كبير مجهز بالروافع والمخازن اللازمة بعد أن عجز الميناء السابق عن استقبال مايرد اليه من

---

(١) الكتاب الاحصائى السنوى ، العدد ١٨ ، ص ٢٤٢ .

بضائع لاسيما من الإسمنت والحديد والخشب ، ومن المواد الغذائية والملبوسات والآلات الواردة لمنطقتى جيزان وعسير . وقد تمكن هذا الميناء فى سنة ١٤٠٢هـ من استقبال ٢١٠ سفينة وناقلة و ٢٩٠ مركباً صغيراً(١) .

ونظرا لوقوع جيزان فى منطقة قاحلة فقد كانت تتزود فى الماضى بمياه الشرب بجلبها بواسطة الجمال من مسافة ٧ كم(٢) . أما الآن فقد تم إنشاء شبكة أنابيب أولا لجلبها الى المدينة ثم لتوزيعها على البيوت . وأنشئت كذلك شبكة لتوزيع التيار الكهربائى حتى الى بعض القرى المجاورة ، وثالثة للهاتف تتسع لـ١٠٥٢ خطاً سنة ١٤٠١هـ وتيسرت الاتصالات البريدية واللاسلكية والتلكس . وشيدت فيها مبان جديدة لجميع الدوائر الحكومية أو الخدمات الحكومية ، كالمدارس والمستشفيات والمستوصفات وغيرها .

مدينة صبيا :

امتازت صبيا بأنها جمعت بين الفعاليتين الزراعية والتجارية ، إذ أنها وقعت على جانب وادى صبيا فى وسط الحقول الزراعية التى تعتمد على رى الحياض من مياه الفيضان ومن عدد من الآبار المحفورة فى السهل الطموى الذى يتغذى من مياه الفيضان وتبعد عن الشاطىء ٢٢ كم . كما وقعت على طريق جيزان — الدرب المشهور . ولذلك فقد صارت مركزا لظهير زراعى واسع وعديد القرى ، وكان سوقها الأسبوعى من أكبر الأسواق فى المنطقة ، اذ كانت مركزا لتجارة الحبوب لاسيما الذرة والدخن والحيوانات .

اتخذها أحمد الادريسى مؤسس الدولة الادريسية – والذى اشتد ساعده ضد الاتراك منذ بداية الحرب العالمية الأولى – عاصمة له . وكانت مبنية من أكواخ الاعشاش (من الطين والقش ولها أرضية مرتفعة من الطين) . وكان بها قلعة حصينة وقصر يتكون من طابقين(٣) ، وقد أعيد بناؤه من قبل الحكومة السعودية فيما بعد .

غير ان الادريسى أنشأ مدينة صبيا الجديدة فى سنة ١٩١٧م على بعد ٥ كم فى اتجاه الشمال الشرقى منها وعلى الجانب الآخر من الوادى ، وأطلق عليها اسم الادريسية

---

(١) الكتاب الاحصائى السنوى . العدد ١٨ ، ص ٣٢٤ .

(2) Ameen Rihany. Ibid, P. 203.

(3) British Admirality and war office, Naval Intelligence Division, Ibid.P. 571.

وكانت تحوى بيوتا لها واجهات حجرية . ثم أقامت الحكومة السعودية على جانب وادى صبيا من الناحية الشمالية الشرقية لصبيا القديمة سدا من الحجارة ليدفع عنها مخاطر الفيضانات ، واتخذتها قاعدة لقضاء صبيا . ثم أخذت البلدة تتسع بسرعة بعد أن أنشىء فيها بلدية تشرف على تنظيمها وتوسعها ، فظهرت فيها الشوارع المستقيمة والبيوت الاسمنتية أو المصنوعة من الطوب الاسمنتى . ولاتزال بيوت الاعشاش ماثلة فيها .

وانطلق سكانها يتصلون بمناطق المملكة الاخرى لايعيقهم عائق ، خاصة بعد أن تم ربطها بالطرق « المزفلتة » التى تمر منها مثل طريق جيزان ــ صبيا والذى يستمر من صبيا ــ الدرب ــ أبها فى الجبال ، أو باتجاه الطريق الساحلى الى القنفذة . وبعد أن قدر عدد سكانها ببضعة آلاف من الافراد فى الأربعينات بلغ نحو ١٣٥٠٠ فى سنة ١٩٧٤م .

مدينة أبو عريش :

تقع فى شرق السهل الرسوبى وعند أقدام الجبال الساحلية على ارتفاع ٢٧١م عن سطح البحر ، وتبعد نحو ٣٠ كم عن الشاطىء . أى أنها تقع عند رأس الدلتا الرسوبية التى شكلها وادى جيزان بعد خروجه من المنطقة الجبلية . وقد نشأت فى الأصل كمحطة قديمة فى طريق حجاج اليمن وفى طريق القوافل منذ القرن الثانى الهجرى ، اذ أنها تعتبر محطة بين صعدة (٨٨كم) وبين جيزان (٢٧كم) . وقد أهّلها لأن تحتل مركز المحطة ، وجود ظهير ريفى واسع يحوى عددا وافرا من القرى الزراعية حولها . ثم صارت قاعدة المخلاف السليمانى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين(١) .

كانت بلدة صغيرة قدر عدد سكانها فى الاربعينات ببضعة آلاف من الأفراد وبنى قسم من بيوتها من الحجارة والقسم الآخر من الطين(٢) . ثم أخذ فى الاتساع فيما بعد حيث بقيت قاعدة إدارية لقضاء أبو عريش ، وبدأت تظهر فيها البيوت الاسمنتية أو من الطوب الاسمنتى على جوانب الشوارع الحديثة والمستقيمة خاصة بعد إنشاء البلدية التى تشرف على تنظيمها وتوسعها . حتى بلغ عدد سكانها ١٢٣٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤م(٣) . ويزيد عدد سكانها اليوم عن ١٥٠٠٠ نسمة .

---

(١) العقيلى ــ المصدر السابق ، ص ٤٨ ــ ٤٩ .

(2) British Admirality, Naval Intelligencé Division, Ibid, P. 564.

(٣) مصلحة الاحصاء العامة ــ التعداد العام لسكان المملكة سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٥ ــ نظرة الى مستقبل منطقة جيزان :

ان أوضاع منطقة جيزان الراهنة بالقياس الى مناطق المملكة الأخرى متخلفة وفقيرة . ومواردها محدودة ومجالات الانتاج فيها ضيقة ومستوى معيشة الناس منخفض ، فى الوقت الذى تملك فيه إمكانيات التقدم بالقدر الذى لايقل عن المناطق الأخرى ، إذا أمكن استغلال تلك الإمكانيات بطرق عقلانية تعتمد على دراسات علمية وتخطيط اقليمى شامل ، ومن ذلك تطوير إنتاجها الزراعى واستغلال الموارد البحرية .

تقع المملكة – كما هو معروف – فى النطاق الصحراوى وبالتالى فهى فقيرة بانتاج المواد الغذائية عامة والمواد الزراعية بشكل خاص ، وقد تزايدت حاجتها كثيرا من الحاصلات الغذائية خلال ثلث القرن الماضى ، فتزايدت مستورداتها منها حتى أصبح اعتمادها على المستوردات لتلبية حاجة سكانها المتعاظمة اعتمادا شبه كامل . ونظرا لتعاظم مقادير صادرات المملكة من البترول ؛ لم يُظهر تعاظم استيراد المواد الغذائية أى عبء على ميزان المدفوعات ولم ينذر بخطر هذه الظاهرة . وقد آن الأوان الآن للكشف عن مخاطر هذا الاتجاه والتفكير جديا بالنهوض بانتاج المواد الغذائية فى المناطق التى تستحوذ على امكانيات التطوير .

وجيزان تحتل مركزا مرموقا فى استحواذها على هذه الإمكانيات ، ومن الواجب تحويلها الى مركز لإنتاج قسم كبير من حاجة المملكة من المواد الغذائية زراعية وحيوانية . وهذا يقتضى تنفيذ مشاريع مائية عديدة كالسدود على الوديان التى تتردد فيها الفيضانات بكثرة للاحتفاظ بالمياه ، ومن ثم توزيعها على السهول الزراعية من خلال شبكات للرى تبنى لهذه الغاية ، واستغلال المياه الجوفية المتجمعة من تسرب مياه الوديان فى السهول الرسوبية ، وتحويل زراعة المنطقة كلها من زراعة رى الحياض الى الرى الدائم .

وترتبط بهذه المشاريع دراسات مكثفة وتجارب علمية حثيثة لاختبار الأصناف النباتية الأكثر ملاءمة لظروف هذا الاقليم وأكثر إنتاجية منها ، وتحديد أنسب الأوقات لزراعتها ، واستعمال التقاوى الجيدة وتنظيم دورة زراعية معقولة وتحسين الأساليب الزراعية ، واستعمال الآلات الحديثة والأسمدة الكيماوية الى جانب الأسمدة الطبيعية ، ومقاومة الآفات الزراعية ، واخيرا تنظيم تسويق الحاصلات والإكثار من مزارع تربية الحيوانات .

والمجال الثانى الذى لابد من تطويره فى جيزان هو استغلال ثروات البحر بطرق عقلانية حيث يعتقد العلماء أن للبحر ما للارض من قدرة على انتاج المواد الغذائية ، وان القيمة الغذائية للأحياء البحرية ترجح على القيمة الغذائية للنباتات البرية . ويمكن بالتالى الاستفادة من الدراسات التى تمت على الأعشاب البحرية التى تزخر بها البحار ، لاسيما البحار الدافئة كالبحر الأحمر ، والبحث فى امكانية الاستفادة منها كغذاء للانسان .

هذا ولابد من تحويل صيد الاسماك الذى يتم الآن بالطرق التقليدية الى صناعة متقدمة ، وذلك باستعمال قوارب خاصة مجهزة بالأدوات اللازمة لاستغلال هذه الثروة التى لاينضب لها معين ، وتجهيز الاسماك للتصدير بالطرق الملائمة المختلفة كالتعليب والتمليح والتبريد .

ومن الممكن أيضا ايجاد عمليات زرع اللؤلؤ اصطناعيا خاصة فى مناطق الجزر المبثوثة على الرصيف القارى الضحل فهى بطبيعتها ملائمة لإنتاج اللؤلؤ .

هذا الى جانب تطوير جميع مجالات الإنتاج الاخرى والتى منها الاتجاه نحو التصنيع ، وذلك بالبدء بانشاء معمل لإنتاج الاسمنت ، حيث أثبتت الدراسات التى قامت بها الشركات المختصة وجود خاماته اللازمة ، خاصة وان الحاجة اليه فى تزايد مستمر . وكذلك إنشاء معمل آخر أو معامل لتنقية الملح وتعلبه وتسويقه والاستغناء عن الملح المستورد . ومعامل لمعالجة الاسماك كما ذكرنا خاصة تعليبها وأخرى لمعالجة الحاصلات الزراعية أو الحيوانية ، كمطاحن الحبوب وصناعة الجلود وتطوير الخدمات المهنية .

الفصل الخامس

منطقة القنفذة

ونعنى بهذه التسمية جميع الأراضى الواقعة فيما بين شاطىء البحر الأحمر غربا وحافة الانهدام الرئيسية لجبال سراة الحجر والحجاز شرقا ، والى الشمال من منطقة جيزان حسب تحديدنا لها فى الفصل الماضى . أى من منطقة البرك ومحايل جنوبا حتى الهضاب الواقعة بين وادى الليث ووادى سعدية فى نهاية منطقة الليث شمالا عند خط عرض ٣٠- ٢٠° ش تقريبا . وتبلغ هذه المسافة نحو ٣٤٠ كم تقريبا .

وتضم هذه المنطقة بذلك جميع أحواض وديان حوض البحر الأحمر في هذه المنطقة ، والتى تتصف بأن مياهها أقل غزارة من الوديان الواقعة الى الجنوب منها ، أى التابعة لمنطقة جيزان ، وان المساحات الزراعية اقل اتساعا وتواجدا ، وتضم المرتفعات الانكسارية الواقعة بين الوديان ، وكذلك مناطق « الاصدار » أى صدور الأودية المنحدرة من السروات والتى تتصف بانها أفقر فى غطائها النباتى من النجود الواقعة الى الجنوب منها . وتنتشر القباب الملحية والسباخ قرب الشاطىء كما تنتشر الشعاب والارصفة المرجانية بعد خط الشاطىء مما قلل فرص وجود حياة مستقرة فى تلك الشواطىء ، وزاد من انعزال المجموعات البشرية التى تعيش فيها .

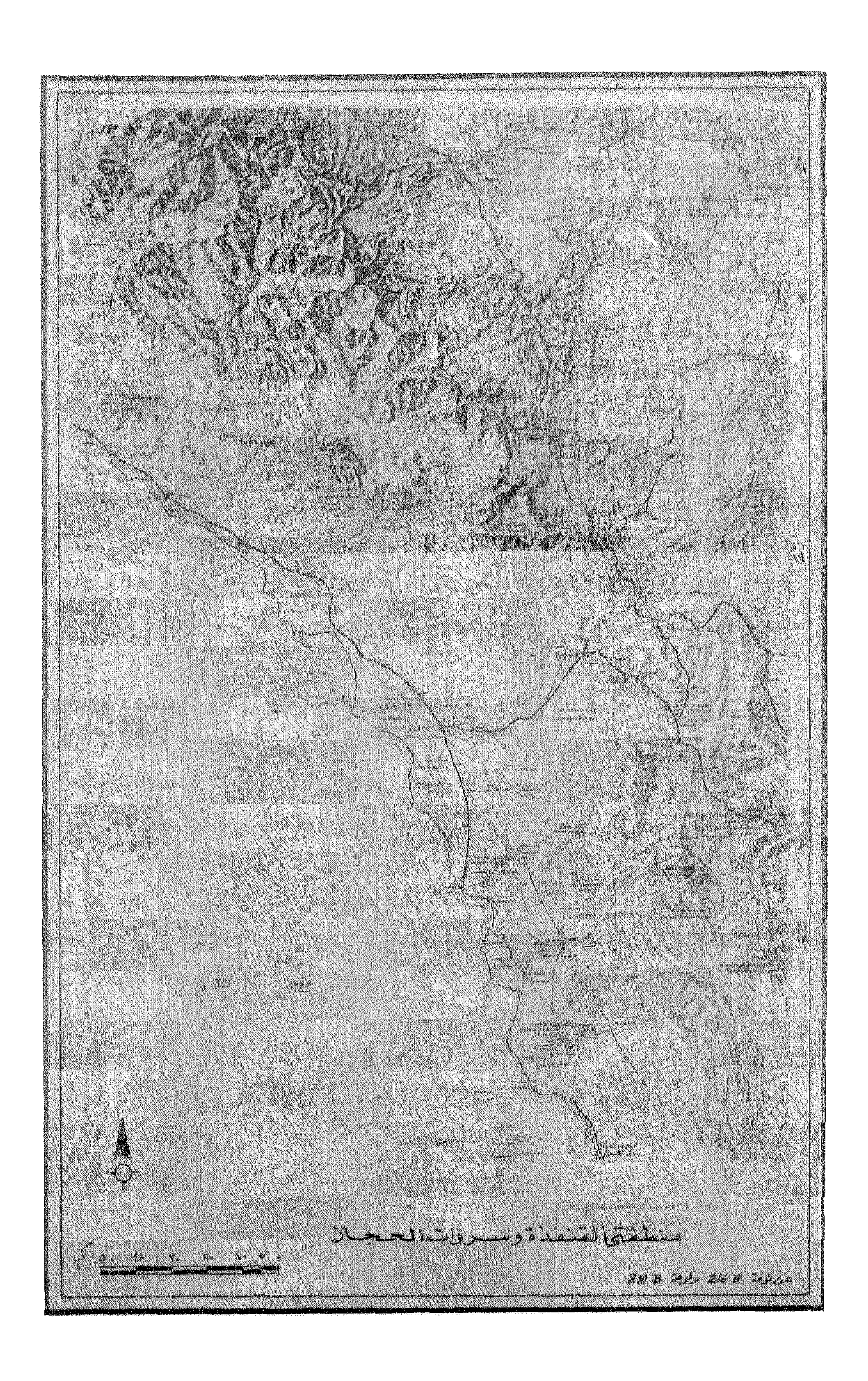
ولذلك تعتبر هذه المنطقة قليلة السكان ومستوى معيشتهم منخفضا ، ورغم أن مساحتها تزيد عن مساحة المنطقة الأولى أى القسم الجنوبى ؛ فان عدد سكانها لم يكد يبلغ ١٩٠ الف نسمة ، أى نحو ٤٠٪ من سكان المنطقة الأولى فقط . وحياتهم بائسة ، لأن فرص الانتاج الاقتصادى ضئيلة للغاية . إذ اقتصرت المساحات الزراعية على بقع صغيرة المساحة متباعدة متفرقة فى بعض أحواض الوديان الجبلية ، أو فى أحواضها الساحلية حيثما مكنتها الظروف من ذلك . ويمارس الفلاحون فيها الزراعة بطرق تقليدية وينتجون ما يسد حاجتهم من المواد الغذائية لاسيما الحبوب .

ونظرا لفقر الموارد العشبية كانت الحياة الرعوية المتمثلة بالبداوة المتنقلة ضعيفة قوامها قبائل متفرقة قليلة العدد ، منخفضة الدخل فقيرة الموارد . وبالرغم من غنى البحر الأحمر بالأحياء المائية ، فانه لم يستغل فى هذه المنطقة كما يجب أن يكون . وقد مارس الصيد عدد هزيل جدا من الصيادين يعيشون فى عدد محدود من القرى الشاطئية المتباعدة عن بعضها والتى منع من تواجدها جذب المناطق الشاطئية وعدم توفر المياه العذبة من ناحية ، وانتشار الأرصفة والشعاب المرجانية من ناحية اخرى .

البيئة الطبيعية لمنطقة القنفذة :

تعتبر منطقة القنفذة من ناحية فزيوغرافية امتدادا طبيعيا لمنطقة جيزان ، فهى تشبهها فى تعقيد تضاريسها وتباين ارتفاعاتها وتركيب صخورها . فالمنطقتان صنوان من حيث أنهما تقعان فى اقليم الانهدامات السلمية التى تلى خط الانكسار الرئيسى لحوض البحر الأحمر والذى يتمثل بحافة خط الشعاف (شكل ٣٣) .

ولذلك فقد تكونت ارض هذه المنطقة ــ مثل جيزان ــ من اقليمين فزيوغرافيين مميزين : الأول : وهو قسم من اقليم الدرع العربى الذى يتكون من الصخور النارية الاركية والمتحولة ، خاصة من الشست المتبلور ومن الجرانيت والسيانيت والديوريت فى مجموعات غير منتظمة من النجود العالية (horsts) والأغوار السحيقة (grabens) نتجت عن الانكسارات ، وقد حولتها التعرية بعد ذلك الى جبال أو هضاب وعرة تجاور الوديان العميقة التى شغلت المنخفضات والأغوار ، ولما كان الاتجاه العام للانكسارات هو (ش ش غ ــ ج ج ش) فقد تأثر اتجاه الوديان بها ، ولكنها وجدت سبيلها الى السهل الساحلى فى الغرب ، وبذلك تكون قد عزلت الكتل الجبلية الى كتل منفصلة عن بعضها البعض . ومن الملاحظ أن ارتفاعاتها إجمالا معتدلة بالقياس الى جبال منطقة جيزان خاصة الجزء الجنوبى الذى يصل الى وادى أحسبه . الثانى : وهو منطقة السهل الساحلى الذى نشأ من استمرار عملية الترسيب الناتجة عن تعرية المرتفعات الإنكسارية منذ حدوث الانكسارات وحتى الوقت الحاضر ، ولذلك تنتمى صخور السهل الساحلى إلى أواخر الزمن الثالث والى تكوينات الزمن الرابع . وقد انتشر قرب الشاطىء وعند خطوط الجزر التى تليه داخل البحر القباب الملحية وقد نمت على الاخيرة حيوانات المرجان ، فانتشرت على الشاطىء وبالقرب منه الأرصفة المرجانية والشعاب المرجانية . كما انتشرت بعد خط الشاطىء من الداخل مستنقعات واسعة تجفف بعضها وتحول الى سباخ جافة ورطبة .



منطقتي القنفذة وسروات الحجاز
عن لوحة 216 B ولوحة 210 B

الجبال الانكسارية : ونطلق عليها أحيانا اسم جبال تهامة أو الجبال الساحلية لوقوعها بين خط شعاف السروات والسهل الساحلى . وتتميز جبال هذا الاقليم عن جبال السروات بالاضافة الى موقعها بأنها أكثر تعقيدا ، وأقل انتظاما فى ترتيبها وتتابعها وارتفاعها منها ، بسبب عدم انتظام القوى المؤدية الى الإنكسارات والتى كانت سببا فى وجودها . يدل على ذلك تواجد الأغوار المنخفضة بجوارها من أى اتجاه ، والتى حولتها التعرية الى مجارى الوديان . وهذا يفسر وجود الوديان العميقة الى الشرق من بعض الكتل العالية جدا ، وما انتظام شبكة الوديان فى المنطقة سوى دليل على مدى التعرية التى تعرضت لها هذه الكتل . ويمكن تتبع أهم أحواض الوديان من الجنوب الى الشمال (شكل ٣٤) .

(١) **حوض وادى حَلى** : وتبلغ مساحته نحو ٥٠٠٠ كم٢ ، ويقع الى الشمال من حوض وادى عتود ويوجد فيما بينهما عدد كبير من الوديان الصغيرة الساحلية . ويبلغ طول واديه (وادى حَلى) نحو ١٤٥ كم ، ويعتبر من الوديان الهامة المنحدرة من السراة . ويتشكل مجراه الرئيسى الاعلى من التقاء اربعة أودية تنحدر من سفوح جبل سودة الغربية هى : العوص وشعفة وفودة ووسانب ويتجه الوادى المتكون منها نحو الغرب فالشمال الغربى ، فيستقبل وادى عمقة ووادى قضى قبل أن يلتقى به رافده الرئيسى الثانى (وادى طيه) القادم من عقبة شعار . ويشكل الوادى هو وروافده أحيانا خوانق ضيقة فى الطبقات القاسية ، ثم يدخل منخفض محايل الذى يبلغ سمك الرسوبيات فيه ١٤م ، فيلتقى برافده الرئيسى الثالث (وادى بقرة) القادم من سراة بالاسمر ويخترق منخفض الخوش والبارق الذى يبلغ سمك الرسوبيات فيه ٦م . يواصل الوادى مجراه نحو الغرب فى طريق متعرج مستقبلا عددا آخر من الروافد الصغيرة ، ويدخل السهل الساحلى فى منطقة كياد ، فيشكل سهلا فيضيا واسعا ينتهى بدال متقدمة فى البحر على شكل مثلث يبلغ طول كل ضلع من اضلاعه نحو ٢٠ كم .

(٢) **حوض وادى بيه** : وتبلغ مساحته نحو ٢٧٠٠ كم٢ . ويقع الى الشمال من الحوض السابق ، ويبلغ طول مجراه الذى ينحدر من منطقة العلايا باتجاه الجنوب نحو ١٠٠ كم . وفى قضاء غبرة يستقبل نحو تسعة روافد تنحدر إليه من سراة الحجْر ، وتتجه كلها نحو الغرب فتشكل حوضا رسوبيا هاما . وبعد غبره يستقبل وادى غط المتكون من وادى قرية ووادى الخطوة وغيرها المنحدرة من منطقة الثماص . ينحنى الوادى فى

شكل (٢٤)

تهامة منطقة القنفذة

طريق معبد

طريق تحت التنفيذ

وادي

مدينة

قرية

بني عيسى

القنفذة

٠ ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ كم

طريق متعرج نحو الغرب الى أن يدخل السهل فالبحر ، مشكلا دالا واسعة يبدأ رأسها عند بلدة حَبيل على شكل مثلث لاتقل مساحته عن مساحة سهل حَلى ، ويقع الى الشمال من السهل الثانى مسافة ٣٠ كم .

(٣) **حوض وادى قنونه** : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ويبدأ مجراه الرئيسى الأول من سراة غامد باسم « وادى الحفياء » فى شمال شرق قنونه فيتجه نحو الجنوب ، ويستقبل سيول سفوح سراة بلقرن من الشرق ووادى غليلة وحلحال من الغرب ، وحينما ينحنى نحو الجنوب الغربى يلتقى بالرافد الرئيسى الثانى المنحدر من قزانه باتجاه الجنوب أيضا والذى يخترق حوض نمره الرسوبى . وبعد أن ينحنى نحو الغرب يستقبل آخر روافده الهامة أى وادى « ختم الجارة » القادم من الشمال أيضا ، عند منطقة بنى عيسى فى بداية الحوض الذى يشكل فيه سهلا رسوبيا واسعا ودالا متقدمة تقع فى وسط قوسها مدينة القنفذة .

(٤) **حوض وادى أحسبه** : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ، ويقع بينهما الواديان عجة ولومه الساحليان . ويبلغ طول واديه أكثر من ١٠٠ كم ، وتبدأ مجاريه العليا من سراة غامد وتتجه نحو الجنوب الغربى وتلتقى فى منخفض المخواه . ويواصل مجراه فى نفس الاتجاه فيما بين جبال غامد الزناد من الجنوب الشرقى وجبل شدا من الشمال الغربى الى أن يصل السهل الساحلى فيشكل فيه سهلا رسوبيا قبل أن يصب فى البحر فى شمال القنفذه بنحو ٣٠ كم .

(٥) حوض وادى اندوقة : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ويقع بينهما الواديان ناوان وقرما . وتنحدر مجاريه العليا من سفوح زهران ويتجه المجرى الرئيسى فى منطقة الجبال نحو الجنوب الغربى حتى يصل السهل الساحلى ، الذى يشكل فيه سهلا رسوبيا واسعا ، فيصب فى البحر الى الشمال من أحسبه بنحو ٢٥ كم .

(٦) **حوض وادى الشاقة** : ويقع الى الشمال من الحوض السابق ويقع بينهما عدد من أحواض الوديان الصغيرة ، ويجرى فيه واديان : الشاقة اليمانية والشاقة الشامية . وتبدأ مجارى الشاقة اليمانية العليا (وادى عُليب) من سفوح سراة زهران ، هى من الجنوب : وادى الشّعراء ووادى رَمى ويهبطان من سفوح سراة المندق . ووادى الجَرداء ويهبط من سفوح المندق ودوس ، ووادى الحَجرة الذى يهبط من جهة الشمال . وبعد التقائها يتجه الوادى نحو الغرب حتى السهل الساحلى فيتجه نحو الجنوب الغربى . وتبدأ

مجارى الشاقة الشامية العليا من سفوح جبال بنى مالك وتتجه نحو الجنوب الغربى الى منطقة السهل الساحلى فيقترب مجرى الواديين ويسيران متوازيين لايبعدان عن بعضهما الا بضعة كيلو مترات الى أن يصبا فى البحر ، ويشكل الشاقة الشامية سهلا رسوبيا واسعا .

(٧) **حوض وادى الليث** : وهو آخر الأحواض الهامة فى جهة الشمال ، اذ تبلغ مساحة حوضه ٣٠٠٠ كم٢ ، وتبدأ مجارية العليا من سفوح الجبال الواقعة فى جنوب شرق الطائف بمسافة ٣٠ كم ويتجه نحو الجنوب فيستقبل اثناء ذلك عددا كبيرا من الروافد التى تهبط من سفوح السراة الواقعة بين الطائف وبنى مالك ، ومن الجهة الغربية . وفى السهل الساحلى يشكل سهلا رسوبيا يجاور منطقة السباخ الشاطئية العريضة . ويلى وادى الليث وادى حريق البير ووادى الفقه ووادى خضرة ووادى سعية الى الشمال الغربى .

وتنتصب الكتل الجبلية غير المنتظمة – التى ذكرناها – بين أحواض هذه الوديان المتباينة فى أطوالها وشكل مجاريها . وقد تكون هذه الكتل جبالا عالية أو تلالا لاطئة أو هضابا وفراعا ، مختلفة الاتساع متتابعة بغير نظام ، بفضل تباين البنية والتركيب وتباين قوى الانكسارات ونشاط التعرية الذى تبع ذلك . ومن أهم الكتل البارزة على سبيل المثال لا الحصر من الجنوب الى الشمال :

١ ـــ فيما بين روافد وادى حَلى فى الجنوب وروافد وادى قنونة فى الشمال توجد بعض الكتل المتفرقة مثل جبل كتمان وجبل بكرتين وجبل تربان وجبل ثميدة .

٢ ـــ جبال غامد الزناد وتقع بين المجارى العليا للوديان : لومة وأحسبه من جهة وقنونة من جهة أخرى .

٣ ـــ جبل شدا وجبال آل الدومين وتقع الى الشمال من المجموعة السابقة بنحو ١٥ كم فيما بين روافد الوديان أحسبه(وادى المخواة) من الشرق ، وناوان (وادى نيرا) من الغرب ، والدوقة (الشعراء) من الشمال . وترتفع قمم جبل شدا إلى ٢٢١٥م عن سطح البحر ، فهى تضاهى فى ارتفاعها وطقسها وانتاجها مرتفعات سراة غامد التى تقع إلى الشرق منها ، فى حين ينخفض سهل المخواة بينهما إلى ارتفاع ٣٠٠ – ٥٠٠م وترتفع بلدة المخواة ذاتها ٣٦٠م عن سطح البحر .

٤ ــ كتلة جبال « ريع المنقض » ، وتمتد شامخة فيما بين عالية وادى أحسبه (وادى غليل ووادى سقاما) وعالية وادى الدوقة . ويبلغ ارتفاعها نحو ٢٠٠٠م عن سطح البحر وتظهر وكأنها امتداد لسراة غامد باتجاه تهامة .

٥ ــ جبل نيس وترتفع قمته الى ١٩٤٠م ويقع بين عاليا وادى الدوقة وعالية وادى عليب (الشعراء) . ويظهر فى الافق شامخا بين المرتفعات المجاورة له ، ويصعب ارتقاؤه لشدة انحداره . ولايبتعد كثيرا عن سراة دوس والمندق .

٦ ــ جبل عفف ويقع بالقرب من قرية سوق الجمعة وذلك فيما بين الروافد الشمالية الغربية لوادى الشاقة الشامية ، والروافد الشرقية لوادى عيار .

٧ ــ وتقع الكتل : جبل بجالة وجبل بنى يزيد وجبل الأحمر وغيرها فى حوض وادى الليث فيما بين روافده المتعددة . كما تقع الجبال : سودة ولاحة وجودة عند حدود منطقة الليث فيما بين حوض وادى الليث من جهة وادى سعية وسعدية من جهة أخرى .

تنحدر سفوح هذه الكتل الجبلية أحيانا على شكل جروف قائمة يصعب تسلقها وتشرف على الوديان المنخفضة تحتها . ويسبب هذا كثرة الانهيارات الجبلية أو الصخرية مما يجعلها خطرة فى مواسم سقوط الأمطار ، وقد تكون أحيانا مجردة من التربة بسبب الانحدار وتكون بالتالى خالية من الغطاء العشبى . غير أن بعض قممها قد تكون اقل انحدارا فظهرت عليها حياة مستقرة معتمدة على الزراعة مثل قرى جبل شدا .

السهل الساحلى :

يمتد الشريط الساحلى فى منطقة القنفذة من وادى نجلا فى شمال القحمة جنوبا حتى وادى سعية فى شمال منطقة الليث شمالا . ويبلغ طول هذا الشريط نحو ٤٠٠ كم تقريبا ، فى حين أن عرضه يختلف باختلاف اقتراب الكتل الجبلية من البحر ، ويتراوح إجمالا بين ٢٠ - ٤٠ كم تقريبا . ويتكون من الرسوبيات الحديثة من أواخر الزمن الثالث إلى تكوينات الزمن الرابع .

ونظرا لتركيب هذا الإقليم والمناخ الذى يسود فيه ويسود على المناطق الجبلية المجاورة له ، ونوع ومراحل التعرية الناتجة عن ذلك ؛ أمكن تمييز الأقسام التالية فى السهل :

١ ـــ سهول الوديان المنحدرة من مناطق الجبال فى مجاريها الدنيا ، وتتكون أرضها من رسوبيات الفيضان (الطمى) التى يختلف امتدادها ومساحتها وسمك رسوبياتها حسب أهمية الوديان ، وما تحمله من صبيب سائل وصلب ، وحسب مناطق تزودها بالمياه . فاذا كانت الوديان كبيرة وذات روافد عديدة قادمة من مناطق الجبال العالية الغنية بالامطار ، فانها تشكل سهولاً رسوبية واسعة ، وبامكانها اختزان نسبة كبيرة من مياه الفيضان . وتتجدد تربتها مع كل فيضان ، وتتقدم على شكل دالات باتجاه البحر . وقد هيأت هذه السهول إمكانية الزراعة شأن السهول الرسوبية الواقعة فى الجنوب ، ولو أنها أقل امتدادا ومساحة . وتبتعد عادة عن الشاطىء بسبب ارتفاع نسبة ملوحة التربة والمياه فى ذلك الاتجاه .

٢ ـــ مناطق الخبت وهى السهول شبه المستوية الواقعة بين أحواض الوديان والتى لاتصل اليها مياه الفيضان . وهى قليلة الأمطار بطبيعتها فكانت مناطق صحراوية جرداء الا من بساط عشبى فقير متناثر يظهر عقب سقوط الأمطار . وتزداد مساحة أراضى الخبت بسبب نقص مساحة سهول الوديان فكل منها تتوسع على حساب الأخرى .

٣ ـــ القباب الملحية والسباخ : اذ تكثر القباب الملحية قرب الشواطىء ، كما تكثر السباخ أو المستنقعات المالحة بسبب انخفاض الشاطىء ، ودوام تزودها بمياه البحر المالحة ، وبسبب جفاف المناخ حيث تتغلب عملية التبخر على عملية التزود بالماء ، إذ تمتد السباخ مع امتداد الشاطىء فى منطقة الليث بعرض يصل بين ٢ — ٤ كم . ويؤثر وجودها بالطبع بشكل سلبى على الحياة النباتية والحيوانية وحتى البشرية .

٤ ـــ يوجد فى جنوب هذه المنطقة مساحات واسعة من الصبات البركانية والرماد البركانى ، فتغطى السهل الساحلى ابتداء من خط الشاطىء عند وادى نهب فى جنوب القحمة جنوبا حتى جنوب وادى حلى . وهى هضبة وعرة رقيقة التربة قاحلة . هى فى الواقع امتداد للمنطقة البركانية التى رأيناها فى شمال غرب منطقة جيزان .

٥ ـــ ينتشر عدد كبير من الجزر الصغيرة بجوار خط الساحل ، وقد نشأ معظمها بسبب قباب الملح والتى قد نما فوقها حيوان المرجان . فكثرت الشعاب المرجانية والأرصفة المرجانية بأشكالها المختلفة ، وقد اقترب بعضها كثيرا من خط الشاطىء . تشترك هذه الصفة مع الصفة السابقة لها فى حرمان المناطق الشاطئية من الفرص المناسبة لتواجد مواقع الاستقرار وهذا يفسر خلوها من القرى الشاطئية ؛ الا من عدد قليل جدا ومتباعد ، وقد ظهرت تلك القرى فى مواقع مرافىء طبيعية فيما بين الحواجز المرجانية ، مما زاد من عزلة هذا الإقليم .

المناخ والنبات :

ان وقوع منطقة القنفذة فيما وراء خط عرض ١٨° شمالا ضمن المنطقة المدارية جعلها تختلف قليلا عن منطقة جيزان الواقعة للجنوب منها . فهى وان تشابهت وإياها فى ظروف الحرارة ، كأن تكون جميع معدلات الحرارة فيها مرتفعة جدا ولو أنها تتباين من مكان الى آخر حسب الموقع والارتفاع . إذ يصل المعدل السنوى للحرارة فى معظم المحطات أكثر من ٣٠°م . وتتميز المناطق الساحلية بان معدلات الحرارة الشهرية لا تقل فيها عن ٢٥°م حتى فى شهر الشتاء . وان الحرارة الدنيا فى الشتاء لا تقل فيها عن ٢٠°م ، ولو أن الحرارة العظمى فى الصيف يصل معدلها الى نحو ٤٠°م ، غير أن هذه المعدلات تقل نسبيا عن مثيلاتها فى منطقة جيزان ، وتقل اكثر كلما زاد الارتفاع ولكنها لاتصل الى درجة الاعتدال على كل حال .

الا أن هذا الموقع جعلها أكثر تطرفاً من المنطقة السابقة عن التأثيرات الجوية الجنوبية الغربية ، وبالتالى أقل تأثرا منها بحركات الجو شبه الموسمية الصيفية . وهى فى نفس الوقت مازالت بعيدة عن تأثيرات الحركات الشمالية الغربية القادمة من حوض البحر المتوسط فى فصل الشتاء . وانعكست هذه الظواهر فى نقص معدلات الأمطار السنوية بشكل عام ، ولم تكد تبلغ هذه المعدلات فى المناطق الساحلية ١٠٠ ملم ، لكنها قد تزيد عنها قليلا فى الهضاب القليلة الارتفاع المجاورة لها (فى الليث ٩٥ ملم ، فى الدوقة ٩٣ ملم ، فى القحمة ٧٤ ملم ، فى المظيلف ١٢٧ ملم) . وترتفع معدلات الأمطار على السفوح الجبلية العالية والمواجهة لاتجاه تلك الحركات الجوية .

غير أن معظم المجارى الرئيسية للوديان الهامة الهابطة من مناطق الجبال تتجه إجمالا نحو الجنوب والجنوب الغربى وصارت بمثابة أحواض طولية على شكل أخاديد ، فيما بين المناطق الجبلية العالية ومفتوحة باتجاه الجنوب الغربى مباشرة ، مما جعلها تتصيد الغيوم وتعتصرها ، فارتفعت كميات الأمطار فيها . ومن الأمثلة على ذلك ، البارق فى وادى يبا التى يزيد معدل الامطار فيها عن ٥٠٠ ملم ، ونمره فى وادى قنونة ، ومحايل فى وادى حلى والمخواة فى وادى أحسبة ويسقط في كل منها بالمعدل أكثر من ٣٥٠ ملم من الأمطار سنويا . وتقل الأمطار عن ذلك كثيرا فى جميع المواقع الأخرى وحتى المرتفعات المتوسطة ، ويمكن أن نعتبر معدلاتها تقع بين ١٠٠ - ٢٠٠ ملم .

ويقلل من أهمية هذه الامطار كذلك ارتفاع نسبة التبخر بسبب ارتفاع الحرارة ، خاصة وان معظمها تسقط فى أشهر الصيف الاكثر حرارة ، وتسقط بشكل فجائى وفى عدد محدود جدا من الأيام ويستمر الجفاف أشهرا طويلة بعدها .

وخلاصة القول أن نسبة مياه الأمطار التى تتحول بعد سقوطها الى الجريان تكون قليلة بالقياس الى الجريان فى منطقة جيزان . وتقل بذلك مرات تكرر حوادث فيضانات الأودية ، وتنخفض حمولتها السائلة والصلبة ، ويرتفع مدى تذبذبها ، وتتقلص بالتالى مساحات السهول الرسوبية الفيضية التى أنشأتها حولها ، وأصبح بعضها بدون سهول اطلاقا . غير أن روافد الوديان المنحدرة من سفوح السراة والتى تجرى فى منخفضات بين الجبال باتجاه الجنوب الغربى تجلب من المياه مايضاف الى مايسقط فيها بحيث تمكنت من انشاء مصاطب رسوبية طموية واختزنت كمية من مياه الفيضان وأصبحت صالحة للزراعة المروية . وهى فى نفس الوقت المسؤولة عن الفيضانات التى تحدث فى المجارى الدنيا للوديان والتى تبنى بدورها السهول الفيضية والدالات فى منطقة السهل الساحلى .

وفى هذه المنطقة يمكن أن نجد نفس الأنواع النباتية التى وجدناها فى منطقة جيزان ولو أنها أقل كثافة وغنى ، وأكثر بعثرة وتفرقا ، وتوجد مساحات واسعة شبه خالية من النباتات . ففى أحواض الوديان الرطبة نجد عددا من الأنواع الشجرية الشوكية أو نصف الشوكية ، كأشجار الاكاسيات بأنواعها والسدر والطرفيات وبعض أعشاب السافانا كنبات الحلفا . وفى حين ينتشر غطاء عشبى فقير فى المناطق الاخرى لندرة الماء وفقر التربة ؛ تكاد مناطق الخبت الواسعة والسباخ القريبة من البحر تكون خالية من أى غطاء نباتى . ولو أننا نجد بعض النباتات المتأقلمة مع الملوحة كبعض أنواع أشجار المانجروف بالقرب من الشواطىء فى منطقة الليث وفى بعض الجزر المقابلة لها . ويمكن أن يقال كذلك عن الحيوانات التى تعيش فى هذه المنطقة .

نشاط السكان :

ونستخلص مما سبق أن منطقة القنفذة تعتبر منطقة انتقالية فى صفاتها بالقياس الى منطقة جيزان حيث يتضاءل فيها تأثير الموسميات الجنوبية الصيفية وتتضاءل بالتالى معدلات الأمطار الساقطة فيها ، ولكنها لاتزال تستفيد من المياه المنحدرة اليها من مناطق الجبال العالية . وقد عمد المواطنون فى مناطق المجارى العليا للوديان الى بناء جدر حجرية على جوانب المجارى للمحافظة على المصاطب الترابية ، وسحب مياه السيول والفيضانات اليها باقامة عقوم ترابية على المجارى حتى تتمكن من تجميع الماء السطحى

والاحتفاظ بالطمى ، بحيث سمحت باقامة الزراعة ولو على نطاق متفرق . ولكنهم أقاموا حقولهم الزراعية على جوانب الوديان المرتفعة فى المجارى الوسطى لعدم قدرتهم على التحكم فى مياه الفيضان . وقد ساعدهم على ذلك ما تتركه الوديان فى مجاريها من حجارة وأخشاب ، فترفع المياه الى تلك الحقول المتكونة من عدة أمتار من الطمى الذى يحوى غشاء مائيا محدودا يستعمل فى الزراعة وتلبية الاستعمال المنزلى فى القرى . كان يتم الحصول عليها بواسطة حفر الآبار البلدية ويتم رفعها بواسطة الحيوانات .

وكانت تتم الزراعة بالطرق التقليدية وبالوسائل اليدوية ومازال المزارعون يمارسون الزراعة بالاساليب القديمة ، وكأنهم لم يستفيدوا بعد من نتائج الأبحاث والتجارب الزراعية ، أو كأنهم لم يدركوا أهمية استعمال الآلات الميكانيكية ، بل لم يتمكنوا من استعمالها . ولم يطوروا أساليب الرى ويكافحوا الآفات بالأدوية الكيماوية ولم يستعملوا التسميد الكيماوى الى جانب التسميد البلدى (السماد الطبيعى) كما ينبغى أن يكون .

وترتبط الزراعة التقليدية بمواسم الفيضانات ، ولذلك فلا يتمكن المزراعون فى الغالب من زراعة الحقل أكثر من منتوج واحد كأن يكون صيفيا أو شتويا ، لأن الزراعة ستعتمد على رطوبة التربة التى اختزنتها خلال فترة الفيضان . ولا زال الغرض من الزراعة يستهدف كفاية حاجة الناس من المواد الغذائية لأنه لاغنى لهم عن هذا الهدف . فدخل الزراعة وانتاجية الأرض الزراعية محدودان ، والمزارعون فقراء بالقياس إلى فئات المجتمع الأخرى ، بل هم فقراء بالقياس إلى المزارعين فى اقاليم المملكة الأخرى .

وأكثر الأنواع النباتية المزروعة ملائمة لهذا الغرض ولهذا النوع من الزراعة هو الحبوب خاصة الدخن والذرة ، بسبب توفر الحرارة وقلة ماتتطلبه من مهارة أو جهود ، ولأنه يستفاد منها كغذاء للانسان ، وتصلح لتغذية الحيوانات سواء كحبوب أو أعلاف خضراء ، وتزرع الأنواع الأخرى من الحبوب كالقمح والسمسم واقل من ذلك الشعير ، ولم تكن الاشجار المثمرة والخضروات تنال عنايتهم .

والمهنة الرئيسية الثانية هى تربية الحيوانات سواء من قبل المزارعين أنفسهم ، حيث أن طبيعة الزراعة التقليدية ترتبط أيضا بتربية الحيوانات التى تعتبر وسيلة استطاع الفلاحون بواسطتها رفع مستوى دخلهم الضعيف ، وكانت الزراعة اجمالا زراعة مختلطة ، خاصة وانهم يستعملون بعض هذه الحيوانات فى العمل الزراعى كالحرث والتحميل والنقل ، وأهم الحيوانات التى يملكها المزارعون الأبقار والأغنام . أو من قبل

البدو الرحل الذين يستثمرون مناطق الأعشاب فى خارج الحقول الزراعية لاسيما فى أحواض الوديان ذاتها . خاصة وأن الغطاء العشبى خارج تلك الأحواض هزيل ، بل شبه منعدم فى بعض المواقع ، ولايكاد يكفى لإقامة حياة رعوية بكثافة كبيرة . فكانت جماعات القبائل الرعوية فى هذا الاقليم عموما صغيرة الحجم وتملك قطعانا قليلة العدد ، ودخلها ضعيف للغاية وأحوالهم المعيشية أسوأ من أحوال المزارعين . ولم تتجاوز نسبتهم ٢٠٪ من مجموع سكان هذه المنطقة . وأهم الحيوانات التى يربونها الإبل والماعز والاغنام .

وقد أثرت ظروف المنطقة الطبيعية وفقر مواردها على مجالات الانتاج الأخرى ، فبالرغم من غنى البحر الأحمر بثرواته الطبيعية خاصة الاسماك واللؤلؤ والمرجان ؛ الا أن اعتراض الأرصفة والشعاب المرجانية المناطق الشاطئية حرمته من فرص وجود قرى شاطئية ، سوى عدد قليل وهزيل ومنعزل بعضها عن بعض . واذا كان الصيد يشكل مهنة أساسية لسكان هذه الشواطىء فهو يتم بطرقه التقليدية الضعيفة والقليلة الانتاجية ، فيحيا الصيادون من ورائها أيضا حياة فقر وفاقة . ويكاد يكون الغوص قد انتهى نهائيا من هذه المناطق لقلة مردوده على الغواصين ومخاطره ، وعدم صموده أمام منافسة الانتاج الحديث للؤلؤ الاصطناعى . وبالرغم من توفر الأملاح فى مناطق السباخ الشاطئية أو القباب الملحية القريبة من الشاطىء الا أنها مازالت غير مستثمرة بالشكل اللازم .

لقد عاش معظم سكان هذه المنطقة – سواء المزارعون أو الرعاة أو الصيادون – حياة كفاف واكتفاء ذاتى ، مما دعا عددا كبيرا منهم – لاسيما الشباب – على الهجرة للتفتيش عن أعمال أخرى فى مدن ومناطق المملكة الأوفر حظا فى فرص العمل ، لاسيما إبان عهد النهضة الاقتصادية الحديثة . فأهملت الزراعة وقلت مساحة الأراضى وهزلت أعداد الحيوانات وتجمدت المجالات الانتاجية عموما . يدل على ذلك انخفاض نسبة الذكور الى الاناث ؛ لأن الهجرة تنال الذكور فى سن العمل دون الاناث ، وتواضع نسبة تزايد السكان عامة فيما بين عامى ١٩٦٢م ، ١٩٧٤م ، وارتفاع نسبة الأمية وانخفاض نسبة الحضور المدرسي للاطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٠ سنوات وارتفاع نسبة التسيب بالقياس الى المناطق الأخرى .

ولولا ظهور بعض المشاريع الإنشائية فى بعض المواقع وظهور مجالات عمل جديدة فى الوظائف الحكومية وضرورة توفر الخدمات والتوسع فيها – لاسيما الإنشاءات الحكومية

فى المدن والبلدات التى اتخذت مراكز للأقضية الفرعية والتى استحدثت نشاطا ورواجا إقتصاديا ، وظهور بعض المشاريع الفردية فى تلك المواقع - لزادت المنطقة انعزالا وتخلفا عما كانت عليه .

ومن أهم الأعمال الانمائية الحديثة التى ظهرت فى المنطقة وكان لها تأثير كبير عليها هو اختراق الطريق المزفلت الساحلى الذى يربطها شمالا بجدة ومكة ، وينحرف فى منطقة النجود الداخلية ، فيصل الساحل فى منطقة المظيلف بكل من محايل فالدرب فى تهامة عسير جنوبا والمخواة فى تهامة الباحة شمالا ، عبر مجارى الوديان الداخلية والتى تبعد اكثر من ٨٠ كم عن خط الشاطىء . فساهم هذا الخط فى ربطها بالمناطق المجاورة لها وقضى على عزلتها السابقة .

ومن الجدير بالملاحظة أن الطريق الساحلى بين جدة وجيزان ينقصه إكمال قطاع واحد فيما بين القنفذة والبيرك حتى يكتمل ويساهم مساهمة أفضل فى ربط هذه المنطقة بالجنوب والشمال ، وربط الساحل بالجبل . ولايزيد طول الجزء الباقى عن ٢٠٠ كم وهو تحت التخطيط . ولابد من توصيل هذه الخطوط الرئيسية بوصلات فرعية تربطه بالمناطق المأهولة .

ومن مظاهر التغير الحديث أيضا فى هذا الاقليم إنشاء بلديات فى المدن الصغيرة مثل : محايل والقنفذة والليث والقديح وقلوه ، أو مجمعات قروية مثل مجمع نمرة ومجمع القنفذة ومجمع المجاردة ومجمع تريبان تشرف على تنميتها وتطورها لتأهيلها كمراكز إدارية . فبنت الشوارع ورصفت بعضها وشجعت البناء من الأسمنت أو الطوب الاسمنتى ، بل وعملت أحيانا على نقل القرى أو المدن من مواقعها ، أو نقل بعض أحيائها الى أماكن أنسب وبمخططات منظمة كما حدث فى نمرة وكما سيحدث للحجرة . وصارت هذه البلدات تتوسع بسرعة بإنشاء مبان اسمنتية فى كل اتجاه .

وقد توسعت أعمال حفر الآبار فى الوديان لتزويد القرى بمياه الشرب . وبعد أن شاع استعمال سيارات الصهاريج لنقل المياه من تلك الآبار وتوزيعها فى القرى عملت البلديات على إنشاء خزانات اسمنتية مرتفعة عن مستوى القرية تضخ اليها المياه من الآبار ومن ثم تتوزع على البيوت والمحلات بدون ضخ .

لقد أوضحت نتائج التعداد العام لسكان المملكة لسنة ١٩٧٤م أن عدد العاملين فى الزراعة فى مناطق القنفذة والبيرك والليث أى القسم الداخل فى إمارة مكة من هذه

المنطقة بلغ ١٤٧٨٥ فردا ، والعاملين فى تربية الحيوان بلغ ٩٢٤٥ نسمة وتعادل هذه الأرقام النسب ٤٣ر٥٪ و٢٧٪ على التوالى ، اى مايزيد عن ٧٠٪ من مجموع العاملين فى هذه المناطق الثلاث . وهذا يدل على سيادة الحياة الريفية ، علما بانه يصعب التفريق إحصائيا بين هاتين الفئتين ، لأن المزارعين يمارسون تربية الحيوان ، فى حين أنه قد يمارس الزراعة عدد من غير المستقرين (أنصاف البدو) وكلا الفئتين تضم نسبة عالية من العنصر النسائى .

وبالرغم من أن اقليم القنفذة (بمعناه الواسع) يمتد بامتداد السهل الساحلى الذى يزيد طول شاطئه عن ٣٤٠ كم فان الإحصاء دل على أن مجموع العاملين فى مجال الصيد لم يتجاوز ٧٢٠ فردا فى ذلك الوقت ، اى أنه لم يبلغ ٢٪ من مجموع العاملين فى المنطقة كلها بالرغم من غنى البحر الاحمر بالاحياء المائية كما ذكرنا . وهذا يشير الى توفر إمكانية تنمية استثمار الثروة السمكية فى المستقبل .

وقد عمل باقى الأفراد العاملين فى مجالات الإنتاج الأخرى خاصة التجارة والنقل والخدمات . ولكن يجب أن لايفهم من هذا أن أوضاع تلك المجالات الاخرى أحسن حالا من المجالات السابقة الذكر ؛ بل قد تكون أكثر تخلفا وبدائية وفقرا ان صح التعبير . فقد نشأت على سبيل المثال بعض المواقع على طريق حجاج الجنوب وبالتالى على طريق القوافل التجارية منذ القديم ؛ لتكون محطات استراحة للقوافل وتعمل على تزويدها بما يلزم من ماء وغذاء وحاجيات يطلبها المشاركون فى الرحلات . ولذلك قامت هذه المراكز فى بعض الواحات الواقعة على الطريق والتى توافر فيها الماء والزراعة وعوامل الاستقرار أكثر من غيرها ، على أن تكون متباعدة بمسافات تتلاءم ومراحل السفر بالنسبة للحيوانات . وقد توسعت وزادت أهميتها وتحولت الى أسواق دورية وفى الغالب اسبوعية ، تخدم عمليات تبادل المنتوجات فى المنطقة المحيطة بها . ولكنها لم تصبح ولن يتسنّ لها أن تصبح مدنا .

ومن هنا كانت منطقة القنفذة جميعها منطقة ريفية هامشية تابعة لغيرها . اذ لم يتوفر فيها مركز تجمع بشرى على قدر كاف من الأهمية ، بل أن جل ما وجد فى وسط المساحات الزراعية عدد من البلدات الصغيرة ، والريفية فى مظهرها العام ، قامت بالوظيفة الإدارية الى جانب قيامها بوظيفة تبادل المنتوجات . وقد تكون القنفذة هى المدينة الوحيدة فى هذه المنطقة الواسعة ، وهى مدينة صغيرة جدا قامت بالاضافة الى

الوظيفتين السابقتين بدور الميناء لمنطقتها ولظهيرها الجبلى المجاور ، والذى امتد حتى أبها فى عسير فى وقت من الأوقات .

عملت هذه الظروف القاسية على عزل أقسام هذه المنطقة بعضها عن البعض الآخر وبكلمات اكثر وضوحا : اكتفت مناطق الأحواض الزراعية بذاتها اكتفاء كفاف ، وانعزلت عن بعضها وعن المواقع الشاطئية . وفى كثير من الأحيان كانت المناطق الداخلية تخضع لنفوذ قبائل السراة المجاورة لها فتزداد أواصر الصلة بينهما بشريا واقتصاديا ، وكان الاتصال بينهما يتم عن طريق العقبات . وكانت المناطق الشاطئية كذلك منعزلة بعضها عن البعض الآخر ، وعن المناطق الزراعية الداخلية بسبب بعد المسافات بينها ، وكانت تخضع فى أغلب الاحيان لنفوذ الملاحين والتجار القادمين اليها بواسطة البحر من أماكن بعيدة .

ولا ندعى أن هذه الولاءات كانت ثابتة مع الزمن ؛ بل أنها كانت فى تغير دائم بتغير الأحداث التاريخية . لن ندخل فى تفاصيل هذا التغير لأنه يخرج عن نطاق أهداف هذا الكتاب . ولكننا نضيف الى ذلك أن منطقة القنفذة حسب تحديدنا لها تقع الآن ضمن حدود ثلاث وحدات إدارية ، أى ثلاث إمارات حسب التقسيم الادارى للمملكة فى الوقت الحاضر . هذه الامارات هى :ــ

١ ــ إمارة عسير ويتبعها القسم الثانى من تهامة عسير أى القسم الشمالى ؛ وهو عبارة عن منطقة الجبال الساحلية الانكسارية الواقع الى الشمال من القسم الجبلى التابع لإمارة جيزان .

٢ ــ إمارة الباحة ويتبعها القسم الأوسط من منطقة جبال تهامة والواقع فيما بين السهل الساحلى غربا وسراة إمارة الباحة شرقا .

٣ ــ إمارة مكة ويتبعها جميع الاقليم الساحلى لمنطقة القنفذة أى فيما بين السهل الساحلى التابع لجيزان والسهل التابع لجدة . بالاضافة الى منطقتى جبال تهامة الواقعتين إلى الجنوب من تهامة الباحة (منطقة القنفذة) وإلى الشمال منها (منطقة الليث) .

وطبقا للاعتبارات الطبيعية والبشرية المراد بحثها ، ومع مراعاة الحدود الادارية يمكن أن نعيد تقسيم منطقة القنفذة باقسامها الادارية الثلاثة المذكورة الى أقسام اقليمية أصغر ، يتميز القسم منها عن الآخر بصفاته التفصيلية . ويمكن أن نستعرض هذه الأقسام بالتتابع بادئين بالقسم الجبلى :

١ ــ القسم الشمالى من نجود تهامة عسير :

ويقع الى الشمال والشمال الغربى مباشرة من اقليم جبال تهامة عسير الذى سبق الاشارة اليه كجزء من منطقة جيزان . ويقع بن خطى عرض ٢٥ـ ١٨° ش ، ١٠ـ ١٩°ش تقريبا . ويمتد بذلك نحو ١٠٠ كم فى هذا الاتجاه ، كما يمتد بين ٦٠ ــ ٨٠ كم فى الاتجاه العمودى على الاتجاه السابق . (انظر شكل ٣٢ ، ٣٤) .

بلغ عدد سكان هذا القسم الجبلى فى سنة ١٩٧٤م نحو ١٠٠٠٠٠ نسمة ، منهم أقل من ٧٠٠٠٠ مستقرون فى قرى زراعية تتواجد فى الوديان الهامة ، يمارس الفلاحون فيها – بالاضافة الى الزراعة – تربية الحيوانات ، ويعيشون حياة بسيطة منخفضة المستوى . ويتمركز فى وسط كل مجموعة قرى بلدة صغيرة ذات طابع ريفى ، ولايوجد فى المنطقة مدن . وتتكون المنطقة من أربع وحدات إدارية أى إمارة فرعية أو قضاء تتبع إمارة عسير فى السراة . ومع ذلك يمكن أن نقسم المنطقة وندرسها على النحو التالى :ــ

أ ــ قضائى محايل وخميس مطير :

تنحصر هذه المنطقة الهامة والواسعة المساحة (اذ تبلغ مساحتها ١٨٢٥ كم٢) بين شعاف سروات عسير وباللحمر وباللسمر من الشرق وقضاء البيرك من الغرب ، وفيما بين أقضية رجال المع وقنا والبحر جنوبا حتى المجاردة وبارق شمالا ، وذلك فى حوض وادى حَلى الأعِلى والأوسط فى وسط مرتفعات تهامة عسير . ففى الحوض الأعلى تحفر روافد وادى حَلى بعمق فى الصخور النارية فتشكل تلك الوديان خوانق عميقة فى منطقة الاصدار ، ولكنها بعد دخولها منطقة صخور الشست تبنى رسوبيات تتكون من حجارة وحصى ورمل فى القطاع العلوى ومن طين أحمر وحصى فى القطاع السفلى .

تحمل هذه الوديان كمية كبيرة من مياه أمطار المناطق الجبلية العالية تجعلها تصبح شبه دائمة فى المجارى العليا ، ولا تلبث أن يترشح قسم منها فى الطمى فتتحول الى مياه باطنية ، ويختفى الجريان السطحى الا وقت الفيضان وتقع المياه مثلا على عمق ٣٠ م فى اتجاه عالية الوادى ، تتناقص الى ٤م قرب محايل ، وقد أثبتت الدراسات وجود جريان باطنى خفيف وبطىء .

تحولت هذه السهول الداخلية الى حقول زراعية تعتمد فى زراعتها على مياه الفيضانات فى حين تعتمد القرى التى نشأت فى وسطها على الآبار ، وتنقل الآن المياه

اليها بواسطة السيارات . ولذلك صار هذا القضاء من الاقضية العامرة الغنية بزراعتها والكثيفة بسكانها شأن قضائي رجال المع والمجاردة المجاورين ، فضلا عن غنى المنطقة فى خارج السهول الزراعية بالاعشاب التى كانت سببا فى كثرة البدو .

لقد أربى عدد سكان هذه المنطقة على ٤٢٠٠٠ نسمة يعيش نحو ٧٠٪ منهم فى قرى زراعية متفرقة بين أحواض الوديان . ففى حوض وادى طية الذى تبدأ مجاريه العليا من عسير ويهبط عقبة شعار ، وجد ٢٨٥ قرية زاد مجموع سكانها عن ١٩٠٠٠ نسمة بما فيها بلدة محايل قاعدة القضاء من أهمها : العيدة والشّط وضرس ومقهب والريش وجوزان وترقوش ومصابيح وعيترش وبلاد مشول . وينتمى هؤلاء السكان الى خمس قبائل هى الريّش وآل مشول وآل الدريب وآل موسى تعود فى نسبها الى عسير .

ويعيش فى قضاء خميس مطير الذى يحتل منطقة الاصدار التالية لشعاف باللاحمر وباللاسمر فى حوض وادى بقرة الاعلى (رافد حَلى) نحو تسعة آلاف نسمة فى ١٣٢ قرية صغيرة منتشرة فى المنخفض الرسوبى الطموى معتمدة فى معيشتها على الانتاج الزراعى وتربية الحيوانات وليس بينهم أحد من البدو ومنها قرى بنى رافع من باللسمر وتعيش فى عالية وادى فرشاط خاصة : الخشم والجزع وآل شتش وجرجرة والخطيم والرهطه والحبيلة وبياظة . فى حين بلغ عدد بدو قضاء محايل نحو ١٤٠٠٠ نسمة يعيشون فى اطراف تلك الوديان .

مدينة محايل : نشأت بلدة محايل على تل صخرى يسيطر على حوض وادى طية ويقع على الجانب الشرقى منه . وتأتى روافد هذا الوادى فى الأصل من سفوح جبال عسير لاسيما منطقة سودة الغزيرة المطر ومن الطرف الجنوبى من جبال بالاحمر . ويسير فى حوض محايل موازيا لوادى حَلى ويقع الى الشرق منه قبل أن يلتقى به بنحو ٢٠ كم ، ولا يبتعد عنه فى هذه المنطقة أكثر من ٤ كم٢ ، يحتل قسم من هذه المسافة جبل الحيلة البركانى . يقل انحدار الوادى فى هذا القطاع ويتسع مجراه فيشكل سهولا طموية على جوانبه .

وتقع محايل على مفترق طرق يتجه بعضها الى السراة عبر العقبات ، أهمها طريق وادى طية الى عقبة شعار فأبها ، كما يتجه بعضها الاخر الى مناطق تهامة الأخرى سواء فى السهل الساحلى أو الجبال مثل الطريق: محايل – الدرب . أو طريق محايل – قنا – القحمة . وطريق محايل – البارق – القنفذة أو المخواة . ولذلك تحولت الى مركز إداري

ازداد أهميته فى السنوات العشر الأخيرة ، وبعد أن كان فيها ٣٥٠٠ نسمة فى صيف ١٩٧٤م تضاعف عدد سكانها وزادت مساحتها . وقد تأسس فيها بلدية نشرف على حركة تشييدها وتنميتها . فقامت برصف بعض شوارعها وشجرتها وعملت لها أرصفة . كانت بيوتها مبنية من الحجارة وقد انتشر استعمال الاسمنت والطوب الاسمنتى على نطاق كبير . كان بها سوق اسبوعى تحول الى أسواق دائمة متخصصة ، وقد بنى قسم منها من الصفيح والخشب تفصلها ممرات ضيقة ومغبرة .

كان سكان محايل يستقون من بئر البلدة حيث تنقل المياه منها بالسيارات ثم حفرت آبار أخرى فى الوادى وسحبت منها المياه الى خزان اسمنتى بنى على رابية مرتفعة توزع منه المياه بواسطة الأنابيب على مساكن المدينة ومن الممكن حفر آبار اخرى فى مواقع مختلفة من الوديان ، وتجهيزها بالمضخات واستعمالها فى رى الحقول ضمن حدود معقولة .

٢ ــ قضاء المجاردة :

وينحصر بين خط شعاف باللاسمر وبنى عمرو وبنى شهر وبين قضاء بارق: فيحتل مناطق إصدار تلك السراة غير أنه يمتد فى الجزء الشمالى نحو ٦٠ كم باتجاه الغرب حتى يصل حدود السهل الساحلى المجاور لمنطقة القنفذة ، فيحد بذلك منطقة بارق من جهة الشمال ، فيضم بلاد بنى شهر « قبيلة تربان » فى تهامة .

يشمل قضاء المجاردة الذى تبلغ مساحته ١٤٢٥ كم٢ المجارى الشرقية لروافد وادى يبا العليا وهى : وادى الخطوة ووادى قرية ووادى غط التى تنحدر من سفوح السراة العالية وتتجه غربا ، وتجتمع فى المجرى الأوسط لوادى غط الذى يواصل مجراه غربا حتى يصب فى مجرى وادى يبا الأوسط .

وقد أدت كثرة الأمطار على سفوح الجبال وعلى نفس الحوض أيضا (بلغ معدل امطار المجاردة ٣٦٠ ملم) وارتفاع كمية الجريان السطحى لاسيما أثناء الفيضانات التى تشكل مصاطب رسوبية متفرقة على جوانب تلك الروافد ابتداء من مناطق الاصدار ، مما ساعد على انتشار الزراعة فيها ، وبالتالى تواجد الحياة المستقرة المعتمدة على الزراعة وتربية الحيوان ، فارتفعت كثافة الاحتلال البشرى .

عاش فى هذا القضاء نحو ٣٥٠٠٠ نسمة ينتمون الى بنى شهر الذين يستوطنون السراة ، مما ساعد على بقاء الصلة بينهم وبين سكان المناطق الجبلية العالية . وقد وجد

أكثر من ٨٨٪ من هذا العدد مستقرون فى ٤٠٧ قرى مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها الحجم الصغير ، أهمها قرية الخطوة قاعدة القضاء وأهم مواقع الاستقرار فيه وتقع على جوانب وادى الخطوة ، وقد أنشىء فيها مجمع قروى يشرف على توسعها وتنميتها كما أنشئت دوائر حكومية تخدم بنى شهر فى تهامة ، فنشأت فيها شوارع مزفلتة اقيمت على جوانبها أحواض حجرية للزهور والأشجار . وبدأت البلدة تتوسع على التلال المشرفة على الوادى . وبعد أن كان عدد مستوطنيها لايزيدون عن ٥٠٠ نسمة فى العقد الماضى تضاعف هذا العدد وزادت مساحتها بفضل التوسع فى بناء البيوت الاسمنتية وتلك المشيدة من الطوب . وبدأ المزارعون يتحولون الى زراعة الخضروات نظرا للطلب المتزايد عليها، بالاضافة الى استمرارهم بزراعة الحبوب . وفى بلدة الخطوة سوق اسبوعى يعقد كل يوم اثنين ، فى حين بدأت تظهر فيها المحلات والمتاجر الدائمة . ويجرى وصل البلدة بالطريق العام المار من بارق . ومن قرى المجاردة الأخرى قرية لكثة وتقع فى حوض وادى قرية .

وقد وجد فى هذه المنطقة نحو خمسة الاف نسمة مازالوا على حالة البداوة يتواجد معظمهم فى الامتداد الغربى لهذا القضاء ، وذلك بالقرب من جبال بكرتين وبجوار مجرى وادى يبا الأوسط ، هم قبيلة تربيان من بنى شهر . ويوجد فى منطقتهم بعض العيون الحارة والتى كانت سببا فى استقرار بعض الجماعات البدوية حولها فى الفترة الأخيرة . وتعتبر ديرتهم نهاية حدود تهامة عسير فى الاتجاه الشمالى .

٣ ــ قضاء بارق(١) :

ويحتل مساحة واسعة فى وسط منطقة الجبال الساحلية تمتد نحو ٨٠ كم باتجاه شرق ــ غرب فيما بين اصدار بنى شهر التابع للمجاردة ومناطق كياد حَلى وحَبيل الساحليتين والتابعتين للقنفذة ، كما يمتد نحو ٥٠ كم بالاتجاه الآخر فيما بين قضاءى محايل جنوبا والمجاردة شمالا . وتبلغ مساحته أكثر من ٢٥٠٠ كم٢ .

ويمكن تقسيم أراضى هذا القضاء الى قسمين متميزين : القسم الأول الشرقى ويشغل الحوض الشمالى لوادى حَلى (حوض وادى خاط) ، والقسم الثانى الغربى ويتكون من

---

(١) بارق ، اسم علم يطلق على عدد من القبائل التهامية لاتزال تسكن المواقع التى حلت بها منذ ماقبل الميلاد . (عمر غرامة العمروى . ص ١٨) .

منطقة متضرسة تفصل هذا الحوض عن السهل الساحلى ويحدها من الشمال الغربى حوض وادى يبا الأوسط قبيل عبوره السهل الساحلى .

يتكون القسم الشرقى من منخفض وادى خاط الذى يتجه شمال – جنوب فيما بين حوض وادى حَلى فى قضاء محايل جنوبا ووادى يَبا فى قضاء المجاردة شمالا ويكملها فى نفس الاتجاه فيتكون من الثلاثة منخفضا هاما يسمح بالتاثيرات الجنوبية الموسمية أن تتوغل كثيرا وتسبب غزارة الأمطار الموسمية . وقد اعتبرناه منخفضا طوليا بالقياس الى الجبال التى تحاذيه من الشرق ومن الغرب بالرغم من ان ارتفاعه يترواح بين ٣٠٠ – ٤٠٠م عن سطح البحر فى حين ترتفع الجبال الى الغرب منه الى مايزيد عن ٧٠٠م . وقد سهل اتصال هذه المنخفضات الثلاثة من ناحية اخرى مرور طرق القوافل منها ، كما سهل مؤخرا انشاء الطريق المعبد (محايل – المخواة) الذى عوض عن الطريق الساحلى الذى لم يتم حتى الآن .

حفر وادى خاط مجراه فى صخور الشبست الهش ، واستطاع بفضل مايحمله من صبيب سائل وصلب أن يبنى مصاطب طموية ، على جوانب المجرى الرئيسى والروافد الهامة التى تصب فيه ولو أنها قليلة السمك متفرقة . وقد حملت مخزونا مائيا متواضعا يزداد أهمية باتجاه الجنوب لوجود طبقة من الكلس المتشقق تحت الشست ، ماؤه عذب وفقير بالصوديوم والكلور . وفيضاناته كثيرة لدرجة أن بعض روافده شبه دائمة الجريان مثل : الريش وقرن ألمع وبقارا والشري وغات وقرية(١)

خضعت هذه المصاطب للاستثمار الزراعى فنشأ فيها نحو ٧٠ قرية متفرقة مختلفة الحجم والأهمية ينتمى سكانها الى عسير ؛ خاصة قبائل الفصيل وقضريمه وقد بلغ عدد سكان هذه القرى نحو ١١٠٠٠ نسمة . ومن قراها ميفة ومريبع وترقوش والخوش . تعتمد هذه القرى فى التزود بالمياه على السيارات للاستعمال المنزلى ، والتى تجلبها من آبار محفورة فى الوديان . وتتبع جميعها بلدة البارق قاعدة القضاء وأهم مواقع الاستقرار فيها ، والتى كان يعيش فيها نحو ٥٥٠ نسمة فى العقد الماضى وتقع فى وسط الحقول الزراعية وعلى طريق القوافل خاصة طريق أبها – القنفذة .

---

(1) Sogreah- Ibid, P. 176- 177.

وقد اتسعت مساحتها بفضل مابنى فيها من بيوت الطوب الأسمنتى والأسمنت والتى بدأت تظهر مختلطة مع البيوت الحجرية التقليدية والمسقفة بالخشب والطين . وقد تضاعف عدد سكانها أيضا .

اما القسم الغربى من قضاء بارق فيغطى مساحة واسعة تمتد من غرب الحوض المذكور حتى السهل الساحلى ، أى مسافة يبلغ عرضها نحو ٤٠ كم تتكون أرضها فى الغالب من صخور الشست ، ولذلك صارت بسبب قلة الأمطار جرداء ، ومجردة من التربة ، وخالية من المياه شديدة التضرس ، وغير مأهولة سوى من بعض البدو الرحل الذين استفادوا من وجود خمسة مناهل ضعيفة الصبيب متفرقة فى المنطقة ، ولم يتجاوز عددهم ثلاثة آلاف نسمة بالرغم من اتساع المساحة التى يسيطرون عليها ، وينتمون الى عسير أيضا .

٢ ــ اقليم نجود تهامة القنفذة :

وهى جزء من منطقة الجبال الساحلية تتبع اداريا إمارة القنفذة الفرعية . وتقع بين منطقة السهل الساحلى للقنفذة وبين حافة الجرف الجبلى ، أى حتى سراة بنى عمرو وبالقرن وخثعم . كما تقع فيما بين مرتفعات تهامة عسير (المجاردة وبارق) جنوبا ومرتفعات تهامة الباحة (نيرا وناوان وغامد الزناد) شمالا . وتحتل مساحة واسعة تبلغ نحو ٥٠٠٠ كم٢ وتمتد مسافة ٧٠ - ٨٠ كم فى الاتجاهين الشرقى - الغربى ، والشمالى الجنوبى .

وهى كجزء من اقليم الدرع العربى تكونت من الصخور النارية والمتحولة خاصة من الشست المتبلوز ، وهو متحول عن طبقات رسوبية وطين وحجر رملى أوكلسي ، أو من طبقات الامغيبوليت البركانية ، أو صخور الجرانيت المنوعة ، وقد نحت سطحها الى درجات مختلفة من مراحل التعرية . ولذلك تعقدت تضاريسها نتيجة الانكسارات العديدة المرافقة للانهدام الرئيسى لإقليم البحر الأحمر ، وقد حولت عوامل التعرية النجود إلى وديان تظهر عميقة بجوار السابقة .

وقد انتظمت مجارى التعرية فى هذه المنطقة فى واديين هامين هما وادى يبا ووادى قنونة . وتبدأ الروافد العليا لوادى يبا من سفوح السراة من جهتى الشرق والشمال الشرق ابتداء من بلاد بالقرن وتتجه باتجاه الجنوب . كما يتجه المجرى الرئيسى الذى تلتقى فيه هذه الروافد باتجاه الجنوب أيضا ، فى حوض يمتد طوليا وموازيا لخط الشعاف من

الغرب ولوادى قنونة من الشرق ، وذلك قبل أن يتجه نحو الجنوب الغربى فالغرب . وتبدأ الروافد العليا لوادى قنونة من سفوح السراة الجنوبية لمنطقة قزانة ويتجه المجرى الرئيسى أيضا نحو الجنوب أولا ثم الجنوب الغربى ، وذلك الى الشمال الغربى من موقع حوض وادى يبا السابق الذكر .

يشكل الحوضان معا منطقة منخفضة نسبيا ؛ اذ يبلغ ارتفاعهما بين ٤٠٠ – ٥٠٠م عن سطح البحر تقعان بين كتل جبلية تعلوهما كثيراً من الجهات الثلاث : الشرقية والغربية والشمالية ، ومفتوحان على الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية ، أى أنهما مفتوحتان على آخر التأثيرات الجنوبية الموسمية ، والتى تسبب سقوط أمطار متوسطة الكمية (معدل الأمطار فى نمرة ٣٤٦ ملم) ، ساهمت مع المياه المنحدرة اليها من السراة ، فتسببت فى تشكيل مصاطب رسوبية غنية بتربتها وبمياهها على جوانب المجارى وفى انتشار الزراعة . ويبدو أن بعض هذه المصاطب قديمة التكوين وتعود غالبا للزمن الثالث . وقد أمكن استثمارها بإقامة جدران حجرية من جهة الوادى تحميها من الانجراف ، وإقامة عقوم ترابية توجه مياه الوديان اليها فتتزود بالماء والطمى . فقامت الزراعة فى الأماكن التى وجدت فيها تلك المصاطب . وكانت الزراعة تعتمد على بذر الحبوب مثل الدخن والذرة والسمسم . وقد بدأت زراعة الخضروات كالطماطم والبطيخ ، والنخيل . وكان الفلاحون يتزودون بالماء للاستعمال المنزلى من آبار محفورة فى الوديان ، وتنقل إليهم بواسطة السيارات ، ولايمكن الاعتماد عليها لتطوير الزراعة . فى حين كادت الكتل الجبلية الواقعة الى الغرب من هذه المنطقة الحوضية أن تكون قاحلة ، الا من غطاء عشبى فقير يزداد فقرا بالاتجاه الغربى بسبب تناقص الأمطار ، فانعدمت الزراعة ولم يتمكن من العيش فيها سوى عدد هزيل من البدو الرحل .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة الواسعة نحو ٥٠٠٠٠ نسمة أى نحو نصف عدد سكان المنطقة السابقة . أكثر من أربعة أخماسهم مستقرون فى قرى زراعية مختلفة الحجم والمظهر ، ولو أنه يغلب عليها الحجم الصغير ، وهى مبنية من الحجارة وفيها بعض الأعشاش وموزعة فى مجارى الوديان . ولازال باقى السكان (أى الخمس الباقى) على حالة البداوة يستثمرون الأعشاب الفقيرة والمياه الشحيحة ويعيشون حياة صعبة بائسة . وتتكون هذه المنطقة من ثلاثة أقضية يتميز كل منها عن الآخر فى ظروفها إلى حد ما . هذه الأقضية هى :

أ ــ **العرضية الجنوبية** :- وتحتل الحوض الأعلى لوادى يبا الذى يمتد طوليا من الشمال الى الجنوب والأراضى الجبلية التى تليه غربا والتى ترتفع الى ٧٥٠م . وينحصر بين سراة بالقرن وخثعم شرقا وقضاء حرب وبنى عيسى غربا ، وقضاء العرضية الشمالية فى الشمال الغربى وشمال تهامة عسير (المجاردة) جنوبا ، وذلك فيما بين خطى عرض ١٥- ١٨° الى ٣٥- ١٩°ش . وتبلغ المسافة الطولية لهذا الحوض نحو ١٥٠ كم .

يبدأ وادى يبا باسم وادى حفن الذى ينحدر من غرب باشوت ويلتقى به عدد من الروافد الهامة من الجهة الشرقية مثل : وادى النضر ووادى غورين ووادى جفنة ووادى الجوف. وبعد مصب الجوف يصبح وادى يبا دائم الجريان ويعطى فى وقت الشح ٢٠٠ ل/ث عند سوق الثلوث . لقد حفر وادى يبا هذا المنخفض عند الحدود الغربية لكتلة جرانيتية كبيرة وعند الحدود الشرقية لكتلة الصخور الأمفيبوليتية الخضراء . وقد أدى اتجاه الحوض إلى الاستفادة من التأثيرات شبه الموسمية الجنوبية الصيفية بالرغم من تطرف موقعة شمالا (خط عرض ٢٥- ١٩° ش)، فارتفعت معدلات الأمطار فى الوادى إذ بلغت فى تريبان (٤٥٠ ملم) والتى تقع على ارتفاع ٥٧٥ م فى عالية الوادى .

وقد تكون فى الوادى طبقة من الرسوبيات تتألف من الحصى والحصباء سمكها لا يقل عن ٦ م تجثم فوق صخور الجرانيت . وقد اتضح ان لها جريانا باطنيا ضعيفا يصعب تقديره غير أن نوعية الماء جيدة وملوحته قليلة . ويستفاد من هذه المياه الجوفية بواسطة الآبار المحفورة فيها لتزويد القرى بمياه الشرب فقط ، وقد استخدمت السيارات (الصهاريج) لنقلها على نطاق كبير قبل أن تظهر الخزانات الاسمنتية فى بعض البلدات .

أما مياه الأمطار ومياه السيول المنحدرة من المجارى العليا – لا سيما فى أوقات الفيضانات – فقد ساهمت فى بناء مصاطب رسوبية على جوانب المجارى تختلف فى اهميتها وحجمها من مكان الى آخر ولو أنها تزداد أهمية بالقرب من التقاء الروافد ، وقد استغلت فى زراعة المحاصيل – لا سيما الحبوب – والتى قامت عليها القرى الزراعية المتفرقة .

يعيش فى العرضية الجنوبية اكثر من ٢١٠٠٠ نسمة معظمهم مستقرون فى قرى زراعية بلغ عددها ١٨٨ قرية ، اى بمعدل ٩٥ فردا للقرية الواحدة . ومن أهم هذه القرى : تريبان وهى القاعدة الادارية للمنطقة وتحوى عددا من الدوائر الحكومية التى يرجع اليها سكان العرضية الجنوبية جميعهم ، وتقع على الجانب الأيسر لوادى النضر .

وتستقى القرية من بئر متعمقة فى صخر الجرانيت وفيها سوق يعقد يوم الجمعة . وقرية الروحان وتقع فى عالية الوادى ويمر منها طريق الجنوب (طريق محايل – المظيلف) ، وهى قاعدة قرى قبيلة شمران تهامة ، التى تسكن نحو ١٢ قرية ، وفيها سوق يعقد يوم السبت (سبت شمران) . وقرية ساحل وتقع على وادى غورين ، وقرية شمران وتقع فى عالية وادى الجوف ، وصفحة وتقع قرب نهايته ، وسوق الثلوث وقرن هديل وتقعان بعد مصب جميع هذه الأدوية . وتوجد القرى : سعيدة ومخشوشة وبراق وسواد واثغالة وكديس وحدبة غبرة فى مجرى الوادى الرئيسى متدرجة من الشمال الى الجنوب . وقد نمت بعض هذه القرى وظهرت فيها الشوارع والمبانى الاسمنتية والطوب وفيها كهرباء من مشاريع فردية بعد مرور طريق محايل – المظيلف منها أو بالقرب منها .

ولا تزيد نسبة البدو فى هذه المنطقة عن ١٢ ٪ من مجموع السكان ينتشرون فى باقى الوديان وفى الهضاب المجاورة لها . وتشير هذه النسبة الضعيفة الى فقرها بالاعشاب وندرة الماء فيها بالقياس الى مناطق الهضاب الاخرى . ويستقى البدو عادة من عدد من مناهل الماء معظمها مناهل قديمة محفورة فى صخور الشست أو طمى الوديان .

ب – **العرضية الشمالية** :– وتضم حوض وادى قنونة الأعلى وذلك من منابع روافده فى شعاف سراة غامد الجنوبية وسراة خثم وشمران الغربية ، أى فيما بين خطى عرض ٢٥– ١٨° الى ٤٢– ١٩°ش. ويقع بين هذه الشعاف وبين اقضية تهامة الباحة من الشمال والشمال الغربى ، وقضاء العرضية الجنوبية من الجنوب الشرقى . ويحتل مساحة واسعة جدا ، غير أن المواقع المأهولة فيه تقتصر على حوض الوادى حيث تجمعت المصاطب الطموية الرسوبية فتوفرت فيها المياه والتربة بفضل السيول ، فانتشرت فيها الزراعة كما انتشرت القرى الزراعية الصغيرة متفرقة بين الحقول شأن قضاء العرضية الجنوبية .

بلغ عدد القرى فى هذا القضاء ٢٧٤ قرية عاش فيها جميعا – بما فيها المدن الصغيرة أو البلدات – ١٥٥٠٠ نسمة ، أى بمعدل ٥٦ فردا للقرية الواحدة . وهذا يدل على صغرها حتى بالقياس الى العرضية الجنوبية ، لأن بعضها يتكون من عدة بيوت فقط . ويوجد فى وادى العوامر الذى يأتى من السراة ويتجه نحو الجنوب أهم مواقع الاستقرار . وتسكنه قبيلة العوامر من شمران ، وأهم هذه المواقع بلدة نمرة قاعدة العرضية الشمالية وهى بلدة كبيرة نسبيا وفيها سوق اسبوعى ، واقيمت فيها معظم الدوائر الحكومية التى

يرجع اليها سكان العرضية . ونظرا لوقوعها فى الوادى على ارتفاع ٤٥٠ م وتعرضها لجريان الوادى فانه يجرى نقلها الآن الى مكان متسع منبسط يجاور الطريق « المزفلت » ، وقد ظهر فى الموقع الجديد الشوارع المستقيمة والبيوت الاسمنتية وخطوط الكهرباء .

ويوجد فى الوادى فى عالية نمرة عدد وافر من القرى من أهمها : مبنى وثريبة والمروة وسافيا . ويوجد الى الجنوب الشرقى منها مران والصيفى ، كما يوجد فى اتجاه سافلة الوادى جنوبا قرى المعقص وناخصه والواشعة والفايجة وواصل وينتمى سكانها الى بالقرن . وقد مرت طريق المظيلف – محايل المعبدة ، وهى جزء من طريق الجنوب التهامى الجديد (طريق جدة – جيزان) من منطقة العرضية الشمالية فالعرضية الجنوبية . فاكسب هاتين المنطقتين أهمية خاصة . وقد تفرع منها عند بلدة نمرة طريق فرعية تصعد وادى العوامر الى عقبة الأبناء فى جنوب شرق بلجرشى . فكانت احدى الطرق المحدودة – ولكن الهامة – التى تربط مناطق السراة بمناطق تهامة فالساحل .

أما الطريق الرئيسية فتنحرف فى جنوب نمرة وعند قرية المعقص التى تقع عند التقاء عدة روافد بمجرى وادى قنونة الرئيسى باتجاه الجنوب الشرقى فتقترب من مواقع اصدار الادوية الى أن تصل العرضية الجنوبية ، اى انه ينتقل من حوض وادى قنونة الى حوض وادى يبا .

غير أن اتساع مساحة الجبال والهضاب المجاورة للوديان وتوفر الأعشاب فيها لدرجة تزيد عما يجاورها من المناطق الجبلية ساعد على تواجد نحو ٦٥٠٠ فرد من البدو اى ، نحو ٣٠ ٪ من مجموع سكان هذه المنطقة ، أو نحو ٥١ ٪ من بدو إمارة القنفذة كلها . وقد توزع هذا العدد فى المنطقة الواقعة الى الغرب من مجرى الوادى . ينتمى القسم الاكبر منهم الى بنى سهيم الذين يعيشون فى القسم الشمالى منها ، وذلك فى جنوب غرب قرية الجعيدة الواقعة على الطريق الجديد عند نهاية حدود العرضية الشمالية ، وتجاور قرية الزندى الواقعة عند بداية حدود غامد الزناد . ويتواجد فى ديرة بنى سهيم عدد كبير من الآبار القديمة فيعيشون حياة شبه بدوية .

ج – **قضاء حرب وبنى عيسى** : ويقع فيما بين قضائى العرضية الجنوبية والعرضية الشمالية من الشرق ، وبين السهل الساحلى لمنطقة القنفذة من الغرب . تستوطن جماعة حرب القسم الجنوبى من هذه المنطقة ، وذلك الى الشمال الغربى من حوض وادى يبا الأوسط فيما يلى موطن تريبان (بنى شهر) وجبال بكرتين فى هذا الاتجاه . وتستوطن

جماعة بنى عيسى المنطقة الواقعة الى الشمال الغربى من السابقة ، أى فى حوض وادى قنونة الأوسط والمرتفعات المجاورة له باتجاه الغرب .

يفصل هذا القضاء أقضية تهامة عسير (بارق والمجاردة) عن أقضية تهامة الباحة (نيرا وناوان) وذلك فى منطقة الجبال الواقعة الى الغرب من أحواض الوديان . فتتصف المنطقة بتعقد تضاريسها ووعورتها بالرغم من تواضع ارتفاعاتها عن سطح البحر . وتتكون فى الأصل من صخور الديوريت والجابرو والامغيبوليت والشست الأخضر ، بالاضافة الى تكوين بيض الثلاثى . ومعظم هذه الصخور غير منفذة . ونظرا لقلة أمطارها إجمالا ؛ لم تتمكن من تشكيل أراض زراعية على نطاق كبير ، وحتى أن مجرى وادى قنونة – وهو المجرى المائى الرئيسى الذى يخترق هذه المنطقة ، ويشكل المورد المائى الوحيد فيها – لم يتمكن من بناء مصاطب رسوبية ذات شأن بالقياس الى مجراه الأعلى (أي فى منطقة العرضية) .

ولذلك لم يتجاوز عدد سكان هذا القضاء الواسع المساحة ٧٣٠٠ فرد ، وقد استقر اكثر من ٦٠٠٠ منهم فى ١١٠ قرى صغيرة أى بمعدل ٥٥ فردا للقرية الواحدة ، والباقى – ويشكلون ١٧٪ من سكان المنطقة –مازالوا على البداوة . وتعتبر قرية بنى عيسى قاعدة هذه المنطقة إداريا وتجاريا ، وتقع على عروة وادى ختم الجازة قبيل مصبه فى وادى قنونة وعند أقدام منطقة الجبال . وذلك على تل يرتفع ١٤٠ م عن سطح البحر ، وتعتبر بوابة العبور الى منطقة السهل .

٣ ــ اقليم نجود تهامة الباحة :

وتنحصر بين سهل منطقة الليث وحافة جرف شعاف غامد وزهران وبنى مالك وذلك الى الشمال والشمال الغربى من هضاب العرضية الشمالية (أى هضاب منطقة القنفذة) . وتشغل هذه المنطقة الاحواض العليا والوسطى للوديان : أحسبه ونيرا والدوقة والشاقة اليمانية ، بما فى ذلك خطوط الاصدار فى الشرق ومرتفعات تهامة العالية ونجودها الوعرة فى الغرب والتى تفصل بين أحواض الوديان . (أنظر شكل ٣٥) .

يتوسط هذه المنطقة تقريبا خط عرض ٢٠° ش (٣٠- ١٩° – ٢٠- ٢٠° ش) ، فهى تقع بذلك فى نهاية تأثير الموسميات الجنوبية الصيفية ، وفى نهاية تأثير الغربيات الوسيطية الشتوية ، مما جعل مواردها المائية شحيحة بالقياس إلى المواقع الأخرى الى

شكل (٣٥)

تهامتي الباحة والليث
طريق معبد
وديان
مدن
قرى
الباحة
المعقوه
إلى الطائف
بلجرشي
المخواة
الليث
بنو سعد
بالحارث
ثقيف
بني مالك
برحرح
دوس
بني يزيد
يلملم
البحر الأحمر
قلوة
عميقة
إلى جدة
إلى مكة
٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ ٠ كم

الجنوب منها . غير أن اجتماع التأثيرات الصيفية والشتوية واستفادتها من بعض الظروف المحلية : كاتجاه الاحواض الوسطى للأودية بالنسبة للرياح التى تجلب الرطوبة ، وارتفاع تلك الاحواض نسبيا ، وانحصار المنطقة بين خطوط الشعاف من جهة ومرتفعات ونجود تهامة العالية (مثل جبل شدا ونيس وربع المنقض) والتى تضاهى فى ارتفاعاتها جبال السروات ، وصعود الأودية فى نحتها المتراجع الى ارتفاعات تزيد عن ٢٠٠٠م حيث يسقط مايزيد عن ٣٠٠ ملم من الأمطار ، ساهم كل ذلك فى تحسين ظروفها نسبيا واقترابها من أوضاع المناطق الجنوبية الى حد كبير ، إذ بلغت معدلات الأمطار فى المخواة ٣١٥ ملم ، وفى الحجرة ٢٤٠ ملم .

لم يكن تراجع الموارد الأرضية الناتج عن تراجع الظروف المناخية والمائية الأرضية نهائيا ؛ لأن الوديان الجبلية المنتهية الى الاصدار والأحواض الوسطى استطاعت ان تبنى مصاطب رسوبية ضيقة المساحة ، متفرقة بعضها عن بعض ، أمكن الحفاظ عليها وتنميتها ببناء جدر حجرية عند أطرافها وبإدخال مياه الفيضان اليها ، فظهرت الحقول الزراعية المتفرقة وكأنها الواحات . بل واستطاعت الوديان الهامة منها أن تدفع بمياه الفيضانات على قلة ترددها إلى المنطقة الساحلية ، فبنيت فيها سهول طموية لابأس بها وأوصلت المياه الى البحر . واستطاعت أحواضها الوسطى أن تحمل فى الرسوبيات الطموية كميات ضئيلة من المياه العذبة ، وقد سمحت إذا تم الحصول عليها بحفر الآبار بتواجد القرى لأنها كانت مصدرها فى التزود بمياه الشرب .

تتكون هذه المنطقة – التى نحن بصددها – من سبع إمارات فرعية تتبع إداريا إمارة الباحة فى السراة ، والتى تتكون من ١٦ إمارة فرعية . وفى حين أنها تحتل مساحة لاتقل عن نصف مساحة إمارة الباحة ، إلا أن مجموع مستوطنيها لم يتجاوزوا (٥٠٠٠٠) نسمة ، وهذا الرقم يقل عن ربع مجموع سكان الإمارة ، مما يدل على ضعف الاحتلال البشرى بالقياس الى الإمارة بسبب قلة الموارد الأرضية الناتجة عن تقهقر المناخ .

ظهرت الحياة المستقرة – كما ذكرنا – فى أحواض الوديان اعتمادا على الانتاج الزراعى وتربية الحيوان . وقد تبين من إحصاء السكان لسنة ١٩٧٤ ، ان ٨٨٪ من مجموع السكان مستقرون فى قرى زراعية مختلفة الحجم معظمها صغيرة جدا ، إذ بلغ عددها ٨١٦ قرية . وحيث أنه لم يتواجد فى هذه المنطقة أى مدينة اطلاقا ، فان أكبر القرى أو البلدات لم يتجاوز حجمها ٥٠٠ نسمة . ومن الملاحظ أن وجود القرى يتكاثف فى

الأحواض العليا للمجارى ، خاصة عند مواقع التقاء الروافد الجبلية ببعضها ، غير أنه لايتجاوز حجم معظم القرى بضعة أكواخ بسبب صغر مساحة الأراضى القابلة للزراعة وتباعدها :

أما مناطق الهضاب خارج أحواض الأودية فقد عانت من قلة الامطار وسيادة الجفاف حتى كادت تصبح جرداء قاحلة إلا من بعض الاعشاب الهزيلة التى لاتستطيع أن تعيل حياة رعوية ذات شأن ؛ اذ لم يتجاوز بدو المنطقة ٦٤٠٠ فرد يعيش معظم هؤلاء فى أقضية الحجرة وغامد الزناد وقلوة وذلك فى أوديتها التى تتوافر فيها الأعشاب .

ويمكن تقسيم هذا الإقليم إلى الأقسام التالية :

أ ــ **قضاء المخواة** : ويقع فى جنوب شرق هذه المنطقة الى الغرب من شعاف سراة غامد والى الشمال الغربى من العرضية الشمالية . ويتكون من حوض طولى يتجه من الشمال الى الجنوب ويرتفع بين ٦٠٠ – ٣٠٠م عن سطح البحر ، ويلتقى فيه مالايقل عن عشرة روافد يأتى بعضها من الشمال الشرقى والشرق أى أنها تنحدر من سراة غامد أهمها راش وظهيان وبطاط ، ويأتى بعضها من الشمال والشمال الغربى أى من جبال ريع المنقض وشدا العليا وشدا السفلى مثل وادى غليل ووادى سقاما . يسمى هذا الحوض بحوض المخواة ، وهو بمثابة الحوض الأعلى لوادى أحسبة الذى يصب فى البحر بين القنفذة والمظيلف . تبلغ مساحته نحو ٨٧٠ كم٢ .

تتجمع كميات كبيرة من المياه فى هذا الحوض عقب سقوط الأمطار على مرتفعات السراة المجاورة وعلى المرتفعات المحلية ، تنحدر اليه على شكل سيول وفيضانات ، ويسقط فيه كمية معتدلة من الأمطار تبلغ نحو ٣٠٠ ملم سنويا (معدل أمطار المخواة ٣١٥ ملم) يسقط بعضها فى الصيف وبعضها فى الشتاء . ولذلك تمكن مستوطنو هذه المنطقة من تحويل المصاطب الرسوبية الى أحواض زراعية ببناء جدر حجرية لها من جهة الوادى وبادخال مياه الفيضانات اليها ، ولو أنها صغيرة المساحة متفرقة كثيرا ، وزرعوها بالحبوب خاصة الدخن فالذرة . وبنوا مساكنهم المربعة الشكل والحجرية الحصينة متفرقة فى جوانب تلك الحقول بحيث تشرف عليها ، وحصلوا على مياه الشرب العذبة من آبار حفرت فى مجارى الوديان ، أى من المياه المختزنة فى رسوبياتها القليلة السمك .

وجد فى قضاء المخواة ١٧٦ قرية معظمها صغيرة الحجم بلغ تعداد ساكنيها نحو ١٢٥٠٠ نسمة ينتسبون الى بنى عمر العلى من زهران ، أى بمعدل ٦٠ فردا للقرية

الواحدة . وأهم هذه القرى بلدة « المخواة » وهى قاعدة الإمارة الفرعية ، وأهم بلدة فى جميع الإقليم الواقع الى الشمال من القنفذة حتى مكة . وتقع عند نقطة التقاء أهم رافدين للوادى وهما راش وذيّان ، وتقع على ارتفاع (٣٥٠م - ٣٦٠م ،) وفيها سوق اسبوعى يقع فى مجرى وادى ذيّان وهو من أهم اسواق الاقليم ولو أنه يتكون من عرائش . وقد أنشىء فيها عدد من الدوائر الحكومية يرجع اليها سكان القرى المجاورة ، كما أنشىء فيها مجمع قروى يشرف على تطور بنائها وبناء القرى الكبيرة التابعة لها . وقد تضاعفت مساحة وسكانا الآن .

تعود أهمية المخواة فى الماضى الى أنها عقدة مواصلات برية جيدة فى زمن طرق القوافل حيث كان لها أهمية كبيرة ، لاسيما الطريق الداخلى الموصل الى مكة والطريق الموصل بين ميناء المنطقة (القنفذة) وسراة الباحة أو عسير . ونظرا لهذه الأهمية فقد وصلها فرع من الطريق الساحلى « المزفلت » ابتداء من مثلث المظيلف . والذى يتجه قبل وصول البلدة بمسافة ٥ كم باتجاه الجنوب الشرقى الى العرضيتين فمحايل . يزيد عدد سكانها عن ١٥٠٠ نسمة حيث بلغوا ٩٠٠ فى سنة ١٩٧٤م .

وتقع قرية المروة فى عالية المخواة على جانب وادى راش الذى يسير بجواره طريق ممهد يتجه باتجاه عالية الوادى نحو الشمال ، وسيجرى تعبيده وايصاله الى عقبة الباحة وسيمر بالقرب من القرى : الجوة والطارق وأم العين ، وتقع الأخيرة على تل مرتفع شديد الانحدار يبدو أنه متصل بالسراة ، تنبع من بطنه عين جارية قوية تزود القرية بمياه الشرب بالاضافة الى استعمالها لرى الحقول فقامت عليها مزارع النخيل والموز . وقد ذكر حمد الجاسر عددا آخر من قرى منطقة المخواة هى : الخربان والسبت والسحرة والبسعدان والعرق والشقرة والعامرة والمليحا والمنحل والهتافرة وحمادة ودار الحلال وسقامة السفلى وسقامة العليا وشدا وهران وشدا غامد وضيان ومرحاضة وهوارن[1] .

ب ــ أقضية غامد الزناد وناوان ونيرا :

وتقع فى جنوب غرب تهامة الباحة وتشكل أقصى امتداد لها فى هذا الاتجاه ، وذلك فيما بين حوض المخواة والعرضية الشمالية من جهة الشمال الشرق وسهول أحسبة والدوقة الساحلية وما بينهما من الجنوب الغربى ، الى الشمال من خط عرض ٣٠- ١٩°ش وحتى خط عرض ٢٠°ش .

(١) حمد الجاسر — فى سراة غامد وزهران ، ص ١٣٧ - ١٨٧ .

تشغل هذه الاقضية مساحة واسعة تبلغ نحو مثلى مساحة المخواة ، (١٦٥٠ كم٢) ، وهى فى الواقع جزء من منطقة النجود الانكسارية لتهامة ، والتى تفصل منخفضات مجارى الوديان الداخلية عن السهل الساحلى والمعقدة التضاريس . إذ يكتنف هذه المنطقة ، ويقع على حدودها ، عدد من المرتفعات العالية جدا ، والتى نشأت من النجود الإنكسارية والتى تنحدر انحدارات شديدة باتجاه الوديان العميقة المجاورة لها ، فشكلت مناطق تقسيم لمياه الوديان .

تبرز كتلة جبال غامد الزناد ، فى الأفق بشكل واضح عما يحيط بها وتشكل منطقة تقسيم للمياه بين الروافد الشرقية لوادى قنونة ، والروافد الجنوبية والشرقية للقطاع الأوسط من وادى أحسبة والروافد العليا لوادى لومة وختم الجارة . وتمتد كتلة جبال آل دمينة بشكل طولى بين المجرى الرئيسى لوادى أحسبة فى قطاعه الأوسط ووادى ناوان الذى يوازيه من جهة الغرب . ويوازى هذه الكتلة عدد من الكتل الجبلية الطويلة الأخرى فى اتجاه الشمال الغربى فيما بين الروافد المتوازية للوديان : ناوان وقرما ودوقة والتى تتجه فى هذا القطاع من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى حسب خطوط البنية .

وتقع على الحدود الشرقية لهذه المنطقة – فيما بين وادى نيرا من الغرب ووادى المخواه الذى يوازيه الى الشرق – مرتفعات شدا العليا وشدا السفلى والتى تمتد على شكل حائط هائل من الشمال الى الجنوب فيصل ارتفاع الأولى الى ٢٢١٥م عن سطح البحر ، ويصل ارتفاع الثانية – والتى تقع الى الجنوب منها – الى نحو ٩٠٠م .

ويبلغ ارتفاع جبل نيرا الواقع الى الجنوب الغربى من الكتلة الأولى ٩٤٤م وجبل قرامة الى الجنوب منه ١٠٢٥م . ثم يتناقص ارتفاع الكتل الجبلية اجمالا باتجاه الغرب حتى لايزيد عن ٢٠٠م عند بداية تشكل السهل الساحلى . فاذا ساهمت الارتفاعات العالية فى زيادة كميات الامطار عليها ، فإنها تقل كثيرا فى المناطق الأقل ارتفاعا وهى السائدة حتى أنها تتراوح بين ١٥٠ – ٢٠٠ ملم فقط . ولا يستفاد من الأمطار الأغزر فى المرتفعات من أجل الانتاج الزراعى سوى فى أعالى جبل شدا العليا ، حيث يوجد عدد محدود من القرى الزراعية الصغيرة ، وذلك بسبب طبيعة الصخور النارية التى لاتختزن شيئا من المياه وبسبب شدة الانحدارات التى لاتجعلها تفقد المياه الساقطة عليها فحسب ، بل وتفقد مفتتات الصخور التى تنشأ عليها قبل أن تتحول الى تربة . أما جبل شدا الأعلى فكانت ظروفه بسبب ارتفاعه شبيهة بمناطق السفوح العليا للسراة .

ظهرت الوديان التى تخترق المنطقة باتجاه السهل ضيقة جرداء ، غير أنها محاطة بمصاطب قديمة التكوين ، ترجع – فى الغالب – الى عصور الزمن الثالث . ويبدو أن السيول والفيضانات لم تستطع تشكيل مصاطب حديثة بسبب قلّة ترددها وضعفها ، وكانت تجرف ما يتشكل منها من فوق المصاطب القديمة باستمرار ، بل وجرفت أجزاء من القديمة أيضا مما جعلها فقيرة بالموارد الأرضية الى درجة كبيرة وبالتالى جعل احتلالها البشرى ضئيلا وامكانيات تنميتها ضعيفة .

لم يزد عدد سكان هذه المنطقة – على اتساعها – عن ١٢٥٠٠ نسمة ، عاش ٨٥٪ منهم فى قرى صغيرة موزعة على جنبات الوديان حيث أمكن تواجد مصاطب رسوبية تستطيع الاستفادة من مياه الفيضانات ، وعاش الباقى على شكل بدو رحل فى أحواض الوديان ذاتها . وتتكون هذه المنطقة اداريا من ثلاثة اقضية هى :-

(١) **قضاء غامد الزناد** : ويحتل المنطقة الواقعة الى الجنوب الشرقى من حوض وادى احسبة فى قطاعه الأوسط ، يعيش فيه نحو ٧٠٠٠ نسمة ينتمون الى قبيلة غامد الزناد وبنى عبد الله من غامد ، بعضهم مستقرون ، والباقى فى حالة البداوة يطلق عليهم العطوة من بنى سعد . أما المستقرون فقد عاشوا فى ١٢٧ قرية صغيرة جدا ، لم يبلغ مجموع مستوطنيها ٥٣٠٠ فرد ، أى أنه لايوجد فى القرية الواحدة أكثر من خمس أو ست أسر بالمعدل أو ما لا يزيد عن ٤٢ فردا ، ومعظمها يقل عن ذلك . وارتفعت نسبة بدو هذا القضاء الى ٣١٪ من سكانه . وتعتبر هذه النسبة من أكبر نسب تواجد البدو فى هذا الاقليم .

(٢) **قضاء ناوان** : ويقع فى أقصى الجنوب الغربى لمنطقة تهامة الباحة ، ويحتل مساحة صغيرة فى حوض وادى ناوان وأحسبة وعالية لومة قبيل عبورها السهل الساحلى فى الغرب ، أى فى المنطقة الجبلية التى لاتزيد ارتفاعاتها عن ٢٠٠ – ٣٠٠م وتتصف بتنافر التضاريس والبعد عن الاستواء . وفى منطقة تقل أمطارها كثيرا وترتفع فيها الحرارة حتى فى فصل الشتاء ، فهى منطقة وعرة مجردة من التربة وحتى من الأعشاب . وقد نتج عن ذلك ان عدد مستوطنيها لم يتجاوزوا ٢٣٠٠ فرد من آل سعد من زهران ، تواجد معظمهم (تسعة اعشارهم) فى ١٤ قرية متوسطة الحجم بلغ معدل أفراد القرية الواحدة ١٥٥ فردا . ووجد فى هذه المنطقة الصغيرة نحو ٢٢٠ فردا فقط من البدو غير المستقرين .

(٣) **قضاء نيرا** : ويحتل مساحة واسعة فى أقصى الامتداد الغربى لإمارة الباحة . ويتكون من النجود الجبلية الواقعة بين كتلة جبال شدا العليا وشدا السفلى من الشرق وبين المنطقة الساحلية من الغرب وتحتل مساحة واسعة تمتد نحو ٥٠ كم من الشمال الى الجنوب ونحو ٣٠ كم بالاتجاه الآخر وتبلغ مساحتها نحو ١٢٠٠ كم٢ .

تنقسم نجود نيرا الى كتل جبلية منفصلة بفضل اختراق المجارى العليا للوديان لها مثل : وادى نيرا وقرما وبعض روافد الدوقة والتى تبدأ جميعها من هذه المنطقة وتتجه اجمالا نحو الجنوب أو الجنوب الغربى . ولذلك كانت أرضها شديدة التضرس بالرغم من تواضع ارتفاع قممها والتى قد يكون من أعلاها جبل نيرا (٩٤٤م) وجبل قرامة (١٠٢٥م) . أمطارها قليلة ولا تصلها مياه جبال السراة ، فقيرة بالتربة الرسوبية وتكاد تخلو من المصاطب الطموية ، ولذلك فهى شحيحة بالموارد المائية والأرضية . وتكاد تكون امكانيات تنميتها ضعيفة جدا ، وصارت شبه خالية من السكان حتى أن البدو لم يتواجدوا فيها .

والاستثناء الوحيد لهذه الظروف هو عالية وادى ناوان ويدعى وادى نيرا ، والذى ينبع من السفوح الغربية والشمالية الغربية لجبل شدا العليا ويتجه محاذيا له من الشمال الى الجنوب ، ويحفر مجراه عند حافة صخور السيانيت الرمادى غير المتحول . ويشكل حوضا واسعا تتردد فيه الفيضانات بكثرة فتكتنف مجراه الرسوبيات وتنتشر فيه أشجار السدر والاكاسيات الضخمة الظليلة . وقد أمكن تحويل المصاطب الرسوبية الى أحواض زراعية اعتمادا على مياه الفيضان كما هى الحال فى أحواض الوديان المنحدرة من السراة .

نشأ فى هذا الوادى ٢٧ قرية زراعية متوسطة الحجم بلغ تعداد مستوطنيها نحو ٣٢٥٠ نسمة ، ينتمون الى بنى عبد الله من غامد قد يكون أهمها من الشمال الى الجنوب **بالنعمان** وتقع فى عالية الوادى على الجانب الغربى وعلى ارتفاع ٦٨٠م . وبروقة وسعدان والسروان والقهب وفيها مقر الإمارة ، والوسطة والحفنة .

جـ ــ قضاء قلوة :ــ ويقع فى حوض وادى الدوقة فى وسط اقليم نجود تهامة فى شمال غرب قضاء المخواه فيما بينه وبين قضاء الشعراء الواقع إلى الشمال الغربى منه والسهل الساحلى لمنطقة الشاقة ، أى بعيدا عن حافة السراة .

يبدأ وادى الدوقة من سفوح جبال بنى حسن ، ولاتبتعد منابع رافدة ربّا عن منابع وادى الشعراء (رافد عُليب) فى سفوح جبل نيس (١٩٤٠م) ، كما لاتبعد من الجهة

الثانية عن منابع عالية وادى المخواة (ريع المنقض) . ولكن الوادى لا يلبث ان يتجه غربا فيبتعد حوضه عن حافة جرف السراة باتجاه السهل ، فيفصل بين حوضى وادى المخواة الذى يقع الى الجنوب الشرقى ويتجه اجمالا نحو الجنوب ، ووادى عُليب الذى يقع الى الشمال الغربى ويتجه إجمالا نحو الغرب .

غير أن وادى الدوقة يتغذى أيضا من روافد جانبية تنحدر اليه من المرتفعات العالية من الشمال ومن الجنوب فتزوده بالمياه ، فيحفر فى صخور الجرانيت والشست ويوسع مجراه ، فيرسب مايحمله من مفتتات على جوانب المجرى وفى وسطه . وكان من نتيجة ذلك أنه بنى سريرا واسعا مملوءا بالحجارة والحصى والحصباء تنبت فيها الاعشاب والشجيرات المنوعة·لاسيما الاكاسيات والاراك والصبار . وقد حول المستوطنون بعض مصاطبه الرسوبية الى أحواض زراعية ، فنشأت على جنباتها القرى التى تتقارب كثيرا وتزداد حجما وأهمية عند مواقع التقاء الروافد بالمجرى الرئيسى بالرغم من انخفاض معدلات الأمطار السنوية ، لأن الزراعة اعتمدت على الفيضانات وليس على الامطار (معدل الأمطار فى قلوة ١٣٠ ملم فقط) .

يعيش فى قضاء القلوة نحو ١١٠٠٠ نسمة ، أكثر من خمسهم من البدو غير المستقرين (٢٣٪) ، ولو أنهم يعيشون ويتجولون فى أحواض الوديان أيضا . وينتمى هؤلاء السكان الى ثلاث قبائل هى : الأحلاف باللاسود والجبّر من زهران تهامة . وقد اعتمدوا فى حياتهم على الانتاج الزراعى ، مستفيدين من مياه الفيضان لاسيما زراعة الحبوب كالدخن والذرة ، وعلى تربية الحيوانات التى ترعى أعشاب الوديان ومن أهمها الماعز والجمال .

بلغ عدد قرى هذه المنطقة ١٩٢ قرية مختلفة الحجم ، أى بمعدل ٤٢ فردا للقرية الواحدة ، ومن قراها الهامة : الطرف وتقع فى اقصى الشرق للوادى ويليها حصن الحبس والفرع والعين ، والحجة وتقع على أحد روافده فى اقصى جنوب المنطقة ، وتقع الشيبان والعيشة والمضحاة والمسعد فى المجرى الرئيسى . والسودة والسويدى والاضاعنة والسلاطين وبنى عياد . أما بلدة قلوة فتقع على الجانب الايمن من المجرى الرئيسى بعد تلك القرى باتجاه الغرب ، أى أنها تقع بالنسبة لها فى سافلة الوادى وبعد أن يصب فيه أهم روافده ، وقد اقيمت على مصطبة ترتفع ٤٠٠م عن سطح البحر تشرف على الوادى . وكانت قلوة فى الماضى سوقا أسبوعية ومحطة على طريق القوافل . وصارت قاعدة لقرى الوادى ، ولذلك اتخذت قاعدة لإمارة فرعية تتبع الباحة فى السراة .

أخذت بلدة قلوة فى الاتساع والتمدد منذ العقد الماضى على السفح الجبلى المشرف على الوادى وعلى إحدى المصاطب الرسوبية القديمة من اليمين ، وخاصة بعد افتتاح عدد من الدوائر الحكومية لخدمة المراجعين من سكان القضاء ، وإنشاء بلدية (منذ سنة ١٣٩٦هـ) لتشرف على نموها وتنظمه ، فأنشأت شارعا مزفلتا بامتداد المصطبة الرسوبية ظهرت على جانبيه المحلات التجارية والدكاكين الدائمة ، وظهرت محلات السوق الاسبوعية القديمة الى جوارها كأنها مهجورة ، وكثرت المبانى والبيوت الاسمنتية أو المصنوعة من الطوب الاسمنتى واختلط منظرها بالبيوت القديمة المبنية من الحجارة السوداء والمسقفة بالخشب والطين (صورة رقم ٧) . وزاد عدد سكانها فبعد أن كانوا ٤٣٥ فردا فى العقد الماضى ، يمكن أن نقدرهم الآن بنحو ١٠٠٠ نسمة بسبب اجتذابها لعدد من سكان القرى المحيطة .

تضاء بلدة قلوة بواسطة مولدات كهربائية فردية تتوقف فيها الخدمة عند منتصف الليل وحتى مساء اليوم التالى . وكانت تعانى من مشكلة توفير مياه الشرب حيث كانت تعتمد على آبار بلدية محفورة فى الوادى ، وقد حلّت بحفر بئر جديدة فى المجرى وبناء خزان أسمنتى مرتفع ، ومن ثم ضخ المياه الى الخزان وتوزيعها على البيوت بالأنابيب . ولا زالت بقية قرى الوادى – لاسيما البعيدة عن البلدة – تعانى مشكلة الحصول على المياه العذبة للاستعمال المنزلى ، وفى حاجة الى مشاريع حفر آبار ضمن حدود امكانيات مخزون الوادى وبناء خزانات اسمنتية مرتفعة لضخ المياه اليها ، وبناء شبكات الأنابيب لتوزيعها .

ومن الجدير بالملاحظة أن الزراعة التى كانت تعتبر أهم حرف سكان وادى الدوقة أخذت فى الانكماش بسبب تخرب المصاطب الرسوبية وتناقص مساحة الأرض المزروعة ،هجر معظم الفلاحين لها وإهمالها وتفتيشهم – لاسيما الشباب منهم – على مجالات للعمل اكثر إغراء وأوسع دخلا كالوظائف والخدمات والتجارة ، سواء فى البلدة أو فى المدن والمناطق الهامة الأخرى فى المملكة . ومهما حصل من مظاهر تقدم عمرانى فى بلدة القلوة فان منطقة وادى الدوقة ستبقى منعزلة ومتخلفة حتى يجرى ربطها بالطرق البرية المزفلتة . ولن يطول هذا الأمر ؛ لأن دراسة انشاء خط مزفلت من مثلث الشاقة على الطريق الساحلى الى المخواة – مارا بمناطق الحجرة والشعراء وقلوة – موضوعة على بساط البحث .

٤ ــ حوض وادى عُليب (الشعراء والحجرة) :

يتكون حوض وادى عليب الأعلى من التقاء أربعة روافد رئيسية تبدأ جميعها من سفوح جرف السراة (سراة المندق ودوس) وهى مرتبة من الجنوب : وادى الشعراء ويليه وادى رمى ، وتهبط مجاريهما العليا من سفوح سراة المندق عند خط عرض ١٢ً ٢٠°ش ، ووادى الجرداء وتنحدر مجاريه العليا من سفوح سراة دوس بنى منهب وتعتبر بمثابة عقبات تصل تهامة بالسراة ، ووادى الحجرة وتبدأ مجاريه العليا الى الشمال الغربى من مجارى الجرداء . من جبل دقم سحيم (١١٦٥م) وجبل سيلان (١٣٥٩م) .

تتجه هذه الروافد اجمالا نحو الجنوب الغربى والغرب ، وبعد أن تلتقى معا يتجه المجرى الرئيسى المتشكل منها – والذى يطلق عليه اسم وادى « عُليب » – نحو الغرب حتى نهاية منطقة النجود التهامية ، فيتجه عبر السهل الساحلى باتجاه الجنوب الغربى فيطلق عليه اسم « الشاقة اليمانية » . ويشغل هذا الحوض الآن وحدتين إداريتين تتبعان إمارة الباحة فى السراة هما : قضاء الشعراء ويقع الى الجنوب فى حوض الشعراء ووادى رَمى ، وقضاء الحجرة ويقع الى الشمال والشمال الغربى فى حوض وادى الجرداء ووادى الحجرة وفى المجرى الرئيسى حتى بداية السهل الساحلى . ويعتبر هذا القضاء أقصى امتداد لامارة الباحة باتجاه الشمال الغربى .

وبالرغم من أن تأثيرات أحوال الجو الجنوبية الصيفية لاتزال تؤثر على سفوح شعاف سراة زهران العالية فهى تقع الى الشمال من خط عرض ٢٠°ش ، الا أنها تخضع لتأثيرات أحوال الجو الشتوية الشمالية الغربية وبنسبة قد تفوق التأثيرات الأولى . ومن اشتراك هذين النوعين من التأثيرات ترتفع معدلات الأمطار فيها ، فتتحول مياهها الى سيول تتدفق غربا حتى تجتمع فى وادى عليب الذى يستقبل حوضه أمطارا متواضعة بالقياس الى أحواض الوديان الواقعة الى الجنوب (أمطار الحجرة ٢٤٠ ملم) .

تتردد الفيضانات فى وادى عليب وروافده بشكل لايقل أهمية كثيرا عن الوديان الواقعة الى الجنوب ، وقام مثلها ببناء مصاطب رسوبية على الجوانب ، حوّل المستوطنون بعضها الى حقول خضعت لزراعة الدخن والذرة واحيانا السمسم بادخال مياه الفيضان اليها . ولو أنها أصغر مساحة وامتدادا من مثيلاتها فى الوديان السابقة . وانتثرت القرى الزراعية الصغيرة الى جوارها وفيما بينها ، ولو أنها تركزت بشكل بارز فى قطاعين

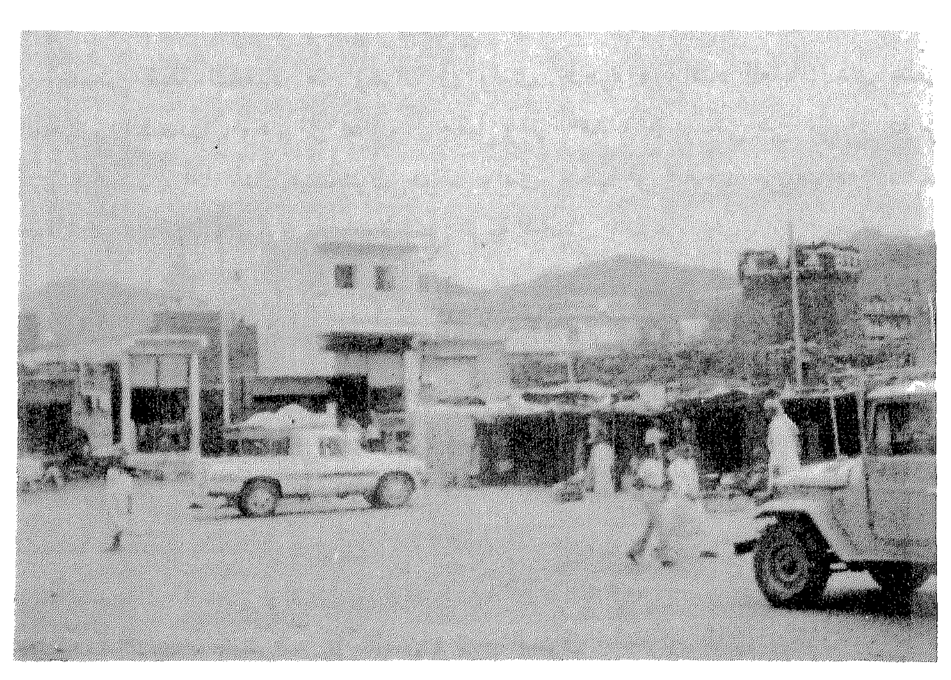
متباعدين أو بالأحرى فى واديين هما : وادى الشعراء ووادى الحجرة ، وكانت كثافة الاحتلال البشرى فيهما شبيهة بمثيلاتها فى الوديان الهامة الواقعة الى الجنوب ؛ ومن ثم أصبح كل منهما مركزا لوحدة إدارية فرعية يتبعها جميع قرى المنطقة المحيطة بها .

لم يتجاوز عدد مستوطنى القضاءين معا ١٣٥٠٠ فرد فقط بالرغم من المساحة الواسعة التى يضمانها والوديان الهامة التى تتوسطانها . وجميعهم ريفيون يعيشون فى قرى زراعية ماعدا نحو سدسهم مازالوا على البداوة ، يتواجدون ضمن قضاء الحجرة فقط لاسيما فى مجارى الوديان فى اتجاه السافلة وقبيل عبور الوادى الى منطقة السهل الساحلى .

يعيش أفراد قبيلة المفضل من زهران حياة ريفية مستقرة فى حوض وادى الشعراء ورمى الواسعة المرصعة بالشجيرات الخضراء نصف الشوكية لاسيما الأكاسيات والصبار ، والتى تنتهى اليها مياه جبل نيس المرتفع بالاضافة الى مياه سفوح السراة ، وذلك فى قرى صغيرة بلغ عددها ٩٩ قرية لم يكد يبلغ عددهم ٥٠٠٠ فرد ، وهذا يعنى ان القرى تتوزع بمعدل سبعة أو ثمانية بيوت (أو نحو ٥٠ فردا) للقرية الواحدة .

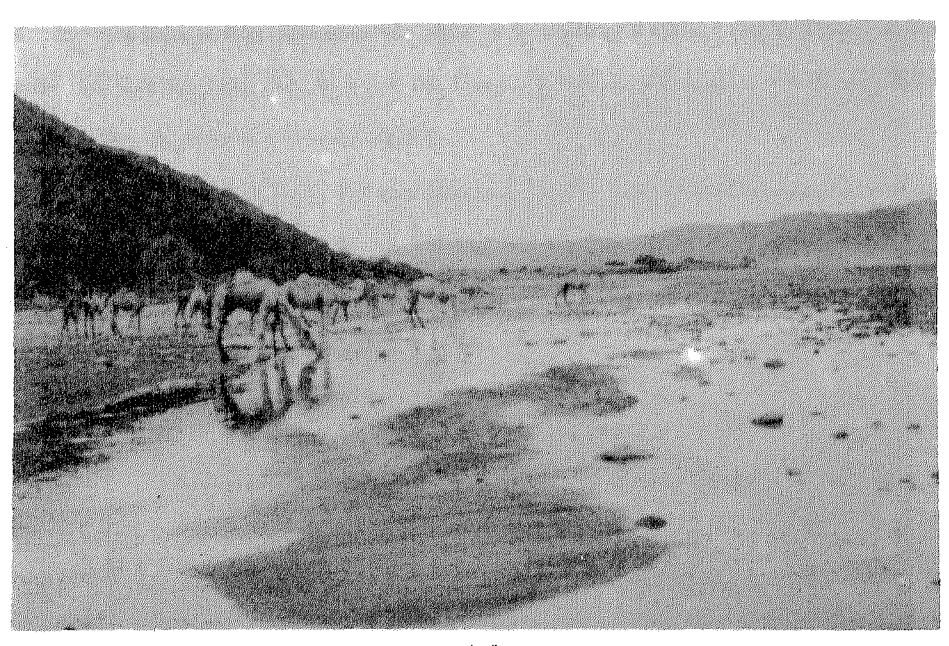
وأهم قرى وادى الشعراء واكبرها : بلدة الشعراء وهى قاعدة القضاء الأول وتقع على الجانب الأيسر للوادى على ارتفاع ٤٩٠م ، تمثل السوق الأسبوعى لسكان الوادى . وكانت تتكون من عدد من البيوت المبنية من الحجارة الغامقة اللون بدون ملاط ومسقفة بالخشب والطين ، متوزعة على السفح وتحيط بالسوق القديم الذى يتكون من محلات صغيرة جدا ومبنية من الحجارة يشرف عليها برج السوق الحجرى لغرض الحماية (صورة رقم ٩)

وقد اعتمد توسع بلدة الشعراء على بناء البيوت الاسمنتية أو من الطوب الاسمنتى خاصة بعد انشاء عدد من الدوائر الحكومية فيها مثل : مكتب الامارة وبناء شارع « مزفلت » أمام السوق يبلغ طوله نحو ١ كم نشأت على جانبيه بعض المحلات التجارية كبديل للسوق الاسبوعى المؤقت . تستقى بلدة الشعراء من بئر محفورة فى وسط الوادى مقابل البلدة عمقها ٣٥ مترا وتنقل المياه منها الى البلدة والى عدد من القرى المجاورة بواسطة سيارات الصهاريج . ومن القرى الهامة التى تتبع الشعراء : الزراب وشاميط والأمرة .



(صورة ٧)

القديم والحديث فى بلدة قلوة (تهامة الباحة) والتى تقع على الجانب الأيمن لوادى دوقة .



(صورة ٨)

وادى عليب عقب أحد الفيضانات فى شتاء سنة ١٤٠٢هـ وترى الابل تستقى مما تخلف فى المجرى من ماء .

وتسكن قبيلة الشغبان من زهران فى وادى حجرة وروافده العليا : ذى غلف واللحيان والشعاب ، وهم آل عطا وآل مقبل وآل أحمد ، كما يسكن بنى على من دوس وادى الجرداء ، أما الهتان فيسكنون حوض وادى عليب الى الغرب من المواقع السابقة ومعظمهم فى حالة البداوة يعتمدون على تربية الجمال والماعز

وجد فى قضاء الحجرة ١٩٢ قرية معظمها صغيرة جدا حيث لم يتجاوز معدل عدد بيوتها ٤ أو ٥ بيوت ، أو ٣٥ فردا للقرية الواحدة . وأهمها واكبرها بلدة « الحجرة » وهى قاعدة القضاء إداريا – كما ذكرنا – وعقدة مواصلات برية فى عهد القوافل ، وفى حاجة الى أن يصلها الخط « المزفلت » حتى تستعيد مركزها كعقدة مواصلات من جديد ، إذ أنها تقع على أحد الطرق الموصلة بين الساحل والجبال والسراة . تمثل سوقا أسبوعيا للمنطقة يعقد كل يوم أحد ، وتتكون من عدد من بيوت أصحاب السوق مبنية على الجانب الأيسر من الوادى على ارتفاع ٣٨٠م ، مبنية من الحجارة السوداء والمسقفة بالطين والخشب ، ويشرف على السوق برج السوق الحجرى الذى يتكون من ثلاثة طوابق محصنة . وكانت صغيرة لم يتجاوز عدد مستوطنيها ٢٥٠ فردا فى العقد الماضى بدأت تتسع ، وذلك ببناء عدد من البيوت والمحلات المبنية من الأسمنت والطوب الاسمنتى . وتستقى هذه البلدة من بئر محفورة فى الوادى وقد بنى خزان أسمنتى مرتفع تضخ اليه المياه من البئر ومن ثم توزع على البيوت والمحلات بالانابيب . وسيتم نقل البلدة إلى نجد يقع على الجانب الشرقى للوادى .

ومن القرى الهامة الأخرى فى هذه المنطقة : المربا والملح والسكان ومضالة والحبيبة وشعيبين . وتقع قرية الجرداء فى عالية وادى الجرداء عند أقدام سراة دوس . فى حين تقع قرية حصن القهب عند بداية المجرى الرئيسى لوادى عليب بعد التقائه بروافده الأربعة الرئيسية ، اى فى بداية منطقة الجرمين .

٤ ــ اقليم نجود تهامة الليث :

ويقع الى الشمال والشمال الغربى من نجود تهامة الباحة والى الجنوب من النجود التابعة لقائمقامية مكة فيما بين السهل الساحلى لمنطقة الليث وحافة سروات بنى مالك وبالحارث وبنى سعد فتمتد نحو ١١٠ كم شمال غرب – جنوب شرق ونحو ٧٥ كم فى الاتجاه الآخر . وتبلغ مساحتها نحو ٨٠٠٠ كم٢ . ويشغلها حوضا وادى الشاقة الشامية ووادى الليث الأعلى والأوسط وأحواض بعض الوديان الصغيرة فى الأطراف الغربية من هذه المنطقة .



(صورة ٩)

سوق بلدة الشعراء القديم (تهامة الباحة) وترى الدكاكين الصغيرة مهجورة فى غير يوم السوق ، وهى مبنية من الحجارة ومسقفة بالخشب والطين .



(صورة ١٠)

صخور البازلت البركانية تلامس مياه البحر فى منطقة البيرك .

ونجود تهامة الليث لاتختلف فى تركيبها الجيوفيزيقى عن مناطق نجود تهامة الباحة أو القنفذة الواقعة الى الجنوب منها من حيث التعقيد فى تركيبها الجيولوجى ، كالتكوين الصخرى وسيادة الصخور المتحولة التى تمتاز بمقوامتها للتعرية ، مثل الجرانيت الجنايسى والشست الكلورينى والميتاجابرو والميتاديوريت الى جانب الصخور النارية ، ومن حيث تعدد الانكسارات وتقاطعها فى المنطقة الواقعة الى الغرب من حافة الانكسار الرئيسى . فارتفعت بعض أجزائه على شكل نجود إنكسارية وانخفضت الأخرى فنشأت منها الأغوار الانكسارية . ثم تدخلت التعرية فيما بعد فظهرت كتل جبلية مرتفعة بعضها صعب الارتقاء ، تشرف على وديان سحيقة قد تهبط اليها بشكل شبه عمودى مثل الجبال : بجالة وبنى يزيد والاحمر وجودة ، وتقع فيما بين روافد وادى الليث.الشرقية ، وجبل عفف فى غرب وادى الشاقة الشامية .

وقد طورت عوامل التعرية الناتجة عن المياه الجارية طبوغرافية هذه التضاريس ، فسيطرت الوديان التى تنحدر مجاريها العليا من سفوح السروات وأسرت غيرها ، وشكلت شبكات مائية منتظمة تصرف المياه الزائدة الى البحر الأحمر ، مثل نظيرتها فى تهامة الباحة والقنفذة وعسير . ولو أن نشاط هذه الوديان يتضاءل باتجاه الشمال ، وتقل أهمية المياه التى تجرى فيها ، وينقص عدد الفيضانات التى تتردد فيها سنويا ، وما تحمله من مواد صلبة ومايمكن أن تتركه منها على جوانب الأودية وفى مجاريها الدنيا ، لتخلق تربا صالحة للزراعة أو خزانات من المياه الجوفية .

تبدأ المجارى العليا لوادى الشاقة الشامية من سفوح سراة بنى مالك وبالحارث ، وتبدأ المجارى العليا لوادى الليث من سفوح سراة بالحارث وجبال جنوب الطائف (الشواطة وقرنيط) . ويتجه الواديان فى اقليم نجود تهامة نحو الجنوب الغربى بشكل عام وهما فى طريقهما الى البحر . ويشترك مع هذين الواديين فى تصريف مياه الجزء الغربى من هذه المنطقة عدد من الويان الصغيرة ، لاتلبث أن تصل السهل الساحلى مثل : وادى عيار فى جنوب الليث وحريق البير والفقة والغالّة وسعية فى شماله ، نجدها قد توقفت عن التطور – بسبب ضعفها – وقد غزتها الترسبات الريحية فقطعت الصلة بين بعض روافدها وبترت نهاياتها قبل أن تصل إلى غاياتها ، فاختفت معالمها فى رمال السهل بعيدا عن البحر . وقد عجزت عن تشكيل مصاطب رسوبية على جوانبها أو دالات طموية عند نهاياتها .

ولما كان هذا الاقليم يقع فيما بين خطى عرض ٢٠°، ٢١° شمالا تقريبا، فان المؤثرات الجوية الجنوبية الغربية الصيفية تكاد لاتصل اليه، واذا وصلته فانها تصله ضعيفة منهكة. وفى نفس الوقت يكون متطرفا كذلك بالنسبة للمؤثرات الجوية الشمالية الغربية الشتوية والربيعية أى « الوسيطية » بالرغم من وجود البحر الأحمر وامتداده باتجاه الجنوب الشرقى بحيث يتلاءم مع مسار أعاصير البحر المتوسط الشرقى، والتى تترك آثارها على مساحات أبعد نحو الجنوب فى المناطق الجبلية العالية. فكانت هذه المؤثرات فيها ضعيفة أيضا.

اتصف اقليم النجود بالجفاف اكثر من جميع الاقاليم الجبلية لتهامة الواقعة الى الجنوب. ففى حين بلغ معدل الأمطار فى عالية الشاقة الشامية ٢٥٥ ملم، لم يبلغ اكثر من ٨٢ ملم على الحدود الغربية للاقليم. ولولا أن وادى الشاقة ووادى الليث يستمدان مياههما من مرتفعات السراة العالية، والتى تستقبل من الأمطار الصيفية والشتوية ما يكفى مجموعه لتغذية الواديين بالمياه، ويسبب تردد بعض الفيضان، فيترشح قسم منها فى المصاطب الرسوبية التى تستطيع بناءها على جوانبها بقدر يزيد عما يترشح فى مجاريها العليا. وتعتبر سببا لوجود مساحات ضيقة متناثرة من الأراضى الزراعية وبكثافات تقل عن مثيلاتها فى أحواض الوديان الواقعة الى الجنوب.

يتفاوت صبيب وادى الليث من مكان الى آخر على طول مجراه بسبب تفاوت الأمطار فى أحواض روافده العديدة، كما أنه يتفاوت فى الموضع الواحد تفاوتا كبيرا من وقت الى آخر خلال العام، ومن سنة الى اخرى بسبب عدم انتظام الأمطار وتذبذبها. ويظهر هذا التفاوت بجلاء من دراسة مائية السنوات الثلاث: سنة ١٩٦٨ التى اتصفت بالجفاف، وسنة ١٩٦٩م التى حصل فيها فيضان قوى واحد، وسنة ١٩٧٠م التى حصلت فيها عدة فيضانات شتوية متوسطة الحجم (تقرير سوغريا ص ٢٣٠).

ان تفريغ خزان المياه فى عالية الوادى خلال فترات الجفاف يحدث جريانا سطحيا وباطنيا للماء يصل به الى المجرى الأوسط. ويختلف صبيب ذلك الجريان حسب مقطع الطمى فى هذا القطاع؛ إذ يقل الجريان السطحى وتزداد أهمية الجريان الباطنى نسبيا كلما زاد عرض مقطع الطمى، ويحدث العكس كلما قل عرض المقطع. ويتراوح عمق الماء فى القطاع الاوسط من ٥ – ٧م عن السطح.

ويستثمر الماء فى هذا القطاع من الوادى من آبار حفرت فى الطمى لتلبية حاجة الناس وحيواناتهم منه. ومع أن بعض الآثار تدل على وجود مصاطب زراعية قديمة

ووجود نظام رى قديم فى اتجاه سافلة الوادى يتكون من قنوات طينية وحجرية كانت تتغذى من سد صغير ؛ إلا أن الماء غير مستغل فى الوقت الحاضر لأغراض الزراعة الا على نطاق ضيق جدا . ويقتصر النشاط البشرى فيه على تربية الحيوانات وذلك من الآبار القديمة المحفورة فى الطمى .

ومن الملامح المميزة لوديان نجود الليث وجود عدة مجموعات من الينابيع الحارة فيها ؛ مجموعة فى وادى الليث ذاته ، وأخرى فى وادى سعية الى الشمال الغربى منه مسافة ٦٠ كم ، وثالثة فى منطقة سوق الجمعة اى فى الرافد الشرقى لوادى عيار ، وذلك الى الجنوب الشرقى من مجموعة وادى الليث مسافة ٣٥ كم .

وقد انعكست جميع هذه الظروف على الحياة البشرية . فقد تبين أن الاجزاء الشمالية من هذا الاقليم تكاد تنعدم فيها الزراعة ، وبالتالى لم تظهر فيها الحياة المستقرة بشكل واضح ، كما وقد مارس الزراعة – أحيانا – عدد من البدو نصف المستقرين ، أو بكلمة أخرى أنصاف البدو . وقد شاركت المناطق التى تقع فى خارج أحواض الوديان الوسطى والدنيا أراضى السهول الساحلية « والخبت » فى قحولته وجفافه وخلوه من الحياة المستقرة .

ولذلك فالبرغم من قرب هذه المنطقة من الحجاز العامرة ، فانها تعانى من قلة عدد السكان وانعزالهم وانخفاض مستوى دخولهم . وقد تعرضوا فى الماضى ، ويتعرضون اليوم وبسرعة أكبر للنزوح عن ديارهم الى المدن الهامة مثل مكة وجدة والرياض وبعض مناطق المملكة النامية الأخرى .

يحتاج هذا الاقليم الى دراسات دقيقة للامكانيات الأرضية والمائية والبشرية وأحوال السكان قبل الشروع بوضع مشاريع إنمائية وتحديد مواقعها . وفضلا عن إنشاء خط الجنوب « المزفلت » الذى كان له فضل كبير فى اخراج هذه المناطق عن عزلتها ، لابد من إكمال شبكة من الطرق تخترق مناطق النجود الوعرة والتى لاتزال منعزلة .

فبالرغم من اتساع هذا الاقليم الذى يمتد طوليا اكثر من ١٠٠ كم شمال جنوب وأكثر من ٦٠ كم فى الاتجاه الآخر ، وتزيد مساحته عن ٥٥٠٠ كم٢ فان عدد سكانه لم يتجاوز ٣٣٠٠٠ نسمة فى سنة ١٣٩٤هـ ، أى أن كثافة السكان لاتزيد فيه عن ستة أفراد للكيلو متر المربع الواحد بشكل إجمالى . ولايتوقع زيادتهم فى الفترة التالية بسبب ارتفاع نسبة النزوح .

لقد استقر أقل من ثلاثة أرباع العدد المذكور فى قرى صغيرة تعتمد على زراعة الحبوب وعلى تربية الحيوانات بالدرجة الأولى . ومازال باقى السكان على حالة البداوة يستثمرون أعشاب الوديان . وقد توزع هذا العدد فى أربع وحدات إدارية تتبع جميعها إمارة الليث الفرعية ، لأن الأخيرة تتبع بدورها إمارة مكة المكرمة . هذه الوحدات هى : الجايزة وأضم وغميقة والغالّة .

أ ــ **قضاء الجايزة** : ويقع فى حوض وادى « حلية » وهو عالية وادى الشاقة الشامية الى الشمال من قضاء الحجرة الواقع فى وادى الحجرة أحد روافد وادى عُليب (عالية الشاقة اليمانية) . يستمد هذا الوادى مياهه من سفوح سراة بنى مالك ، وذلك بكميات مكنت الوادى من تشكيل مصاطب رسوبية صغيرة المساحة غير متصلة الامتداد ، وقد حولها مستوطنو هذه المنطقة الى حقول زراعية على غرار المصاطب الرسوبية فى الوديان الجنوبية ولو بكثافة وامتداد يقلان عن سابقتها . وقد استفيد من تواجد الأعشاب فى الوادى فى المناطق غير المزروعة فى تربية الحيوانات سواء من قبل الزّرّاع أنفسهم أو من قبل البدو .

بلغ مجموع سكان قضاء الجايزة نحو ٧٠٠٠ نسمة ، أكثر من أربعة أخماسهم يعيشون فى قرى زراعية صغيرة ومتفرقة فى حوض الوادى ، ويعيش الباق كرحل فى نفس الوديان . وهم من الهتّان الذين ينتسبون الى بنى مالك الذين يعيشون فى سراة بنى مالك المجاورة لهم .

ويوجد فى جنوب غرب هذه المنطقة – وذلك فى شمال جبل عفف الذى يفصل هذه المنطقة عن اقليم السهل الساحلى – بعض العيون الحارة ، وذلك فى حوض واد صغير يقع فيما بين الشاقة وعيار . وقد نشأ فى المنطقة بعض مواقع الاستقرار أهمها قرية سوق الجمعة .

ب ــ **قضاء أضم** : ويقع فى حوض وادى أضم وهو عالية وادى الشاقة الشامية أى الرافد الذى يقع الى الشمال من وادى الجايزة وينحدر من سفوح شمال جبال بنى مالك وجنوب ثقيف ، ويحاذى هذا القضاء منطقة الجايزة من جهة الشمال مباشرة ، غير أنه يفوقه فى مساحة الأرض التى يحتلها . ولكنه يشبهه الى حد ما فى ظهور امكانيات الانتاج الزراعى فى مساحات صغيرة ، بل وقد تكون أصغر من الأولى ، واكثر تفرقا وتباعدا على جوانب الوديان ، ولكنها فى مجموعها تصبح ليست قليلة .

وقد ساعدت هذه الظروف على استثمار أحواض الوديان المعشبة وغير المزروعة فى تربية الحيوانات من قبل الزراع أو غيرهم . فزادت أهمية الحياة غير المستقرة فارتفعت نسبة البداوة بين مجموع السكان . ففى حين بلغ مجموع مستوطنى هذا القضاء ١٢٧٠٠ نسمة ارتفعت نسبة البداوة من هذا العدد الى ٢٢٪ . ومن أهم مواقع الاستقرار فيها قرية « أضم » . وهى مركز هذا القضاء ، وتقع فى عالية الوادى .

ج ــ **قضاء بنى يزيد** : ويقع فى حوض وادى الليث الاعلى خاصة الروافد : سلبة وفلج وسعدة وبيرين ، والتى تنحدر من جنوب وجنوب غرب جبال منطقة الطائف ، أى جبال بنى سعد وبلحارث . ويحتل مساحة واسعة تفوق كثيرا مساحة جميع الأقضية المذكورة سابقا ، غير أنها تتميز عنها جميعا بشدة الجفاف وندرة الأمطار ، وضعف الموارد الأرضية عامة . بحيث لم تستطع – بالرغم من أهمية وادى الليث وكثرة روافده – أن تهيىء إمكانية الإنتاج الزراعى ، فانعدم وجود الحياة المستقرة . اذ لم يسجل تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ سوى ٨٨ فردا فى قضاء بنى يزيد . وبذلك يصبح وادى الليث هو أول الوديان الكبيرة التى تخلو مجاريها العليا من الحياة المستقرة بسبب خلوها من الأراضى الصالحة للزراعة .

ومع ذلك فقد سجل ذلك التعداد وجود مايقرب من خمسة آلاف من البدو الرحل وذلك لأن هذه الوديان ان خلت من الأراضى الزراعية ، فانها لاتخلو من الأعشاب التى تعيل حياة رعوية جيدة . يومكننا القول أن سكان هذه المنطقة تراجع عددهم بعد تاريخ التعداد لتعرضهم للنزوح بسرعة ، فى حين لم ينشأ فيها من المشاريع مايغرى الآخرين إلى الهجرة اليها .

د – **قضاء غميقة** : ويقع فى الحوض الأوسط لوادى الليث الذى يعتبر آخر الوديان الكبيرة الواقعة فى اتجاه الشمال من اقليم جنوب غرب المملكة ، ومن أوسعها مساحة وأكثرها روافد . إذ تبدأ مجاريه العليا – كما ذكرنا – من جنوب الطائف وتنحدر اليه روافد بلاد بنى سعد وبلاد ميسان (بالحارث) وأطراف بنى مالك ، بالإضافة إلى عدد من الروافد الغربية القادمة من نجود تهامة ذاتها .

ولكن يبدو أن وادى الليث ورث هذه الشبكة الواسعة المنتظمة من عهود سابقة ومطيرة ، بسبب ضآلة أهمية المياه التى تجرى فيه أو الفيضانات التى تتردد عليه فى العهد الراهن . اذ لايترشح فى رسوبيات الحوض الأعلى للوادى الا القليل من الماء لضآلة مقطع

الطمـي هنـاك ، ويستهلك هذا الماء فى إنبـات غيضان شوكيـــة ، ولم يؤد إلى وجـــود أراض زراعية ، ولم يستعمل استعمالات أخرى .

ومع ذلك لوحظ أنه يترشح فى قطاعه الأوسط كمية اكبر من الماء ، تختزن فى شقوق صخور المنطقة وفى قطاعات أوسع من الطمى . ومن الملامح الأخرى التى تكسب هذا القطاع (الأوسط) أهمية وجود عدد كبير من الينابيع الحارة ، تقع فى الطرف الغربى من هذه المنطقة ، اى قبيل عبور الوادى اقليم السهل بنحو ٢٠ – ٢٥ كم ، وتنبع من كسور فى سخور الجرانيت تصل حرارتها إلى ٨٨°م ، وقد بلغ صبيبها بين ٣٠ – ٥٠ لتر/ث . تصب فى مجرى الوادى بشكل دائم الا اذا استقلت . وقد ادت هذه المياه – بالاضافة الى مياه الفيضانات ولو أنها قليلة التردد ، وبالاضافة الى المياه المتسربة الى السطح – الى ظهور الحياة المستقرة فى هذا القطاع من المجرى .

بلغ مجموع سكان هذا القضاء نحو ٧٠٠٠ نسمة ينتمون الى الجُبرة من بنى شعبة الكنانيين[١] معظمهم مستقرون فى قرى صغيرة الحجم تعتمد على آبار محفورة فى طمى الوديان ، بلغ عددها ١٤٥ قرية اى بمعدل ٤٨ فردا للقرية الواحدة . وأهم هذه القرى « بلدة غميقة » التى تقع على مجرى الوادى عند انتقاله من القسم الجبلى الى السهلى . ولذلك فهى تتمتع بموقع ممتاز يسهل الوصول اليها سواء من السهل أو من الجبل ، وفيها سوق اسبوعى يعقد كل يوم خميس يرده سكان الاقليم فاتخذت مركزا لهذا القضاء . ويوجد عدد من القرى فيما بين غميقة والعيون قد يكون أهمها قرية **نخل النيلة** وتقع على بعد ١٠ كم فى عالية غميقة . وتوجد حقول زراعية وعدد من مواقع الاستقرار كذلك فى وادى عيّار الذى يقع الى الجنوب من وادى الليث بنحو ١٥ كم ، ومن تلك المواقع قرية نخل شهبة التى تتوسط مجموعة من بساتين النخيل على بعد ١٥ كم فى شرق غميقه فى وادى منساح .

٤ ــ **قضاء الغالّة** : ويحتل أحواض الوديان : الغالّة والخضرة وسعية وهى من الوديان الصغيرة ، وتقع فى شمال غرب اقليم تهامة الليث ، والى الشمال الغربى من قضاء غميقة كذلك . ونظرا لجفاف هذه المنطقة وعدم وصول موارد مائية خارجية اليها ، صارت من أفقر انحاء هذا الاقليم بالموارد والانتاج والامكانيات وبالتالى بالسكان . وزيادة على

(١) عاتق البلادى ، أودية مكة . مجلة العرب جـ ٩ ، ١٠ السنة ٩ نيسان ١٩٧٥ م ص ٦٤٥ .

ذلك فان فقرها بالأعشاب جعل من المتعذر أن تقوم فيها حياة رعوية ، مما جعل تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م يسجل عدم وجود اى من البدو على اتساع مساحتها وعدم انتشار مواقع الاستقرار فيها .

لقد وجد عدد من الآبار القديمة محفورة فى رسوبيات الوديان كانت تستغل من قبل قوافل التجار والحجاج القادمة من والى مكة . كما وجد فى اللحيين فى حوض وادى سعية عدد من العيون الحارة مثل تلك الموجودة فى الليث ، وقد أمكن تحويل بعض هذه الآبار والعيون الى قرى .

لم يتجاوز عدد أفراد هذا القضاء – على اتساعه – ١٣٠٠ نسمة ينتسبون الى الزنابجة من بنى شعبه الكنانيين . كما ينسب سكان وادى مركوب وسعية إلى عضل من بنى شعبة أيضا[١] . وهم جميعا فى سبيلهم الى التناقص لا التزايد بفضل نزوحهم الى مدن الحجاز القريبة منهم . وقد اعتبرنا شمال الغالّة فى مطلع دراستنا لهذه المنطقة نهاية حدود اقليم جنوب غرب المملكة من جهة الشمال الغربى .

٥ ـــ اقليم سهل القنفذة الساحلى :

ويقع بين النجود الانكسارية وشاطىء البحر ويحاذى الأخير طوليا مسافة تبلغ نحو ٣٥٠ كم فيما بين حوض وادى نهب عند خط عرض ٤٨َ ١٧° ش حتى شمالى مصب وادى الدوقة عند خط عرض ٤٢َ ١٩°ش ، ويتراوح عرضه بين ٢٠ – ٣٥ كم ولا تقل مساحته حسب هذا التحديد عن ٩٥٠٠ كم٢ تقريبا .

يتصف هذا السهل بالجفاف الشديد حيث تبلغ معدلات الامطار فى جميع أنحائه نحو ١٠٠ ملم فى السنة أو أقل ، وترتفع درجات الحرارة حتى فى فصل الشتاء بحيث تجعل قيمة التبخر الحقيقى عالية جدا . غير أن الوديان الجبلية الهامة التى تنتهى اليه عملت على تكوين سهول فيضية ودالات رسوبية فى سافلتها ، فكانت سببا فى ظهور الزراعة وبالتالى ظهور الحياة المستقرة اعتمادا على مياه فيضانات تلك الأودية ولو بمقاييس صغيرة .

ولذلك تجمع السكان فى وحدات منعزلة بعضها عن بعض تفصل بينها أراض قاحلة جرداء . وكان من نتيجة ذلك أن قل عدد السكان ، ونقصت كثافتهم الى حد كبير ،

---

(١) عاتق البلادى . أودية مكة . مجلة العرب جـ ٩ ، ١٠ السنة ٩ نيسان ١٩٧٥م ص ٦٤٥ .

وقد ساهم فى ذلك أن طبيعة البحر والشاطىء لم تساعد على تواجد المرافىء الطبيعية أو القرى التى تعتمد على الصيد . اذ لم يزد عدد مستوطنى هذه المنطقة الواسعة عن ٦٠٠٠٠ نسمة . ويعادل هذا الرقم نحو ٢٠٪ فقط من عدد سكان السهل الواقع الى الجنوب منه اى السهل الجيزانى .

وقد نتج عن فقر الموارد الأرضية لهذا السهل ، وضيق مجالات المعيشة هجرة العديد من سكانه فى العهد الراهن الى مناطق ومدن المملكة الأخرى ، لاسيما الشباب فى سن العمل ، يدل على ذلك ارتفاع نسبة الاناث الى ٥٢٤ انثى لكل ١٠٠٠ من أفراده ، لأن الهجرة نادرا ما تتناول الإناث ، فى حين أن هذه النسبة بلغت – على سبيل المقارنة – ٤٥٧ انثى لكل ١٠٠٠ من سكان منطقة مكة مجتمعة .

تتبع هذه المنطقة إداريا إمارة مكة المكرمة وتتمثل فى وحدتين فرعيتين هما البيرك والقنفذة . وقد تواجد سكانهما فى نحو ٣٠٠ قرية أى بمعدل ٢٠٠ فرد للقرية الواحدة بالرغم من أنها تضم عددا من البلدات أو المدن الصغيرة . وهذا يعنى أن معظمها من الحجم الصغير . ولم يتبين من تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م وجود أى عدد هام من البدو فى هذه المنطقة بسبب قحولة مناطق الخبت واستغلال مناطق السهول الرسوبية فى الزراعة . وهذه الوحدات هى :

أ ـــ **قضاء البيرك (Al-Birk)** : ويتألف من هضبة بركانية تكونت من الصّبات البازلتية الحديثة على شكل مستطيل يحاذى أحد اضلاعه شاطىء البحر بطول يبلغ نحو ١٢٠ كم وذلك من جنوب قضاء القحمة (فى منطقة جيزان) وحتى حافة وادى حلى اليسرى . أى انه يقع نحو ٨٠ كم منها فى منطقة البيرك . وأما حدّه الشرق فيتداخل مع منطقة الجبال الساحلية بدون نظام ؛ لأن البازلت غطى الوديان والمنخفضات القديمة اكثر من التلال وقد وصلت صبات البازلت الى البحر فى عدة مواقع وشغلت السبخات والأدرع البحرية المواقع الأخرى[١] (صورة ١٠) .

ويقع قضاء البيرك فيما بين قضاء القحمة جنوبا وحتى حوض وادى حلى (فى قضاء القنفذة) شمالا . وهو عبارة عن هضبة وعرة جدا يصعب اجتيازها لدرجة أن طرق القوافل القديمة تجنبتها الى الممرات الجبلية الداخلية . وقد التصقت شعاب مرجانية قديمة

---

(١) لوحة تهامة الشام رقم I-216 A

على البازلت على طول معظم الشاطىء وظهر على ارتفاع ٥م فوق سطح البحر . وقد ساهم هذا فى انعزالها عن ظهيرها الداخلى وعن المناطق الأخرى . (انظر شكل ٣٣) .

يزيد معدل الأمطار فى هذه المنطقة عن ١٠٠ ملم ، أى اكثر من الأمطار فى السواحل الجيزانية ، أو سواحل القنفذة . وظهرت فى المنطقة وديان صغيرة حفرت ممراتها فى صخور البازلت واتجهت الى البحر مثل الوديان : العمق والبيرك ودهين وذهبان . لم يساعد الجريان فى صخور البازلت على تشكيل رسوبيات الا على نطاق ضيق ، ويتمثل بنشوء دلتاوات صغيرة جدا بالقرب من مصباتها بالبحر . وقد عملت على تخزين نسبة محدودة جدا من المياه الجوفية خاصة فى الدلتاوات المذكورة وعلى عمق قريب جدا من السطح قدر متر أو أمتار[١] . وتختلف ملوحة آبار هذه السهول من مكان إلى آخر . وفى العادة يكون أعذبها هو الأبعد عن البحر ، وتنخفض ملوحتها عقب الفيضانات اجمالا . أما الوديان الكبيرة التى تصرف مياه مناطق الجبال الكثيرة المطر فتتجنب هذه المنطقة وتصل الى البحر اما من شمال أو جنوب المنطقة البازلتية .

ونتيجة خلو هذه المنطقة من التربة الرسوبية والمياه الجوفية تقريبا تعذر وجود حياة مستقرة إلا على نطاق ضيق جدا ، ووجد عدد هزيل من البدو الرحل ، باستثناء عدد محدود من القرى الزراعية الصغيرة الحجم ظهرت فى الهوامش الشاطئية مثل : قرية عمق فى دلتا وادى العمق فى جنوب كياد خلى بنحو ٣٥ كم ، ويعيش النخيل والدوم فيها بدون رى . وتقع قرية البيرك على مرتفع بازلتى بجوار خليج بحرى على بعد ٧٠ كم فى جنوب كياد ويعيش معظم سكانها من الصيد ، وهى المركز الادارى لهذه المنطقة يعيش فيها نحو ٨٥٠ فرداً ، وهى مرفأ صغير قديم يقع فى صدر خليج صغير تحميه الشعاب المرجانية . كانت تتزود بالمياه بما ينقل اليها على ظهور الدواب من وادى بيرك الذى يحوى غشاء مائيا ضعيفا جدا . ثم أقيم فيها خزان أسمنتى ترفع المياه اليه بالضخ حتى توزع على مساكن القرية . ويوجد عدد أكبر من بساتين النخيل فى وادى ذهبان الى الجنوب من البيرك بنحو ١٥ كم حيث تبدأ الدلتا على بعد ٤ كم عن البحر ، وتترشح المياه عقب الفيضان فى التربة الرسوبية على عمق ٢ م ، وينتشر فى الوادى مرض الملاريا بسبب تبرك الماء .

---

(1) Sogreah, Ibid, P. 183-195.

بلغ عدد سكان منطقة البيرك أقل من ٥٥٠٠ نسمة ، يعيش نحو سدسهم فى قرية البيرك وحدها . ولم يزد عدد البدو عن ٣٥٠ نسمة ، والباقى يتوزعون فى قرى صغيرة بلغ عددها ٦٨ قرية ، يقع ١١ منها فى وادى ذهبان فى اقصى الجنوب بجوار البحر . لم يبلغ عدد مستوطنيها جميعا ٥٠٠ فرد ، وتقع ١١ قرية أخرى فى وادى عمق فى أقصى الشمال وفى عالية الوادى عند أقدام الجبال عاش فيها نحو ١٠٠٠ من السكان . أى أن حجم القرية فيها يبلغ نحو ضعف حجمها فى وادى ذهبان إجمالا . ويتوزع العدد الباقى من القرى فى السهول التى تتخلل التلال بالقرب من بلدة البيرك ذاتها وفى شمالها الشرقى ، وقد عاش فيها نحو ٢٨٠٠ فرد .

لاتتوافر فرص الأعمال كثيرا فى هذه المنطقة مما جعلها تفقد سكانها بالهجرة ولا تغرى أحدا بالهجرة اليها . إذ أوضحت نتائج إحصاء ١٩٧٤ عدم وجود غرباء فيها ، كما أوضحت ارتفاعا فى نسبة الأمية ونقصا كبيرا فى الحضور المدرسى . ويعيش سكانها من الصيد أو الزراعة أو تربية الحيوان .

ب – سهل منطقة القنفذة :–

يطلق على السهل الذى يقع فيما بين شمال هضبة البيرك وحتى شمال وادى الليث اسم « تهامة الشام » ، وهو سهل عريض نسبيا ويمتد نحو ٢٥٠ كم طولا ونحو ٢٠ – ٤٠ كم عرضا ، ويتكون من رسوبيات حديثة ويخترقه عدد من الوديان القادمة من الجبال شرقا وتصب فى البحر غربا . وبالرغم من هذا التجانس الكبير يمكن أن نقسمه الى قسمين متميزين جنوبى وشمالى .

فالقسم الجنوبى من تهامة الشام هو السهل الساحلى لمنطقة القنفذة ويقع بين هضبة البيرك البركانية جنوبا وشمال وادى قنونة شمالا ، ويحاذى شاطىء البحر ويقع بينه وبين النجود التابعة لقضاء بارق ونجود القنفذة وغامد الزناد أو تهامة الباحة ، ويبلغ عرضه نحو ٤٠ كم الا أنه يقل عن ذلك اجمالا باتجاه الشمال .

تقع هذه المنطقة فى نهاية ما يصله تأثير الأمطار شبه الموسمية الجنوبية ، فتراوحت معدلات الأمطار السنوية فيها حوالى ١٠٠ ملم فى الشريط الساحلى الى ٢٠٠ ملم عند أقدام الجبال ، ويسقط معظمها فى فصل الصيف . وبالرغم من شح الأمطار خاصة فى أقليم مرتفع الحرارة حتى فى أشهر الشتاء ، فإن تأثيرها يختلف باختلاف المظاهر

الجغرافية ، إذ بلغت معدلات الحرارة فى المظيلف الواقعة فى شمال هذا السهل ٢٤°م فى أشهر الشتاء و ٣٦° م فى أشهر الصيف .

وقد انعكس هذا الاختلاف فى حياة الانسان وطرق استغلاله للأرض ونشاطه الاقتصادى . وتتضمن هذه المنطقة ثلاثة مظاهر جغرافية متباينة هى :

١ – السهول الرسوبية للوديان : حلى ويبا وقنونة وأحسبه والدوقة .
٢ – الخبت ويقع فيما بين تلك السهول .
٣ – المناطق المستنقعية والسبخية الشاطئية .

١ – السهول الرسوبية للوديان :

ويقصد بها أربعة مناطق من السهول الرسوبية التى شكلتها الوديان الهامة فى منطقة السهل الساحلى من طمى الفيضان ، وتتقدم باتجاه المصب على شكل دالات ، وتحوى كل منها غشاء مائيا منعزلا يغذيه واديه بالمياه ، وتحصرها عن بعضها طبقات ثلاثية غير منفذة من الشمال والشرق والجنوب ، كما يحصرها غزو ماء البحر من الجهة الرابعة . وقد خضعت للزراعة بكاملها فأعطت مظهر الأراضى الزراعية المتصلة ، وهى مفصولة عن بعضها بأرض قاحلة تماما . وقد عاش فيها نحو ٥٣٠٠٠ نسمة جميعهم تقريبا مستقرون ويعمل معظمهم فى الزراعة أو تربية الحيوان . وقد عاشوا فى نحو ٣٠٠ قرية بالاضافة الى مدينة القنفذة . ومناطق السهول الأربعة المقصودة هى :

(أ) **سهل وادى حَلى الساحلى** : يعتبر وادى حَلى من أهم وديان المنطقة الساحلية ويأتى من مرتفعات عسير ، وتبلغ مساحة حوضه نحو ٦١٠٠ كم٢ يقع نحو ثلاثة أرباعها فى منطقة الجبال الممطرة . وقد بنى فى منطقة الساحل سهلا رسوبيا واسعا على شكل مثلث تقع زواياه بالقرب من القرى التالية : شايد التى تقع على بعد ٥ كم فى شرق كياد وتمثل رأس المثلث فى جهة عالية الوادى ، ومخشوشة وتقع على بعد ١٣ كم فى جنوب غرب كياد وكذلك فى الجنوب من دلتا الوادى الحالية ، وحتامية وتقع على بعد ١٢ كم من شمال مخشوشه وكذلك فى الشمال من دلتا الوادى القديمة . وقد تكونت رسوبيات السهل الطموية من الحصى والرمل الطينى والطين توضعت فوق تكوين بيض الثلاثية ، وقد علاها طمى ناعم ، وبلغ سمك الرسوبيات فى بعض المواقع ٢٠٠ م . وتبعد قاعدة السهل عن الشاطىء من ٥ – ٨ كم.

يقطع مجرى وادى حلى قبيل وصوله السهل عدة عقبات صخرية من الشست لاتلبث أن تختفى تماما قبل كياد بنحو ٦ كم فى الشرق ، تجبر المياه أن تجرى كلها فوق السطح فى تلك المواقع ، ولكن معظم المياه التى تصل السهل تكون على شكل فيضانات وتبدأ بالتسرب فى الطمى قبل أن تصل كياد . وإذا كانت فيضانات قوية فإنها تجرى على السطح وقد تصل الى البحر وتصب فيه .

ويحمل هذا السهل الطموى غشاء مائيا لابأس بكميته ، ترتبط حدوده الشمالية بدلتا حَلى القديم الواقع فى الشمال ، وحدوده الجنوبية بحافة الهضبة البازلتية المحاذية للدلتا الجديدة ، ويرتبط عمقه بوجود تكوينات بيض الطينية غير المنفذة والقليلة العمق فى الشرق . ويمس حدوده الغربية غشاء مائى مالح بسبب حقن مياه البحر المالحة فى الغشاء الأصلى ، كما يمس حدوده الشمالية الغشاء المائى المالح فى منطقة الخبت الواقعة بين حَلى وييا .

ولذلك فالتدرج البيزومتري للغشاء المائى بطىءفى منطقة المخروط الرسوبى ويتناقص إرتفاعه باتجاه البحر مع تزايد سمك الرسوبيات . وترتسم الخطوط البيزومترية على شكل أقواس دائرية مركزهاخيع وكياد ، ونصف قطرها نحو ١٥ كم وزاوية انفراجها ٧٠° لكنها تتدرج بالارتفاع من ذلك المركز باتجاه عالية الوادى على شكل قناة طموية محددة ببطن الوادى تصل بين الجبال وكياد ، ويكون عمق الماء فيها اجمالا قريبا من السطح .

أقام المزارعون سدودا ترابية على مجرى الوادى لادخال مياه الفيضانات الى الحقول المجاورة ، وأخضعوا السهل الى زراعة « رى الحياض » التى تختص بزراعة الحبوب لاسيما الذرة والدخن ، واهتموا بتربية الحيوانات لاسيما الأبقار ، ويبدو أن السهل كان خاضعا فى الماضى لزراعة تزيد كثافة عما هى عليه الآن ، يدل على ذلك وجود أقنية الرى القديمة المهجورة وأطلال العقوم الترابية القديمة المهجورة التى كانت تفصل الحقول بعضها عن البعض الآخر .

وسهل حَلى الرسوبى منبسط تماما لايبرز فيه سوى مواقع القرى التى شيدت على تلال ترتفع نحو ٢ أو ٣ م فقط عن سطح السهل حماية لها من الفيضان المتسبب عن الرى . وقد بلغ عدد هذه القرى ٩٧ قرية صغيرة معظمها لاتتعدى عدة أكواخ ، ولم يبلغ مجموع سكانها ١٥٠٠٠ نسمة . تستمد مياه الشرب من نحو ١٠٠ بئر قديمة . وقد حفرت وزارة الزراعة مؤخرا عدة آبار فى مواقع مختلفة مثل صفا وخيع وسباتا وسلامة ومجازر وخضرة .

ومن أهم قرى سهل حَلي قرية كياد حَلي وتقع عند عالية السهل الرسوبي على الجانب الأيسر لمجرى الوادى ، وهى المركز التجارى (اى السوق الذى يعقد فى يوم الأحد) والادارى (مقر الإمارة) لهذه المنطقة . ومن قراه أيضا خيع وتقع الى الشمال من كياد على بعد ٣ كم فقط ، ولكن على الجانب الآخر من الوادى . ويقع الى الغرب منهما قدوة الأعرج فى الشمال ومنجمة وعجة والسلامة والفريق وبيضين فى وسط السهل .

(ب) **سهل وادى يبا (سهل القوز وحَبيل)** : ويقع الى الشمال من سهل وادى حَلي على بعد ٢٠ – ٢٥ كم ، ويشبهه من حيث اتخاذه شكل المثلث الذى يقع رأسه فى اتجاه عالية الوادى ، وذلك قرب قرية القوز التى تبعد ١٧ كم عن خط الشاطىء ، وينفرج السهل عندها بزاوية قائمة تقريبا نحو شاطىء البحر على شكل مخروط رسوبى يبلغ نصف قطر دائرته نحو ١٣ كم ، وينتهى على شكل قوس يبعد عن خط الشاطىء نحو ٥ كم . ويمتد السهل باتجاه عالية الوادى مسافة ١٨ كم أخرى على شكل شريط ضيق مرتبط ببطن الوادى . وقد تكوّن السهل من الرمل الرمادى الطينى أو من الطين الأحمر المخلوط برمل وحصى ، يغطى طبقات من الانهايداريت تقع على عمق قليل تحت سطح الشريط من حَبيل الى القوز تتحول فى اتجاه المصب الى رمل ورمل طينى .

تحدد الغشاء المائى فى عالية حَبيل ببطن الوادى ، أى أنه يقتصر على قناة ضيقة وضحلة محفورة فى الطبقات غير المنفذة لتكوين بيض بعرض ٢ كم تقريبا . وبطبيعة الحال يكون تدرجه البيزومترى قوياً جدا ، لايلبث أن يزداد عرضه عند بداية تشكل الدلتا ، ويصبح قطاع دائرة مركزها حَبيل ، وخطوطه البيزومترية متباعدة وعلى شكل أقواس لنفس المركز . ويحدد هذا الغشاء المائى أيضا قرب الطبقات الثلاثية من السطح عند منطقة تشكل الدلتا ، لكنّ الطمى يتزايد سمكه ويصبح ناعما ، ويتسع مخروط القطاع ويزداد عمق الماء حتى يبلغ ١٥٠م فى الغرب . ويتناقص التدرج البيزومترى جدا فيما بعد القوز وحتى نهاية المخروط الرسوبى .

ويشبه هذا السهل سهل حَلي كذلك فى تعرضه لمياه الفيضان وتسرب مياهه وتخزنها فى الطمى ، مما هيأ الظروف الى إخضاعه للزراعة التقليدية ، وفى هذه المنطقة وهى زراعة رى الحياض باقامة العقوم الترابية وإدخال المياه الى الحقول ، وبالتالى تواجد السكان الريفيين فى قرى زراعية صغيرة ومبعثرة فى ثنايا الحقول ، وقد بلغ عددها ٧٥ قرية لم يكد يبلغ عدد سكانها جميعا ١٣٠٠٠ نسمة . ومن أهم هذه القرى : الجرد وتقع فى عالية الدلتا على الجانب الأيسر للوادى ، وحبيل وصهوة وتقعان عند بداية

انفراج السهل نسبيا ، والقوز وتقع عند بداية تشكل الدلتا الى الغرب من موقع القرى السابقة وعلى الجانب الأيمن من الوادى وهى قاعدة قرى المنطقة .

(ج) **سهل وادى قنونة (سهل القنفذة)** : ويقع الى الشمال من السهل السابق وعلى بعد يقرب من ٢٥ – ٣٠ كم منه أيضا وذلك فى الحوض الأدنى لوادى قنونة ، ويضم نهاية وادى عجة ولومة الى الشمال أيضا . وهو وإن تشابه مع السهلين السابقين فى أنه يبدأ بالتشكل حيث ينتهى الوادى من منطقة الجبال ، ويمتد مثلهما مسافة لاتقل عن ٢٠ كم يقطع فيها منطقة السهل الساحلى باتجاه المصب وينتهى قبل خط الشاطىء بنحو ٢ – ٥ كم وقد بنته الرسوبيات الطموية الحديثة المتخلفة عن الفيضانات المتتالية ؛ إلا أنه يختلف عنهما فى أنه لايتسع اتساعهما بالاتجاه الغربى . حتى وإن اتخذ مثلهما شكل المثلث ؛ إلا أن زاوية انفراجه بعد الرأس فى العالية حادة كثيرا ، وتقل بذلك مساحة المخروط الرسوبى الزراعى .

ويبدو أن وجود انكسار يتجه شرق – غرب ، ويحاذى المجرى من جهة الجنوب ويحدده ؛ قد تسبب فى ظهور صخور القاعدة المتكونة من صخور الجرانودياريت فى جنوب خط الانكسار على بعد ٢٠ كم من البحر فى حين أنها تظهر على بعد ٤٠ كم فى شماله . واجمالا فسمك الطمى يقل عما هو فى الواديين ، إذ توضع فى وسط الدلتا (منطقة سوق الأحد) حصى وحصباء وطين أحمر بسمك ٣٥م فى هوة على شكل أحواض تقع بين الصخور القديمة (الثلاثية) ، مما تسبب فى ردم تلك الهوة التى أوجدها الانكسار . وقد بلغت مساحة سطح القطاع الطموى نحو ثلث مساحة أحد السهلين السابقين .

وقد تسببت الفيضانات التى تتردد على وادى قنونة فى تسرب المياه فى الطمى ووجود غشاء مائى يتناسب مع صغر مساحته وقلة عمقه ، ويلاحظ أن تدرجه البيزومترى شديد جدا فى جهة العالية ، لايلبث أن يضعف شيئا فشيئا فى جهة الشاطىء . وقد استثمر هذا السهل كغيره فى الزراعة وظهرت الحياة المستقرة على شكل قرى عديدة وصغيرة بلغ عددها نحو ٤٠ قرية وبلغ تعدادها نحو ٦٣٠٠ نسمة . وكانت هذه القرى تعتمد فى التزود بالماء للاستعمال المنزلى على آبار قديمة كانت محفورة فى الطمى بلغ عددها ١٣٦ بئرا ، وكانت تسحب المياه منها بالمتح (أى بواسطة الحيوانات) ؛ ولذلك كثيرا ما كانت تتعرض للتلوث . وقد حفرت عدة آبار حديثة (أى بالحفارات) لتمد القرى والقطعان بالماء منذ أواخر الستينات ، وبدأ الناس يهجرون الآبار القديمة بالتدريج .

وقد يكون من أهم قرى هذا السهل : فرشة وتقع فى عالية السهل ويليها باتجاه الدلتا قرية عيانة فسوق الأحد ، وهى المركز التجارى للمنطقة أى السوق الاسبوعى وكذلك المركز الإدارى وتقع فى وسط السهل المزروع تقريبا ويليها باتجاه البحر قريتا الحصن والقاع . أما مدينة القنفذة فتقع قرب المصب على شاطىء البحر وبعيدا عن السهل الساحلى .

(د) **سهل أحسبة – الدوقة** : ويقع الى الشمال الغربى من سهل القنفذة وذلك فى سافلة الوديان : أحسبة وناوان وقرما والدرقة وينحصر بين شاطىء البحر ونجود قضاء نيرا التابع لتهامة الباحة .

وتعتبر هذه المنطقة انتقالية من ناحية جيولوجية بين السهل الجنوبى والشمالى حيث تقترب صخور القاعدة الأركية وصخور الزمن الثالث من شاطىء البحر ، وترتفع الأخيرة فتقترب من سطح الأرض ، ويقل بذلك سمك الرسوبيات الطموية التى تمثل التربة الزراعية وخزان المياه الجوفية ، وقد تتلاشى فى بعض المواقع .

ويتميز حوض وادى الدوقة – بالاضافة الى ذلك – بوجود طبقات الانهايدرايت الناتجة عن التبخر فى عصور الجفاف ، وقد أثبت الحفر أنها موجودة على عمق ٤١ م قرب قرية مشرف[1] ، ويتزايد سمكها باتجاه الغرب . وتقترب مخاريط الإنصباب الطموية من خط الشاطىء حيث تتكاثف السهول الطموية فى الشريط الساحلى الذى يقع على بعد يتراوح بين ٥ – ١٥ كم حول نهايات الأودية وفروعها .

وجد أن عمق الطمى الرسوبى يتراوح بين ٥ – ١٠ م فقط فى وادى الدوقة الذى يعتبر أهم هذه المجموعة من الأودية . ولو أن سمكه يزداد باتجاه البحر حتى يبلغ ٢٠ م (قارنة مع ٢٣٠ م جنوب جيزان) . ويتكون الطمى فى اتجاه العالية من الرسوبيات الخشنة أى من الحصى والحصباء ثم يزداد دقة باتجاه السافلة حتى يتكون من الرمل فالرمل الطينى فالطين .

وتتميز هذه المنطقة عن السهول الساحلية الواقعة الى الجنوب منها بتناقص تأثير موسميات المحيط الهندى تدريجيا ، ولكن الى درجة لاتزال الأمطار وجريانات الأودية إبان الفيضانات ملاحظة ولو بنسب تقل عن الجنوب . إذ تقل معدلات الأمطار السنوية عن

---

(1) Sogreah,Ibid,P. 217.

١٠٠ ملم (فى عسيلة ٧٣ ملم ، وفى الدوقة ٩٣ ملم) . ورغم ان الفيضانات تحصل نتيجة أمطار المناطق الجبلية العالية فهى أقل ترددا وتصل الى السهل ضعيفة .

يقل مخزون المياه العذبة فى الطمى فى العالية حتى تصبح محصورة فى قناة ضيقة وقليلة العمق . ويتغذى هذا المخزون بالماء من ترشح مياه الفيضان فقط ، ويجف عادة بعد انتهاء الفيضان بفترة قصيرة ، ما عدا قرب سرير الوادى (مثل بئر القديح فى شمال دلتا الدوقة) . ولكن يزداد هذا الخزان اتساعا وعمقا باتجاه المصب ، غير أنه يتعرض هناك لحقن ماء البحر المالح ، مما يسبب تراجع سمك الطبقة الحاملة للمياه العذبة .

وتساهم هذه الطبقة المالحة بالتعاضد مع قرب الطبقات الثلاثية - فى تحديد حجم الخزان المائى والذى تزداد ملوحته - لاسيما بمحلول كلوريد الصوديوم - فى اتجاهين ، أى بالاقتراب من خط الشاطىء أو بالتعمق فى داخل الأرض . وهذا يعنى أن ممارسة الضخ من الآبار باستمرار يكتنفها مخاطرة زيادة ملوحة الماء .

وقد أمكن استثمار بقع واسعة ومتناثرة من الأراضى فى نهايات الأودية المذكورة ، غير متصلة معا قرب بعضها من البعض الآخر . فنشأت فيها الحياة المستقرة بحيث بلغ عدد سكانها جميعا ١٥٠٠٠ نسمة موزعين فى عدد كبير من القرى الصغيرة فى وسط تلك السهول ويضمها جميعا وحدتان إداريتان فرعيتان تابعتان لإمارة القنفذة هما :

١ - **قضاء المظيلف** : ويشمل المساحات الواقعة بين وادى لومة ووادى أحسبة وناوان وقرما ، ويوجد فيها نحو ستة مواقع زراعية متباعدة يفصلها عن بعضها سهول قاحلة . وحتى أن احداها وهى المحيطة بالمظيلف هى جزء من سهل الخبث الذى يقع بين وادى ناوان وقرما . توجد الطبقات الثلاثية فيه على عمق قريب من السطح يعلوها طبقة من الطمى ، وقد أدى وصول وتسرب مياه الواديين اليه الى وجود غشاء رقيق من الماء العذب فوق طبقة الماء المالح ، مما جعلها المنطقة الوحيدة من سهل الخبت التى أمكن استثمارها وزراعتها على نطاق كبير .

وأهم المواقع البشرية فى هذا القضاء بلدة المظيلف ، وتقع فى وسط السهل المشار اليه وعلى بعد ١٢ كم من شاطىء البحر . وهى المركز الإدارى والتجارى للمنطقة ، إذ يعقد فيها سوق اسبوعى يرده سكان المنطقة وما يحيط بها . وتعتبر المظيلف عقدة مواصلات جيدة حيث تربط بين الطريق الساحلى والطرق المؤدية الى الجبال . ويقع الى الشمال

الغربى منها الآن مثلث المظيلف الذى يتفرع عنده الطريق الساحلى « المزفلت» ، فيتجه الخط شرقا الى المخواة فالعرضيتين ثم الى محايل فالدرب فى الجنوب الشرق .

ومن القرى الهامة الأخرى فى المنطقة : قرية الفلق وتقع فى سهل وادى أحسبة والعقدة فى سهل وادى ناوان ، والرطبة فى سهل وادى قرما . وقد بلغ مجموع سكان هذا القضاء نحو ١٠٠٠٠ نسمة جميعهم من الريفيين .

٢ ـــ قضاء القديح : ويقع فى حوض وادى الدوقة الأدنى حيث بنى دلتا واسعة بالقياس الى الوديان السابقة الذكر . أى أنه يأتى بالدرجة الثانية بعد دلتا قنونة ، بالرغم من التقهقر التدريجى فى الشروط المناخية والجيولوجية للمنطقة . ويمتد السهل الزراعى المزروع مع امتداد الوادى نحو ٢٠ كم ، وفى حين أنه ضيق فى اتجاه العالية يتسع فى الاتجاه الآخر حتى يبلغ نحو ١٠ كم . وقد انتشرت القرى الزراعية فى وسط الحقول المزروعة

بلغ عدد سكان منطقة القديح نحو ٤٠٠٠ نسمة أو أكثر ، وظهر فيها عدد من القرى الهامة ، فى مقدمتها قرية القديح وقد عرفت باسم بئر القديح وتقع فى شرق السهل ، أى فى قمة المخروط وعلى الطريق الساحلى الذى يبعد عن شاطىء البحر فى هذه المنطقة نحو ١٥ كم . وهى قاعدة القضاء إداريا . ويليها باتجاه المصب قرية مسيلم ومشرف والدوقة وتقع عند بدء توسع المنطقة السهلية . وتقع بئر الحامضة وقرية عسيلة الى الشمال من منطقة الدلتا . إن تواجد هذا العدد من القرى الهامة والكبيرة نسبيا رفع معدل عدد أفراد القرية الواحدة فى هذه المنطقة الى ١٢٠ فردا للقرية الواحدة . ومن الجدير بالملاحظة ان بيوت الأكواخ المصنوعة من أغصان الشجر المجدولة والتى تتواجد فى سهل جيزان لاتزال تظهر متفرقة فى الحقول الزراعية لهذه المنطقة .

٢ ـــ سهول الخبت :

ويطلق تعبير الخبت محليا على السهول الساحلية والواسعة والتى تفصلها بعضها عن بعض السهول الفيضية التى بنتها الوديان وهى في طريقها الى البحر . والخبت سهل رملى شبه مستو يظهر سطحه على شكل دكاكة طويلة الشكل ، وأنواع مختلفة من سافات رملية متموجة متأثرة باتجاهات الرياح السائدة ، وبوجود بقع نباتية متفرقة ساعدت على تجميع الرمال حول جذورها وجذوعها ، فعملت على تثبيتها . وتحوى هذه السهول مياها باطنية مالحة . لأن شدة التبخر تسبب تركز الأملاح على السطح من ناحية ، ومن

ناحية أخرى فان قليلا من المياه العذبة تصل غشاءه المائى الباطنى فى كل مرة ، لكنها لاتصله قبل أن تتملح بسبب إذابتها الأملاح التى انتشرت على السطح ، إما بفعل التبخر السابق أو بفعل ماتضعه رياح البحر على الأرض والنبات من أملاح .

ولذلك لم يكن بالمستطاع استثمار هذه السهول الواسعة فبقيت صحراوية جرداء خالية من الحياة البشرية المستقرة ، ويصعب على البدو أن يعيشوا فيها لخلوها من المياه العذبة ، إلا فى بعض المواضع التى تطولها مياه الفيضانات على أطراف الأودية كسهل المظيلف مثلا ، حيث يقام فيها أحواض مسيجة حتى تستفيد من مياه الفيضانات فى الزراعة .

٣ ــ المناطق الشاطئية :

يلى السهول الطموية وكذلك سهول الخبت باتجاه الغرب منطقة منخفضة وعرة يصعب الوصول اليها أو عبورها بسبب طبيعتها الرملية أو كثافة الغطاء النباتى الطبيعى وهو من النوع الذى يتحمل الملوحة أو الجفاف ، وهى لاتصلح للزراعة بسبب ملوحة تربتها وملوحة ماء الغشاء الباطنى فيها . ويلى هذه المناطق كما يلى سهول الخبت أيضا من جهة الغرب مناطق مستنقعية تحاذى شاطىء البحر وتتعمق فى الداخل ما بين ٣ – ٥ كم ، وهى أكثر انخفاضا من المناطق السابقة ولاترتفع كثيرا عن مستوى سطح البحر . وقد تغمر مياه المد الأجزاء الأكثر انخفاضا وأيسر اتصالا بمياه البحر . وقد شغلتها المستنقعات التى يختلف اتساعها من وقت لآخر ، أو السباخ المالحة والسباخ الجافة . فبالإضافة الى أن نباتها نادر فهى عرضة لانتشار الأوبئة والحميات بفضل المستنقعات وكثرة الحشرات . ولذلك أصبحت منفرة للحياة البشرية ، وكانت شبه خالية من السكان رغم وفرة الأملاح التى يمكن استثمارها منها ورغم قربها من البحر .

ونظرا لانتشار الأرصفة والشعاب المرجانية بكثافة تشكل خطرا على الملاحة وتمتد كحاجز متصل امام الشاطىء يعوق الاستيطان ، وجدنا أن شاطىء هذه المنطقة الذى يمتد نحو ٢٠٠ كم أو يزيد لايوجد فيه قرى شاطئية لاستثمار الثروات البحرية سوى مدينة القنفذة التى تتوسط هذا الشاطىء .

مدينة القنفذة (٨ - ١٩° شمالاً ، ٤ - ٤١° شرقا) :

وهى مرفأ القسم الأوسط من السراة ؛ أى سراة الحجر وغامد وزهران ، وكانت مرفأ ولاية عسير فى العهد العثمانى . وتقع فى النهاية الجنوبية لخليج يتجه نحو الغرب ويقع

بين شبه جزيرة منخفضة فى الشمال ورأس دائرى قصير فى الجنوب وجميعها تقع فى نهاية دلتا وادى قنونة وعلى طرفه الأيسر .

كان المرفأ يتكون من مرسيين داخليين قليلي العمق محميا من الغرب بشعاب مرجانية تتجه من الرأس الجنوبى باتجاه الشمال الغربى . ويتصل شبه الجزيرة الشمالية أيضا بشعاب مرجانية تحصر المرفأ وتحميه . وقد اغلقت القناة التى تعبر من خلال الشعاب الى المرفأ بحطام السفن الا من مدخل يبلغ نحو نصف ميل فى جنوب غرب المدينة فى جانب من شعاب بعيدة عن الشاطىء .

والقنفذة بلدة قديمة لانعرف الكثير عن تاريخها ، وقد وصفها نيبور (Niebuhr) بعد أن زارها فى سنة ١٧٦١م بأنها مدينة كبيرة ، وأنه كان يحكمها وال يتبع شريف مكة . وكان أتباعة يقفون عند المدخل المذكور يجمعون الضرائب من السفن المحملة بالبن والقادمة من موانىء اليمن الى جدة(١) . وقد وصفت بعدئذ بأنها بلدة صغيرة يحيط بها سور ، ولايزيد عدد سكانها عن ٢٠٠٠ نسمة .

وتتكون القنفذة بشكل رئيسى من سوق ومسجد تحيط بها الأكواخ ، كانت تجلب لها المياه العذبة من الحفير الواقعة على بعد ٤ كم ، وتجمع فى خزان بالقرب من الشاطىء . غير أنها تشرب الآن من أنابيب مدت اليها من قرب قرية سوق الأحد . وتضخ الى خزان أسمنتى مرتفع يقوم بتوزيع المياه الى البيوت . كانت القنفذة تعتبر محطة على طريق القوافل البرية وتبعد عن جدة ٣٤٠ كم وعن جيزان ٣٢٠ كم وعن أبها نحو ٢٥٠ كم .

يعيش معظم سكان القنفذة من الصيد أو التجارة أو من بعض المهن اليدوية ، والقليل منهم يعملون فى الزراعة . وبالرغم من أن ظهير المدينة القريب يعتبر زراعتها إلا أن الفعاليات البحرية هى السائدة . إذ تم فى القنفذة منح ٥٣٢ رخصة عمل بالبحر من صيادين وبحارين وغير ذلك فى سنة ١٤٠٢هـ(٢) .

وقد دخلت القنفذة فى الفترة الاخيرة بحكم أنها قاعدة إدارية لمنطقة واسعة ومنعزلة عن الادارة المركزية فى مكة عهدا جديدا من التطور ؛ فقد توسعت مساحتها وزاد عدد سكانها ، فبعد أن كان يقدر بنحو ٤٠٠٠ نسمة فى أوائل السبعينات ارتفع الى نحو

---

(1) Naval Intelligence Division, Ibid, P. 544.

(٢) الكتاب الاحصائى السنوى . العدد ١٨ ص ٢٣٠ .

٦٠٠٠ نسمة فى أواخره . نشأت فيها بلدية تشرف على تطورها ونمددها ، فبنت الشوارع المستقيمة التى تتقاطع بزوايا قوائم وتمنح رخص البناء على أن يتم بالاسمنت أو الطوب الأسمنتى . إذ أنها منحت ٦٤٠ رخصة تشييد و٥٢ رخصة ترميم فى سنة ١٤٠١ هـ(١) معظمها من البلوك والطوب الأسمنتى . وافتتحت فيها معظم الدوائر الحكومية التى يرجع اليها سكان إمارة القنفذة كلها وفيها شبكة هاتف تخدم ١٠٠٠ مشترك .

٦ ـــ اقليم سهل الليث الساحلى :

وهو القسم الشمالى من سهول الواجهة البحرية لجنوب غرب المملكة . ويمتد من حافة وادى الشاقة اليمانية الجنوبية جنوبا حتى حافة وادى سعدية الجنوبية شمالا . أى أنه يمتد امتدادا طوليا بمحاذاة شاطىء البحر يبلغ نحو ١٥٠ كم ، وينحصر فيما بين خط الشاطىء غربا واقدام مرتفعات تهامة الليث شرقا بعرض يبلغ بين ٢٠ – ٣٠ كم تقريبا . فتبلغ مساحته حسب هذا التحديد نحو ٤٠٠٠ كم٢ . ويقع إداريا ضمن حدود إمارة الليث الفرعية والتى تتبع إمارة مكة .

فهو وإن تشابه مع السهول الساحلية الواقعة الى الجنوب منه ؛ فان موقعه المتطرف كثيرا نحو الشمال فيما بين خطى عرض ٤٢ – ١٩° ، ٣٧ – ٢٠°ش . جعل الصفات الانتقالية التى رأيناها فى الجنوب تزداد حدة ، حيث أنها جميعا تتكون من رسوبيات حديثة تشكلت عقب حادث الانهدام الكبير . الا أن الحدود الغربية لصخور القاعدة الأركية تقترب بانتظام من الشاطىء ، ويضيق الشريط الرسوبى حتى يقل عن ١٠ كم فى شمال الليث . وتظهر فى السهل قطع صخرية تمتد بمحاذاة قاعدة الجبال على شكل أشرطة تتكون من الصخر الامغيبوليتى والاردواز الشستى والكوارتزيت والجرانيت الجنايسى . وتقترب الطبقات الثلاثية كذلك من سطح الأرض حتى تظهر عليه على شكل أشرطة طولية تقع فيما بين مجارى الوديان مثل جبل صادع شمال وادى خضرة وجبل أبو رواث وجبل بشام فى جنوبه . ويتغطى السطح فى المواقع الاخرى بغطاء غير سميك من الرسوبيات الحديثة الخشنة .

ويساهم فى تعقيد جيوفيزيائية هذا السهل عاملين آخرين ، الأول : وجود انكسارات عديدة لم ينتج عنها فى عالية الوديان سوى قدرة بسيطة على امتصاص الماء ،

---

(١) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٨ ص ٢١٢ .

الا أنها تقطع فى المنطقة الساحلية الطبقات الثلاثية باتجاه عمودى على خط الشاطىء وتجعل أطراف الطبقات المختلفة متجاورة . والثانى : وجود قباب الملح الناتجة فى الأصل عن التبخر فى المناطق الشاطئية .

غير أن أهم تأثيرات الموقع تتضح فى المناخ حيث يمثل هذا السهل نهاية المنطقة المتأثرة بالرياح شبه الموسمية الجنوبية الصيفية والقادمة أصلا من المحيط الهندى ، كما يمثل نهاية المنطقة المتأثرة بالغربيات الشتوية ، أى أعاصير البحر المتوسط المتقدمة مع امتداد حوض البحر الأحمر باتجاه الجنوب الشرقى . وتصل كلتا هذه التأثيرات –سواء الصيفية أم الشتوية – ضعيفة منهكة . ولذلك يتصف مناخ هذا السهل بالقسوة ؛ فهو شديد الحرارة حتى فى الشتاء وترتفع فيه الرطوبة فى جميع الفصول وتقل فيه الامطار حتى على جبال تهامة المجاورة للسهل .

اذ لم يتجاوز معدل الامطار السنوية فى قلوة الواقعة فى تهامة الباحة بمحاذاة جنوب شرق هذا السهل ١٢٥ ملم فقط . وبلغت فى شواق فى جنوب السهل ٩٥ ملم ، وفى الليث فى وسطه ٨٣ ملم وفى محيرقة فى شماله ٥٥ ملم . ولم يرتفع معدل الحرارة القصوى فى أشهر الصيف عن ٤٠° م ، ولم ينخفض معدل الحرارة الدنيا فى أشهر الشتاء عن ١٩°م . ولذلك فان مستوطنى هذا السهل فى غنى عن اى نوع من انواع التدفئة فى منازلهم بل هم فى حاجة الى استعمال وسائل التبريد فى معظم أيام فصل الشتاء . وقد نتج عن ذلك نقص فى معدلات صبيب الأودية وعدد فيضاناتها وأهمية تلك الفيضانات وانتظام حدوثها . حتى أنه قد تمر سنة أو أكثر على بعض الأودية دون أن يحدث فيها أى فيضان معتبر . كما نتج تضاؤل فى امتداد الرسوبيات الفيضية ، وهزلت دالات الأودية إن وجدت . بل وقد تلاشت الوديان الضعيفة فى السهل لأنها لم تقو على تجريحه بعدئذ فضاعت معالمها دون أن تترك أثرا على طبوغرافية الأرض ، ولم تظهر على خرائطها ؛ مثل وادى عيار ووادى الفقه ووادى الخضراء ووادى سعية .

سيطرت اذن سهول الخبت على مساحات أوسع مما فى الجنوب ، وهى سهول قاحلة ولو أنها تحمل غطاء من النباتات العشبية شبه الصحراوية التى سرعان ماتجف ، وتساهم فى استنزاف رطوبة التربة بفعل نتح النبات وتبخره ، كما تحمل أحيانا بعض الشجيرات نصف الشوكية التى تعيش فى الرمل وتتحمل الملوحة وقد عملت على تثبيت الرمال . وقد برزت فيها هنا وهناك بعض التلال الصخرية كالجزر .

كما سيطر وجود شريط السبخات المالحة حيث يبلغ عرضه فى منطقة الليث نحو ٥ كم ، ويمتد طوليا بامتداد خط الشاطىء ويفصل كلا من الخبت والسهول الطموية عن البحر ، وقد تشكلت بفعل غزو مياه البحر وانخفاض التضاريس وبفعل المد أو تجفيف المستنقعات الشاطئية . وقد نبتت فيها بعض الأنواع النباتية الهزيلة التى تتحمل الملوحة فى بعض أجزائها حيث تخف نسبة الملوحة . ومع ذلك فتعتبر قاحلة جدا .

يشكل خط الشاطىء فى هذه المنطقة جزءا من تقوس كبير يجعل مياه البحر تدخل فى وسط القوس الى مسافة أبعد باتجاه الشرق بالقياس الى التقوسين المعاكسين لهذا الاتجاه ، والذى يقع أحدهما الى الشمال حتى مدينة جدة ، ويقع الآخر الى الجنوب حتى البيرك والشقيق . ويلاحظ ان خط الشاطىء هنا كثير التعاريج عامة ويزداد اكثر فى شمال الليث . ويجاوره بحر ضحل ، اذ أن خط الاعماق (٢٠٠ م) يبتعد ما بين ٣٠ - ٨٠ كم عن الشاطى . وينتشر على الثلاثين كيلومترا الأولى منه عدد لايحصى من الجزر الصغيرة وغير المأهولة ومن الشعاب والأرصفة المرجانية ، بحيث خلق وجودها صعوبات جمة أمام الملاحة منذ العصور القديمة . وحرمت المنطقة من تواجد مرافىء طبيعية ما عدا مرفأ الليث .

وقد ساعدت هذه العوامل : الأجواء الشديدة الحرارة والعالية الرطوبة والقليلة الأمطار ، وتوفر المياه الراكدة فى الشواطىء والسباخ على كثرة الحشرات وتوطن الأوبئة خاصة الملاريا ، وتضافرت مع اختفاء المرافىء الطبيعية بسبب انتشار الأرصفة والشعاب المرجانية ، ومع عدم وجود أراض زراعية بسبب شريط السباخ المجاور لخط الشاطىء ، وانتشار سهول الخبت فى معظم المساحة باستثناء البقع المحدودة فى السهول الطموية للوديان ؛ فى عدم توفر الظروف الملائمة لاستقرار السكان ، فكانت المنطقة - على اتساعها - شبه خالية من السكان إلا فى بعض المواقع المحدودة .

وقد ساهمت صعوبة المواصلات فى انعزال هذا الاقليم وتأخره وضعف موارده ؛ إذ لم يكن فى المنطقة سوى طريق القوافل القديم الذى يسلكه حجاج وتجار اليمن وكان طريقا وعرا وخطرا . وكانت القوافل الى الشمال من الليث تتجنب السهل وتسلك طريقا جبليا الى مكة وذلك من بئر خضراء الى سعدية (يلملم) والى وادى أبيض فوادى نعمان . وقد سلكت السيارات بصعوبة بالغة هذا الطريق فيما بعد ، حتى تم إنشاء طريق الجنوب « المزفلت » والذى عاد ليسلك المعبر الساحلى وتجنب الجبال . وهذا ما

أضفى عليه من أهمية بالغة فى ربط هذه المنطقة وتحويلها الى معبر لسكان منطقة جيزان وماوالاها فى الجنوب وحتى سكان اليمن ، خاصة وأنه لايوجد أى اتصال جوى فيما عدا جيزان وجدة .

لم يتجاوز عدد مستوطنى هذا السهل الواسع ١٢٠٠٠ نسمة فقط ، بما فيهم سكان بلدة الليث ، والجماعات التى بقيت على حالة البداوة والذين يبلغون نحو سدس هذا الرقم . وهذا يجعل كثافة السكان تقل عن ٣ أفراد للكيلومتر المربع الواحد . ومع أن نشاط السكان لم يختلف فى هذا الاقليم عن نظيره فى السهول الجنوبية ، وهو يعتمد بالدرجة الأولى على الانتاج الزراعى وعلى تربية الحيوانات . وان النمط الاجتماعى السائد هو النمط الريفى المختلط حيث يتواجد الناس فى قرى صغيرة ، ولم يتوفر نمط الحياة المدنية . وعاش افراد القرى الشاطئية القليلة والصغيرة على الصيد ؛ الا أن هذا النشاط تتناقص أهميته أيضا باتجاه الشمال ، حتى تكاد الزراعة تختفى تماما فى شمال دلتا الليث وتستمر كذلك حتى قرب جدة . ويعيش هذا العدد من السكان ضمن حدود وحدتين صغيرتين هما شواق والليث .

(أ) **قضاء شواق** : ويقع فى حوض واديى الشاقة اليمانية والشاقة الشامية الأدنيين ، الى الشمال والشمال الغربى مباشرة من وادى الدوقة وفى جنوب سهل الليث وذلك فى جنوب خط عرض ٢٠°ش مباشرة . وينحصر بين شاطىء البحر وبين نجود منطقتى قلوة والحجرة التابعتين لتهامة الباحة .

استقر سكان هذا القضاء فى السهل الطموى الذى شكله هذان الواديان ، بفضل ما يحملانه من مياه وطمى يجلبانه بواسطة مجاريهما العليا من سفوح سراة زهران وبنى مالك ، ومن جبال تهامة العالية مثل جبل نيس وأطراف شدا وريع المنقض وغيرها ، والذى يحوى غشاء من المياه العذبة لابأس بكميته . فأقاموا الحقول الزراعية وسكنوا بيوت العرائش المصنوعة من القش والشبيهة بعرائش منطقة جيزان . وقد يكون هذا السهل آخر أماكن ظهور هذا النوع من البيوت باتجاه الشمال . وعاش بعضهم فى بيوت الطوب . وزرعوا الدخن والذرة واعتنوا بتربية الأغنام والأبقار .

بلغ عدد سكان هذا السهل نحو ٨٢٠٠ نسمة منهم ٦٥٠٠ فرد عاشوا فى قرى زراعية بلغ عددها ٨٢ قرية صغيرة الحجم بمعدل ٨٠ فردا للقرية الواحدة . وأهم مواقع الاستقرار هذه قرية شواق قاعدة هذا القضاء وسوقه الأسبوعى الذى يرد اليه سكان

المنطقة ، وتعود أهميتها الى وقوعها فى السهل على طريق القوافل الساحلى القديم والذى كان طريقا للحجاج أيضا ، وأنه يسهل الوصول منها الى مناطق الاستقرار القريبة فى جبال تهامة الباحة عن طريق الوديان مثل الحجرة والشعراء وقلوة ، وكذلك الجايزة . وقد استفادت من إنجاز الطريق الساحلى « المزفلت » الذى يتجنب خط السباخ فى الغرب وقد مرّ بالقرب منها .

ويتبع قضاء شواق منطقة الخبت التى تمتد فيما بين وادى الشاقة ووادى عيار مسافة ٣٠ كم تقريبا . وهو سهل مجدب بالرغم من انتهاء الأودية القصيرة عنده ولو أن بعض البدو الذين يبلغ عددهم نحو ١٨٠٠ نسمة يستفيدون من أعشابه الهزيلة فى تربية حيواناتهم .

(ب) قضاء الليث السهلى :

ويقع الى الشمال والشمال الغربى مباشرة من قضاء شواق ، وذلك فى نهايتى وادى عيار ووادى الليث . ويجرى وادى الليث فى مجراه الأوسط فى منطقة تأثرت بعدة انكسارات وفواصل ، حركت أطراف الطبقات الجيولوجية . ومع ذلك فان نسبة ترشح الماء منها منخفضة جدا ، مما يؤدى الى استمرار الجريان السطحى حتى تصل منطقة السهل فتترشح المياه فى الرسوبيات الطموية التى فرشها الوادى فى المجرى الأدنى ، على شكل مخروط انصباب بعد موقع غميقة ، يناظر سهول الوديان الواقعة فى الجنوب ولو أنه أقل مساحة وامتدادا منها . وبعد الترشح فى الطمى يندر الجريان السطحى ولاتصل المياه الى البحر إلا عقب فيضانات قوية جدا .

وقد امتد هذا السهل الطموى نحو ١٥ كم بامتداد الوادى وفى السهل قبل الوصول الى شريط السباخ الذى يبعد المنطقة الزراعية عن شاطىء البحر . وقد تشكل طمى السهل من توضع رسوبيات خشنة فى الغالب تتكون من الحصى والحصباء والرمل ، ويندر وجود الطين . يزداد سمك الطمى فى بعض المواقع بسبب التعرية فى طبقات الشست التى سحقتها الأحداث التكتونية السابقة حتى يزيد عمقها أحيانا عن ٣٠ م . ويقل السمك فى باق المواقع .

يستهلك معظم الماء فى منطقة غميقة ، التى تقع فى عالية السهل عند خروج الوادى من منطقة النجود ، فى إنبات غيضات شوكية ، ولم يتمكن الناس من استثماره . وفى حالة الفيضانات القوية ؛ يتجاوز الفائض من الماء هذه المنطقة الى السهل ، فيترشح

القسم الاكبر منه فى الطمى ، وإذا حدث وتجاوز السهل فانه يتبخر فى منطقة السباخ الشاطئية ، ويضيع سدى دون أن يستعمل فى الزراعة أو فى المنازل .

فالمنطقة الوحيدة من السهل الساحلي الواسع التى يمكن استثمار الماء فيها وزراعتها بالرى هو مخروط الانصباب الطموى الذى يقع بين غميقة ومناطق السباخ المالحة ، والتى يكون الجريان الباطنى للماء فيها أقل اضطرابا من الجريان السطحى ، ويكون خزانا للماء يزداد أهمية كلما اتسع الوادى وزاد سمك الرسوبيات .

وقد استفيد من هذه المياه بحفر آبار ضحله بجوار مناطق الزراعة أو القرى أو مواقع البدو . ويعتبر هذا المورد المائى ضعيفا ، نظرا لأن ملوحة الماء تزداد بسرعة إذا ابتعدنا عن مجرى الوادى ، وتزداد نسبة التوصيل الكهربائى فيها ، وهذا يفسر صغر مساحة الأراضى الزراعية وعدم امتدادها بالقياس الى مناطق الزراعة فى سهول الجنوب ، وقد استمر هذا السهل كغيره من سهول الجنوب فى زراعة الدخن والذرة وغيرهما . وقد يكون هذا السهل آخر مظاهر الزراعة للسهل الساحلى باتجاه الشمال حيث ينعدم وجودها شمالا لمسافة تزيد عن ٢٠٠ كم أى حتى وادى فاطمة .

ونظرا لضيق الأرض الزراعية وقلة عدد السكان بدت كمية المياه الضئيلة وكأنها تزيد عما يستثمر منها . وحرصا على الاستفادة من هذه الكمية الزائدة فكر المسئولون فى استثمارها فى تزويد مدينة مكة المكرمة بالمياه العذبة بسبب النقص الذى تعانيه فى مواسم الحج ، وقدروا انه بالإمكان حفر الآبار وتركيب الأنابيب وضخ ما مقداره ٢٠٠ل/ث على أقل تقدير .

لم يتجاوز عدد ساكنى السهل الساحلى لمنطقة الليث نحو الخمسة آلاف نسمة ، منهم ٣٢٠٠ فرد يعيشون فى ١٨ قرية مبعثرة فى أطراف السهل الطموى ، بما فيها بلدة الليث ذاتها التى تضم اكثر من نصف هذا العدد . ولم يتواجد أحد من البدو فى هذا السهل بسبب قحولته . وهذا يجعله من أفقر السهول إنتاجا وأقلها سكانا . وينتمى سكان هذه المنطقة الى بنى شهاب الذين يرجعون الى بنى شعبة الكنانيين ، كما ينتمى سكان الأطراف الشمالية منها الى رحمان من بنى شعبة أيضا(١) .

---

(١) عاتق البلادى – أودية مكة ، مجلة العرب ج ٩ ، ١٠ ، السنة ٩ نيسان ١٩٧٥ ص ٦٤٥ .

والليث هى المركز المدنى الوحيد على الشاطىء فى منطقة تمتد نحو ٢٠٠ كم الى الجنوب من مكة وجدة ، وتعتبر عقدة مواصلات ترتبط بالمدينتين المذكورتين بطريق ساحلى تم تعبيده « وزفلتته » ويستمر جنوبا ليربطها بجيزان ثم بالسهل اليمنى . وتقع الليث عند طرف السهل الزراعى من جهة الشمال الغربى منه والى الجنوب مباشرة من مجرى الوادى . ويفصلها عن شاطىء البحر أرض سبخية مالحة يبلغ عرضها نحو ١½ كم ويزيد عرض السباخ عن ذلك الى الشمال والى الجنوب من موقع البلدة .

تمتد الحقول الزراعية الى الشرق من هذا الموقع وذلك فى السهل الطموى الذى بناه الوادى ، ويحوى غشاء مائيا يتزود من الفيضانات . وكان يستفاد من مائه عن طريق الآبار الخاصة التى تزود القرى بماء الشرب . وتتزود بلدة الليث بالمياه من بئر حريق وتقع فى عالية الوادى وتنقل اليها بواسطة الأنابيب .

تعود أهمية بلدة الليث بالاضافة إلى كونها قاعدة منطقة زراعية فى سهل الوادى ، وسوق سكان المنطقة الاسبوعى ؛ فهى مركز إمارة الليث التى تتبع إمارة مكة المكرمة والتى يرتبط بها سكان منطقة واسعة تصل الى وادى الدوقة جنوبا والى الجايزة وإضم شرقا والى يلملم ومستابة شمالا فى الشئون الإدارية والمعاملات الرسمية ، وكانت تقع على طريق القوافل الساحلى وطريق الحجاج القديم . وقد مر من ظاهرها الطريق « المزفلت » الساحلى الحديث ، ويمكن الوصول منها الى المناطق الجبلية عن طريق الوديان . هذا بالاضافة الى أن مرفأها القديم كان المرفأ الوحيد الواقع بين جدة والقنفذة ، وتبعد عن الأولى ٢٠٠ كم وعن الثانية ١٦٠ كم .

بلغ عدد سكان الليث فى سنة ١٩٧٤م ١٧٨٠ فردا ، توسعت فيما بعد وزاد عدد سكانها بسبب ظهور عدد من المشاريع الإنشائية ، وافتتاح عدد من الدوائر الحكومية واستحداث بلدية فيها ؛ وما يتبع ذلك من توفر مجالات العمل واستقطاب عدد من القادمين اليها بسبب العمل ، وهجرة عدد من سكان اقليمها اليها . بالاضافة الى توجههم الى تطوير استثمار ثروات البحار ؛ يدل على ذلك أن البلدية منحت فى سنة ١٤٠١هـ ٢٠٠ رخصة عمل جديدة فى البحر ، منها ١٦٢ للصيد و ٥٢ لقيادة الهوارى (وهى نوع من القوارب)(١) .

---

(١) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٧ . ص ٢٢٧ .

ويتبع قضاء الليث السهل الواقع فيما بين وادى الليث ووادى عيار الذى تبدأ روافده العليا مثل منساح وقرارة من سفوح جبل بجالة ، وتضيع معالمه فى رسوبيات السهل على بعد ١٠ كم من خط الشاطىء . غير أن مياهه المتسربة فى الرسوبيات ساعدت على ظهور عدد من الحقول الزراعية على جانب طريق الجنوب . وقد نشأت قرية الوسقة على بعد ٤٠ كم فى جنوب شرق الليث بعد انشاء الخط « المزفلت » واكتسبت أهمية خاصة كمحطة على الطريق ، حيث ازدانت بالمطاعم والمقاهى والبقاليات ومحطات البنزين وجراجات السيارات .

ويتبع قضاء الليث أيضا سهل الخبت الواقع الى الشمال الغربى منها وحتى نهاية وادى سعية ، أى مسافة تزيد عن ٥٠ كم . وهو يعتبر من أكثر السهول جفافا وقحولة وهو خال من المواقع البشرية الثابتة ، إلا ما ظهر كمحطات خدمات على الطريق ، بالرغم من وصول المنطقة عدد من الوديان : مثل وادى حريق البير ، ويبلغ طوله نحو ١٥ كم ويقع الى الشمال من الليث بمسافة ١٠ كم ، ووادى الفقه ويقع الى الشمال من السابق باقل من ١٠ كم ويبلغ طوله نحو ٢٥ كم ، وينتهى فى السهل قرب بئر العبدلية على بعد ٢٠ كم عن بلدة الليث ، وذلك فى جهة الشمال الغربى منها . ووادى الغالّة ويقع الى الشمال الغربى من السابق بنحو ٢٠ كم ، ويبلغ طوله نحو ٥٠ كم ، وله روافد عديدة وهامة مثل وادى الخضراء ، واخيرا وادى سعية الذى يتكون من التقاء عدد من الروافد الهامة ايضا مثل وادى مركوب ويبلغ طوله نحو ٣٠ كم ، وفى حوضه عدد من العيون الحارة . وتغور جميع هذه الوديان فى رمال ورسوبيات السهل ولاتصل مياهها الى البحر .

ومن المظاهر البشرية التى تسترعى الانتباه فى هذه المنطقة وجود عدد من الآبار القديمة التى كانت القوافل أو بعض الجماعات البدوية التى تستأثر بالمنطقة تستخدمها مثل : بئر العبدلية فى وادى الفقه على بعد ٢٠ كم فى شمال غرب الليث ، وبئر الخضرة فى وادى الفقه ، وبئر مجيرمة فى نهاية وادى سعدية الى الشمال من هذا الاقليم . وبئر الخضراء فى وادى الخضراء على بعد ٤٠ كم فى شمال غرب الليث . وآبار وادى حريق البئر فى شمال بلدة الليث . وقد طمرت الرمال عددا من هذه الآبار ، كما نشأ حول بعضها قرى مستقرة تعيش على تربية الحيوانات والخدمات لا الزراعة .

لايعتبر بدو هذه المنطقة قليلى العدد فحسب ، بل إنهم آخذون فى التناقص فى الوقت

الحاضر نتيجة استقرار عدد منهم حول الآبار الواقعة على مفارق الطرق ، أو نزوح أعداد منهم الى بلدة الليث أو الى مدن الحجاز كمكة وجدة أو الى الرياض وغيرها . وقد زاد من سرعة نزوحهم تكرار سنوات الجفاف القاسية من ناحية وتوفر فرص العمل والخدمات فى مناطق الهجرة بحيث تغريهم على الاستفادة منها .

كانت وديان هذه المنطقة تمثل ديارا لفروع من قبيلة خزاعة وهى أزدية قحطانية الأصل وقد نزح معظمهم الى مكة ، وكان يساكنهم فى نهاية وادى عرنة بطن من الموركة من البقوم ورحل معظمهم أيضا . ويسكن بنو صاهلة الهذيلية الأصل نهاية وادى يلملم(١) .

---

(١) عاتق البلادى - المصدر السابق ونفس المكان .

الفصل السادس

منطقة سروات عسير

ونقصد بهذا التعبير منطقة المرتفعات الواقعة ضمن عسير بمعناها الواسع وليس ضمن حدود حلف قبيلة عسير ، أى ضمن حدود إمارة عسير الحالية . وتمتد من حدود الإمارة مع اليمن فى النطاق الجبلى وتنطبق على حدود المملكة معها جنوبا ، وحتى حدود الإمارة مع إمارة الباحة شمالا . وهى فى الواقع صلة الوصل بين المجموعتين : مرتفعات اليمن ومرتفعات الباحة ، وامتداد طبيعى بينهما . وتقع بين خطى عرض ٢٥ - ١٧° ش ، ٥٠ - ١٩° ش . وتبلغ هذه المسافة نحو ٣٠٠ كم من الجنوب الشرقى عند خط طول ٥٠ - ٤٣° ش الى الشمال الغربى عند خط طول ٥٠ - ٤١° ش . ويتراوح عرضها بين ٣٥ - ٤٥ كم . وبذلك تبلغ مساحتها حسب هذا التحديد نحو ١٢٠٠٠ كم٢ .

اطلق سترابو (Strabo) اسم ILASARR على البلاد الجبلية الواقعة بين بحر العرب والحجاز . وقد دعا بتولمىPtolmy سكان هذه البلاد باسم ELESORY . وكما هو واضح ان هناك صلة بين هذين التعبيرين وتعبير « عسير » الذى يحتل جزءا من ذلك الموقع حاليا . وقد ذكر بعض الباحثين وجود صلة بين تعبير عسير المذكور واسم آشور ASSUR الشعب السامى المعروف . وهو احتمال ممكن ، ولو أنه ينقصه ما يدل على وجود مستعمرات آشورية فى المنطقة .

غير أن تشارلس فورستر يؤكد هذه الصلة بطريقة أخرى ؛ وهى استيطان القبائل العربية الثلاث : العمران وعَبيدة وعسير فى السلسلة الجبيلة التى تجاور بعضها بعضا وذلك الى الشمال من صنعاء ، والتى يرجع أولئك الباحثون أنها تنتمى الى أحفاد قاطورة Keturah من مدين[1] ، وهى الزوجة الثالثة لأبراهيم الخليل عليه السلام .

---

(1) Charles Forster, Historical Geography of Arabia. Vol. 1 p. 332.

ومن الغريب ان لايرد اسم « عسير » كاسم بلاد فى تقاسيم بلاد العرب المعلومة . فقد جعل كتاب العصور الوسطى من العرب حدود اليمن فى تقاسيمهم متصلة بالحجاز من ناحيتى الجبال والسهل الساحلى . قال ابن خرداذبة مثلا : وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك ، شجرة عظيمة تشبه الغَرب ، غير أنها أعظم منه ، وهى الحد ما بين عمل مكة (أى المناطق التابعة لمكة) ، وعمل اليمن(١) والمهجرة بلدة فى أول أعمال اليمن ، بينها وبين صعدة اليمنية عشرون فرسخا(٢) .

غير أن اسم عسير كاسم لقبيلة ، عرف منذ القرون الوسطى ، ثم أطلق على حلف من القبائل كانت تسكن سراة عنز التى تمتد من « تمنية الى شعار » . وتمنية هى جبل ومنطقة تقع فى جنوب أبها بما لايزيد عن ٥٠ كم . يمثل الجبل خط تقسيم المياه بين الوديان بيشة وبيش . وشَعار اسم عقبة تشكل المجرى الأعلى لوادى طية (رافد حَلى) التهامى وتقع فى شمال أبها بمالا لايزيد عن ٣٠ كم . ولما كانت تنتسب هذه القبائل اليمانية الى « أسلم الأزد » دعيت البلاد باسم « سراة الأزد » أيضا(٣) .

قويت شوكة قبيلة عسير وتأهلت لقيادة حلف القبائل ، فتسمى الحلف باسمها . وكان يضم قبائل قد لاتنتمى اليها ولاترتبط بها بصلة النسب بل بصلة الجوار أو الخضوع . وامتد نفوذ الحلف بعيدا خارج السراة ، فسيطر شرقا على الهضبة والوديان ، وغربا على مناطق الإصدار وجبال تهامة التى أطلق عليها « تهامة عسير » وحتى الى السهل الساحلى أحيانا . طغى اسم عسير على أسماء قبائل الحلف بالاضافة الى أسماء القبائل الخاضعة له أيضا ، وأصبحت تعرف جميعا باسم عسير .

ولما جاءت الحكومة التالية ، وجدت قبيلة عسير أشد قبائل تلك المنطقة الواسعة مراسا ، وأعظمها هيبة ونفوذا ، وأكثرها عددا وعدة ، فأُطلقت عليها وعلى البلاد الموالية لها اسم « عسير » . ومن ذلك أن أطلقت الدولة العثمانية ضمن تقسيماتها الإدارية اسم « متصرفية عسير » على المقاطعة التى جعلتها تشمل البلاد الواقعة الى الجنوب من مقاطعة مكة والتى كانت تصل حدودها الى غامد ، أى على المقاطعة التى تقع بين غامد

---

(١) ابن خرداذبة – المسالك والممالك . ص ١٣٥ – ١٣٧ .

(٢) ياقوت الحموى – معجم البلدان . المجلد ٨ . ص ٢٠٨ .

(٣) الهمدانى – صفة جزيرة العرب – ص ٦٨ – ٧١ .

واليمن . وكانت متصرفية عسير فى العهد العثمانى تشمل المنطقة الجبلية والساحلية حتى البحر وتشمل هضبة الوديان فى الداخل(١) .

وقد خضعت المنطقة الجبلية المذكورة كلها لنفوذ دولة آل عايض العسيرية بعد خروج العثمانيين من البلاد عقب الحرب العالمية الأولى ، كما نشأت فى الجزء الجنوبى من ساحل المقاطعة وجبال تهامة المجاورة لها دولة الأدارسة وذلك فى « منطقة جيزان » أو « منطقة المخلاف السليمانى » . وحينما خضعت جميع هذه المناطق للدولة السعودية تشكل فيها ثلاث إمارات هى :- إمارة عسير واحتلت المنطقة الجبلية بين حدود اليمن وغامد ، وضمت جزءا من تهامة يجاور السراة يطلق عليه الآن اسم تهامة عسير ، وضمت الهضبة فى الشرق أى حوض تثليث وبيشة . وإمارة جيزان فى الجنوب الغربى وإمارة نجران فى الجنوب الشرق فى منطقة الهضبة أو حوض نجران وحبونة (انظر شكل ٣٦) .

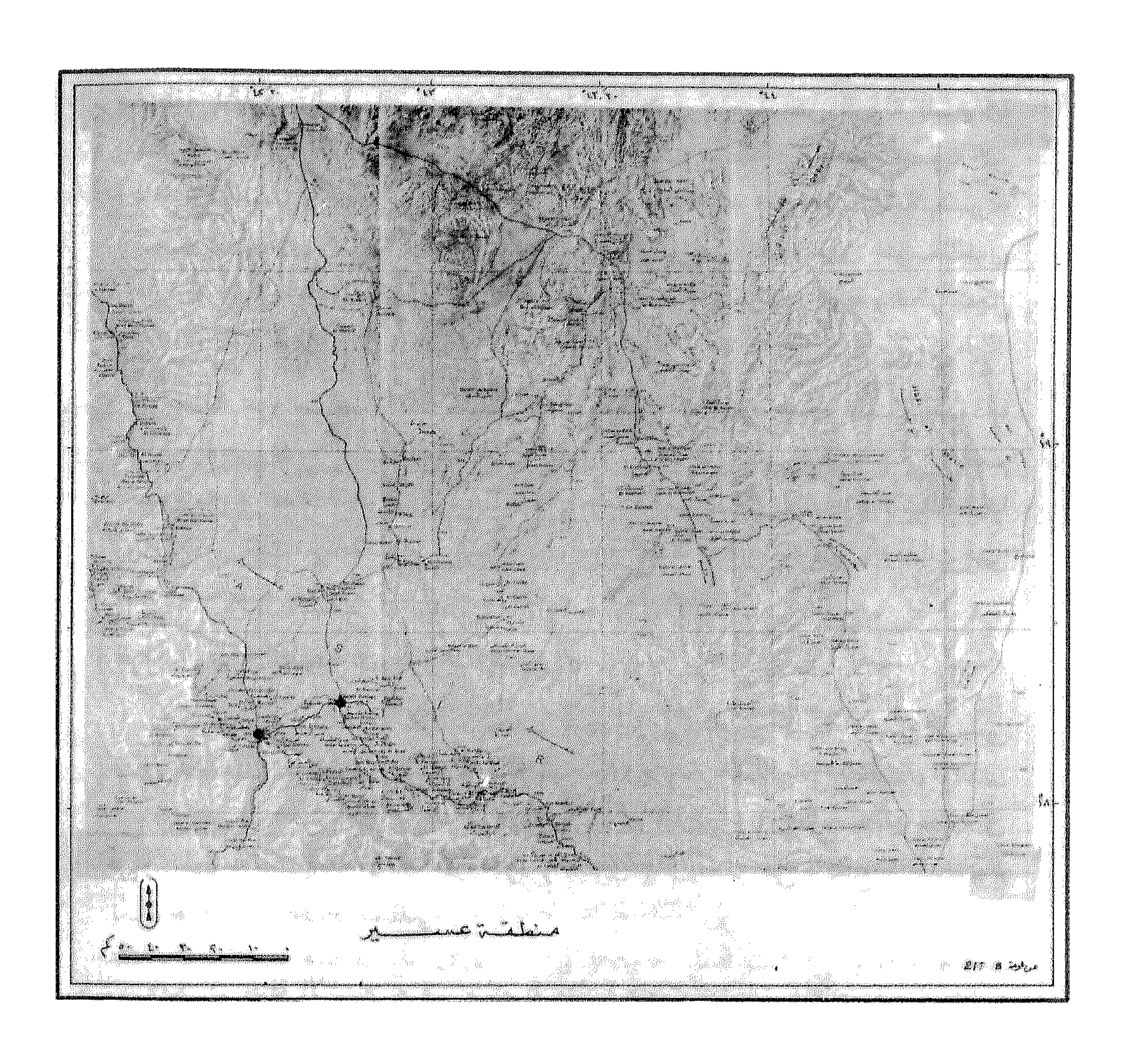
ومنطقة سروات عسير اذن تشكل القسم الجبلى من إمارة عسير حسب حدودها الحالية ، وهى بمثابة القلب بالنسبة لتلك الإمارة . وهى فى نفس الوقت تشكل القسم الجنوبى من مرتفعات جنوب غرب المملكة ، وهو القسم الأكثر ارتفاعا والأشد تعقيدا ووعورة من تلك المرتفعات أو « السروات » أو « الطود » كما يطلق عليها . ولذلك فهى تتميز بشخصية جغرافية فريدة يحسن التعرض لأهم معالمها :

ظروف البيئة الطبيعية فى سروات عسير :

تشكلت سروات عسير شأن مرتفعات غرب الجزيرة العربية نتيجة الانهدام الرئيسى الذى خضعت له الهضبة العربية - الافريقية خلال الزمن الجيولوجى الثالث ، والذى نتج عنه هبوط الجزء الذى يلى خط الانكسار باتجاه الغرب ، وارتفاع حافة الهضبة فى شرق خط الانكسار ؛ الا أن هذا الجزء (الشرق) لم يستقر على ارتفاع واحد ، ولم تكن حافته على امتداد مستقيم .

ومع أن حافة الانهدام تعرضت لتعرية متمادية دامت عشرات الملايين من السنين ، وذلك منذ أن برزت كسطح مرتفع ومتميز عما يجاورها ، الا أنها مازالت ماثلة فى طبوغرافية المنطقة كحائط هائل يسقط بشكل قائم أو شبه قائم أحيانا باتجاه الغرب أى

(١) انظر فؤاد حمزة ، المصدر السابق . ص ٨٥ - ٨٨ .


منطقة عسير

باتجاه تهامة . وبرز الحد الفاصل بين السفوح الشرقية والغربية ظاهرا كحد السيف يشكل أعلى القمم . وقد أطلق المواطنون على هذا الحد القائم اسم « الشفا » أو « الشعف » جمعها « شعاف » . وسنستعمل التعبير الثانى – فى الصفحات التالية – للإشارة الى المناطق التى يبدأ عندها الانحدار الشديد نحو الغرب ، لأن التعبير الأول كثيرا ما اقتصر على مناطق محددة من الشعاف ، عرفت بها .

وينحدر سطح الكتلة الجبلية فى خلف خط تقسيم المياه باتجاه الداخل انحدارا تدريجيا بتأثير الميل العام الذى اتخذته حافة الهضبة نحو الشرق فى شرق منطقة الانهدام . وقد نتجت طبوغرافية الأرض الحالية من تعرية الكتلة الهضابية بعد ارتفاعها وميلها باتجاه الشرق ، فحفرت الوديان التى اتجهت نحو الداخل بتأثير الميل العام بعمق وانتهت إلى الهضاب الداخلية .

أما الجانب الغربى فقد ظهرت نتيجة الهبوط كالسد المنيع الذى لايمكن ارتقاؤه أو عبوره ، إلا من فجوات محدودة حفرتها رؤورس الأودية الغربية وطورتها نتيجة النحت المتراجع فكسرت حواف الشعاف ، أطلق عليها اسم « العقبات » . ولاتكون هذه العقبات صعبة وحسب ؛ بل أنها تصبح خطرة جدا فى أوقات سقوط الأمطار وعقب جريان السيول والفيضانات لكثرة الانزلاقات الصخرية . وقد عملت هذه الطبوغرافية على منعة هذه البلاد ، فظلت بعيدة عن أطماع الفاتحين والغزاة .

ولم يكن ثمة من بد أن تفرض هذه العقبات نفسها على مواضع الطرق الحديثة التى تصل المناطق الجبلية بتهامة ، لأنه يستحيل إقامتها فى أماكن أخرى ؛ مثل عقبة ضَلَعَ فى جنوب غرب أبها (أبها – الدرب – جيزان) ، وقد تعطلت عدة أشهر عقب أمطار فجائية على عسير فى ربيع ١٩٧٢م وتعرضت لتخريب شديد . وطريق عقبة (أبها – شعار – محايل) وعقبة الأبناء (بلجرشى – عقبة الأبناء – نمرة) . ويجرى العمل الآن على إنشاء طريق (الباحة – عقبة الباحة – وادى راش – المخواة) .

تقع الكتلة الجبلية ضمن إقليم الدرع العربى الذى يتكون من الصخور النارية الأركية البلوتونية والمتحولة ، ولاتخلو من بعض البقع الصغيرة من صخور البازلت البركانية . وتتصف هذه الصخور بالاضافة الى صلابتها بأنها كتلوية تجاور بعضها بغير نظام وأنها كتيمة لاتمرر المياه ولا تحتفظ بها . غير أن أهم الصخور السائدة فيها الجرانيت ومجموعة صخور الجرانيت الأخرى والشست بأنواعه والديوريت والحجر الأخضر .

ورغم صلابة هذه الصخور فقد أزالت عوامل التعرية منها كميات هائلة وشقت فيها شعابا كثيرة جدا . ومن الطبيعى أن تنتظم الشعاب تبعا للبنية فى اتجاهين ؛ اذ شرّق بعضها نحو الهضاب الداخلية ، وغرّب بعضها نحو تهامة فالسهل الساحلى فالبحر . مما حول طبوغرافية الاقليم الى مجموعة من القمم الشامخة أو الطامنة ، والوديان السحيقة أو المفتوحة ، وبين هذه وتلك فراع واسعة (هضاب مرتفعة واسعة) ، وقد تكون هذه الفراع والسفوح العالية مأهولة بالسكان ومستثمرة بالزراعة أو تشغلها النباتات الطبيعية الدائمة الخضرة ، ونادرا ماتكون جرداء كالسفوح الشديدة الانحدار .

وإجمالا يقع معظم إقليم سروات عسير على ارتفاع يزيد عن ١٩٠٠م عن سطح البحر ، ويتراوح ارتفاع الشعاف التى تشرف على اقليم تهامة المنخفض بين ٢١٠٠ – ٢٥٠٠م ، ويرتفع جبل « سودة » الذى يعتقد أنه أعلى قمة فى المملكة العربية السعودية والذى يقع الى الشمال الغربى من مدينة أبها ٣١٣٣م . وقد اقيم بالقرب منه قرية سياحية حديثة كجزء من مشروع تطوير مصايف مدينة أبها .

ونظرا لأهمية تقدم الرؤوس العليا للوديان بعملية النحت المتراجع من كلا الجانبين يبدو من المفيد ، ذكر أهم هذه المجارى فى كل جانب على حدة . فمن أهم الوديان التهامية(١) (شكل رقم ٣٢) :

(أ) **روافد وادى بيش** : كالمجارى العليا للوديان : الدفاع وضبعة والقاعة وعطف ورجا وتهبط من شعاف جبال وادعة . وروافد الوديان : بيشة (التهامى) والعوراء وتهبط من جبال قحطان ، وعقبة القرون وتهبط من سراة عسير الجنوبية .

(ب) **روافد وادى عتود** : وتبدأ بعدد من العقبات الشديدة الانحدار هى العقبات(٢) : المسقى (فى شمال تمنية) ، وآل يزيد ، وعتود ، وعضاضة ، والهضبة وضَلع ، وتهبط من سفوح سراة عسير وتنتهى الى وادى ضَلع . والعقبات : خيمة (من الملصة) ولولاه (من الباطنة) ، وخثيعة (من المهل) ، وآل الحارث ، والصّليف ، ورَيْدة (من السقا) ، وضفضاف ، والطهار ، والقرون (من جبل سودة) ، وتهبط جميعها من سراة عسير الى وادى مَرِبة .

(١) انظر خرائط المنطقة خاصة لوحتى 217B, 216B مقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠ .

(٢) انظر فؤاد حمزة – فى بلاد عسير . ص ٩١ – ٩٢ .

(ج) **روافد وادى حلى** : : وتبدأ بالعقبات : توالب والصّماء وفودة ووسانب وتنتهى الى حَلى فى بلاد رجال ألمع . والعقبات : قضا (من شعف آل عاصم) ، ورِجْم (شعف آل حارث) وشَعار (على بعد ٢٨ كم شمال أبها) وتبدأ من شعاف شمال عسير وتنتهى الى وادى طَيِّة (رافد حلى) . وتنحدر عدة عقبات من بلاد بالأحمر (مثل عقبة فتاح) الى بلاد مشول ثم طية . وعدة عقبات أخرى من بلاد بالأسمر وبنى شهر الى وادى بقرة فى جنوب البارق فوادى حَلى .

(د) **روافد وادى يبا** : وتهبط من بلاد بنى شهر وبنى عمرو وبالقرن عدة عقبات من كل منها وتنتهى الى وادى شراء ووادى الخطوة ، ثم وادى ختبة ووادى غَطْ ، ووادى قرية كالذى ينتهى الى غَط فوادى يَبا (شكل ٣٤) .

(هـ) **روافد وادى قنونة** : وتهبط من بلاد بالقرن عدة عقبات تنتهى الى وادى قنونة .

أما الوديان الداخلية فبالرغم من كثرتها فانها تلتقى مع بعضها فى عدد محدود من الأودية نظرا لامتدادها الكبير فى الهضبة الداخلية وأهمها ابتداء من الجنوب :-

(أ) **روافد وادى نجران** : ويبدأ قسم منها من داخل الحدود اليمنية ، ويبدأ القسم الآخر من سفوح سراة وادعة الشرقية مثل الوديان : ذى كحل وثعبان وحصن ويتجه شرقا .

(ب) **روافد وادى حبونة** : وتبدأ من السفوح الشرقية لسراة وادعة وقحطان الى الشمال من روافد الوادى السابق مثل الوديان : الحاجر وقتام والعرين (ويمر من ظهران) والعيل ، وقرن وطلحة ورشاد . ويتجه الوادى بعد اجتماع هذه الروافد شرقا مثل نجران .

(ج) **روافد وادى تثليث** : وتبدأ من سراة قحطان أهمها الوديان(١) : المجمع ، وجناب وينتهيان الى القصب ، وسروم وراحة سنحان وراحة شريف ، والحرجة وملاحة ويَعوص والوتيرة والحظيرة وطريب (من سراة عَبيدة) ، والهيج (من بنى طلق) ، والمسيرق (من بلاد شهران) ، والقاعة (من عقدان) .

(د) **روافد وادى بيشة** : وتصرف سفوح السراة من شمال بلاد قحطان حتى بداية سراة الحجاز وأهمها الوديان : تندحة (من سراة عبيدة ورفيدة) ، الخميس (من آل

---

(١) انظر فؤاد حمزة - نفس المصدر ، ص ١٤٣ - ١٤٧ .

المسيرة) ، وأبها « الخبيبى » (السّقا) ، وحَمْرة (من تَهْلَل) ، والمَلاحَة (من عَلْكم) ، وأتانة (من الطلحة) وجوحان ، وعتود فى شمال أبها وكلها من سراة عسير .

وتنحدر اليه عشرات الروافد من سراة الحجر تجتمع كلها فى :

١ – وادى ترج وأهمها الوديان(١) : ترجس (من منطقة الثماص) ويصب فيه نحيان وحضَر ووادى الباحة وتصب فيه : زيد ، والسرو ، والقيمة ، والجَارةَ (من الخضراء) . ووادى عُوصْ وتصب فيه : طَريفْ وغضار ، ورنما ، وعياش ، والحصباء (من السَّهْوة) ، ووادى ماسرة وتصب فيه : آل سلمة ، وآل الزَّارِيّة والحَنيك وثعبْة وآل سلمان ، ودحيم وسبت حجاب .

٢ – وادى تبالة وتنحدر روافده من بلاد بالقرن مثل غنطار وشيبانة ومهرة والعلايا .

٣ – وادى بطنة الحبيب ويقع بين تبالة وشواص .

(هـ) **عالية وادى رنية** : (وادى شواص) وتنحدر من بلاد خثعم وشمران مثل وادى دمة .

يقع إقليم سروات عسير ضمن خطوط عرض مدارية وفى غرب شبه الجزيرة العربية ، لكنه يتميز عن غيره من المناطق المدارية المجاورة والداخلة ضمن حدود المملكة وذات المناخ الصحرواى الجاف ؛ بارتفاع التضاريس كثيرا ومواجهة تلك التضاريس للرياح الجنوبية الغربية والرياح الشمالية الغربية ، اللتين تحملان الرطوبة من الأصل وتزداد رطوبتهما بمرورهما من فوق البحر الأحمر ، وتمثل هذه المناطق معبرا لتقدم المنخفض السودانى باتجاه الشرق ، وموطنا لتقابله بكتل هوائية قطبية شرقية وشمالية شرقية – فى كثير من الأحيان – فينتج عن تقابلها الاضطرابات الجوية وسقوط الأمطار .

ولذلك وجدنا أن هذه المناطق الجبلية شكلت إقليما مناخيا مميزاً يختلف عن الأقاليم المناخية فى شتى أرجاء المملكة سوى الأقليم المتكون من امتداد هذه المناطق الجبلية باتجاه الشمال وذلك فى جبال الحجاز لأنه يعتبر مكملاً لها .

---

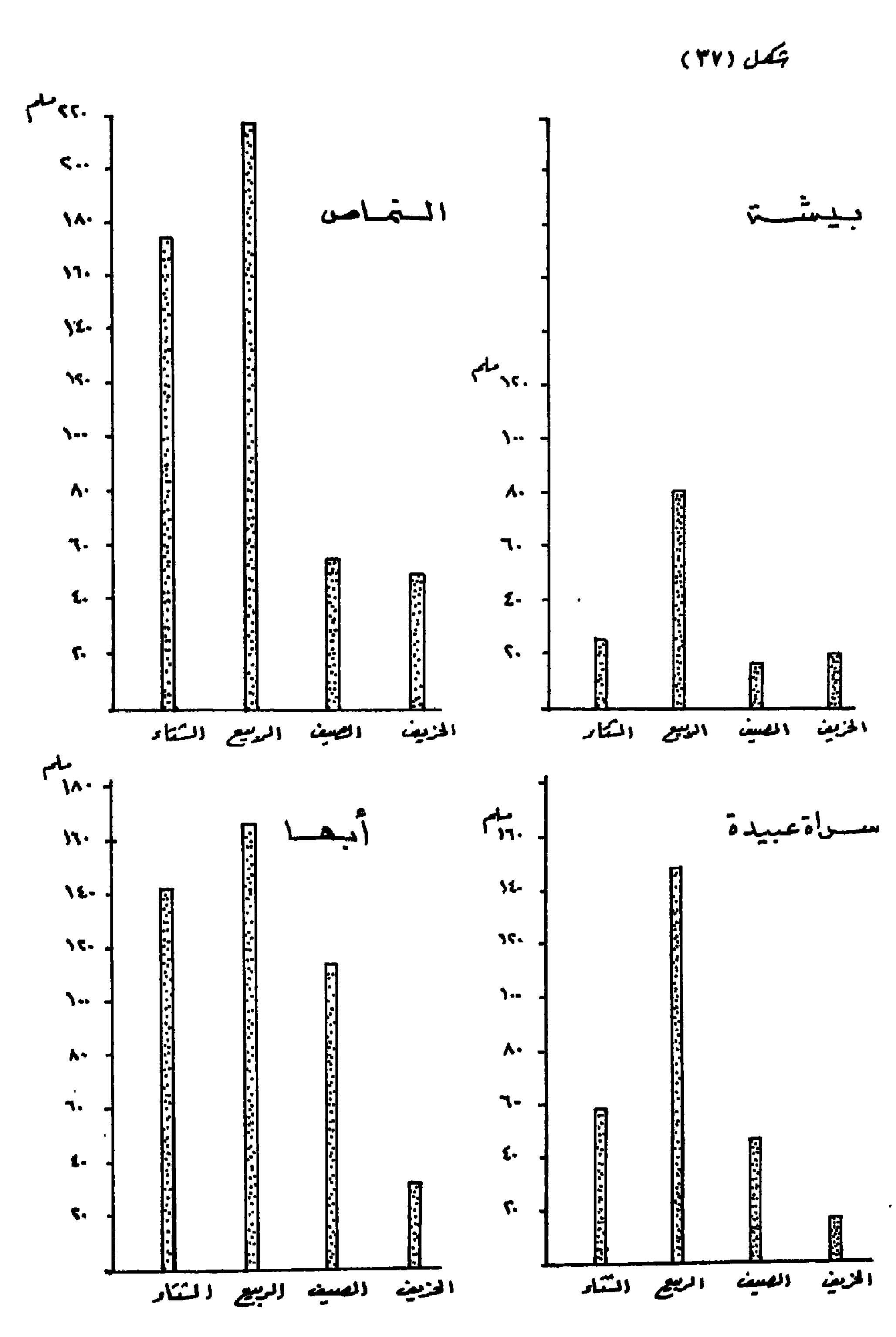
(١) عمر العمروى – فى بلاد بنى عمرو ومايجاورها ، مجلة العرب ج ٧ ، ٨ السنة ٨ ، ص ٦٢٩ – ٦٣٥ .

وأهم مايميز مناخها اعتدال جميع معدلات الحرارة في الصيف وفى الشتاء لدرجة صار معها أكثر أقاليم المملكة اعتدالا فى حرارته صيفا ، وصار باردا فى الشتاء . ولو أنه لم يبلغ أبردها بسبب قلة الفروق الحرارية السنوية بالقياس الى الإقليم الشمالى القارى الصفات ، والذى سجل أبرد مناطق المملكة شتاء . فقد انخفض معدل درجة الحرارة السنوية فى أبها الى ١٦°م ، وفى بالأسمر الى ١٤°م ، وفى النماص ١٥°م ، فى حين أن المعدل يزيد عن ٢٠°م فى جميع محطات المملكة غير الجبلية ، بل ويزيد فى بعضها عن ٣٠°م . وبلغت معدلات الحدود القصوى فى المواقع الثلاثة السابقة ٢٢°م ، ٢٠°م ، ٢٠°م على الترتيب ، ومعدلات الحدود الدنيا فيها ١١°م ، ٩٫٥°م ، ٨°م على الترتيب . وبذلك بقيت الفروق الحرارية السنوية معتدلة القيمة . فالمعدلات الحرارية والفروق الحرارية تشبه الى حد كبير محطات تلال حوض البحر المتوسط القليلة الإرتفاع .

وتستقبل هذه المرتفعات تساقطا من الأمطار متوسط الكمية ، يتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠ ملم . ولكن هذه الأرقام المتواضعة تجعلها بالنسبة للمحطات الأخرى أغزر مناطق المملكة بالأمطار . وتمتاز بأنها تسقط في جميع فصول السنة ، ولو أن أكثرها يسقط فى الربيع وأقلها فى الخريف . وتجلبها صيفا الرياح الجنوبية الغربية شبه الموسمية التى تهب عليها بفعل تأثير تمركز الضغط المنخفض الصيفى على هضبة الحبشة ، كما يجلبها فى الشتاء والربيع تقدم أعاصير جنوب شرق البحر المتوسط عبر حوض البحر الأحمر ، وتقدم المنخفض السودانى باتجاه الشرق ومقابلته الكتل الهوائية الباردة القادمة من الشمال أو الشرق خاصة فى فصل الربيع (انظر شكل ٣٧)

وقد بلغت المعدلات السنوية للأمطار الساقطة للفترة بين ٦٦ - ١٩٨٢م فى بعض المحطات العالية : ٤٧٥ ملم فى تمنية ، ٣٥٠ ملم فى العامر ، ٣٤٧ ملم فى أبها ، ٥٣١ ملم فى السودة ، ٤٤٥ ملم فى العين ، ٤٧١ ملم فى بالأسمر ، ٤٤٧ ملم فى النماص ، ٤٥٣ ملم فى العلايا . ولكن هذه المعدلات تقل بشكل واضح فى منقلب السراة بالاتجاه الشرق حيث تنخفض الأرض وتتوارى خلف الشعاف العالية . أى أنها تسير حثيثا لتصبح فى ظل المطر . وعلى سبيل المثال فقد بلغت المعدلات السنوية فى بعض المحطات الخلفية : ١٩٥ ملم فى ظهران الجنوب ، ٢٤٢ ملم فى الحرجة ، ٢٣٩ ملم فى سراة عبيدة ، ٢٤٧ ملم فى خميس مشيط ، ٢٣٦ ملم بنى مالك (عسير) .

وعلينا أن ندخل فى الاعتبار بالاضافة الى هذه الأمطار قيمة التساقط غير المسجل ، والمتمثل فى الضباب والندى اللذين يحدثان كثيرا فى المرتفعات الجبلية . وندخل فى



المعدلات الفصلية للأمطار في بعض محطات إمارة عسير

الاعتبار ، كذلك تباطؤ التبخر بالقياس إلى لأقاليم الأخرى بسبب اعتدال معدلات الحرارة ؛ الأمر الذى يجعل هذا الاقليم يتمتع بميزات مناخية فريدة فى المملكة لافى اقليم جنوب غرب المملكة وحده ، لايشاركه فيها سوى اقليم سروات الحجاز ، كما ذكرنا .

وقد انعكست هذه الظروف المناخية المميزة على مراحل نضج التربة على السفوح الجبلية وعلى الغطاء النباتى الكثيف ؛ إذ تحولت الأرض الى مناطق دائمة الخضرة ، وقد تتكاثف الأشجار فى بعض المساحات مشكلة الغابات ، وقد تتباعد الأشجار فتسمح بتشكيل غطاء عشبى غنى . ويملك هذا الاقليم مع مرتفعات الحجاز ومرتفعات تهامة معظم ثروة المملكة من الأشجار ، كما تملك هذه المناطق أهم ثروة عشبية فيها .

وتقع بلدة الرباع قاعدة بنى حسن فى رحبة متسعة من الأرض كثيرة التموج فى عالية وادى رسباء وذلك فى غرب هذه المنطقة وتسود أشجار العرعر فى المناطق الأكثر ارتفاعا أو الأفضل مواجهة للرياح التى تجلب الرطوبة ، وتزداد أهمية الأكاسيات فى المناطق التى يتقهقر فيها العرعر ، فيظهر الطلح والسمر والسلم . كما تكثر أشجار السدر والزيتون البرى (العتم) والبطم البرى ، والشث (الديدونيا) والأثل العربى والتين الشوكى وغيرها .

لقد تعرض كثير من مناطق الغابات القريبة من مواقع استقرار السكان للقطع الجائر بسبب الاحتطاب واستعمال الأخشاب وإنتاج الفحم وزيت الخشب والقطران ، وبسبب التوسع الزراعى فى أماكن الغابات أحيانا ، وبسبب رعى الأشجار الصغيرة أو قضم الأوراق والأغصان الغضة وبراعمها فى السنوات الجافة ، وكذلك قطف الأوراق لبعض الاستعمالات كقطف أوراق الشث لدباغة الجلود أو غيرها لتقدم أعلافا للحيوانات .

ولايخفى أن فى إزالة الغابات محاذير كثيرة ، ليس أقلها تعرض التربة للانجراف لأن الأرض الخالية من النبات تسهل نحت السيول الجارفة أو عسف الرياح . فتعمل السيول على طمر السدود فتفقد فاعليتها نتيجة ترسب الطمى . ومن محاذيرها سرعة جفاف الوديان بعد انتهاء موسم الأمطار . فضلا عن أهمية الغابات فى تعديل الطقس ، وفى إضفاء المناظر الجميلة على الأقليم بالاضافة الى الثروة الخشبية التى توفرها ، فقطعها يلغى هذه الخصائص .

ولاتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية هذه الثروة الوطنية من التدهور والانقراض أنشىء قسم الغابات بوزارة الزراعة فى عام ١٩٦٢م ليقوم بهذه المهام . ومن الجدير بالذكر انه أدخل الى هذه المنطقة عدد من أنواع الأشجار الخشبية السريعة النمو . مثل اليوكاليبتوس والكازورينا والصنوبر والسرو لتحسين نوعية الخشب وزيادة الإنتاج الحرجى فى فترة قصيرة .

وتؤوى هذه الغابات العديد من أنواع الحيوانات البرية آكلة اللحوم والأعشاب منها : النمور والذئاب والثعالب والقردة والغزلان والأرانب البرية وأبو النيص والقنافذ ، والكثير من أنواع الزواحف كالثعابين والسحالى ، والحيوانات البرمائية والطيور ، وحتى الأسماك النهرية وجدت فى بعض الجداول والغدران التى تغذيها ما يسقط على الغابات المجاورة لها من أمطار . ويذكر فى الماضى وجود الأسود والفهود والضباع والنعام ويبدو أنها انقرضت منذ قرون .

ونظرا لطبيعة تركيب صخور هذه المناطق ؛ فقد كانت عوامل النحت أبطأ من عوامل النقل والترسيب فى ظل المناخ السائد . فظهرت مساحات واسعة من الجبال مجردة من التربة ، لاسيما على السطوح الشديدة الانحدار . ومع ذلك فقد حفرت المجارى العليا للوديان بعمق شديد وجرفت كميات هائلة من فتات التعرية وطمرت به بعض قطاعات من مجاريها بالاضافة الى المنخفضات . وبنت سهولا رسوبية خطية تسير مع سير الوديان ، استطاعت أن تنبت غطاء نباتيا لايقل كثافة عنه فى السفوح العليا . ولكن يلاحظ أن هذا الغطاء تتناقص كثافته بسرعة إذا ابتعدنا عن المجارى .

نشاط السكان فى سروات عسير :

تفسر هذه الخصاص الطبيعية التى امتازت بها مناطق المرتفعات الجبلية سبب أسبقيتها بالقياس الى أقاليم الجزيرة العربية الأخرى ، فى إغراء السكان على الاستقرار وهجرهم حياة الترحل . فمنذ عهود بالغة القدم استطاع مستوطنوها تحويل سفوح المرتفعات العليا الى مدرجات جبلية باقامة جدر حجرية للحفاظ على التربة من الانجراف لتقوم عليها الزراعة . كما استطاعوا تحويل بطون الأودية ، خاصة الأودية الهامة ذات التربة الطموية ، الى مصاطب مجاورة للمجارى ومرتفعة عنها ، لتقوم عليها الزراعة أيضا .

وقد اعتمدت الزراعة فى الأولى اعتمادا كاملا على الأمطار ؛ لأن كمياتها كافية الى حد ما ، ويسقط معظمها فى فصلى الربيع والصيف ، أى فى فصلى النمو والإنبات ، ولا

ينقطع سقوطها تماما فى الفصول الأخرى . والأهم من هذا أنه لاتوجد موارد مائية أخرى بديلة . واذا انحبس سقوط المطر فترة ما ، فان كثرة تشكل الندى والضباب يعوضان النباتات عما تحتاجه من المياه حتى تقوم بوظائفها الحيوية دون أن تتعرض للجفاف . وقد زرع الفلاحون النباتات التى لا تحتاج الى كثير من الرطوبة كالقمح والشعير والعدس .

ولكنها اعتمدت فى الثانية جزئيا على الأمطار ، لأن الأمطار وحدها غير كافية لإقامة الزراعة لولا الاستفادة من المياه المنحدرة من السفوح الى الوديان والتى تتجمع فى المجارى الرئيسية لاسيما فى أوقات الفيضانات فتزود المجارى بالمياه وبالتربة الطموية . وقد أقام المواطنون عقوما ترابية فى المجارى لإدخال مياه الفيضان فى المصاطب المجاورة لها .

واذا تعرض الاقليم لمرور سنوات جدب تنحبس فيها الأمطار لمدة أطول تعذرت حتى زراعة الحبوب فى الأماكن التى لاتصلها مياه الآبار التى تحفر فى طمى الوديان ، والتى كانت تسحب منها المياه بالطرق التقليدية باستخدام الحيوانات أى « السوانى » . ونظرا لضآلة المخزون من المياه فان مياه الآبار ذاتها تقل فى سنوات الشح بحيث تتعذر الإستفادة منها أيضا ، بل أن الكثير منها ينضب فى مثل تلك السنوات .

واحتياطا لظروف سنوات القحط كان أهل السراة يعمدون الى خزن الحبوب فى مخازن خاصة تحت الأرض وبعيدا عن الرطوبة بحيث لايتسرب اليها السوس ، ليقتاتوا بها ويحتفظوا بقسم منها كبذار للمواسم الجديدة . وعلى العكس من ذلك تكثر الخيرات من المنتوجات الزراعية والحيوانية فى سنوات الامطار الغزيرة .

لقد بلغت مساحة الارض الزراعية فى مناطق الجبال وواحات السفوح – وهذه تشمل جبال الباحة أيضا – ٢٤٫٥٠٪ من مساحة الأرض الزراعية فى المملكة فى سنة ١٩٦٨م(١) ، وهذا يجعل نصيب مرتفعات عسير لاتقل عن ١٥٪ . فى حين أن نتائج التعداد الزراعى الشامل لعام ٧٣/ ١٩٧٤ أوضحت أن مساحة الأرض الزراعية لم تتجاوز فى إمارة عسير ٣٨٨٠٠ هكتار(٢) أى أقل من ١٠٪ من المجموع .

---

(١) حسن حمزة حجرة – إمكانية التنمية الزراعية ، ص ١٧

(٢) وزارة الزراعة . شعبة الاحصاء الزراعى – نتائج التعداد الزراعى الشامل ١٩٧٤/٧٣ . الرياض ١٩٧٧ .

غير أن بيانات وزارة الزراعة أعطت ارقاما متضاربة عن مجموع المساحة المحصولية فى إمارة عسير فى سنوات مختلفة (وإمارة عسير تضم أراضى بيشة وتهامة عسير معها أيضا) . ولو أنها تراوحت بين ٥٠٠٠٠ - ٦٥٠٠٠٠ دونما فى السنوات الأخيرة . وقد بلغت نسبتها الى مجموع المساحة المحصولية فى المملكة فى السنوات الزراعية ١٩٧٧/٧٦ ، ١٩٧٨/٧٧ ، ١٩٨٠/٧٩ ، ٧ر١١٪ ، ٦ر١١٪ ، ٥ر٨٪ على التوالى(١) . ومع ذلك فان هذه النسب تبلغ خمسة أمثال ما كانت عليه سنة ١٩٧١/٧٠م(٢) .

واذا غضضنا الطرف عن تضارب الارقام السابقة ، واعتمدنا أرقام السنوات الأخيرة فقط ، والتى أبدت اتزاناواضحا فى تغيرها ؛ سنلاحظ أولا : قلة المساحة المحصولية بالقياس الى مساحة الأرض الزراعية ، وهذا طبيعى جدا بسبب اعتماد معظم أراضيها على انتاج محصول واحد فى السنة فقط ، وهو فى الغالب المحصول الشتوى لأنها تعتمد فى زراعتها على الأمطار من ناحية ، وبسبب برودة فصل الشتاء حيث تتعطل فيه عملية الإنبات من ناحية أخرى .

وسنلاحظ ثانيا أن نسبة المساحة المحصولية فى عسير بالقياس إلى مجموعها فى المملكة تتراجع باضطراد . ولايعود ذلك الى تناقص مساحة الارض الزراعية فيها بقدر مايعود الى تزايد مساحة الارض الزراعية فى مناطق أخرى ، وتكثيف الزراعة فى بعض المساحات المزروعة سابقا ، دون أن يحصل شىء من ذلك فى مناطق الجبال .

لقد أشارت تقارير الشركات الاستشارية التى عملت مع وزارة الزراعة منذ الستينات الى عدم قدرة هذا الاقليم على زيادة مساحة الأرض المزروعة فيه ؛ ولكنها أشارت الى قدرتها على رفع الانتاجية فى الأراضى المزروعة سابقا . ولكن لايستبعد أن يعزى تراجع المساحة المحصولية ـــ ولو جزئيا ـــ الى اتجاه بعض الفلاحين الى هجر العمل الزراعى وسفرهم للتفتيش عن أعمال أخرى فى مناطق أخرى من المملكة ، لأن إقليم الجبال هو الاقليم الزراعى الوحيد تقريبا الذى تعتمد الزراعة فيه على الأمطار وهى قليلة ومتذبذبة وغير مضمونة .

---

(١) حسبت هذه النسب من الأرقام التى أوردها الكتاب الاحصائى السنوى . العدد ١٧ ، ص ٤٨٩ .

(٢) ملخص نتائج بحث المساحة والانتاج للعام الزرعى ٧٠/ ٧١ . ادارة الابحاث والتنمية الزراعية ، فى ٢٠/ ٢/ ١٩٧٤ .

وعلى أية حال فقد ساهمت إمارة عسير (وهى كما ذكرت تضم بيشة وتهامة عسير) فى الموسم الشتوى ٧٩/١٩٨٠م بانتاج ١٨٪ من قمح المملكة و٣١٪ من شعيرها ، و٢١ ٪ من دخنها (الشتوى) ، و ٥ر٩٪ من الذرة الشتوية . وساهمت أيضا بانتاج ٤٧٪ من الذرة الصيفية لذلك العام(١) . وانتجت كذلك نسب مختلفة من الخضروات خاصة الباذنجان والبطاطس والكوسى ، والفواكه خاصة الموالح والتمور والعنب . بالاضافة الى نسبة كبيرة من البرسيم والاعلاف .

ونستدل من مطالعاتنا لبيانات الانتاج لسنوات مختلفة أن إنتاج منطقة الجبال لايسير على وتيرة واحدة ، بل هو شديد التذبذب ، ويعود ذلك بالدرجة الأولى الى اعتماد الزراعة على الأمطار . ونستدل كذلك على أن أهم الحاصلات الزراعية فيها هى الحبوب الغذائية خاصة القمح والشعير والدخن والذرة . فالحبوب هى الغذاء الرئيسى للسكان . ولابد من انتاج كميات وافرة منه ، حتى يتم تأمين الأسرة من المواد الغذائية على مدار السنة . ولاينزل الأسواق بعد مواسم الحصاد سوى مايفيض عن حاجة الأسرة منه لمدة عام كامل على الأقل .

وقد بدأ مؤخرا الاهتمام بزراعة الخضروات فى الموسم الشتوى والموسم الصيفى بعد أن التُفِت الى الخضروات كمواد غذائية ، وبعد زيادةالطلب عليها فى الأسواق المحلية . وبدأ الاهتمام كذلك بالإكثار من زراعة الفواكه والأشجار المثمرة كالرمان والتين والعنب والخوخ والتفاح وغيرها بقصد الربح المادى ، وذلك بعد أن زاد الطلب عليها أيضا فى الاسواق القريبة ، وبعد تحسين طرق المواصلات التى ساعدت على تسويق الانتاج . ولكن لاتزال حاصلات الفواكه فى السروات قليلة بشكل عام ولاتغطى سوى جزء من حاجة الأهلين .

ومن المنتجات الهامة فى جبال عسير : العسل بفضل اعتناء المواطنين بتربية النحل . والعسل فى عسير عدة أنواع لبعضها شهرة خاصة . فقد ذكر فؤاد حمزة أن منها نوعاً يجنى منه عسل ناصع البياض بلون السكر النقي يسمى « مُجرَيٌّ » وهو طيب النكهة والمنظر . ونوع آخر عسله أحمر يسمى «شوكة »(٢) .

---

(١) استخلصت جميع هذه النسب من البيانات الواردة فى الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٧ ، ص ٤٨٩ وما بعدها .

(٢) فؤاد حمزة ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

ومثلما استطاع سكان مرتفعات عسير اخضاع مساحات من بلادهم— سواء على سفوح المرتفعات العليا أو فى بطون الأودية– للإنتاج الزراعى ؛ فقد أخضعوا المساحات الأخرى للعمل الرعوى . وذلك لضيق المساحات الزراعية وعدم قدرتها على انتاج الكثير من المواد الغذائية من ناحية ، ولغنى الإقليم عامة بالثروة العشبية ، ومن المعروف ان نربية الحيوانات يمارسها كل من المستقرين والبدو .

وهذا يفسر تفوق المرتفعات من بين مناطق المملكة بامتلاك الثروة الحيوانية وانتاجها ، بالرغم من صغر مساحتها ومن انتشار مهنة الرعاية فى جميع أقاليم المملكة . كما يفسر ارتفاع نسبة البدو من بين سكانها فى الوقت الذى تعتبر فيه أول الاقاليم الزراعية فى المملكة .

وأهم المنتوجات الحيوانية فى مرتفعات عسير الأبقار والأغنام والماعز . ولاتوجد الإبل فى المناطق الجبلية كثروة حيوانية نظرا لصعوبة التضاريس ووعورة الأرض وشدة البرد وضيق المراعى . وتدل الاحصائيات أن إمارة عسير – وهى تضم مساحة واسعة من الهضبة – تملك ٢٨ ٪ من أبقار المملكة و٣٤ ٪ من أغنامها و٢٩ ٪ من ماعزها و١٤ ٪ من جمالها ، وملك كذلك ٣٨ ٪ من دواجنها(١) . وبذلك فان عسير وجيزان تملكان معظم ثروة المملكة الحيوانية .

وجبال عسير غنية بمختلف المعادن الفلزية ، وكان يستثمر قسم منها بطرق بدائية لكنها الآن غير مستغلة إطلاقا . فقد عرف وجود الحديد مثلا فى جبل تَهْلَل بجوار السودة وفى سوقة . كما عرفت مناجم الرصاص الفضى والمركبات الكبريتية فى مناطق متعددة ، وعرف منجم للنحاس بجوار بنى شهر ، واستخرج الملح الصخرى من السفوح الغربية لهذه السلسلة . إلا أن استثمار هذه المواد بشكل اقتصادى يحتاج الى إجراء دراسات جيولوجية دقيقة للتثبت مما هو موجود منها وللتأكد من درجة ربحيتها .

وتبعا لذلك فان النشاط الصناعى ضعيف جدا فى عسير ويقتصر على وجود عدد محدود من الوحدات الصناعية الصغيرة وعدد من الصناعات الريفية أو الحرف اليدوية . وبعد أن كان يندر وجود وحدات تستخدم اكثر من عشرة عمال بدأ بعضها يظهر تباعا مثل المخابز الاتوماتيكية والمطابع ومعامل المشروبات الغازية والمتجات الاسمنتية .

---

(١) استخلصت هذه النسب من الكتاب الاحصائى السنوى . العدد ١٧ . ص٥٠٦ .

لقد سبق وأن رأينا أن صعوبة المواصلات كانت سببا من أسباب انعزال وتأخر اقليم نجود تهامة، فالوضع يعتبر اكثر صعوبة بالنسبة لجبال عسير بسبب شدة الانحدار والارتفاعات الشاهقة واعتراض الوديان السحيقة ، والعمق الجغرافى بسبب العزلة من جميع الجهات مما يعيق إشادة جميع أنواع الطرق . ولذلك استعصت هذه البلاد على الطامعين ونأت عن الفاتحين ، شأنها فى ذلك شأن اليمن ، وعاشت مستقلة معظم تاريخها الطويل .

لم يكن فى مناطق الجبال من وسائل الاتصال سوى طرق القوافل باستخدام الحيوانات . وكانت طرق القوافل تقطع الجبال طوليا وعرضيا . فبالنسبة للأولى كانت عسير ــ وعبر قرون طويلة ــ ممرا لطريق قوافل التجارة وقوافل الحجاج بين اليمن والحجاز وكانت الطرق تسلك حافة الجبال وتوازى خط الشعاف تقريبا . وكان يتصل بهذه الطرق الرئيسية طرق فرعية كثيرة ؛ يهبط بعضها من العقبات الى تهامة فالسهل الساحلى فالبحر ، ويسير بعضها مع الوديان باتجاه الهضبة فداخل شبه الجزيرة العربية . ومن أشهرها طريق تبدأ من أبها فعقبة الصماء غربا الى بلاد رجال المع ومنها الى جيزان . وطريق أخرى من أبها الى عقبة ضلع فالدرب ومنها الى جيزان . وطريق ثالثة تتفرع من الطريق الرئيسى عند عقبة شعار فوادى طيّة فمحايل فالقنفذة أو جيزان . وكان للطريق الأخيرة أهمية خاصة زمن الاحتلال العثمانى عسكريا . وطريق رابعة تتجه شرقا الى خميس مشيط ومنها قد تتجه جنوبا الى قحطان ونجران أو تتجه شمالا عبر وديان الهضبة الى داخل البلاد خاصة الى بيشة أو تثليث .

ولما كانت المواصلات واحدة من أهم الانشاءات التحتية ، وركنا من أركان أية نهضة اقتصادية واجتماعية حديثة ، فان الدولة أولتها أهمية خاصة ، وقد تم اتصال هذا الاقليم الجبلى ببقية أقاليم المملكة فزالت عنه عزلته السابقة . اذ تم تمديد الطريق من الطائف - أبها - نجران مخترقة السراة وتدعى « طريق الجنوب » التى ربطت عسير بالحجاز من جهة ونجران واليمن من جهة أخرى . وقد تبعها توصيل هذا الخط بالساحل فى موضعين : الأول من أبها - الدرب - جيزان . والثانى عقبة الشعار ــ محايل ــ القنفذة . كما تم انشاء عدد من الوصلات الصغيرة تتفرع من هذا الخط من الجانبين فتوصل بالمدن والبلدات المتناثرة . وقد أنشىء مئات الكيلومترات من الطرق الممهدة « الزراعية » لخدمة مناطق الإنتاج الزراعى .

اقيم مطار محلى الى الجنوب من خميس مشيط ـ وهى اكبر مدينة فى هذا الاقليم ـ لخدمة حركة الطيران المدنى فى مناطق جبال جنوب المملكة ، وكان يقوم بعملية الاتصالات الداخلية ، وكانت أكثر اتصالاته مع جدة فالرياض فجيزان فالطائف وقد ساهم فى نقل اكثر من ٥٠٠٠٠ راكب فى سنة ١٩٧٢(١) . وقد أنشىء مطار آخر بديل عنه فى موقع متوسط بين أبها وخميس مشيط ويقع على الجانب الجنوبى من الطريق الواصل بينهما هو « مطار أبها » يعتبر اكثر حداثة وتجهيزاً واستعدادا من المطار السابق . فقد شارك فى نقل ٣٤٧١٦٤ راكبا من أبها الى مختلف مطارات المملكة ونقل ٣٣٦١٣٢ راكبا الى أبها(٢) من مختلف مطارات المملكة فى سنة ١٩٨٠م .

أقسام السراة :

نظرا لامتداد اقليم سروات عسير طوليا فقد تألف من مجموعة من السروات ، تنسب كل سراة الى قبيلة أو فرع من قبيلة استوطنتها واستقرت فيها مدة من الزمن ، خاصة وأن انتقال القبائل كان محدودا نظرا لصعوبة التضاريس وشدة الانعزال . ومع ذلك كان لابد أن تتغير أسماء السروات تبعا لتغير القبائل وتداخل سكانها واختلاطها حتى تكاد تفقد بعض الأسماء القديمة أهميتها ومعناها . ويمكن جمعها الآن تحت اسمين فقط هما :

١ ـ سراة عسير وكان يقتصر هذا الاسم فى السابق على حدود نفوذ قبيلة عسير . وهى مساحة محدودة من السراة لايتجاوز طولها ٧٠ كم وتبدأ من تمنية جنوبا الى عقبة شَعار شمالا وقاعدتها مدينة أبها وتقع فى وسطها . وكان يطلق عليها اسم « سراة عنز » . وقد توسع الاسم باتجاه الجنوب الشرقى فضم سراة قحطان ووادعة حتى وصلت الى حدود اليمن .

٢ ـ سراة الحجر وتقع الى الشمال مباشرة من سراة عسير وتشمل بلاد قبائل بالاحمر وبالاسمر وبنى شهر وبنى عمرو . وقد توسع الاسم أيضا حتى ضم ماكان يسمى بسراة باه وبنو القرن (بالقرن) ، وبنو الخالد وسراة الحال وتقع كامتداد شمالى للموقع السابق أو الى الجنوب من بلاد الحجاز أو ما كان يسمى « سراة غامد وزهران » .

---

(١) مصلحة الاحصاءات العامة – الكتاب السنوى . العدد التاسع ص ٢٦٢ – ٢٩٣ .

(١) مصلحة الاحصاءات العامة – الكتاب السنوى العدد السادس عشر ص ٣٧٠ .

وتتكون هذه السروات من أقسام عديدة تتميز بسكانها وبظروفها الخاصة ، وسنشرع فيما يلى بدراسة أقسام هذه السروات بادئين من الحدود الجنوبية ومتجهين نحو الشمال والشمال الغربى ، أى بنفس الترتيب الذى اتبعناه فى منطقة تهامة .

١ ـــ بلاد وادعة :

وهى جزء من اقليم السراة استوطنته قبيلة وادعة فسميت « سراة وادعة » وتقع فى منتهى حدود المملكة العربية السعودية الجنوبية فى النطاق الجبلى ، وكان يطلق عليها وعلى بلاد قحطان التى تليها شمالا « سراة جنب »(١) .

وقبيلة وادعة من نسل همدان بن زيد ، وبلادهم هى بلاد ظهران ، وقاعدتها ظهران الجنوب . يحدها من الجنوب بلاد سحار الشام (فى شمال اليمن) ، والفاصل بينهما راس علبين وعقبة « العلب » التى تبدأ منه ، ويقابلها فى حدود اليمن عقبة « الشطبة » ، وتحدها بلاد قحطان من الشمال الغربى . وتمتد شرقا مسافة تتراوح بين ٣٠ – ٤٠ كم فتجاور بلاد قبيلة يام من هذه الجهة . وتزيد مساحتها عن ٣٠٠٠ كم٢ .

وتقع بلاد وادعة عمليا فى عالية وادى حبونة ، وتضم اليها بعض الاجزاء الواقعة فى أراضي المملكة من عالية وادى نجران . وتتشكل عالية وادى حبونة من مجموعة من الروافد تبدأ من خلف خط الشعاف الذى يتجه من الحدود اليمنية من جهة الجنوب الى الشمال مسافة ٣٥ كم ، وترتفع فيه بعض القمم الى مايزيد عن ٢٥٠٠م عن سطح البحر مثل جبل « آل مخطىء » و « المُستّى » .

يهبط خط الشعاف باتجاه تهامة غربا على شكل جرف عظيم شبه قائم لكنه ينحدر انحدارا تدريجيا باتجاه الشرق تبعا للبنية الجيولوجية . غير أن عوامل التعرية شوهت هذا الشكل النموذجى تشويها بالغا . فبالاضافة الى إزالة كميات هائلة من الصخور النارية والمتحولة للمنطقة ، فقد حفرت فيها الوديان بعمق وانتظمت فى شبكة كثيفة من المجارى تتجه إجمالا نحو الشرق تتمثل فى المجرى الرئيسى لوادى حبونة .

وقد تكونت هذه الشبكة من اجتماع الرافد الجنوبى الغربى الناتج عن التقاء وادى حرشف ووادى هلال (هَدادة) ووادى بطا ، والرافد الغربى وهو وادى الحاجر أو مصلولة ، والناتج من التقاء عدد من الروافد أهمها العرين الذى تقع فى عاليته مدينة

---

(١) حمد الجاسر : فى سراة غامد وزهران . ص ٣٥٣ – ٣٥٧ .

ظهران الجنوب ، والرافد الشمالى الغربى الناتج من التقاء عدد آخر من الروافد أهمها وادى الغيل ووادى رشاد (شكل ٣٨) .

وتتميز بلاد وادعة بأنها اكثر المناطق الجبلية فى المملكة بعدا نحو الجنوب ونحو الشرق ؛ اذ أنها تبدأ من نقطة تقاطع خطى عرض ٣٠َ ١٧° ش وطول ٣٠َ ٤٣° ش تقريبا ، أى أنها تقع عند خط طول يزيد بمقدار درجة كاملة عن خط طول مدينة أبها وعند خط عرض يقل بمقدار ٣/٤ درجة عن عرض مدينة أبها .

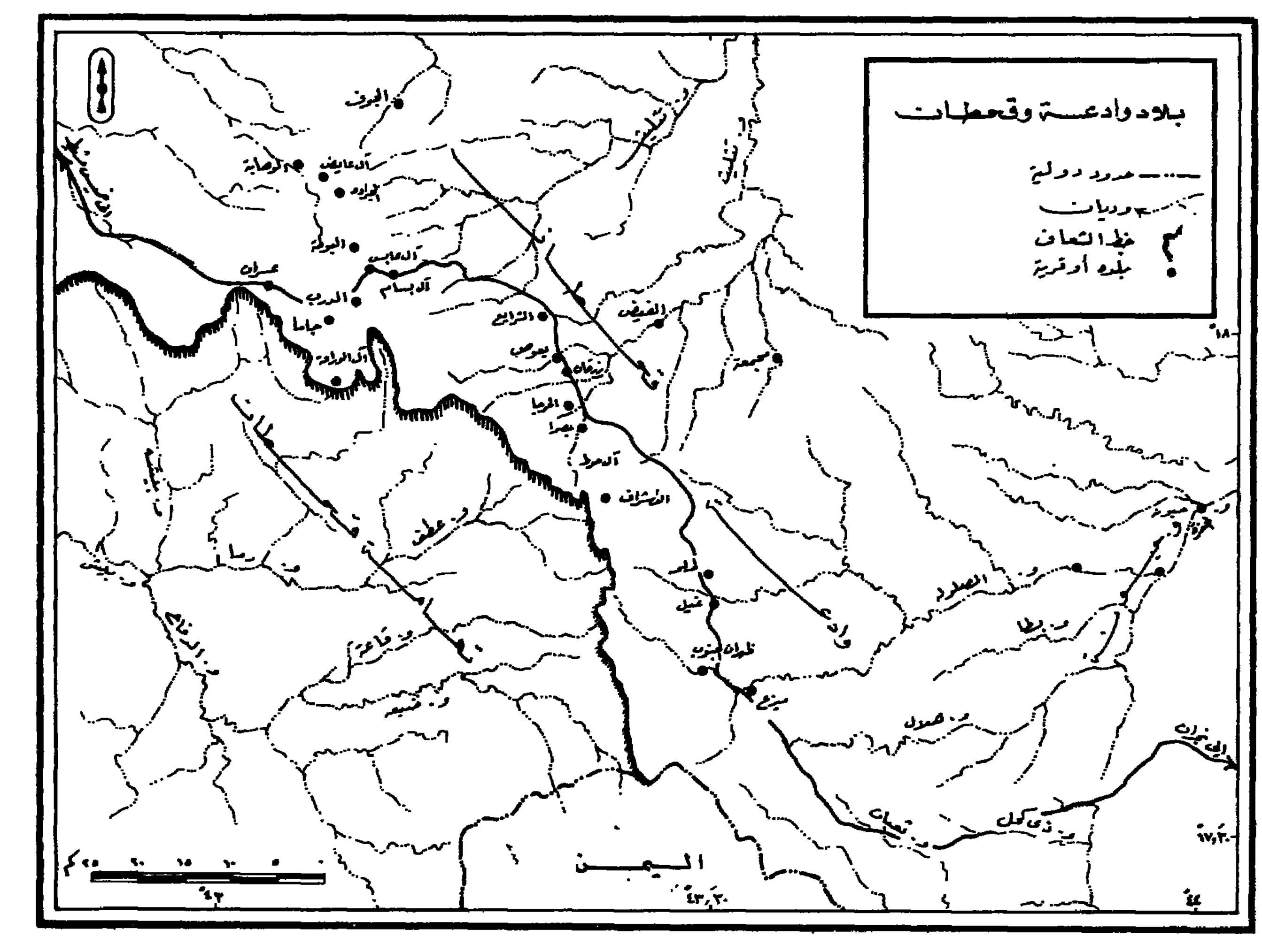
كما يتميز موقع بلاد وادعة كذلك بأنه أكثر مواقع السروات فى المملكة بعدا عن البحر الأحمر بسبب اتساع منطقة نجود تهامة والتى تتخللها وتبرز فيها كتل جبلية عالية قد تضاهى مرتفعات السراة فى ارتفاعها .

ولذلك فالبرغم من ارتفاع خط الشعاف كثيرا بالقياس الى باقى السروات (من ٢٤٠٠ - ٢٥٠٠م) ؛ الا أن مواجهتها للرياح الغربية والجنوبية الغربية القادمة أصلا من البحر الأحمر ليست جيدة ولا مباشرة ، بل وصارت فى « ظل المطر » تقريبا بالنسبة لبعض مرتفعات تهامة العالية . فقلت الرطوبة فيها ونقصت الأمطار ، وزادت تذبذبا واضطرابا (١٩٥ ملم فى ظهران الجنوب) . فهزلت المساحات المغطاة بالاشجار الدائمة . وحتى أن الأعشاب تقهقرت فى حجمها ونضارتها عن المناطق التى تشابهها فى الارتفاع .

وقد تأثرت حركة الاستيطان البشرى بسبب ضعف إمكانيات السفوح العالية على الإنتاج الزراعى ، أو على تغذية الحيوانات . ومع أن السكان حاكوا المناطق الأخرى في إنشاء المدرجات الجبلية وفلاحتها لإنتاج الحبوب كالقمح والشعير ؛ إلا ان مساحاتها كانت صغيرة ومتفرقة بعضها عن بعض ، ولم تظهر فيها المساحات الممتدة .

وبالرغم من أن نحو ٥٥٪ من سكان هذه المقاطعة عاشوا فى قرى معتمدين فى حياتهم على انتاج الارض من مواد زراعية وحيوانية ، فقد غلبت على هذه القرى صفة صغر الحجم ، حيث بلغ عدد الريفيين نحو ١٦٠٠٠ نسمة وبلغ عدد القرى نحو ٢٠٠ قرية اى أنهم توزعوا بمعدل ٨٠ فردا للقرية الواحدة . وقد تبعثرت هذه القرى فى مجارى الوديان أكثر من تواجدها فى السفوح العليا ، مثل حَرشف فى وادى هلال ، وقتام فى وادى قتام ، وميزع فى وادى عرين وتقع الى الشرق من ظهران الجنوب بنحو ٥ كم ، وطلحة وغيل فى وادى غيل .

شكل (٣٨)



بلاد وادعة وقحطان
حدود دولية
وديان
خط التقاء
بلدة أو قرية
البرك
عمران
الدرب
حاما
آل بسام
الترابع
يعوص
الفيض
الحرجا
آل حرد
الاشراف
الفرع
نبيل
ظهران الجنوب
الصدر
اليمن

ولم يظهر فى هذه المنطقة الواسعة من المواقع المدنية سوى بلدة واحدة هى ظهران الجنوب ؛ وهى بلدة قديمة كانت على مفترق طرق القوافل . حيث تتفرع منها الطرق الى اليمن والى نجران والى عسير والى تهامة . وقد استفادت كثيرا من توصيل خط الجنوب ومروره منها ، وكان قد اقتفى أثر طريق القوافل . كما استفادت من قيامها بدور المركز الادارى كقاعدة لهذه المنطقة ، فنشأ فيها عدد من الدوائر الحكومية التى بنيت من الأسمنت على جانب الطريق فساهمت فى نموها ، وتوسعها .

وبعد أن كانت مبنية من الطين ، وعاش فيها ٢٨٥١ فردا فى سنة ١٩٧٤م ظهرت فيها الشوارع والمبانى الأسمنتية الحديثة والدكاكين ، وأنيرت بالكهرباء بمحولات خاصة . وبعد أن كانت تشرب من آبار محفورة فى رسوبيات الوادى الطموية سحبت المياه من الآبار الى خزان اسمنتى مرتفع ووزعت منه المياه بالأنابيب على البيوت والمحلات . فتضاعفت مساحتها وعدد سكانها فى الفترة التالية ، وذلك فى معظم الحالات على حساب القرى التابعة لها ، لأنها أصبحت مركز جذب لأولئك الأفراد .

وعاش باقى سكان المنطقة ــ أى نحو ١٠٠٠٠ فرد ، أو أكثر من ٣٥٪ من مجموع السكان ــ على حالة البداوة مستفيدين من كثرة مناهل المياه المحفورة فى رسوبيات الوديان والتى بلغ عددها فى سنة ١٩٧٤م ، ٧٩ منهلا ، ومستفيدين من أعشاب الوديان ذاتها لأنها لم تخضع للزراعة .

٢ - بلاد قحطان :

يعيش أفراد قبيلة قحطان بن عامر على قسم من سراة عسير يدعى أيضا « سراة قحطان » ويقع الى الشمال الغربى من سراة وادعة مباشرة ، وتتكون القبيلة من عدد كبير من الفروع والبطون والأفخاذ ، بعضها متحضرة وتعيش فى قرى تسمى - فى أغلب الأحيان - بأسماء فروع وأفخاذ القبيلة ، وبعضها الآخر ما زالت على حالة البداوة ، وتعيش فى أطراف السراة أو خارجها فى الهضبة الشرقية أو فى تهامة فى الجنوب الغربى من موقع إخوانهم فى السراة فى « تهامة قحطان » .

وتقسم قبيلة قحطان فى السراة الى مجموعتين كبيرتين الأولى : عَبيدة وتسكن الجزء الجنوبى الشرقى من سراة قحطان وتحتل الحوض الأعلى لوادى تثليث ، وفيما بين الشعاف جنوبا وهضبة آل الشواط شمالا ، ولاتبلغ مساحتها نحو نصف مساحة بلاد وادعة التى تجاورها من الجنوب الغربى وتجاور بلاد يام من الشرق وبادية قحطان من

الشمال الشرقى والشمال . والثانية رُفَيدةْ وتسكن الجزء الشمالى الغربى فتحتل الحوض الأعلى لوادى بيشة فتشارك وتجاور بعض فروع شهران فى حوض هذا الوادى ، مثل تلك الفروع التى تسكن شعاف جنوب عسير فى الغرب ، وتلك الفروع التى تسكن الوادى الى الشمال مباشرة .

٣ – سراة عَبيدة :

بالرغم من مجاورة سراة عبيدة لسراة وادعة ومشابهتها لها فى معظم الظروف الطبيعية ؛ الا أن تعديلا بسيطا طرأ على حافة السراة كان له أثر بالغ فى إحداث شيء من الاختلاف على المناخ خاصة الأمطار ؛ هو : أن خط الشعاف الذى كان يتجه جنوب – شمال انحرف الى الاتجاه من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ؛ ثم انحرف اكثر نحو الاتجاه الغربى . ثم ان حافته ارتفعت الى (نحو ٢٤٠٠م عن سطح البحر) ، وأصبحت السراة بذلك فى وضع أنسب من حيث مواجهة الرياح الرطبة التى تصله عبر منخفض روافد وادى بيش الشمالية الشرقية ، فبلغت معدلات الأمطار السنوية فى الحَرجَة ٢٤٥ ملم وفى سراة عبيدة ٢٤٠ ملم ، اى تزيد قليلا عما هى فى سراة وادعة .

إنها اختلافات محدودة فى الواقع ، لكن أثرها يتضح فى المنظر العام للأرض حيث يشعر المرء بزيادة كثافة النبات الطبيعى ؛ فتتواجد الاشجار على السفوح وفى بطون الأودية بكميات أكثر وبأحجام أكبر ، وتنتشر الأعشاب عقب سقوط الأمطار مشكلة بساطا أخضر . وأمكن السكان إخضاع مساحات من السفوح العليا للزراعة المطرية لاسيما فى الجزء الشمالى الغربى . كما تمكنت المجارى العليا للوديان من تشكيل مصاطب رسوبية أمكن اخضاع قسم منها للزراعة المروية من الآبار المحفورة فى تلك الرسوبيات ، لاسيما فى الجزء الجنوبى الشرقى من المنطقة . ومع أن هذه الأراضى المزروعة صغيرة المساحة ومتفرقة ، لكنها تزيد عن المساحات فى بلاد وادعة وتفوقها تكاثفا .

وأهم الحاصلات الزراعية فى مناطق السفوح أو الوديان العليا هى الحبوب الغذائية ، خاصة القمح والشعير فى الموسم الشتوى والذرة الرفيعة والدخن فى الموسم الصيفى . بالاضافة الى الأعلاف . وقد بدأ الفلاحون يمارسون زراعة الخضروات والفواكه كالعنب بعد أن زاد الطلب على حاصلاتها ، الا أن ذلك مازال فى مراحله الأولى . لكنهم يعتمدون على منتوجات حيواناتهم الى جانب الانتاج الزراعى . وقد كان لإنشاء طريق الجنوب ومرورها منها وإنشاء عدد من الوصلات تتفرع من والى مجموعات القرى

المتجاورة أثر على تنشيط الانتاج الزراعى فيها مثل طريق قحف . ويمارس السكان بعض الحرف كصناعة المحاريث والتجارة .

وتتكون قبيلة عبيدة من فروع وأفخاذ عديدة يعيش كل منها فى مجموعة من الروافد العليا للوادى ، ومع ذلك يمكن جمعهم فى ثلاثة بطون رئيسية[1] يسكن كل منها قسما من المنطقة ؛ الأول : بطن سنَحان الحباب ويسكن وادى سروم ويتكون من خمس أفخاذ ، والثانى بطن شَريف ويتكون من ستة أفخاذ ومنهم أمير قحطان بن دليم ، والثالث بطن عَبيدة ويتكون من ثلاث أفخاذ تشمل ٢٣ عشيرة ، هى : فخذ آل الصقر ويسكنون فى أربع عشرة قرية ، وفخذ آل معمر ويسكنون فى خمسة وعشرين قرية ، وفخذ آل طلق (بنى طلق) ويسكنون عشر قرى . ولكل من هذه البطون والأفخاذ أتباع فى تهامة فى الجنوب الغربى من المنطقة وأتباع آخرون فى بادية قحطان فى الشمال الشرقى وذلك فى حوض وادى تثليث فيما يلى عالية الوادي .

يعيش أفراد البطنين الأول والثانى فى مجموعة قرى فى الحوض الأعلى للرافد الجنوبى لوادى تثليث ، والذى يتكون من التقاء عشرة وديان صغيرة تبدأ جميعها من خلف خط السراة هى من الجنوب الشرقى : وادى مجمع وفيه قريتان إحداهما مجمع ، ووادى جُناب وفيه ثلاث قرى ، ووادى سروم وفيه ست قرى ، وراحة سنحان وفيه اربع قرى ، وراحة شريف وفيه ثمانى قرى منها الأشراف والحوط والفيض وآل سيف ، ووادى الحَرجَة وفيه قريتان إحداهما بلدة الحرجة ، ووادى محلاة وفيه ثلاث قرى احداهما زرقان ، ووادى يَعوص وفيه إحدى عشرة قرية منها يَعوص ، ووادى الوفيرة وفيه ثلاث قرى ، ووادى الحظيرة وفيه أربع قرى منها الشرايع .

ويعيش أفراد بطن عَبيدة فى « سراة عبيدة » الى الشمال الغربى من الموقع السابق فى الحوض الأعلى للرافد الجنوبى الغربى لوادى تثليث ، والذى يتكون من التقاء مجموعة كبيرة من الوديان الصغيرة أيضا . وقد أمكن تمييزهم الى مجموعتين الأولى : احتفظت باسم عَبيدة وتقطن الطرف الشرقى من المنطقة ومن قراهم الهامة : آل عابس وآل ثابت وآل بسام والبوطة ، وجوف آل معمر ، والربعة ، وآل جرادة ، وآل عايض، والوهابة، وآل قرن .

---

(١) انظر فؤاد حمزة – المصدر السابق . ص ١٤٠ وما بعدها .

والمجموعة الثانية هى : بنى بِشر وتقطن الطرف الغربى من المنطقة وذلك فى ٣٣ قرية ومن قراهم الهامة : آل خلف والعُسْران التى يقطن فيها شيخ القبيلة ، وآل عبيدية ومثاب وآل درامة ، وسبت بنى بشر التى يوجد فيها السوق الاسبوعى للقبيلة (سوق بنى بشر) ، وشياع وزُهرة والجهمة والدرب وآل مكر الشبيرمة والمحافيظ وآل عطيف .

وبالرغم من صغر المساحة التى تحتلها هذه المقاطعة حيث أنها تقل عن نصف مساحة سراة وادعة فانه يعيش فيها نحو ٢٣٠٠٠ فرد ، يستوطن ٧٢٫٥٪ منهم ٨٥ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، الا أنها إجمالا اكبر من قرى سراة وادعة ويغلب عليها الحجم المتوسط . إذ يبلغ معدل عدد أفراد القرية الواحدة ٢٢٢ فردا ، وقد يهبط المعدل الى ٢١٠ اذا استثنينا البلدات . وبهذه الأرقام فان متوسط عدد أفراد القرية يزيد بقدر ٢٫٥ مرة عنها فى بلاد وادعة . وهذا بدوره يلقى ضوءا على إمكانات الموارد الانتاجية لإعاشة عدد أكبر من السكان فى القرى .

وقد اتخذت قرية البوطة لتكون قاعدة إدارية لبلاد عبيدة بمعناها الواسع اى قاعدة الامارة الفرعية وتعرف الآن باسم مدينة سراة عبيدة . وقد استفادت من هذه الميزة فنمت واتسعت حتى صار فيها نحو ١٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤م ، ثم استفادت اكثر فيما بعد بسبب مرور طريق الجنوب منها (طريق أبها - نجران) حيث تقع على بعد ٦٠ كم عن خميس مشيط ، ومن بناء عدد من المنشآت الحكومية : كمبنى الامارة ومستوصف ووحدة زراعية وبلدية وهيئة ومحكمة وبريد وشرطة ، والمبانى السكنية الجديدة والمحلات التجارية من الاسمنت المسلح والطوب الأسمنتى . وقد اتسعت وتضاعف عدد سكانها وامتدت على طريق الجنوب بعد انشاء الشوارع الحديثة .

وقد تطورت قرية الحرجَة أيضا وأصبحت بلدة عامرة خاصة وأنها قاعدة قبيلة شريف وسنحان الحباب ، وتقع على طريق الجنوب أيضا فى وسط المسافة بين سراة عبيدة وظهران الجنوب . وكانت على طريق القوافل من السابق ، كما كانت تمثل مركزا تجاريا خاصة لتجارة البن . وقد ظهرت فيها المنشآت خاصة مدارس البنين والبنات وقد تقرر إنشاء مجمع قروى فيها ليشرف على تطورها وتطور القرى التابعة لها .

وباقى السكان ويبلغون نحو ٤٠٠٠ فرد فهم ما زالوا على البداوة وقد توزعوا فى اتجاهين الأول : بادية قحطان فى الشمال الشرقى من موقعهم فى السراة ، وتهامة قحطان

فى الجنوب الغربى منه . ويستفيدون من وجود ٤٦ منهل ماء ، فيعيشون على تربية الحيوانات التى تتشكل من الماعز والاغنام والجمال بالدرجة الأولى .

٤ – عالية وادى بيشة (سراة رُقَيْدة وشعف شهران) :

وتقع هذه المقاطعة فى أقصى جنوب حوض وادى بيشة حيث تبدأ مجاريه العليا فى منطقة السراة من خلف خط الشعاف الذى يتجه فيها من الشرق الى الغرب ثم ينحنى نحو الشمال الغربى . وتجتمع هذه المجارى فى رافدين رئيسيين ؛ يجاور الأول عالية وادى تثليث فى السراة (منطقة بنى بشر) ، وبالتالى يقع فى شرق المقاطعة ويتجه نحو الشمال الغربى ، وتسكنه قبيلة رفيدة ، وكانت تسلكه طريق القوافل من خميس مشيط الى نجران وقد سلكته طريق الجنوب « المزفلت » . ويقع الرافد الثانى الى الغرب من السابق ويتجه نحو الشمال الى أن يلتقى مع الرافد الأول فى جنوب خميس مشيط ، وتسكنه فروع من قبيلة شهران . وتقرب مساحة الحوضين مايعادل مساحة سراة عبيدة (١٤٦٠ كم٢) .

ونظرا لتعرج خط الشعاف وبروزه فى هذه المنطقة على شكل زاوية تقدم رأسها نحو الغرب ، فاقتربت اكثر من غيرها من شاطىء البحر الأحمر حيث تبعد تمنية ٨٠ كم (كخط مستقيم) عن ساحل عتود . وأشرفت على تهامة المنخفضة من ارتفاعات تفوق ارتفاعات المناطق الأخرى نسبيا (ارتفاع الشعف ٢٣٧٠م). وذلك عبر واديين عظيمي الحفر والامتداد هما وادى بيش ووادى عتود اللذان يتجهان اجمالا نحو الجنوب الغربى ؛ فقد كانت فى وضع يتميز عن غيرها من مناطق السراة من ناحية مواجهتها للتأثيرات البحرية ، لاسيما الرياح الجنوبية الغربية والرياح الغربية التى تسود على هذه المنطقة ، خاصة فى الصيف وتجلب اليها الرطوبة .

وقد عملت هذه الظروف على تلطيف مناخها واعتداله وزيادة رطوبة الجو وغزارة الأمطار حيث عدت هذه المنطقة من أكثر مناطق المملكة أمطارا ، اذ بلغت معدلاتها فى تمنية ٤٤٤ ملم ، وفى الشعف ٤٧٥ ملم .

وقد تأثرت العمليات الحيوية بهذا المناخ فظهرت الاشجار الدائمة الخضرة بكثافة كبيرة تفوق ما شاهدناه فى كل القطاع الجنوبى من السراة حتى الحدود مع اليمن . وتحولت هذه الأشجار الى غابات حقيقية فى بعض المناطق مثل « غابة تمنية » وغابة القرعاء اللتين تتكونان بالدرجة الأولى من أشجار العرعر . لكنها تقل فى السفوح الداخلية الأقل رطوبة وتكثر بدلا منها الأكاسيات والسدر والعتم وغيرها . وظهر فيما

بين الأشجار وفى خارج الغابات بساط غنى من الأعشاب الفصلية كان لها الفضل فى تغذية قطعان واسعة من الماشية سواء من قبل الريفيين أو البدو .

وقد ساعدت هذه الظروف أيضا على تحويل مساحات كبيرة من السفوح العليا الى مدرجات جبلية خضعت لزراعة الحبوب اعتمادا على الأمطار . وتحويل مساحات اخرى من مصاطب الوديان الى الزراعة المروية من آبار محفورة فى طميها ، وتخصصت بزراعة الحبوب أيضا خاصة القمح والشعير والذرة . وقد تفوقت هذه المناطق المزروعة فى مساحاتها على نظيرتها فى السراة الى الجنوب من هذا الموقع وحتى الحدود مع اليمن . وقد بدأ المزارعون بالاعتناء بزراعة الخضروات والفواكه بعد أن زاد الطلب عليها خاصة فى خميس مشيط وأبها ، وتحسنت طرق المواصلات اليهما . وقد استمر اهتمام المزارعين بتربية الحيوانات داخل المزارع رغم التحول التدريجى نحو استعمال الآلات .

وتفسر هذه الاختلافات تميزّ هذه المنطقة عن المناطق السابقة لها بعظم الاستقرار البشرى وارتفاع الكثافة البشرية . فبالرغم من أن مساحة هذه المقاطعة لاتزيد عن مساحة بلاد عَبيدة ، فقد عاش فيها نحو ٣٦٠٠٠ نسمة ، معظمهم من الريفيين وهم مستقرون فى قرى زراعية مختلفة الحجم والأهمية .

وتتكون هذه المقاطعة من إمارتين فرعيتين تتبعان إمارة عسير ، وتضم كل وحدة إدارية منهما فروعا من قبائل مختلفة ولو أنها تشترك فى حوض نفس الوادى . الوحدة الأولى هى : أحد رفيدة . ورفيدة هي فرع من قحطان وتسكن الجزء الشرقى من هذه المقاطعة ، والوحدة الثانية هى : شعف شهران وأهلها فرع من قبيلة شهران وتسكن مناطق الشعاف الغربية ومن ذلك اكتسبت اسمها . وتختلف مساكن قحطان عن مساكن شهران حيث تتميز الأولى بأنها على شكل قصور عالية طينية بينها الحجر الرقيق .

يبلغ عدد أفراد أحد رفيدة اكثر من ٢٥٠٠٠ نسمة يعيش ٧٨٪ منهم فى ٨٢ قرية مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها الحجم المتوسط والكبير . اذ بلغ معدل عدد افراد القرية ٢٣٥ فردا للقرية الواحدة . ويحتفظ أفراد رُفيدة بعلاقاتهم القبلية ، اذ أنهم يتوزعون فى القرى حسب الافخاذ بحيث يملك كل فخذ عددا من القرى المتجاورة ، كأن تكون فى واد صغير أو أكثر وهى[1] :

---

(١) انظر فؤاد حمزة . المصدر السابق . ص ١٠٠ – ١٠٣ .

١ ـــ فخذ الحُاف ويملكون خمس عشرة قرية منها آل عامر والقرن والسبارين .
٢ ـــ فخذ آل الجمل ويملكون سبع قرى منها الصفراء وتقع الى الشمال من السابقة .
٣ ـــ فخذ وقشة ويملكون اثنتى عشرة قرية وتقع شمال عقبة مبسوطة منها مبسوطة والعيص .

٤ ـــ فخذ قيس ويملكون خمس قرى تقع فى الجزء الشمالى المجاور لمنطقة خميس مشيط منها الدرب والربة .

٥ ـــ فخذ مستنير ويملكون ثلاث قرى .
٦ ـــ فخذ ذَعِيّ ويملكون تسع قرى منها الكامل وآل سالم .
٧ ـــ فخذ جارمة وخطاب ويملكان سبع عشرة قرية فى شعاف جارمة وخطاب ، التى تقع فيما بين سراة عبيدة وأحد رفيدة بجوار حدود بنى بشر منها آل زهير والدربين .

ويتبع رفيدة نحو ٥٦٠٠ من البدو الرحل يعيشون فى الجزء الشمالى من المنطقة حيث تقل الأمطار ويتعذر قيام زراعة مستقرة . ولكن هذا العدد الكبير من البدو يدل على غنى هذه المنطقة بالأعشاب سواء فى الوديان أو فى السفوح . ويتجمع هذا العدد من البدو فى الفصول الجافة حول عشرة مناهل مائية حفرت فى رسوبيات الوديان الطموية .

وأكبر قرى رفيدة قرية الكامل التى اتخذت منذ وقت مبكر قاعدة لإمارة فرعية ، وتتمتع من السابق بموقع يعتبر عقدة مواصلات على طريق القوافل المتجهة الى الجنوب ، وفيها سوق اسبوعى يعقد كل يوم أحد . ونظرا لأهمية هذا السوق فقد طغى يومه على اسم القرية فعرفت باسم « أحد رفيدة » كما عرفت الإمارة أيضا بنفس الاسم . وقد انتعشت بلدة أحد رفيدة مؤخرا بسرعة عندما مرت طريق الجنوب (أبها – نجران) منها ، وبسبب قربها من مدينة الفيصل فاتجه اليها عدد من أسر الموظفين للسكن فيها . فبنيت فيها الشوارع وظهرت فيها بعض المبانى الاسمنتية وشيد عدد من الدوائر الحكومية وبعض المشاريع الأهلية ، فاختلطت البيوت الاسمنتية بالبيوت الطينية ذات الرقف . فتوسعت باتجاه الطريق العام وتضاعف عدد سكانها ، وكانوا نحو ٩٠٠ فرد فى سنة ١٩٧٤م . ومن قرى رفيدة : القرحاء والمضيق وآل داحس على حدود بنى بشر والوادى الأبيض .

ويبلغ عدد أفراد إمارة شعف شهران نحو ١١٠٠٠ فرد يعيش ٧٠٪ منهم فى ٤٠ قرية منتشرة على السفوح الجبلية وفى عالية الوديان فى مناطق الشعاف، تعتمد حياتها على انتاج الارض من الزراعة والحيوانات .ولا يزال باقى سكانها على حالة البداوة ، ولكن فى منطقة تهامة الى الجنوب الغربى من الشعف ،ويتصلون ببعضهم عن طريق العقبات . ويجتمع البدو فى أوقات الجفاف حول ٤٤ منهل ماء .

ومن أشهر مناطق الشعف تمنية التى تقع عند زاوية انحناء خط الشعاف (أى جرف السراة الرئيسى)، وهى نجد عظيم يرتفع ٢٢٩٠ م عن سطح البحر تحيط به ذرى ترتفع نحو ٢٠ ، ٣٠م عن سطح النجد . وهو على شكل مستطيل تبلغ أبعاده ٨ كم ٥ر٢ كم تقريبا ينتهى طرفه الجنوبى الغربى بعقبتى وادى ركان والردوم اللتين تشقان جرفا سحيقا يبلغ عمقه ٤٠٠م ، ٥٠٠م ، تحده من الجنوب الشرقى حزون غنية بالأشجار ، ومن الشمال الغربى أكام جرداء ، وتحف به وبالعقبات والسفوح الغربية غابة كثيفة من الأشجار .ويمتد بامتداد النجد خمس قرى هى آل عمان وآل ينفع ، والمعلى والقرن والقاع ،وتبعد الواحدة عن الأخرى قدر ١ ½ كم وهى عامرة بالمزارع التى تعتمد فى الرى على آبار قديمة محفورة فى الصخور الرملية . وينتهى النجد فى جهة الشمال الشرقى بمضيق الصفراء على شكل عقبة ، والذى ينتهى الى صفراء رُفيدة اليمن(١) .

ومن القرى الاخرى والقريبة من تمنية سوق الاثنين والمسكى والقرعاء .وقرى آل يزيد وقرى آل الحارث وقرى آل جابر . ومن المنتظر تحويل هذه المناطق الى أماكن تصييف فى إمارة عسير نظرا لما تتمتع به من خصائص فريدة .وقد تم توصيل شبكة من الطرق إليها وينتظر توسيع هذه الشبكة أكثر ، لاسيما وأنها لا تبعد عن خميس مشيط اكثر من ٣٥–٤٠ كم .وقد وصل خط « مزفلت » الى قرية القرعاء فى وقت مبكر ، يصل الى طرف غابة القرعاء ، ويوجد فيها على حافة الشفا قصر قديم مهجور وبالقرب منه مهبط للطائرات العمودية . وقد جرى تمديد فرع لهذه الطريق الى تمنية فى الجنوب .

٥ – منطقة أبها وخميس مشيط :

وهى أهم منطقة فى جنوب غرب المملكة وبمثابة القلب لإقليم عسير ، وتمتد على شكل مستطيل يبلغ عرضه شرق –غرب من ٤٠–٥٠ كم وذلك من خط الشعاف

---

(١)شفيق كالى . بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كالى .مجلة العرب الجزء ٩ السنة ٠٦ آيار ١٩٧٢ . ص ٨٠٢ .

الذى يشرف على ادى عتود ووادى حلى غربا حتى شرق حوض وادى بيشة ،ويبلغ طوله جنوب –شمال من ٤٠–٥٠ كم فيما بين شعف شهران ورفيدة جنوبا الى بلاد بالحمر شمالا ، وتبلغ مساحتها حسب هذا التحديد نحو ١٨٠٠ كم ٢ .

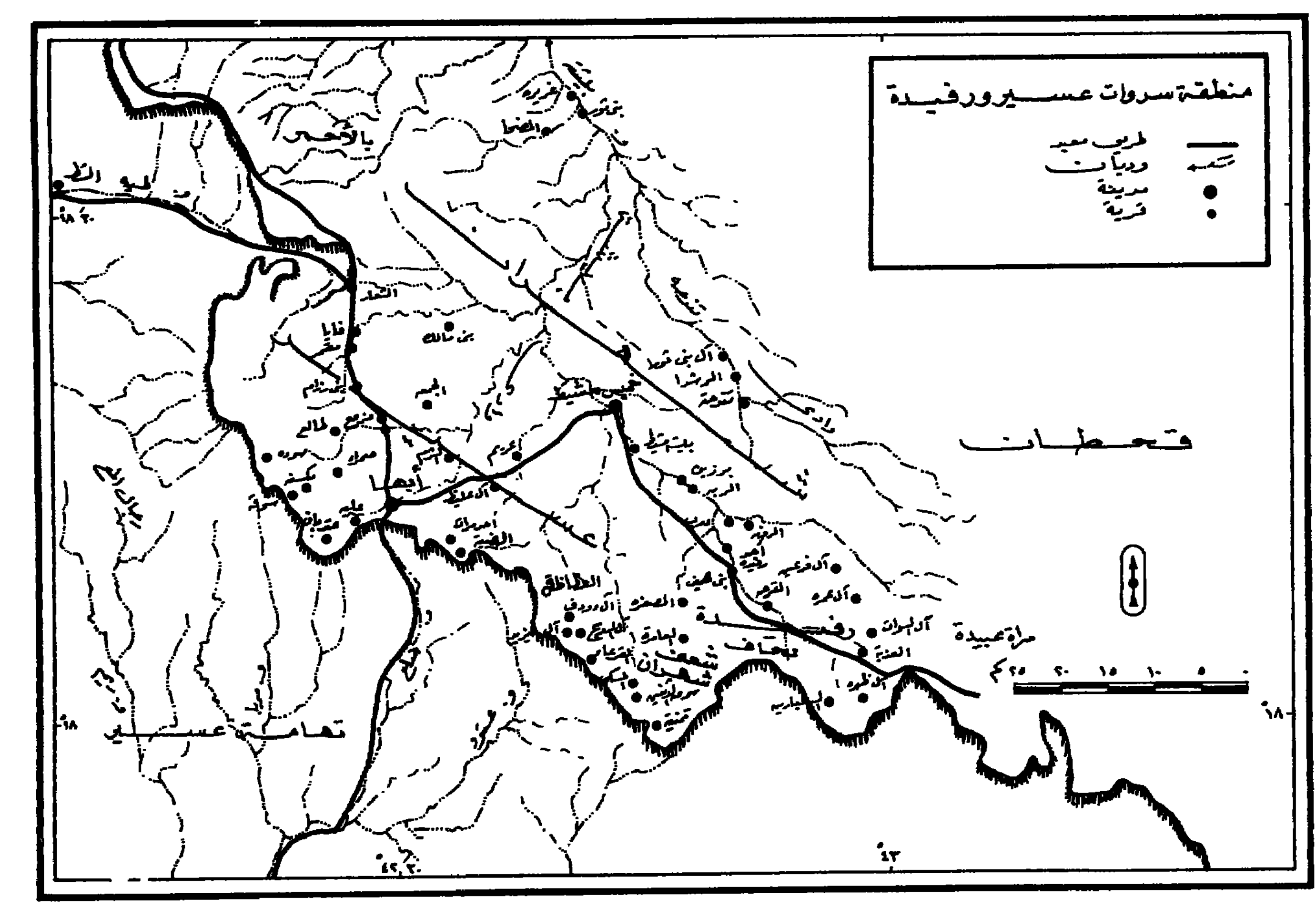
وتحتل الجزء الأكبر من بلاد قبيلة عسير الأصلية ، وما كان يطلق عليه سابقا اسم « سراة عنز » ، وقسما من بلاد قبيلة شهران . إذ كان يعيش أفراد قبيلة عسير فى الأصل فى القرى المنتشرة فى منقلب السراة إعتبارا من خط الشعاف باتجاه الشرق ، وذلك فى المجارى العليا لقسم من روافد وادى بيشة . وكان يعيش أفراد قبيلة شهران فى حوض وادى بيشة فيما يلى الروافد العليا فى السراة والتى يعيش فيها أفراد قبيلة رفيدة من جهة الجنوب وقبيلة عسير من جهة الغرب . وتحد بلادهم كذلك من الجنوب الشرقى ومن الشرق قبيلة قحطان ومن الشمال قسم آخر من قبيلة شهران .

ويتصف خط الشعاف فى هذه المنطقة أيضا بالتعرج ، ويبرز على شكل زاوية ثانية يتجه رأسها الى الغرب ،تاركة الى الجنوب منها ما يشبه الفجوة بين البروزين توهم بأنها نتجت عن حفر حافة الانهدام بفضل النحت المتراجع لمجارى وادى عتود العليا . ويتصف هذا الخط بالاضافة الى ذلك بالارتفاع الكبير عن مستوى سطح البحر لاسيما فى مناطق البروز حتى استأثر بأعلى قمم المملكة (جبل السودة ٣١٣٣م) ، (شكل ٣٩) .

نشأت المنطقة فى الأصل نتيجة الانهدام الكبير بحيث تحولت الى هضبة عالية جدا تميل بشكل عام ابتداء من أعلى الانهدام فى الغرب من ارتفاعات تتراوح بين ٢٣٠٠ – ٣٠٠٠م عن مستوى سطح البحر . وكانت عوامل التعرية تنشط اكثر وأكثر كلما زاد الارتفاع ، وكانت سببا فى وجود عقبات شديدة الانحدار من جهة الغرب ، كما كانت سببا فى وجود شبكة كثيفة من المجارى العليا على سطح الهضبة تسير مع اتجاه ميل السطح نحو الداخل لتصب فى وادى بيشة وتشكل جزءا من حوضه .

وقد ساهمت هذه الظروف فى جعل المنطقة تتمتع بوضع متميز يشبه منطقتي الشعف ورفيدة فى الجنوب ، إن لم تكن فى وضع متميز عنهما . وتتمثل الأفضلية فى اعتدال الحرارة فى مساحة واسعة يبلغ عرضها بضعة عشر كيلومترا ، تفوق مساحة الشريط المعتدل من رفيدة والشعف فى الجنوب . وتوزعت الأمطار الغزيرة نسبيا على هذه المساحة الواسعة أيضا ، ولم تقتصر على شريط ضيق فى مناطق الشعاف . فقد بلغت

شكل (٣٩)



منطقة سروات عسير ورفيدة
طريق معبد
وديان
مدينة
قرية
قحطان
أبها
خميس مشيط
رفيدة
تهامة عسير
شعف شهران
مراة عبيدة
٠ ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ كم

معدلات الأمطار السنوية فى السودة على سبيل المثال ٥٢٧ ملم ، وفى علكم الواقعة الى الشمال منها ٤٤٨ ملم ، وفى أبها الى الشرق حيث يقل الارتفاع الى ٢١٠٠م ٣٨١ ملم . ولكن هذه الأمطار تقل أكثر فى الجهة الشرقية من المنطقة ، فتبلغ ١٩٤ ملم فى خميس مشيط فى شرق أبها ، و٢٨١ ملم فى زهرة ، و ٢٢٠ ملم فى بنى مالك (عسير) الواقعتين الى الشمال من أبها ، و١٨٤ ملم فى تندحة الى الشرق من الخميس .

ونظرا لأن أمطار عسير موزعة على جميع فصول السنة ، ولو أن اكثرها يسقط فى الصيف والربيع ، واتصاف الاقليم بسيطرة الرطوبة النسبية العالية ، مما يؤدى الى كثرة تشكل الضباب والندى التى تساهم فى التساقط غير المنظور ، والذى يضاف تأثيره الى الأمطار ؛ تهيأت الظروف لزيادة الطاقة الإنباتية ، وكانت جبال عسير واحدة من أكثف مناطق المملكة بالاشجار الدائمة الخضرة ، والتى تسود فيها أشجار العرعر . وتكثر فى بعض المساحات مشكلة غابات حقيقية مثل غابة السودة مما حدا بالمسؤولين للتفكير فى تنميتها وإنشاء قرى سياحية وتحويلها الى مناطق تصييف للمملكة كلها . وقد اغتنت هذه المناطق الجبلية بالأعشاب التى كانت سببا فى ازدهار الثروة الحيوانية ، حتى صارت المنطقة أغنى مناطق المملكة بالابقار والأغنام والماعز ، وتكاد تكون المنطقة الوحيدة فى المملكة التى تربى فيها الأبقار فى المراعى دون أن يقدم لها الأعلاف .

وقد استطاع مستوطنو هذه المناطق الجبلية منذ القدم تحويل السفوح العليا الى مدرجات جبلية فزرعت الحبوب خاصة القمح والشعير والذرة اعتمادا على ماء المطر . واستقروا حولها فانشأوا القرى الزراعية الصغيرة ، وعاشوا فى بيوت حصينة كالقلاع ، نجدها مبعثرة فى وسط الحقول طلبا للحماية والأمان .

أما السفوح الأبعد نحو الشرق والتى لاتحظى بالامطار أو الرطوبة بقدر ما تحظى به المناطق السابقة ، فقد تناقصت فيها كثافة الأشجار وصغر حجمها وتغيرت أنواعها ، فاختفت أشجار العرعر والعتم ، وكثرت الأشجار نصف الشوكية كالاكاسيات : الطلح والسلم والسمر ، وكالسدر والشث وغيرها فى الوديان ، وتضاءلت أهمية الأعشاب أيضا فى هذا الجزء من الهضبة .

وبالمقابل فقد استقبلت وديان هذا الجزء - نظرا لطبوغرافيته واتجاه ميل السطح نحوه - كمية أكبر من المياه ، خاصة فى أوقات الفيضانات وهى كثيرة التردد ، وأنشأت

فى مجاريها مصاطب رسوبية مختلفة السماكة تحول بعضها الى خزانات جيدة للمياه الجوفية وساهمت فى زيادة رطوبة التربة . ولذلك تمكنت من إنبات الأشجار والأعشاب بكثافة مرتفعة مثل أشجار وادى محالة ووادى بيشة ذاته . ومن ناحية ثانية أمكن مستوطنو هذه الوديان من إقامة زراعات متفرقة اعتمادا على مياه الرى من الآبار ، فنشأت القرى الزراعية على جوانب تلك الوديان . وتم مؤخرا إقامة سدود على بعضها لتجميع مياهها مثل سد أبها على وادى أبها ، وسد عشران على وادى عشران على بعد ١٠ كم فى شمال أبها .

وثمة ميزة اخرى وهى أن استواء تضاريسها نسبيا حدا بالسكان الى تمرير طرق القوافل منها حينما تقتضى الظروف تجنب المناطق الجبلية الوعرة فتحولت بعض مواقع الاستقرار فيها الى محطات قوافل هامة مثل خميس مشيط وتندحة .

وبالاجمال فان منطقة أبها وخميس مشيط من أكثر مناطق المملكة كثافة بالسكان بسبب غناها بالمواد الأرضية . اذ يزيد عدد سكانها بالتقدير عن ١٨٠ الف نسمة ، وقد كانوا ١٣٣٠٠٠ فى سنة ١٩٧٤م اى نحو خمس عدد سكان إمارة منطقة عسير على اتساعها وصغر مساحة الأولى ، وتحوى أهم مدينتين فيها ، بل وأهم تجمع بشرى فى اقليم جنوب غرب المملكة بكاملة .

وبناء على بعض الظروف البشرية ، وبالتالى الإدارية ، يمكن أن نقسمها الى منطقتين متميزتين : الأولى منطقة أبها وتقع فى القسم الاكثر ارتفاعا فى الغرب وتسكنها قبيلة عسير وأحلافها ، والثانية منطقة خميس مشيط وتقع فى القسم الأقل ارتفاعا فى الشرق وتسكنها بعض فروع شهران .

أ ـــ القسم الغربى : يبلغ عدد أفراد القسم الغربى نحو ٨٥ الف نسمة وكانوا ٦١٣٣٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤م . كان مايقرب من نصف هذا العدد يعيش فى مدينة أبها وحدها ، وانتشر نحو ٢٤١٠٠ فرد فى ٤١٣ قرية معظمها من القرى الصغيرة الحجم ، وهذا ماتتصف به قرى السفوح العليا التى تعتمد فى حياتها على الزراعة المطرية وتربية الحيوانات ، إذ لم يتجاوز معدل عدد أفرادها ٥٨ فردا للقرية الواحدة . وعاش بين ظهرانيهم عدد كبير من البدو يبلغ عددهم نحو ٧٢٠٠ فرد يستفيدون من تربية حيواناتهم على الاعشاب الغنية فى المنطقة . ومع ذلك يعتقد أن معظمهم يعيشون فى مناطق تهامة التابعة لمنطقة أبها رغم أنه لم يرد مايؤكد ذلك فى إحصاء السكان أو في النشرات التى تفسره .

يضم حلف قبيلة عسير -بطنين ينسبان الى أسلم الأزد ويلتحق بهما فرق من شهران وقحطان متحالفين معهم منذ زمن بعيد . ويعايش هؤلاء وأولئك بعض الجماعات التى تعتبر دون أفراد العشائر فى المركز الاجتماعى يقومون بالاعمال التى يترفع عن القيام بها أفراد العشائر أنفسهم ، رغم تشابه الفئتين من حيث الغنى والدخل الاقتصادى وطرز المعيشة وما الى ذلك . ولا ينظر لأفراد الفئة الثانية على أنهم على شاكلة واحدة بل على أنهم طبقات أيضا ، فيحتل ادنى هذا السلم الطبقى فئة الغجر ، رغم أن قسما من الغجر يعملون بالحرف المفيدة ؛ كالصناعات الجلدية اى الخرازة وصنع الجعب والسروج ، أو الحدادة أو الحياكة أو الخياطة .. ويعمل قسم آخر منهم فى الخدمة .

يتوزع الريفيون فى القرى حسب بطون الحلف ، فيكاد كل بطن من بطون عسير يستقل فى وديانه وقراه عن البطون الأخرى . ومن قرى عسير ما لها شهرة خاصة بسبب اتخاذها مركزا إداريا فى وقت من الأوقات : مثل طبب التى كانت مركزا لحكم رُفيدة وربَيعة ، والسّقا التى كانت مركزا لحكم آل يزيد ، وريدة التى كانت مركزا لحكم آل عايض ، وحرملة بلدة آل عايض ، وأبها المركز الإدارى خلال العهد العثمانى ومابعده . ويمكن توزيع قرى قبيلة عسير حسب بطونها على النحو التالى(١) :

١ — **قرى بنو مغيد** : وبنو مغيد أكثر البطون عددا ، ومنه رؤوس القبيلة منذ احتلال العثمانيين للولاية . ويتكون من أربعة أفخاذ تختلط قراها مع قرى البطون الأخرى ، ولو أنها تتمركز فى وادى أبها وفى الجنوب الشرقى منه حيث توجد شعاف آل يزيد والردوم ويبلغ عددها نحو ٤٠ قرية تعتبر أبها قاعدة لها من أهمها : الحصن ، وجوحان وقاعدة ، والعرين ، والنصب ، والعتربان ، والسحرة ، وآل عكاش ، والشبارقة ، والقوزة وآل مفرح ، وآل سكران ، وقرى شعف آل يزيد ، وحرملة ، وريدة ، وعتمة .

٢ — قرى عَلْكم (من عسير) ويتكون من ست أفخاذ يعيشون فى نحو ٢٥ قرية تقع فى جنوب شرق أبها وفى شمالها الغربى منها : العين ، آل طرفة ، العطف ، القصير ، قرى وادى البيح ، قرى وادى الطالع ، السودة ، السوقة ، الذيبة ، الباطنة ، عضاضة . ويتبع علكم أربع قرى فى تهامة .

---

(١) فؤاد حمزة – المصدر السابق ، ص ١١٩ – ١٢٤ .

٣ ــ **قرى ربيعة (من عسير)** ، وتتكون ربيعة من أربعة افخاذ يعيشون فى نحو أحدى عشرة قرية أهمها : المسقوى ، مصاولى ، النجمة ، الزهر ، زنبة ، الزهرة ، الرمدة ، الدغل .

٤ ــ **قرى رُفيدة (من عسير)** : وتتكون رُفيدة من خمس أفخاذ ، كانت تشكل مع ربيعة بطنا واحدا ، ويعيشون فى اثنتى عشرة قرية منها طبب التى كانت مركزا للإمارة فى الماضى . ومن أهم قراها الاخرى : آل سعلى ، آل محمود ، آل مجمل ، العطف ، الطلحة ، آل بجاد . ويتبع رفيدة ثمانى قرى فى تهامة .

٥ ــ **قرى بنو مالك من عسير** . وتتكون بنو مالك من ثمانى أفخاذ يسكون فى شمال أبها ويعيشون فى نحو ٤٠ قرية من أهمها : حجلة والغليص ولعصان وآل جرجر والعطف والمجزعة والجنفور والعين والمحآلة واللصبة وشوحط والقعوة وآل الشلفا وصعبان وسوق السبت والملاحة والفيةّ وحياد والعطفان والعطفة وقرين .

يبنى القرويون فى عسير بيوتهم من الطين والحجارة ، وتكون المنازل متصلة بينها أزقة ضيقة بحيث تظهر القرية بمجموعها وكأنها قلعة قائمة بذاتها . وتتكون المنازل من طابقين أو ثلاثة تطلى من الداخل بالجير (بالنورة) ، ويبرز من الجدر الخارجية المصنوعة من الطين صفوف من الحجارة الرقيقة (الرقف) لحماية الجدر من الأمطار (صورة رقم (١) .

كانت عاصمة عسير فى الماضى البعيد « مدينة جُرش » الدارسة ، وتقع عند تقاطع خطى عرض ١٥ - ١٨° ش ، وطول ٤٣° ، وذلك على بعد ٤٤ كم فى جنوب شرق أبها ، وعلى بعد ١٥ كم فى جنوب شرق خميس مشيط ، وبعد ٥ كم فى شمال أحد رفيدة(١) . غير أن عاصمة عسير الحالية وأهم مدنها هى مدينة أبها :

مدينة أبها :

وتتميز بأنها أكثر مدن المملكة ارتفاعا عن سطح البحر ، واعتدالا فى طقسها وجمالا فى منظرها ، ومن أكثرها تحولا وتطورا ونموا . كانت أبها قاعدة لحكم آل عايض فترة ، وكذلك مركزا لمتصرفية عسير زمن حكم العثمانيين ، وصارت مقرا لإمارة عسير فى العهد السعودى حسب النظام الإدارى القديم منذ عهد الملك عبد العزيز ، واستمرت

(١) سعد بن عياش ، مدينة جرش الأثرية ، مجلة العرب ، حـ٤ ، السنة ٦ ، ص ٢٤١ .

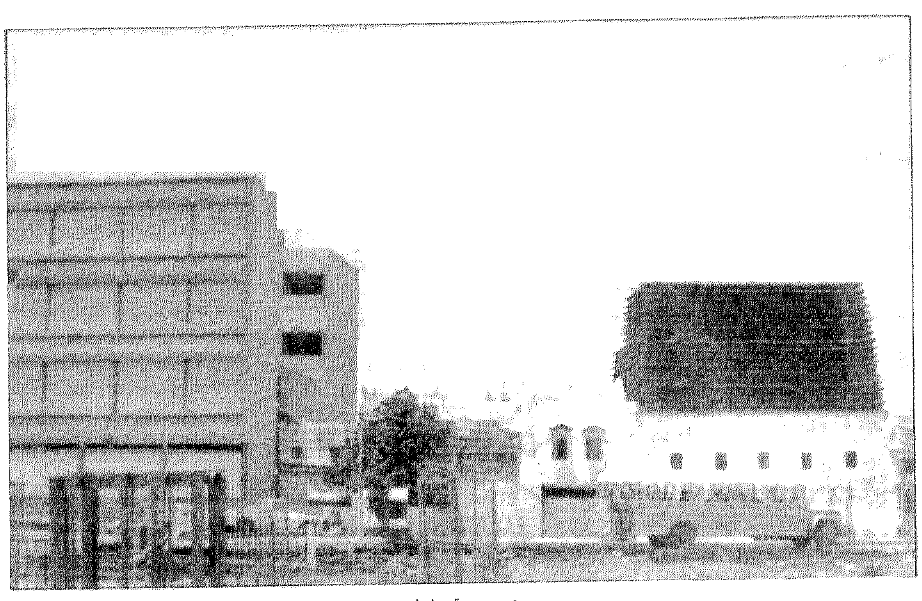
مقرا لإمارة عسير حسب النظام الادارى الحالى حيث تمددت حدودها الإدارية شمالا بشرق فضمت جميع المناطق التابعة لبيشة وتثليث .

وأبها فى الأصل مدينة سوق من الأسواق المشهورة فى السراة ، كان يعقد يوم الثلاثاء من كل اسبوع فى ساحة متوسطة بين مجموعة قرى الوادى التى تألفت منها المدينة بعد أن تحولت الى أحياء . وتقع فى وادى أبها المنحدر من خلف شعاف عتربان وجنوب السودة ويسير داخل أراضى قبيلة بنى مغيد .

كان اسم أبها التى يقع فيها السوق « مناظر » . ومناظر حلةّ من حلات المدينة بعد توسعها الحالى ، وبعد أن شملت قرى أخرى لم تكن منها وهى مرتبة من جهة عالية الوادى باتجاه سافلته : مقابل وتقع على الجانب الغربى للوادى بعد موقع السد الحالى ، وكان فيها مسكن المتصرف العثمانى ، النصب ، الخشع ، البديع ، مناظر ، شذا وفيها قصر ابن عايض وقصر الحكومة الذى اقيم على انقاض الثكنة العسكرية ، والربوع وكان فيها سوق يعقد يوم الأربعاء ، ونعمان ، والقرى ، والمفتاحة .

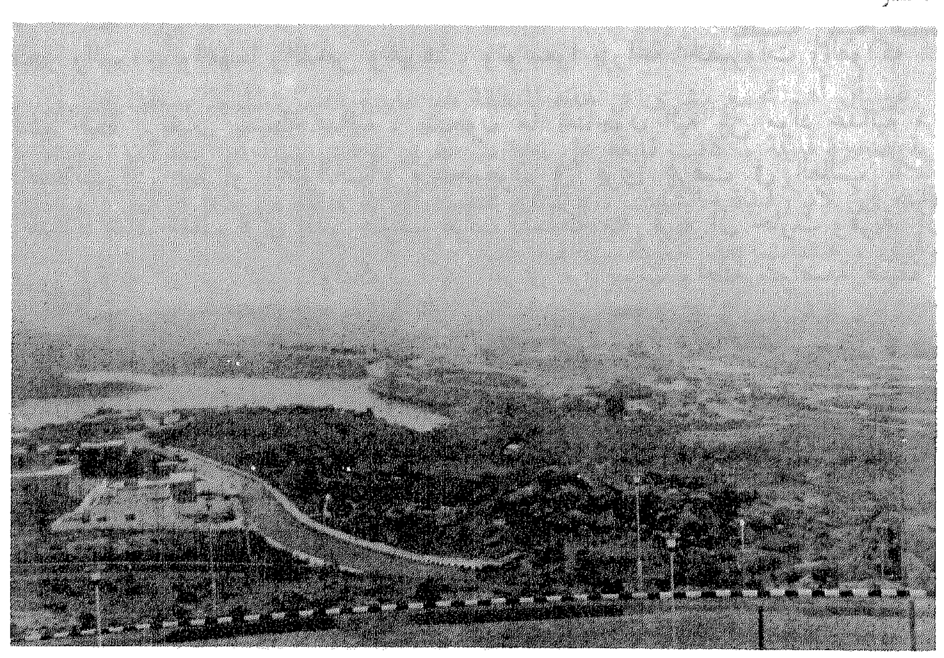
ازدهرت أبها زمن العثمانيين بسبب كونها مركزا للحكم فى السراة ومقرا للفرقة العسكرية ، ولكنها منيت بنكبات كثيرة الحقت بها أفدح الاضرار وأخرتها الى الوراء . ثم بدأت بالانتعاش من جديد بسبب استتباب الأمن واستقرار الحكم حتى بلغ عدد سكانها بعد الحكم السعودى نحو ١٥٠٠٠ نسمة وذلك إبان اتخاذها قاعدة للأعمال العسكرية ، غير أنهم تراجعوا الى ثمانية آلاف بعد أن انتهت تلك الأعمال . ثم بدأت بالتطور التدريجى والتوسع الحثيث كصدى لحركة تطور ونمو مدن المملكة فى العهد الحالى حتى قدر عدد سكانها فى سنة ١٩٧٠م بـ ١٧٥٠٠ نسمة ، وبلغ حسب تعداد ١٩٧٤م ٣٠٣٥٤ نسمة . وقد زاد بعدها زيادة هائلة حتى يقدر أنه قد بلغ الضعف الآن .

بنى العثمانيون سلسلة من القلاع على رؤوس الجبال فى منطقة أبها ووصلوا بينها بأبراج للمراقبة وأصبحت من أمنع المدن ومن أشهرها : قلعة ضَلع وتشرف عليها وعلى وادى ضلع وتتحكم فى العقبة الصاعدة من تهامة ، وقلعة ذَرةَ وتقع على رأس جبل فى الشمال الشرقى من السابق ، وقلعة شميسان وتقع فى شمال أبها وتتحكم فى الطريق الشمالى القادم من عقبتى شَعار أو الصماء . وبنوا كذلك سلسلة من المخافر على رؤوس التلال بين القلاع لحراسة الطرق الموصلة الى أبها ، وللدفاع عن القلاع مثل مخفر جبل أبوخيال بين قلعتى ضلع وذرة ، ووصلوا بين أبها والقلاع بطرق متعرجة فى أعلى الجبال وجعلوها مزدوجة للذهاب والإياب .



(صورة ١١)

القديم والحديث جنبا الى جنب فى موقع قريب من مبنى إمارة عسير فى مدينة أبها : الأول بنى من الأسمنت المسلح على الطراز الحديث ، والثانى بنى من الحجر والطين على الطراز القديم الذى يبرز فيه (الرقف) الذى يحمى البيت من الأمطار



(صورة ١٢)

سد على وادى الخبيبى لتجميع الماء فى عالية مدينة أبها ، ومن ثم معالجته وتوزيعه بالأنابيب على المستهلكين .

كان يستقى أهل أبها من الآبار المحفورة فى الوادى ، ثم أقيم السد على الوادى لتجميع المياه وتوزيعها بالانابيب لاستعمالها فى الشرب فى المدينة وفى عدد من قراها (صورة١٢) . وقد تطورت أبها فأنشأت فيها الشوارع الحديثة المرصوفة والمشجرة وذات الأرصفة ، وشيدت المبانى الاسمنتية العالية والأسواق المتخصصة والمحال التجارية الضخمة ، وظهرت الفنادق والمصارف والمؤسسات والمبانى الحكومية . وكان أكبر توسع لأبها باتجاه خميس مشيط حيث نشأت المحطة الرئيسية لشركة كهرباء الجنوب ، وبنيت كليات جامعة الملك سعود وعدد كبير من المؤسسات ووكالات الشركات الأجنبية فى هذا الاتجاه .

ب ــ **القسم الشرقى** ويبلغ عدد أفراده نحو ١٠٠ر١٠٠ نسمة وكانوا ٧٢ ألفا فى سنة ١٩٧٤م ، غير أن اكثر من ثلثى هذا العدد تواجدوا فى مدينة خميس مشيط التى تطورت وأصبحت اكبر مدينة فى منطقة جنوب غرب المملكة كلها . وكان باقى السكان ريفيين عاشوا فى قرى تعتمد فى حياتها على إنتاجها من الحبوب خاصة القمح لدرجة أن وادى بيشة سمى فى هذا القطاع وحتى عاليته باسم « بيشة القمح » تميزا له عن القطاع التالى باتجاه سافلته والذى سمى « بيشة النخل » . ويزرع القرويون كذلك الشعير والذرة بأنواعهما والدخن وغيرها ، وتوسعوا بزراعة الخضروات والفواكه .

كانت حياة الريفيين بسيطة بدائية ، ينتجون ما يحتاجون اليه من مواد غذائية من الحاصلات الزراعية أو الحيوانات ، ويتجمعون فى قرى عرفت فى الغالب بأسماء ساكنيها ، شأن معظم قرى إقليم جنوب غرب المملكة مثل قرية آل حارث وقرية آل منصور وقرية آل بنى ثور . وتتكون أكثر القرى من بيوت واطئة متواضعة ضيقة .

وقد اعتنى القرويون كثيرا ببناء بيوتهم لأسباب أمنية . ولذلك سميت البيوت قصورا أو حصونا . وهى محصنة فعلا ، وتتكون من جدر مرتفعة تحيط بساحة واسعة من الأرض اقيمت فى اطرافها أبراج عالية لولبية ، وأخرى مربعة هرمية الشكل تضيق كلما ارتفعت الطبقات ، الى أن تنتهى بحرف علوى مسنن لها نوافذ ضيقة لا تتسع لمرور شخص متوسط الحجم . ويتكون القصر من طابقين أو ثلاثة ونادرا من أربعة . ويبنى من اللبن المجفف ، ويسقف بخشب الأثل ، وتبنى درجات سلم القصر متسعة فى أسفله ، تضيق كلما ارتفعت وضاقت مساحة البناء .

كان يهتم سكان القرى بزينة المنازل من الداخل ، فتلون الجدران وأرضية الغرف

وادراج السلم بالاصباغ النباتية ، وأكثر الألوان انتشارا الأخضر الذى يؤخذ من عصارة البرسيم . ومع ذلك لاتتبع الأبنية قاعدة هندسية منظمة ، وليست البيوت متشابهة من حيث الشكل والبناء والحجم . وقد انتشرت بيوت الاسمنت والطوب الاسمنتى فيما بينها واختلطت معها ، وأصبحت هى الطاغية فى مناطق التوسع .

بلغ عدد قرى منطقة خميس مشيط ١١٣ قرية تقع فى المصاطب الرسوبية الواقعة فى وادى بيشة وروافده فى هذا القطاع ، وكذلك فى وادى تندحة على بعد (١٠ – ١٢ كم) الى الشرق من الخميس معتمدين فى حياتهم على الزراعة المروية من آبار محفورة فى رسوبيات المجرى . ووادى تندحة من روافد وادى بيشة اليمنى ويبدأ من شمال رفيدة ويسير فى طريق كثير التعاريج مسافة ٨٠ كم قبل أن يصب فى بيشة قرب غريراء ، وقد نقص عدد القرى بالقياس الى القسم الغربى ، ولكن زاد عدد أفراد القرية الواحدة ، إذ بلغ معدلها ١٩٦ فردا للقرية الواحدة ، أى أكثر من ثلاثة أمثال معدلها فى القسم الغربى . وقد تواجدت هذه القرى فى قطاع من المجرى يبلغ طوله ٢٠ كم منها تندحة والرشدا وآل بنى ثور .

مدينة خميس مشيط :

غير أن أهم تجمع بشرى فى هذه المنطقة هو مدينة خميس مشيط ، وقد تطورت من قرية صغيرة قديمة ، كانت قابعة على الجانب الغربى لوادى بيشة على بعد نحو ٤٠ كم عن عاليته فى بلاد رُفيدة والشَّعف . ولذلك تمتعت القرية بموقع متوسط فى قطاع من عالية الوادى ، فنشأت بعد أن يصب فيه عدد وافر من الروافد المنحدرة إليه من مناطق السروات ، والتى تغذيه بكمية كبيرة من المياه ، وتُرسب فيه كميات من الطمى ، فتحولت الرسوبيات الى خزان جوفى للمياه . وتهيأت الظروف أن تنشأ القرية فى وسط منطقة غنية بالزراعة المروية ؛ فاتسعت وزاد عدد سكانها وانتشرت على جانبى الوادى وتحولت الى بلده صغيرة اتخذت قاعدة لقبيلة شهران التى تسكن قطاعا من الوادى .

واستفادت البلدة من طبوغرافية الأرض حيث وقعت فى متسع منفتح من الأرض عند انتهاء السلاسل الجبلية وعلى مجرى الوادى ، فسهل الوصول اليها ، كما سهل اتصالها بالمناطق الاخرى . فاختارتها القوافل القديمة لتكون محطة على الطرق وصارت عقدة مواصلات رئيسية ، فدعيت البلدة باسم « الدّرب » . وكانت تقع فعلا على مفترق الدروب . وصارت سوقا من أهم الاسواق الاسبوعية فى المنطقة .

كان يعقد سوق الدرب صباح كل خميس فى برحة متسعة مكشوفة ، تظلل جوانبها يوم السوق بالخيش ونحوه على أعواد . وكان الأكثرية يبسطون بضائعهم فى العراء . ويخصص جانب من السوق لبيع الحطب والفحم وأعلاف الحيوانات ، وجانب آخر لبيع المواشى . وكان يشتهر بين الأسواق الاخرى بكثرة العارضين والمشترين من الجنسين ، وكانت اكثر البضائع المعروضة من المواد الغذائية .

ويوم السوق هو يوم العيد الاسبوعى فى المنطقة ، هو يوم المقاضاة والمحاكمة وابلاغ اعلانات الحكومة على الناس ، وهو يوم تنفيذ الأحكام وتأديب المجرمين وغير ذلك من الأعمال . ولما كانت الأسواق تنسب فى العادة الى القبيلة أو الى أميرها ؛ نسبت الدرب الى أمير شهران ، وهو ابن مشيط فسميت « سوق خميس ابن مشيط » ، ثم « خميس مشيط » للتخفيف .

ونظرا لهذه الميزات ، ولكون خميس مشيط تقع على حافة السراة ومنفذا وبوابة لها ، وليست بعيدة عن حدود اليمن ، وعند ملتقى طريق هضبة عسير فى الشرق وفى متسع من الأرض لاتحجبها الجبال ، اتخذت منذ تأسيس المملكة وفتح عسير ، ومنذ أيام الحروب مع اليمن قبل نصف قرن مقرا للمعسكرات الحربية . وقد أنشئت فيما بعد على الحدود بينها وبين رفيدة المدينة العسكرية .

وفى الخمسينات من هذا القرن أنشىء مطار أبها الى الجنوب من خميس مشيط فاصبحت البلدة البوابة الرئيسية للسراة فعلا . وفى أوائل السبعينات وصلها طريق الجنوب « المزفلت » (طريق الطائف – أبها – خميس مشيط – نجران) ، فأصبحت بوابة القسم الجنوبى من البلاد أيضا . ثم أنشىء مطار أبها الحديث فيما بين مدينتى أبها وخميس مشيط ، وإلى الجنوب من الطريق الموصل بينهما والذى يفوق الأولى فى التجهيز والامكانيات .

اتسعت المدينة ونمت فى وقت مبكر بالنسبة للاقليم الجنوبى فاحتلت المرتبة الأولى فى الإقليم فى المساحة وعدد السكان ، وسبقت أبها فى هذا المجال وفى الفعاليات المدنية . فقامت البلدية بالاستعانة بالوزارة وبشركات التخطيط العاملة فى المملكة على تنظيم المدينة ، فظهرت الشوارع الحديثة « المزفلتة » ، ونشأت المبانى الأسمنتية المتعددة الطوابق والاسواق المتخصصة والأحياء المختلفة الاستعمال ، وكثرت المؤسسات الإنشائية الكبرى والفنادق والمصارف والمبانى الحكومية والمدارس ومحلات تجارة الجملة ، وتميزت منطقة الأسواق المركزية ، والمنطقة الصناعية عن المناطق السكنية .

بلغ عدد سكان خميس مشيط ٥٠٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤م ، فاحتلت المرتبة العاشرة فى المملكة من حيث الحجم ، ومع ذلك فقد دخلت مرحلة جديدة تتصف بسرعة النمو والتطور بعد ذلك العام ، بحيث تضاعف عدد سكانها خلال هذه الفترة المحدودة وتوسعت باتجاه أبها خاصة بعد إنشاء المطار الجديد مثلما توسعت أبها باتجاهها . ونشأت محطة كهرباء الجنوب الرئيسية فى موقع بينهما ، وتوسعت المؤسسات ووكالات الشركات الكبرى على هذا الخط حتى تكاد المدينتان تلتحمان بعضهما ببعض وتشكلان مجمعا مدنيا واحدا ، بعد أن كانا يبعدان عن بعضهما قدر ٣٠ كم .

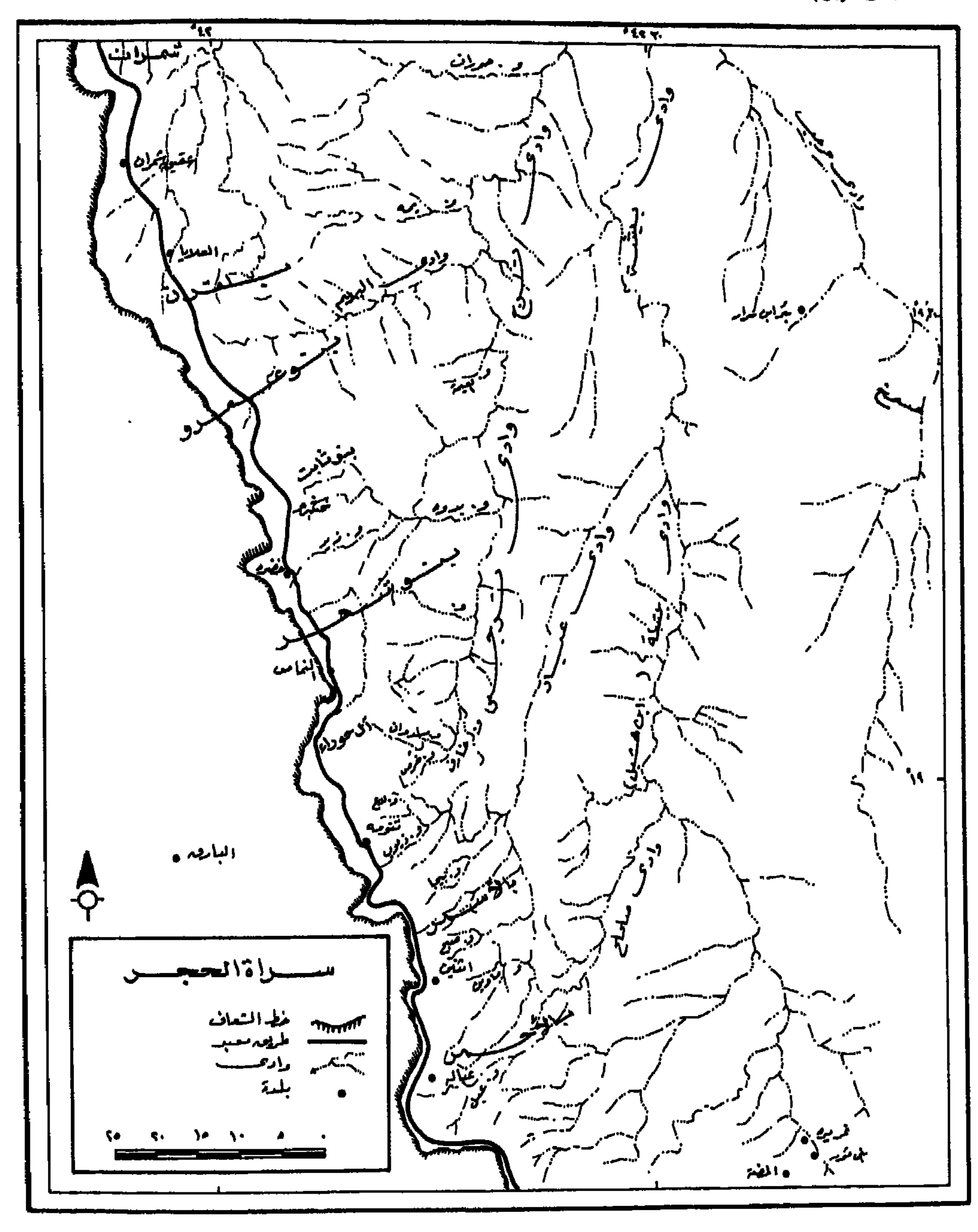
٦ - سَراة الحِجْر :

كان يطلق على البلاد الجبلية العالية التى يسكنها اليوم أفراد قبائل بالحمر وبالسمر وبنو شهر وبنو عمرو اسم « سراة الحجر » ، وتقع الى الشمال مباشرة من سراة عنز (أو سراة عسير) . وتبدأ من شمال عقبة شعار وبالقرب من خط عرض ٣٠ - ١٨° ش وحتى خط عرض ٣٠ - ١٩° ش تقريبا . وتنحصر بذلك بين بلاد عسير الواقعة فى الجنوب وبلاد بلقرن وخثعم فى الشمال ، وبين بلاد شهران فى الشرق وبلاد قبائل محايل وبارق فى تهامة غربا . وقد يضم اليها من جهة الشمال بلاد بلقرن وخثعم والتى تتبع إداريا إمارة بيشة فتتمدد لتصبح مجاورة لسراة غامد (سراة الباحة) عند خط عرض ٥٠ - ١٩° ش تقريبا ، فتصبح بالتالى فى موقع متوسط بين سراة عسير وسراة الباحة .

وبلاد الحجر فى الأصل جزء من السراة التى تبدأ غربا بحافة الشعاف (الجرف الانهدامى الذى يهبط كالحائط القائم باتجاه تهامة) ، والتى يزيد ارتفاعها عن ٢٢٠٠م ، وتصل فى منطقة التماص الى ٢٧٠٠م . وتنحدر تدريجيا باتجاه الشرق والشمال الشرقى ، فتنتظم جميع المجارى المائية خلف خط الشعاف فى هذه الاتجاهات ، فتصرف مياه أمطار مناطق السراة وتلتقى مع بعضها البعض مشكلة ثلاثة روافد رئيسية فى هذه المنطقة تصب جميعها بالتتالى فى وادى بيشة قبل وصوله قلعة بيشة وهى : من الجنوب الى الشمال : وادى صلحلح ووادى عياء ووادى ترج (وعاليته ترجس وخارف وبدرة والبهيم) . (شكل ٤٠) .

ولذلك فسراة الحجر تشبه باقى السروات من حيث ارتفاعها وتعقُّد تضاريسها ووعورتها ، واعتدال مناخها وقد تتفوق عليها من هذه النواحى ، فتستقبل سفوحها المواجهة للرياح الجنوبية الغربية والغربية الرطبة كميات من الأمطار قد تكون من اكثر

شكل (٤٠)



كميات الأمطار الساقطة فى المملكة . فقد سجلت محطة النماص على سبيل المثال أرقاما مرتفعة كان معدلها السنوى : (٤٩٥ ملم) ، وارتفعت معدلات الرطوبة النسبية التى تسبب حدوث الضباب والندى .

وقد انعكست هذه الظروف فى غنى هذه المناطق بالغطاء النباتى ، فانتشرت تجمعات الأشجار على مساحات واسعة من السفوح العليا ، وشكلت غابات حقيقية شبيهة بغابات عسير والباحة مثل : غابة بيحان وجبل الجعد فى بالحمر ، وغابات الحضوة والجاضع وشعف اثنين وبنى منبح فى بالسمر ، وغابات جبلي حرفة والمطلي فى بنى عمرو ، وغابات السرو بحائل وشعف بنى التيم ومرير والعوامر فى بنى شهر ، وتتكون معظم أشجارها من العرعر ، وتتواجد أشجار الزيتون والبن والكادى والصفصاف والسدر كلما اتجهنا شرقا ، وتتكاثف فى الوديان أشجار الأكاسيات كالسلم والسمر والطلح ، وكذلك الشيخ والبرك والحناء والثالب والغرب . واعتنت باقى الأراضى بالأعشاب الحولية التى كانت عماد الحياة الحيوانية فى هذا الاقليم .

وقد حول مواطنو هذه المناطق الجبلية السفوح العليا الى مدرجات« ركبان » كما عمل إخوانهم سكان السروات الأخرى ، وأخضعوها للزراعة العثرية (على الأمطار) وانتجوا الحبوب بأنواعها خاصة القمح والشعير (فى الموسم الشتوى) والذرة والدخن والسيلان والسيال والبلسن (العدس) ، وزرعوا بعض الأشجار المثمرة كالعنب والرمان والتين بنوعيه والخوخ والحبحب والبصل وبعض الاعلاف فى الموسم الصيفى . وعاشوا فى وسط الحقول فانشأوا القرى الصغيرة وظهرت القرى وكأنها مبعثرة فيما بين الحقول . وبقى بعضهم على حالة البداوة يستثمرون أعشابها الغنية للرعاية .

غير أن سكان هذه القرى المبعثرة وحتى بواديها تجمع بينها وتوحدها رابطة القرابة والنسب ، حيث نزل هذه المنطقة وحل بها منذ القدم أبناء حَجر بن الهنوء بن الأزد من قَحطان ، فتشبث كل فخذ أو فرع أو عشيرة فى حوض أو واد أو قطاع من أحد الوديان لم يبرحه . ومن هنا اطلق عليها جميعها اسم « سراة الحجر » . وقسمت المنطقة الى أربعة أقسام اطلق على كل قسم منها اسم أحد أبناء حجر بن الهنوء الأربعة .

يعيش فى هذه المناطق الواسعة التى تبلغ مساحتها بين ٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ كم٢ ما يقرب من ٨٠٠٠٠ نسمة ، يستقر نحو ٧٠٪ منهم فى قرى مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها طابع القرى الصغيرة لكثرة قرى السفوح العليا . لذلك ارتفع عددها الى

مايزيد عن ٦٠٠ قرية ، يعتمد سكانها جميعا على الزراعة وعلى تربية الحيوانات في حياتهم ولذلك فان المنطقة تستحق بجدارة وصفها بأنها منطقة ريفية . إذ لايوجد فيها ولا مدينة حقيقية واحدة ، ولو أن كل مجموعة منها تتمحور حول احدى القرى الكبيرة ، فتتخذ منها سوقا أسبوعيا لتبادل المنتوجات . وقد نما بعضها وتطور بفعل السوق وتحسُّن وسائل النقل من ناحية ، وبسبب اتخاذها مركزا إداريا مما اقتضى بناء عدد من المنشآت الحكومية لتشغلها الدوائر والمدارس ، وظهرت فيها بعض الخدمات ونشأت المبانى الأسمنتية بعد أن كان البناء يتم من الطين أو الحجارة المسقفة بالخشب ، وشقت فيها الشوارع « المزفلته »فتحولت الى بلدات تميزت عن باقى القرى .

ونظرا لضآلة مساحة الأراضي الزراعية نسبيا فقد استغل الفلاحون باقى الأراضى فى تربية الحيوانات بسبب غناها بالأعشاب . أما الأجزاء الشرقية والتى تندر فيها الأراضى الصالحة للزراعة فقد استغلت من قبل الجماعات التى بقيت على حالة البداوة وذلك برعى حيواناتهم . وقد بلغ عددهم نحو ٢٠٠٠٠ نسمة اى مايقرب من ٣٠٪ من مجموع السكان . ومن المعروف أنهم يستقرون فى فصول الجفاف حول مناهل مائية معروفة فى أحواض وديان المنطقة .

وسنستعرض أقسام سراة الحجر فيما يلى :

أ ـــ بلاد بالحَمر : وتقع فى الطرف الجنوبى لسراة الحجر ، أى أنها أقرب أجزاء هذه السراة الى عسير ، وتقع فى حوضى وادى صلحلح ووادى عياء من جهة العالية ، وهى من روافد وادى بيشة (ابن هشبل) . وتبدأ حدودها من عقبة شعار وشمال بلاد بنى مالك (من عسير) الى أن تتصل ببلاد قبيلة بالسمر شمالا . فتمتد مسافة ١٥ كم شمال جنوب من جهة الغرب غير أنها تمتد اكثر من ٢٥ كم فى الجهة الشرقية ولذلك فانها تضم مساحة واسعة من البادية وتبلغ مساحة القضاء نحو ٨٠٠ كم٢ .

اعتبرت بلاد بالّأحمر إداريا كإمارة فرعية تتبع إمارة عسير ، واتخذت قرية حجدل القريبة من صبح لتكون قاعدة لها وتقع فى عالية وادى صبح . فاستحدث فيها عدد من الدوائر الحكومية ، وأنشئت فيها المدارس الإبتدائية للبنين والبنات ، ومر بالقرب منها طريق الجنوب .

وتنتسب هذه القبيلة الى جدها وهو[1] أحمر بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان ابن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان . فسميت البلاد التى يسكنها بنوه باسمه ، أى « بنى الأحمر » ولكنها تنطق محليا بلفظ بالّحمر . ونظراً لانعزال سكان المناطق الجبلية وصعوبة وبطء اختلاطهم بالأقوام المجاورة لهم ، وجد أن كل مجموعة من قبائلها تلك تتصف بملامح انثروبولوجية تميزهم عن مجاوريهم من القبائل ؛ حتى ان سليمان شفيق كمالى لاحظ منذ مطلع هذا القرن « أن سحن أفراد قبيلة بالّحمر أقرب تشابها لسكان الجبال الهندية منهم للعرب »[2] .

يتوزع بنو الأحمر فى وديان المنطقة سواء فى قرى زراعية يغلب وجودها فى الجهة الغربية أو فى البادية التى تقع فى شرق البلاد . وغالبا ما يتبع هذا التوزيع صلة القرابة ، فتكون القرية أو مجموعة القرى المتجاورة لأسرة أو عشيرة واحدة ، وتبنى من الحجارة بملاط طينى . وتقسم قبيلة بالّحمر فى السراة الى ثلاثة أقسام هى : المجَنب وآل محمد ونَازِلَة . وينتمى اليهم سكان البادية شرقا كما أن لهم أتباعا فى تهامة غربا مثل عسير وقحطان . ويتكون كل قسم من هذه الأقسام من أفخاذ وفروع ، ويستقر كل فخذ أو فرع فى أحد الوديان أو بعضها أو عدد منها على النحو التالى : (3)

١ ــ **المَجْنب** : ويسكنون وادى صَلَحْلَح وأطراف وادى عَياء ويتكونون من :ــ

● بنو ثعلبة والخَلَلَة وتسكن الأولى قريتين فى سافلة وادى عَبل الذى يصب فى وادى صَلَحَلح ، وتسكن الثانية قريتى الخَللة والطَرفة وتقعان فى وادى الماوين الذى يصب فى صَلَحَلح أيضا بعد أن يلتقى بوادى عَبل .

● بنو سفار ويتكونون من ثلاثة أفخاذ هى : آل زيان ويعيشون فى عدد من القرى تقع فى الطرف الجنوبى لبلاد بالّحمر ، فيجاورون بلاد عسير . وآل لَصْلعَ ويعيشون فى خمس قرى تقع فى السفوح العليا المشرفة على وادى عَبل . وآل قاسم ويعيشون فى سبع قرى فى عالية وادى عَبل .

---

(١) انظر عمر غرامة العمروى . المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية . الجزء الثالث بلاد رجال الحجر . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ص ٥٢ – ٥٥ .

(٢) سليمان كمالى باشا – بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمالى . مجلة العرب الجزء ١٠ السنة ٥ . حزيران ١٩٧١م . ص ٩٠٨ .

(٣) عمر غرامة العمروى – نفس المصدر ونفس المكان .

● آل لَعْبانَ ويعيشون فى ثمانى قرى فى وادى العيص ووادى لَعبان وهما رافدان صغيران يصبان فى وادى عَياء .

٢ ـــ **آل محمد** : ويسكنون حوض وادى عَياء وينقسمون الى عشيرتين : الأولى وتتكون من فخذين هما آل صَدام وآل مَعْلوى والثانية المَاوِيَن :

● آل صدام وآل مَعلوى ويعيشان فى عشر قرى فى منطقة الشعاف وفى وادى آل صدام الذى يصب فى وادى بيحان أحد روافد وادى عياء .

● المَاوَيْن وتعيش فى سبع قرى فى منطقة الشعاف التى تشرف على وادى الماوين وهو أحد روافد وادى صَلَحَلح أى إلى الجنوب من موقع العشيرة السابقة ويجاورون بلاد المَجنب .

٣ ـــ **نَازِلَة** وتسكن الوديان:صبح وآل حسين وآل عمر وهى من روافد وادى عَياء الجنوبية وتنقسم الى ثلاث عشائر هى :

● بنى بَجاد ومنهم آل حسين الذين يعيشون فى وادى آل عمر القادم من ذيوب . ويصب الوادى المتكون من التقاء الاثنين فى وادى عَياء . ويعيش قسم من بنى بجاد على حالة البداوة فى سافلة الوديان الى الشرق .

● البَهْشَة ولهم قرية بَهوان بوادى بهوان الذى يصب فى وادى المَاوين والواقع الى الجنوب من وادى صبح .

● بنو هشام ويعيشون فى ١٤ قرية تقع فى وادى صبح ووادى شَظَى بالاضافة الى قرية هَبْهبة الواقعة فى رأس جبل هَبْهبة المطل على تهامة والذى يبدأ منه وادى بَيحان .

تعتبر بلاد بالّحمر بأكملها منطقة ريفية – كما سبق ذكره – إذ يعيش أفرادها إما فى قرى تعتمد على الانتاج الزراعى مثل قرى بلاد عسير وقحطان أو فى البادية . وقد بلغ عدد قراها ١١٧ قرية وبلغ عدد ساكنيها نحو ٧٥٠٠ فرد ، أى بمعدل ٦٥ فرداً للقرية الواحدة . فهى – كما هو واضح – قرى صغيرة ولا يوجد بينها مدينة صغيرة واحدة وقد اتخذت قرية جحدل ليقوم فيها سوق أسبوعى يعقد فى كل يوم أحد ، ثم اتخذت قاعدة إدارية للمنطقة فتحولت الى بلدة .

وقد عاش باقى سكان هذه الإمارة الفرعية والبالغ عددهم نحو ٤٣٠٠ فرد فى سافلة الوديان فى الجهة الشرقية من البلاد ، والتى لاتصلح للإنتاج الزراعى ، غير أنها غنية بنباتاتها وأعشابها وبمواردها المائية الباطنية والناتجة عن تسرب مياه الفيضان ، فاستغلت فى تربية الحيوانات وبقى سكانها على حالة البداوة ، واستفادوا من وجود ٣٩ منهل ماء يلجأون اليها فى فصل الجفاف .

ينتمى أفراد بادية بالحّمر الى نفس الأفخاذ والعشائر التى ينتمى اليها الحضر فى القرى وهى : المجَنب وآل محمد ونَازلة وفروعها المختلفة ويشكلون ما نسبته ٦ر٣٦٪ من مجموع سكان القضاء وهى - كما هو واضح - من أعلى نسب تواجد البدو فى المناطق الجبلية .

ويتبع بالحمّر فريق آخر يسكن تهامة المنخفضة فى الغرب مثل سكان قرية فرشاط الواقعة فى آخر ما يمتد اليه بصر الواقف فى أعلى عقبة شعار الى جهة مجرى وادى طية على طريق محايل .

ب ــ بلاد بالّسمر : وتقع فى جنوب بلاد الحجر ، ولكن الى الشمال مباشرة من بلاد بالحمّر ، وتمتد فى إقليم السراة مسافة ٢٠ كم جنوب - شمال تقريبا ، وتصل حتى وادى سدوان عند حدود قضاء تنومة . أى أنها تحتل حوض وادى خارق وهو الرافد الجنوبى لوادى ترجس (عالية وادى ترج) وكذلك جزء من حوض وادى عَياء أيضا . وتبدأ فى الغرب من خط الشعاف الذى تنحدر من سفحه الغربى (حافة الجرف) بعض المجارى العليا لوادى حَلى قبل أن تجتمع مع بعضها فى منطقة إصدار بالّسمر وينحدر سطح المنطقة من خلف خط الشعاف تدريجيا باتجاه الشمال الشرقى حيث تشغله أو تحفر فيه المجارى العليا لوادى خارف المشار اليه . ومن الجدير بالملاحظة ان بلاد بالسّمر تضيق مساحتها باتجاه الشرق حتى تنتهى على شكل رأس مثلث فلا تضم الا مساحة ضيقة من إقليم البادية . وإجمالا لاتصل مساحة البلاد نصف مساحة بالحّمر .

وقبيلة بالّسمر وثيقة بقبيلة بالحّمر حيث ان جدها هو أسمر(١) بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان ، فهو أخو أحمر . وقد سميت البلاد التى يسكنها بنوه باسمه أيضا أى « بنى الأسمر » وتنطق محليا باسم « بالّسمر » .

---

(١) عمر غرامة العمروى - نفس المصدر ص ٧٠ - ٧٢ .

يتصف أفراد القبيلة بملامح تجعل تقاطيع وجوههم ، كما قال المتصرف العثمانى شبيهة بتقاطيع الجنس القوقازى الأسيوى . ويفسر ذلك بأن اختلاف الملامح الانثروبولوجية لسكان السراة عن بعضهم يعود الى الانعزال بعد الهجرات ، حيث كانت بلاد عسير إجمالا ممرا لمن يقصد اليمن[1]

وقد اعتبرت بلاد بالّسمر فى الوقت الحاضر إمارة فرعية تابعة لإمارة عسير يقع مركزها على جانب وادى ذيوب من جهة العالية . وذلك فى بلدة « السوق » والتى يطلق عليها اسم « اثنين بالّسمر » . وهى فعلا مركز سوق يعقد كل يوم اثنين . ثم بنى فيها عدد من المنشآت الحكومية بسبب ايجاد بعض الدوائر الحكومية كما أنشىء فيها مدارس ابتدائية للبنين والبنات .

ويتوزع أفراد قبيلة بالّسمر بين القرى الزراعية المنتشرة على السفوح العليا أو فى الوديان ، وبين البادية الواقعة الى الشرق شأن إخوانهم بالّحمر . وينقسم بنو الاسمر الى قسمين هما : بنو مُنْبحَ وبالعُذْمةَ وينقسم كل منهما الى اقسام أيضا على النحو التالى :

١ ــ **بالعُذْمة** ويتواجدون فى جنوب بلاد بالّسمر بجوار بلاد بالّحمر وهم قسمان :

● آل خُزَيم ويعيشون فى ثلاث عشرة قرية فى أعلى وادى ذيوب وادى آل عُمَيْر والمَطْرف اللذين ينحدران الى ذيوب ووادى عمق وتنتهى جميع هذه الأودية الى عَياء .

● بنو قاعدْ وهم عشيرتان : السُّقُف ويعيشون فى خمس قرى تقع فى وادى خرص ووادى العُطَفْةَ . والشَّعَف ويعيشون فى ثمانى قرى تقع بواديى كُبْدا وآل عَيْنَين اللذين يسيلان فى وادى العُطْفة ثم المُطْرِق فعيَاء .

٢ ــ **بنى مُنْبَح اليمن** : وهم سكان جنوب بلاد بالّسمر (بنو جنادة) وينقسمون الى قسمين :

ــ آل عُبَيْد ويعيشون بمناطق الشعاف فيقال لهم آل عبيد الشعف ، ويستقرون فى إحدى عشرة قرية فيها . ولهم أتباع فى إصدار تهامة يعيشون فى عشرين قرية أخرى هناك .

● المضفاة ويعيشون فى خمس قرى كبيرة نسبيا تقع بالقرب من الشعاف وفى جنوب بلاد بالّسمر وفى وادى العيص وفى وادى عِبالة .

(١) سليمان شفيق كمالى – نفس المصدر ونفس المكان .

٣ ــ بنو مُنَبِّح الشام* ويتكونون من أربع عشائر هي :

● آل حَوْراء وتتكون من خمسة أفخاذ هي : آل بُشِيَّة ، وآل الصَّدرِ ، وآل مَارد ، وآل عِتْمة ، وآل مُحْرِز . ويعيشون فى خمس عشرة قرية تقع فى وادى حوراء ، وفى أربع قرى أخرى تقع فى وادى خُرَص ، وهما أبعد روافد وادى ترج باتجاه الجنوب وبالتالى فهما أطولها ، إذ ينبعان من قمم السراة لبنو مُنَبِّح ، ويصبان بعد التقائهما بوادى خارق (عالية وادى ترجس) .

● آل زيد ويعيشون فى خمس قرى تقع فى سافلة وادى سدوان ، ويختلطون مع آل سريع فى وسط ذلك الوادى الذى ينحدر أيضا من قمم سراة بنى منبح الى الشمال من وادى حوراء ، ويصب بعد اجتماعه بوادى تنومه فى وادى ترجس فترج .

● آل سَرِيْع ويعيشون فى سبع قرى تقع وسط وادى سدوان مختلطين مع قرى آل زيد ، وكذلك فى عالية الوادى وفى قرى أخرى تقع فى وادى خُرص .

● آل الفَيْج ويعيشون فى أربع قرى تقع فى سافلة وادى خرص وذلك قبل أن يلتقى بوادى حوراء .

تعتبر بلاد بالّسمر مثل سابقتها منطقة ريفية ، إذ يتوزع السكان فى قرى تعتمد على الإنتاج الزراعى وعلى تربية الحيوانات ، وتقع فى السفوح العليا فى قمة السراة وفى جوانب الوديان ، حيث نجد أن منظر الخضرة الناتج عن انتشار النبات الطبيعى والحقول المزروعة يمتد من بلاد بالّحمر الى بالّسمر وحتى بلاد تنومة بدون انقطاع . وقد بلغ عدد القرى فى بالّسمر نحو ١٠٠ قرية ، يعيش فيها نحو ٨٠٠٠ فرد ، أى بمعدل ٨٠ فرداً للقرية الواحدة ، مما يعنى أن معظمها قرى صغيرة ، ولو أن معدل حجمها يزيد نسبيا عن معدل حجم قرى بالّحمر ، وهذا شأن قرى السفوح العليا . وقد استفادت احدى هذه القرى من اتخاذها مركز السوق الإسبوعى للمنطقة نظرا لتوسط موقعها وسهولة الوصول اليها ، فيجتمع فى السوق سكان القرى الأخرى للتسويق والمبادلات التجارية ، وهى قرية اثنين بالّسمر والتى نمت وتحولت الى بلدة ضمت فى سنة ١٩٧٤م نحو ٨٠٠ فرد .

* يتكرر تعبير « الشام » كثيرا فى تمييز أسماء المواقع ويقصد به « الشمالى » . كما يتكرر تعبير « اليمن » بنفس الأسلوب ويقصد به « الجنوبى ».

أما البدو الذين يتبعون بالّسمر فيتكونون من ثلاث عشائر هى آل جَبل وآل حَمامَة وآل عَياء ، ويعيشون فى سافلة الوديان التابعة للقبيلة حياة ترحل وانتقال ، معتمدين على تربية حيواناتهم المتكونة بالدرجة الاولى من الاغنام والماعز والجمال،وقد استفادوا من وجود ١١ منهل ماء . ورغم صغر مساحة هذه البادية فقد بلغ عددهم نحو ١٥٠٠ فرد وقد اتجه هذا العدد للتناقص لكثرة هجرهم حياة البداوة .

ويتبع بلاد بالّسمر من ناحية ادارية وعشائرية نحو ١٢ عشيرة تعيش فى تهامة ، خاصة فى مناطق إصدار بالّسمر منهم : آل مطير سكان الخميس وحول جبال مناطق الإصدار العالية مثل جبل هادا وضرم .

ج ــ **بلاد بنى شهر** : وتقع فى وسط سراة الحجر وتغطى مساحة واسعة من اقليم السراة تبلغ نحو ٢١٠٠ كم٢ اذ تمتد بين ٤٥ – ٥٠ كم من الجنوب الى الشمال ، وقد يكون اكثر من ذلك فى الاتجاه الآخر (غرب – شرق) .

وتمتاز هذه المنطقة من السراة بتوسط موقعها وبارتفاع خط الشعاف أكثر من الأجزاء الأخرى القريبة منها ، حيث تزيد ارتفاعات قسم منها عن ٢٥٠٠م . وهى فى وضع يبرز باتجاه الغرب بحيث تواجه الرياح الغربية والجنوبية الغربية بشكل يتميز عن مواجهة الأقسام الأخرى ، فزاد نصيبها من الأمطار السنوية كما سبق ذكره وزادت اعتدالا فى الحرارة والرطوبة أيضا . فانتشرت النباتات الدائمة الخضرة لاسيما الأشجار وامتدت امتدادا عظيما خاصة أشجار العرعر والعتم والطلح والشث والطباق والأركوض والجوبر والضرم والعثرب والغرب ، ويستعمل خشب معظمها فى تسقيف البيوت وفى صنع الأبواب .

حول المستوطنون قسما من السفوح العليا الى مدرجات (ركبان) وأخضعوها للزراعة المطرية بكثافة قد تفوق نظيراتها فى مناطق السراة الأخرى بحيث تمتد عشرات الكيلومترات دون انقطاع .

وتشتهر بلاد بنى شهر بانتاجها الوفير كالحبوب مثل : القمح والشعير والذرة . وكالفواكة مثل : العنب والتين والرُمان والتفاح والتين الشوكى والتوت واللوز . وقد بدأ الاتجاه لزراعة الخضروات ، ولم يتضاءل الاهتمام بالثروة الحيوانية رغم توقف استعمالها فى العمل الزراعى . وهي كمناطق السراة الأخرى تنتهى غربا بحافة الانهدام

التى تهبط بشكل فجائى باتجاه تهامة ، وتنحدر من قمة الحافة بالاتجاه الآخر انحدارا تدريجيا بحيث انتظمت مجارى الوديان فى هذا الاتجاه مشكلة حوض وادى بدوة الأعلى قبل أن يلتقى مع وادى ترجس عالية ترج .

لقد اعتبرت بلاد بنى شهر فى التقسيم الادارى زمن الحكم العثمانى « قضاء » ، وكان يقيم « القائم مقام » فى بلدة النماص ، وهو يتبع إداريا المتصرف الذى يقيم فى أبها . والنماص هى أكبر قرى المنطقة وأكثرها توسطا للريف الزراعى المحيط بها وبالتالى أسهلها للوصول منها واليها . وقد اتبعت فى وقت ما بعدئذ لدولة السيد الإدريسى الذى كان يتخذ مركزا له فى منطقة عسير . وقد اتبعت الى إمارة عسير منذ العهد السعودى الحديث . وقد قسمت الى إمارتين فرعيتين تتبعان عسير كما تُظهر ذلك نتائج تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ وهما : إمارة بنى شهر ومركزها النماص ، وإمارة تنومة ومركزها سبت تنومة .

وينتسب السكان الى قبيلة بنى شهر التى تنتمى هى وجيرانها بالّحمر وبالّسمر وبنى عمرو الى نفس الأصل حيث ينحدر أربعتهم من أربعة إخوه هم أبناء حجر . فجد القبيلة هو شهر بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان . وقد سميت البلاد التى يسكنها بنوه باسمه فقيل لها « بنى شهر »[1] .

وينقسم بنو شهر فى السراة الى خمسة أقسام هى :

١ ــ **بالحارث** وتسكن منطقة تنومة الواقعة فى جنوب بلاد بنى شهر والى الشمال مباشرة من بلاد بالّسمر ، وقد اتخذت إمارة فرعية مثلها مثل باقى بنى شهر وتتكون من ست عشائر هى :

- آل دَحْمان وتعيش فى ثلاث قرى كبيرة تقع فى منطقة تنومة .
- الشَعفَين وتتكون من فرعين هما آل محمد بن يزيد وبنى غراب ويعيشون فى ثلاث عشرة قرية فى منطقة تنومة وفى شفا تنومة .
- آل الصَّعْدِي وتعيش فى ست قرى بمنطقة تنومة أيضا .

---

(١) عمر غرامة العمروى . نفس المرجع ص ١٠٢ – ١٠٨ .

● العُمَرَة : وتعيش فى قرية كبيرة يتبعها أربع قرى صغيرة فى الأودية المَلَحْ والغُبَر والشَّعبَ والحصون ، وذلك بين جبلى البضعة والمشارق .

● الجهاضِمَة (قريش) وتعيش فى خمس قرى تقع فى عالية وادى تنومة فى أقصى حدود بنى شهر من جهة الجنوب أى بجْوار بالّسمر .

● جَبيهَة : وتعيش فى أربع قرى تقع فى السفوح المشرفة على وادى الدهناء الذى يصب فى وادى تنومة وذلك بجوار بالّسمر أيضا .

وينتسب الى بالحارث أيضا سكان قرية العَوْصَاء الكبيرة والتى تتبعها قرية آل محمد وتقعان بالقرب من الشعفين . وينتسب اليهم كذلك سكان قرية أَرْوىَ وهم بنى جَار (آل جُهَيْل) .

٢ ـــ **العوامر** : وتقع بلادهم فى شمال بلاد بالحارث تنومة وفى جنوب منطقة النّماص وذلك فى قرى زراعية فى الغرب أو فى حالة البداوة وحول مناهل المياه فى الشرق . ويتكونون من خمس عشائر هى :

ـــ آل بالحُصَين وتعيش فى ثمانى قرى تقع فى شمال وادى الغرّ وعلى جبال العفار والقامة .

● بنو مَشْهور ويعيشونْ فى خمس قرى تقع فى وادى مشهور الذى ينتهى الى وادى نحيان قبل أن يصب فيه وادى النماص .

● بنو لَام ويعيشون فى أربع قرى تقع فى وادى غبيب ووادى الشعب اللذين ينتهيان الى وادى صليح ثم نحيان .

● دُحَيْم وهم فخذان : آل بهيش ويعيشون فى خمس عشرة قرية ، والنَّهي ويعيشون فى ست قرى تقع فى وادى الغر وعلى جبلي لنبش والقامة فى منطقة الشعف المطلة على تنومة .

● كِنَانة وتعيش فى ثمانى قرى تقع على جبل ثابت وبعالية وادى نحيان .

٣ ـــ شهر ثَرامِيْن : وتقع بلادهم فى وسط بلاد بنى شهر وذلك الى الشمال من بلاد بالحارث تنومة ومن بلاد العوامر . وأرضهم على شكل فرعة متسعة تقع خلف خط الشعاف ترتفع نحو ٢٢٠٠ م عن سطح البحر . يربطها غربا بتهامة ست عقبات :

أولها فى الجنوب عقبة تنومة ثم عقبة القامة التى تفضى الى واد وعر معوج مغطى بالاشجار ثم عقبة سنان التى تقع غرب النماص والتى تستعملها المشاة والماشية وتبعد نحو ١٥٠ كم عن أبها فى جهة الشمال ، ويليها شمالا عقبة وادى خياط ثم عقبة وادى سراعى ثم عقبة وادى يبا الذى تعيش فيه قبائل بدوية مترحلة(١) .

وتنحدر أرض هذه الفرعة بشكل عام نحو الشمال الشرقى فتصفى مياهها فى وادى النماص الذى ينتهى إلى نحيان فبدوة . وتقع على جانبه فى وسط الفرعة بلدة**النماص** وكان اسمها فى الأصل « القرية » ، وقد غلب اسم النماص على الوادى وعليها بسبب غنى الوادى باشجار النمص (الحلفا) . وقد نمت البلدة بفضل موقعها المتوسط وبسبب مركزها الإدارى وكانت مقر السوق ، وقد اتخذت مركز الإمارة الفرعية (إمارة بنى شهر) .

وتتكون شهر ثَرامين من خمس عشائر هى :ـــ

● آل بن ريّاع وهم ثلاث أفخاذ :الدّحض والشهوم وآل ليمان . ويعيشون فى ست عشرة قرية منها ثلاث فى جَبلي منعاء ولنبش فى شمال تنومة ، والباقية فى حوض وادى نحيان شرق النماص .

● بنو بِكْر ويعيشون فى خمس قرى تقع بأعلى وادى النماص وجنوب وادى عاكسة .

● بنو جُبَيْر ويعيشون فى ثلاث قرى كبيرة تقع على وادى رُدَيْحة الذى يقع فى شمال النماص ويصب فى وادى نحيان .

● بنو قُشَيْر ويعيشون فى أربع قرى تقع على جوانب وادى النماص ووادى رديحة ووادى نحيان .

● الكلَاثِمةَ ويعيشون فى بلدة النماص وأربع قرى أخرى فى وادى رديحة وقرية واحدة على وادى نحيان .

٤ ـــ **بنو التَيِمْ** ويستقرون الى الشمال من بلدة النماص وذلك فى أحواض الوديان : زيد وخشرم والعيمة ، ويتكونون من أربع عشائر : هى :

---

(١) سليمان شفيق كالى – المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

● خُشْرم ويعيشون فى ثلاث قرى تقع بعالية وادى خشرم ولهم اتباع فى تهامة .

● آل زَيْدان ويعيشون فى خمس قرى تقع بأعلى وادى حَضرين ووادى حضر ولحبى والعيمة والقيم ، ولهم اتباع فى تهامة .

● آل لَيْلَح بن على ويعيشون فى ست قرى تقع فى وادى زيد وجبل مرير . ومن قراها المشهورة بلدة الخضراء .

● آل وَليد ويعيشون فى ست قرى تقع فى وادى زيد والعيمة ووادى الرحمة وشوحطة .

٥ ـــ **شهر الشام** وقد احتلوا الجزء الشمالى من بلاد بنى شهر ، إذ يحدهم من الشمال بنو عمرو اليمن ومن الجنوب بنو التَّيْم وانتشروا بين الشعف والبادية وهم ثلاث عشائر هى :

● بنو ثابت ويعيشون فى ست قرى تقع فى وادى السّرو ، وبأعلى منطقة السَّهْو وهى أقصى بلاد بنى شهر شمالاً .

● بنو يُوسْ ويقال لهم « عابس » ويعيشون فى أربع قرى كبيرة بمنطقة حلباء ووادى العيمة .

● بنو هاشم ويقال لهم « القَبَل » نسبة الى القرية الكبرى بمنطقتهم . ولهم قريتان كبيرتان تقعان فى شمال حلباء وشمال شرق العيمة .

يعيش أفراد قبيلة بنى شهر مثل أقاربهم بالّحمر وبالّدسمر وبنى عمرو إما فى قرى زراعية صغيرة الحجم تقع فى السفوح العليا للسراة وفى جوانب الشعاف ، أو فى قرى متوسطة الحجم أو كبيرة فى مجارى الوديان المنحدرة من السراة . أو أنهم غير مستقرين وبقوا على حالة البداوة يتجولون فى الأطراف الشرقية للمنطقة ، أى فى سافلة الوديان حيث تقل الأمطار ويزداد الجفاف وتضعف صلاحية الوديان للزراعة . ويتبعها مثل أولئك أيضا بعض سكان تهامة بنى شهر الواقعة فى الغرب من السراة .

ونظرا لما تمتعت به منطقة بنى شهر من صفات مميزة عما جاورها من السروات ، ارتفعت نسبة الاحتلال البشرى فيها ، فبلغ عدد سكانها نحو ٣٦٠٠٠ نسمة موزعين فى إمارتين فرعيتين إداريا كما سبق ذكره ، هما تنومة وفيها نحو ١١٥٠٠ نسمة والنماص وفيها نحو ٢٤٥٠٠ نسمة .

وقد عاش من هذا العدد ٢٨٥٠٠ فرد فى نحو ٢٥٠ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، نحو ثلثها فى تنومة والباقى فى منطقة النماص أى بمعدل ١١٥ فرداً للقرية الواحدة . وهذا يزيد عن معدل عدد أفراد القرية فى القضاءين السابقين ، بل ويقرب من ضعف معدلها فى بالّحمر . ويبدو أن وجود مدينة النماص وعدد آخر من البلدات أو القرى الكبيرة من ضمن قرى المنطقة قد عمل على رفع المعدل عن نظيره فى القضاءين السابقين .

وتمتد بادية بنى شهر امتدادا واسعا فى شرق السراة فتصل فى الشمال الشرقى حتى وادى ترجس وترج ، وتحاذى بادية شهران التى تستوطن وادى بيشة (ابن هشبل) . وتنقسم الى ستة بوادى هى : بادية أثْلَة وبادية آل بَرّياّع وبادية بنى بكر وبادية العُمْرة وبادية بنى قشير وبادية الكلاثمة . يختلطون فى الشمال مع بادية بنى عمرو (فى ترجس وترج) ، ففى البادية الواقعة فى شرق منطقة تنومة يعيش نحو ثلاثة آلاف من البدو الرحل وفى شرق منطقة النماص اكثر من اربعة آلاف يردون ٦٣ منهل ماء تقع فى سافلة وديان المنطقة ، وبذلك ترتفع نسبة بدو بنى شهر الى نحو خمس سكانها .

وأهم قرى منطقة تنومة هى « سبت تنومة » وقد تحولت بفضل السوق الذى يعقد فى كل يوم سبت ، وبفضل اتخاذها مركز الإمارة الفرعية الى بلدة عامرة سميت باسم السوق ، فاتسعت ونمت حتى بلغ عدد سكانها نحو ١٠٠٠ نسمة أو يزيد . ومن قرى تنومة فى الشعاف : آل جُدَى وآل جُميرة وقريش .

أما قاعدة منطقة النماص فهى بلدة النماص التى يعيش فيها نحو ١٥٠٠ فرد أو يزيد . وقد أنشىء فيها مختلف الدوائر الحكومية مثل : محكمة شرعية وكتابة عدل وهيئة ، ومركز شرطة ومكتب جوازات ، ومركز بريد وبرق وهاتف ، ومركز ضمان وفرع للداخلية . وقد أسس فيها بلدية ووحدة زراعية وبنك تسليف زراعى . وبالاضافة الى مدارس الذكور والاناث من جميع المراحل فقد اقيم فيها معهد للمعلمين ومندوبية تعليم البنات ، وفتح فيها مستوصف . وكانت فى الأصل سوقا اسبوعية يعقد كل يوم ثلاثاء . وقد استفادت النماص كذلك من مرور طريق الجنوب منها (طريق الطائف - ابها) وأصبحت محطة هامة على الطريق تقدم مختلف أنواع الخدمات للمسافرين ، وسهل اتصالها بالقرى والمناطق المجاورة لها .

ومن القرى القديمة الهامة أيضا العروش وتقع الى الشمال من النماص ، ووعرة وتقع الى الجنوب منها ، والخضراء وتقع الى الشمال وذلك على جانب وادى زيد .

ونظرا لاتساع بلاد بنى شهر فى قضائى تنومة والنماص ووفرة انتاجها وارتفاع عدد سكانها فقد نشأ فيها منذ وقت مبكر من هذا القرن سبعة أسواق اسبوعية تعقد بالتناوب على مدار أيام الاسبوع وهى كما ذكرها فؤاد حمزة منذ نيف ونصف قرن[1] :ـــ

١ ـــ سوق تنومة ويعقد فى قرية آل صفوان فى يوم السبت

٢ ـــ سوق عبس ويعقد فى يوم الاحد

٣ ـــ سوق المجازة ويعقد فى يوم الاثنين

٤ ـــ سوق النماص ويعقد فى قرية العسابلة فى يوم الثلاثاء

٥ ـــ سوق شهرة الأمين ويعقد فى السّرو فى يوم الأربعاء

٦ ـــ سوق بنى التّيمْ ويعقد فى قرية الخضرة فى يوم الخميس

٧ ـــ سوق أثرب ويعقد فى قرية أثرب فى يوم الجمعة

د ـــ **بلاد بنى عمرو** : وتحتل القسم الشمالى من سراة الحجر وذلك الى الشمال من بلاد بنى شهر . وتمتاز باتساعها أكثر من الأقضية السابقة فى امتدادها العرضي ، أى باتجاه شرق – غرب فتبلغ نحو ٣٥ كم وذلك من حافة السراة الى وادى بيشة بالرغم من ضيق امتدادها بالاتجاه الطولى جنوب – شمال حيث لاتتجاوز كثيرا ١٠ كم . ويبدو أن طبوغرافية الأرض ساعدت على هذا الامتداد العرضي حيث يبتعد وادى بيشة عن حافة السراة كلما تقدم بالاتجاه الشمالى ويبلغ أقصى بعد له عنها ضمن بلاد الحجر فى جزئها الشمالى أى فى بلاد بنى عمرو ، فتنحدر روافده مسافة أطول فى طريقها قبل أن تصل إلى المجرى الرئيسى ، ولذلك تتم الزراعة إما على الأمطار وذلك فى السفوح العليا خاصة القمح ، أو على الرى من الآبار البلدية وكانت تستعمل السوانى وتزرع الحبوب بأنواعها ، أو على الرى من الوديان أو العيون وهى ضعيفة بسبب تعرضها للجفاف . وقد توسعت زراعة الخضروات مؤخرا وكذلك الأشجار المثمرة .

ويمتاز سكان بنو عمرو بانتشارهم بالاتجاه الغربى ، أى فى اقليم تهامة اكثر من اخوانهم حيث ينتمى اليهم قسم كبير من سكان قضاء المجاردة . وهم مثلهم يعودون بصلة قوية الى نفس الأرومة . فجد القبيلة هو عمرو بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن

---

(١) فؤاد حمزة – فى بلاد عسير . ص ١٦٢ .

كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان . وقد سميت البلاد باسمه أى « بلاد بنى عمرو » . وقد اعتبرت هذه البلاد فى التقسيم الادارى للمملكة قضاء ، أى إمارة فرعية تتبع إمارة عسير أيضا ، ومركزها قرية **الشيخين** الواقعة فى سراة عمرو الشام وذلك على جانب وادى عياش[1] .

يعيش بنو عمرو فى حوض وادى البهيم بروافده الرئيسية : عوص والعرين ورنماء وبروافدها العليا العديدة التى تهبط من قمة السراة . وبذلك فهم يشتركون مع بنى عمومتهم بنى شهر فى حوض وادى العوص ، وتمتد بلادهم الى الشمال منهم مباشرة . وتقسم الى قسمين رئيسيين : عمرو اليمن (الجنوب) ، وعمرو الشام (الشمال) .

١ ـ **عمرو اليمن** ويسكنون جنوب البلاد مجاورين بلاد بنى شهر وقد تختلط قرى القبيلتين فى بعض المواقع ، وذلك فى جزء من حوض وادى بدوة وفى وادى العيمة وعوص . وينقسمون الى ثلاث عشائر هى :ـ

● كَعْب وتتكون من خمس أفخاذ يستوطنون إحدى عشرة قرية تقع على الأودية الصغيرة : صدر أيد وعاكسة وقفعة وبدوة والعطف . أى فيما بين منطقة التماص وبلاد بنى كريم وذلك فى أقصى حدود بلاد بنى عمرو جنوبا ، ومن هنا اختلطت قراهم مع قرى بنى عمومتهم بنى شهر ، كما اختلطت مزارع الفريقين .

● بنو كَرِيْم ويستوطنون سبع قرى تنتشر فى أودية حَضرِين والمعداة وذا المظر وقوان وصدر أيد التى تصب فى وادى بدوة ، وفى قريتين بمنطقة حلباء ووادى العيمة ، وبذلك فهم يعيشون أيضا فى وسط قرى بنى شهر .

● بنو عَمِارَة ويستوطنون إحدى عشرة قرية تنتشر فى وادى عيمة ووادى حلباء وفى شعف حلباء ، وفى وادى العين الذى يصب فى وادى السرو وهذا يعنى أنهم يعيشون الى الشمال مباشرة من قرى بنى شهر .

٢ ـ **عمرو الشام** : ويستوطنون باقى روافد وادى البهيم أى تلك التى تقع الى الشمال من الروافد المذكورة ، أى العرين ورنماء ومجاريهما العليا ، فتقع قراهم فى القسم الشمالى من بلاد بنى عمرو عامة ، أو الى الشمال من قرى بنى عمرو اليمن . ويتكونون من خمس عشائر هى :

---

(١) عمر غرامة العمروى – نفس المصدر ص ١٥٨ – ١٦١ .

● آل الشيخ ويتكونون من ثلاث أفخاذ هي : آل جِسيْكة والشيِّخيين وآل طَلْحةَ ويستوطنون عددا من القرى تقع على جوانب وادى عياش الى الشمال من بلاد الشق مباشرة . ومن أهم هذه القرى قرية الشيخيين التى اختيرت لتكون قاعدة إمارة بنى عمرو . فقد أنشىء فيها معظم الدوائر الحكومية ومدارس ابتدائية للبنين والبنات وفيها سوق اسبوعى يعقد يوم الثلاثاء وكانت مقرا لأسرة آل عثمان .

● عُضَيْدات وتتكون من ثلاث أفخاذ هى الضُّفِيرةَ والعَاسِرَة ونابِطْ ؛ ويستوطنون أربع عشرة قرية تقع فى الوديان : عياش وشث والعاسَرِةَ ، أى الى الشمال من بلاد الشق ، وآل الشيخ .

● آل سليمان : ويستوطنون احدى عشرة قرية وهى فى نفس الوقت موزعة بين ثلاثة أفخاذ :

. آل عَطِيفَة ويسكنون شعف آل سليمان والشق وعالية وادى عياش .
. الأصفاء (تصْفاء) فى وادى طريف وفى جنوب شرقى جبل المَطْلِى .
. الكَتَهْبِلَة ويسكنون عددا من القرى تقع بين المجموعات الأخرى قرب قرى الشق .

● الشقّ : ويتكونون من ست افخاذ يستوطنون تسع عشرة قرية تنتشر فى أحواض الوديان : السهوة وغظار وعالية وادى عياش ووادى الفرشة ووادى شث وجبل المَطَلِى ، ووادى ذا الخورم ، اى الى الشمال مباشرة من بلاد آل سليمان وفى جنوب بلاد آل الشيخ .

● بنو رَافَع ويستوطنون ثمانى قرى تقع فى أقصى بلاد بنى عمرو من جهة الشمال وعلى حدود بلاد بالقرن ، وذلك فى وادى الحصباء الذى ينحدر من جبال حرفة ويافع وقمة السراة (شعف بنى رَافَع) .

ويعتبر قضاء بنى عمرو امتدادا طبيعيا لقضاء بنى شهر نحو الشمال وجزءا مكملا لسراة الحجر وهو نهايتها الشمالية ، حيث تحدها جميعا بلاد شهران التى تستوطن وادى بيشة شرقا ، كما تحدها تهامة غربا . ويتوزع سكانها مثلها بين مستقرين فى قرى تعتمد على الإنتاج الزراعى وعلى تربية الحيوان فى السفوح العليا للسراة ، وقرب مناطق الشعاف وفى المجارى العليا للوديان قبل اجتماعها فى وادى القرين ووادى رنماء اللذين يصبان فى امتداد وادى العوص ، فيتشكل منها جميعا وادى البهيم وهو آخر الروافد الهامة

لوادى ترج الهابطة من السراة ؛ وبين بدو رحل تعيش وتتجول فى سافلة تلك الوديان فى شرق المنطقة ، أى فى حوض وادى البهيم .

يبلغ عدد سكان هذه المنطقة – التى لاتتجاوز مساحتها ٦٠٠ كم٢ تقريبا – ١٨٠٠٠ نسمة منهم أقل من ٦٣٪ مستقرين فى قرى بلغ عددها نحو ٩٠ قرية بمعدل ١٢٠ فرداً للقرية الواحدة ، أى بمعدل يزيد قليلا عما هو فى بلاد بنى شهر ويزيد كثيرا عما فى بلاد بالّحمر وبالّسمر ، وذلك بسبب وجود عدد من القرى الكبيرة .

ويتوفر فى منطقة البادية الواقعة فى الشرق ٦٦ منهل ماء ، يلجأ اليها البدو فى فصل الجفاف فتعتبر مستقرا لهم ، وقد ساعد هذا على زيادة عدد البدو بحيث ارتفعت نسبتهم الى نحو ٣٧٪ من مجمل سكان المنطقة .

ومن الملاحظ أنه يتوسط بلاد بنى عمرو فى منطقة السراة متسع كبير على شكل فرعة تقع خلف الشعاف ويرتفع نحو ٢٢٠٠م عن سطح البحر ، ويشرف عليه بعض المرتفعات العالية من جوانبه مثل جبل المَطلْى وهو متسع السهوة[1] الذي يبدأ من خط الشعاف غربا بحيث تهبط منه العقبات الى تهامة وينحدر سطحه باتجاه الشمال الشرقى ، فيصفى مياهه وادى السهوة . فهو يشبه بذلك متسع سنان الذى يتوسط بلاد بنى شهر وتقع فى وسطه مدينة النماص ، ويبعد عنه مسافة ١٥ كم باتجاه الشمال . ويقع بينهما متسع حلبا الذى يوجد فيه عدد من قرى بنى شهر وبنى عمرو .

٧ – سراة بالْقرن وشِمرانِ وخثعم :

وهى احدى السروات وتقع الى الشمال مباشرة من سراة الحجر وتصل بينها وبين سراة غامد وزهران ، وذلك فيما بين خطى عرض ٢٨– ١٩°ش ، ٥٤– ١٩°ش ، تقريبا وتحتل جزءا من عالية كل من تبالة وشواص . فالأول هو أبعد روافد بيشة نحو الشمال الغربى ، والثانى هو أبعد روافد رنيه نحو الجنوب الغربى .

يبدأ خط الشعاف لهذه السراة فى الجنوب بالاتجاه نحو الشمال الغربى حتى خط عرض ٣٣– ١٩° ش ، ثم يعتدل الى الاتجاه (جنوب – شمال) مسافة ٢٥ كم وتهبط الحافة خلال هذا الجزء باتجاه الغرب بجرف قائم كالجدار يشرف على جانب وادى

---

(١) عمر العمروى الخطاط . فى بلاد بنى عمرو وما جاورها . مجلة العرب ج ٧ ، ٨ السنة ٨ ، شباط ١٩٧٤ م ، ص ٦٢٩ – ٦٣٥ .

الحفيان ، أحد روافد وادى قنونة العليا ، والذى يتجه عند اقدام إصدار الحافة وموازيا لها من الشمال الى الجنوب متأثرا بوجود انكسار فى هذا الاتجاه . وتشكل السراة خلف هذا الخط هضبة صغيرة تنحدر ببطء من حافة السراة باتجاه الشمال الشرقى ، ويشغلها ويحفر فيها وادى تبالة بروافده العليا الرئيسية الثلاثة .

بعد هذه المسافة يغير خط الشعاف اتجاهه فينحنى على شحل زاوية حادة نحو الغرب ، ويبدو ان النحت المتراجع لأحد روافد وادى الحفيان الشمالية الشرقية فى صخور الديوريت والجابرو ، هو الذى سبب تراجع الحافة على شكل زاوية ، والتى لاتلبث أن تنحنى على شكل قوس معاكس ، مسببة اعتدال الاتجاه نحو الشمال ثانية ، مما يجعل عالية وادى الحفيان ذاتها تقوم بالنحت المتراجع حتى تعمل فجوة كبيرة فى الشعاف على شكل فيورد (انظر الشكل ٤١) . وتعتبر هذه الفجوة هى الحد الفاصل بين سراة خثعم وسراة غامد . وتشكل السراة خلف هذا الخط الهضبة الصغيرة الثانية والتى تنحدر ببطء من حافة السراة باتجاه الشمال ويشغلها ويحفر فيها وادى شَواص الأعلى الذى يتجه نحو الشمال .

يتراوح ارتفاع خط الشعاف فى هذه المنطقة بين ٢٠٠٠ – ٢٢٥٠م عن سطح البحر ، ولذلك فان ارتفاعها يقل نسبيا عنه فى مناطق أخرى ، ويضاف الى ذلك أن معظمه يأخذ الاتجاه جنوب – شمال مما يجعله منحرفا عن التأثيرات الموسمية القادمة من الجنوب الغربى ، ومع ذلك فان مجاورته لوادى الحفيان تجعل الطريق مفتوحا أمام تلك التأثيرات ، ولكنه غير مفتوح أمام التأثيرات الشمالية الغربية الربيعية والشتوية . وقد نتج عن ذلك وجود اختلاف طفيف فى صفات الطقس ؛ فارتفعت معدلات الحرارة نسبيا ، وقلت معدلات الأمطار عن مثيلاتها الى حد ما (بلغ معدل العلايا ٣٢١ ملم) .

وقد اتضح هذا من ضآلة انتشار النباتات الطبيعية وصغر حجم الأشجار وتباعدها ، وفى ضيق مساحات الأراضي الزراعية بالقياس الى مناطق السروات الأخرى سواء الى الجنوب مثل سراة الحجر وعسير أو الشمال مثل سراة الباحة . حيث نجدها متفرقة على السفوح العليا وبالقرب من خطوط الشعاف وغير متصلة الى مسافات كبيرة ، وتوجد بكثافة ضئيلة فى أحواض الوديان العليا حيث تنقطع وتصبح مواطن للبدو فى اتجاه سافلة الوديان .

شكل (٤١)

سروات الباحة وبلقرن

بنو مالك
القاع
القرى
بسعة بن جرشع
المندق
الحجرة
الظفير
العقيق
ناصفة
رفيعة
بيشة
الباحة
بلجرشي
قلوه
نمرة
تربياه
صمخ
و. هوران
وادي

٠ ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ كم

وتعتبر هذه الخصائص ظروفا غير مواتية لاستغلال الانسان للبيئة ، فضعفت الموارد التى يعيش منها الانسان فانخفضت الكثافة السكانية لاسيما كثافة الريفيين . وهذا ما رفع نسبة البدو الى المستقرين ، لأن البدو قادرون على استغلال الموارد العشبية التى لم يتمكن الريفيون من تحويلها الى أراض زراعية .

. يعيش فى هذه المنطقة التي تزيد مساحتها عن ٣٢٠٠ كم٢ مايقرب من ٤٠ ألف نسمة منهم ١٢٥٠٠ من البدو الرحل أى بنسبة ٣٢٪ وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى المناطق الجبلية . والباقى ريفيون يسكنون قرى صغيرة أو متوسطة الحجم يعيشون من الزراعة وتربية الحيوانات ، ولايوجد فيها مدن . غير أن سبت العلايا وهى حاضرة قديمة وعقدة مواصلات نمت مؤخرا وتحولت الى بلدة عامرة . وكانت المنطقة باكملها - ولاتزال - تابعة لإمارة بيشة التى فقدت مركزها ، واتبعت الى إمارة عسير اعتبارا من سنة ١٣٩٤هـ وأصبحت جزءا منها . ويمكن تقسيم هذه المنطقة حسب العوامل الطبيعية والبشرية الى ستة أقسام يمكن أن تجمع فى وحدتين هما بلاد بالقرن وبلاد شمران وخثعم :

١ ــ **بلاد بالقرن** :ــ وتقع الى الشمال من بلاد بنى عمرو ، أى الى شمال خط عرض ٢٨َ ١٩°ش ، وذلك فى حوض وادى تبالة الأعلى . وينتمى معظم سكانها الى قبيلة بالقرن . يعيش (١١٣٠٠ فرد) منهم حياة ريفية تقليديةً فقيرة فى عدد كبير من القرى الصغيرة الحجم يقومون بزراعة السفوح العليا القريبة من خط الشعاف ، أو فى جوانب الأودية اعتمادا على الآبار المحفورة فى رسوبياتها . ويزرعون الحبوب بالدرجة الأولى خاصة القمح والشعير والذرة ، ويربون أعدادا متواضعة من الحيوانات . ويعيش قسم منهم (يبلغ عددهم نحو ٧٨٠٠) على حالة البداوة فى نفس الوديان باتجاه سافلتها ويستفيدون من وجود ٢٨ منهل ماء . أى أنهم يشكلون ما نسبته ٤١٪ من مجمل سكان المنطقة . ويقسمون الى ثلاث مجموعات تحتل كل منها أحد الروافد الرئيسية لعالية وادى تبالة هى :

أ ــ **منطقة العلايا** وتقع فى حوض وادى تبالة الأعلى الذى يبدأ رأسه على بعد ٤ كم عن خط الشعاف . وحيث أنه يتجه نحو الشمال فانه يبتعد عن حافة الشعاف شيئا فشيئا حتى لايلبث أن يصبح على بعد ٩ كم فى الجزء المعمور من الوادى .

يهبط الوادى من ارتفاع ٢٠٠٠م الى ١٨٠٠م ويشكل مصاطب رسوبية على جانبيه ، وقد أمكنَ اخضاع مساحات واسعة منها للانتاج الزراعى ، فنشأ عدد كبير من القرى من أهمها العلايا التى اتخذت قاعدة ادارية للمنطقة ، وكانت تستفيد من موقعها المتوسط ومن مرور طرق القوافل .

وقد استفادت مؤخرا من مرور طريق الجنوب منها (الطائف – أبها) ، وقد تفرع من الطريق فرع يتجه من العلايا الى بيشة ، فنشأ فى العلايا عدد من الدوائر الحكومية والمدارس منها مدرسة متوسطة وأخرى ثانوية ، وظهر فيها عدد من المبانى الحديثة ، فنمت وأربا عدد سكانها على الفى نسمة وتحولت الى بلدة .

تقع العلايا على الوادى وتتوسط بذلك مجموعة من القرى تتتابع وبشكل خطى فى الاتجاهين ؛ ففى جنوبها توجد : آل جابع وآل طلحة والحيفة والرجمة والروحان والقرين والمشايعة والقضيف ، ويوجد فى شمالها آل كامل وآل يمانى والدار والبظاظة وآل هيثم ، وفى شمالها الشرقى الحادية والحصن . أما البدو فيعيشون فى اتجاه الشمال والشمال الشرقى فى سافلة الوادى .

ب ــ **منطقة باشوت** وتقع فى حوض وادى شيبانه (وادى باشوت) . ويقع الى الغرب من الأول ويبدأ من جبل القزعة ويصرف مياه السفوح الأقرب لحافة الشعاف ويرفده الى الشمال من هذه المنطقة ، وكذلك فى حوض وادى مهرة الأعلى ، ويقع الى الشمال الغربى من الثانى ويرفد الوادى الأول بعد الموقع السابق . فالمناطق التى تلى خط الشعاف الذى ينحنى على شكل قوس واسع وبارز ، ومواجه للتأثيرات الغربية ويرتفع بين ٢١٥٠ – ٢٢٥٠ م والتى تمتد بعرض نحو ٣ كم ، تتمتع بظروف مميزة عن غيرها . وقد أمكن اخضاع مساحات واسعة (ولو أنها متفرقة) من سفوحها للعمل الزراعى ؛ فانتشرت الخضرة فيها سواء من النباتات الطبيعية أو الحقول الزراعية أكثر من أى مكان فى هذه المنطقة ، ولمسافة تبلغ نحو ١٠ كم شمال جنوب يمكن اعتبار بعضها غابات صغيرة . وقد انتشرت فى وسطها القرى الزراعية ذات الحجم المتوسط والتى بلغ عددها ١٦ قرية ، وقد توسطتها قرية**قرن ابن ساهر** وصارت قاعدة لها ومركز تسويق لسكانها ، بعد أن كانت مقر سوق يعقد يوم الاثنين . وظهر فيها عدد من الدوائر الحكومية ومدارس للبنين والبنات ، ووصلها طريق طوله ٤ كم يتفرع من طريق الجنوب فكبرت ونمت حتى بلغ سكانها نحو ٨٠٠ نسمة . ومن القرى الأخرى فى جنوبها ابتداء

من الجنوب : الطوف والحصن وآل هلجام وزاع ليسن والحريقة والعامر (دار عامر) والشقيقة . والى الشمال منها : الحبيل (حبيل الملك) وفيها مقر سوق يعقد يوم الجمعة ، وآل سعاد وآل عمار . وتبعد جميعها عن خط الشعاف مسافة تتراوح بين ١/٢ الى ١ ١/٢ كم فقط ويبلغ مجموع سكانها نحو خمسة آلاف نسمة . ونظرا لقرب موطنهم من الشعاف لم يتواجد فيه مايزيد عن ٤٥٠ فرداً من البدو .

ج ــ **آل سلمة** : وتقع فى عالية وادى تباله فى جنوب بلاد بالقرن فيما بينها وبين بلاد بنى عمرو ، وذلك فى منطقة مرتفعة وعلى مقربة من خط الشعاف وتحتل مساحة صغيرة على طريق الجنوب . لايزيد مجموع سكانها عن الف نسمة يتواجدون فى ثلاث قرى منها قرية آل سلمة التى نمت وتحولت الى بلدة صغيرة بلغ عدد سكانها ٧٥٠ فرداً ، وهى وإن كانت لاتزال ريفية المظهر تعتمد على المزارع المحيطة بها فقد تحولت الى مقر تسويق للمنطقة المحيطة بها ، وظهر فيها بعض المرافق الحكومية ، بسبب اتخاذها مقرا إداريا لإمارة فرعية صغيرة جدا .

٢ ــ **بلاد شمران وخثعم** : وتقع الى الشمال والشمال الغربى من بلاد بالقرن وذلك فى الحوض الأعلى لوادى شواص وروافده وهو أبعد روافد وادى رنية من جهة الجنوب ، وتبدأ من الفرعة الفاصلة بين حوض تباله وشواص وجبلى النصلة والدامك . ولاتختلف ظروفها كثيرا عن المنطقة السابقة لها . وقد عاش فيها نحو عشرة آلاف نسمة ، نحو ٢٧٪ منهم غير مستقرين وعلى حالة البداوة ويتواجدون فى الجزء الشمالى من هذه المنطقة . والباقى يستقرون فى ٦٣ قرية مختلفة الحجم ، يغلب عليها الحجم الصغير ، ويعيش سكانها حياة ريفية متواضعة . يركزون اهتمامهم على زراعة الحبوب وتربية الحيوانات . وقد بلغ تعدادهم نحو ٧٣٠٠ فرد ، أى بمعدل ١١٥ فرداً للقرية الواحدة . أما البدو فيستفيدون من ٢٧ منهل ماء يتواجد معظمها فى مجارى وديان المنطقة .

ومن طبيعة الاحتلال البشرى فيها يمكن أن نقسمهم الى ثلاثة أقسام متفرقة عن بعضها هى :

أ ــ **شقيق شمران** : وتحتل فرعة مرتفعة (اذ يتراوح ارتفاعها بين ٢١٠٠ - ٢٢٥٠م عن سطح البحر) تقع فيما بين خط الشعاف الذى يحدها من الغرب ووادى مهرة الذى يحدها من الشرق وجبلي دامك والنصلة من الشمال . وتشكل هى وهذان الجبلان

منطقة تقسيم المياه بين وادى بيشة (تبالة) ووادى رنية (شواص) . وفى حين أن حافتها الغربية تنحدر بشدة باتجاه وادى الحفيان فى تهامة فان سطحها قليل التضرس ، وقد تحول قسم كبير من سفوحها العليا الى حقول زراعية متفرقة ، والا كانت مزدانة بالنباتات الخضراء حيث يظهر امتداد الخضرة فيها نحو ٧ كم بدون انقطاع وبعرض يتراوح بين ١ - ٢ كم . وقد انتشرت القرى الصغيرة والمتوسطة الحجم فى وسط هذا القطاع الأخضر ، ومن أهم تلك القرى من الجنوب الى الشمال : الحصن والفرعة الأعلى وشقيق الأعلى وشقيق شمران وهى اكبرها ، والركبة وآل عليان والزنوب ودار العطف والعقبة .

ب ـــ بلاد شمران : وتقع فى شمال شقيق شمران على بعد ٤ كم ويفصلهما جبل الدامك ، وذلك فى الحوض الأعلى لوادى دمة أحد روافد وادى شواص العليا ، حيث يتشكل بالقرب من الزاوية التي يبدأ عندها خط الشعاف بتغيير اتجاهه نحو الغرب على بعد ٢ $\frac{1}{2}$ كم عنها فيتجه الوادى نحو الشمال ، ويتجه خط الشعاف نحو الشمال الغربى مشكلا الفجوة الأولى التى نتجت عن تراجع رأس أحد روافد وادى الحفيان العليا كما ذكرنا ، ولذلك فان بعد الوادى عن خط الشعاف يتزايد باتجاه الشمال حتى يصل الى ٩ كم فى شمال المنطقة .

يبلغ ارتفاع خط الشعاف نحو ٢٠٠٠ م عن سطح البحر ، ويتراوح ارتفاع المنطقة بين ١٧٥٠ - ٢٠٠٠م تقريبا ، غير أنها تواجه التأثيرات الجنوبية الغربية شبه الموسمية بسبب وجود حفرة وادى الحفيان الى جوارها فى الغرب ، فقد عمل الوادى بمثابة معبر وممر لتلك التأثيرات ، فنالها قسط من الأمطار بحيث تحول قسم من السفوح العليا فيها الى حقول زراعية منتجة ، كما زودت وديانها بقسط من مياه الفيضان ، رغم أن ارتفاعاتها تقل عن معدل ارتفاعات السفوح التى تخضع للزراعة البعلية . فوجد فيها ١٦ قرية متقاربة ومختلفة فى حجمها وأهميتها ، ولو أنه يغلب توافر القرى الصغيرة الحجم ؛ اذ يعيش فيها نحو ٢٧٠٠ فرد فقط بما فيها قرية القعرة (شمران) التى تمثل مركز المنطقة الإدارى والتى يعيش فيها نحو ٤٠٠ فرد ، وتقع فى وسط هذه المنطقة على الجانب الأيمن من الوادى . وهذا يعنى أن معدل عدد أفراد باقى القرى يعادل ١٥٠ فرداً للقرية الواحدة . ويصل القعرة وصلة تتفرع من طريق الجنوب العام طولها ٧ كم ، وفيها مستوصف ومركز بريد ومدارس حتى المرحلة الثانوية .

ومن قرى شمران الهامة الأخرى ابتداء من عالية الوادى فى الجنوب : الحبيل والنجاجير وظهابة والمعاصرة وآل غريبة والشاعن . ويقع فى شمال القعرة : أدمة شمران وآل صفية . وقد عاش قسم من سكان هذه المنطقة الى الشمال من هذه المواقع على حالة البداوة ، مستفيدين من عدد من الآبار المحفورة فى طمى الوادى يبلغ عددهم نحو ١٦٣٠ فرداً أى نحو ٣٨٪ من سكان المنطقة وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى المناطق الجبلية .

ج ـــ **بلاد خثعم** : وهى اقرب من منطقة شمران الى حافة السراة بل تفصلهما عن بعضهما وتحتل الزاوية الشمالية الغربية من هذه المنطقة وذلك الى الشرق من خط الشعاف الذى يعتدل اتجاهه ثانية نحو الشمال حتى يشكل الفجوة الثانية الناتجة عن تراجع رؤوس مجارى وادى الحفيان . وتهبط الحافة من خط الشعاف بشدة نحو عالية وادى الحفيان الذى يسير محاذيا اصدار هذه الحافة غربا .

وتتشكل المنطقة التى تلى خط الشعاف شرقا وتبدأ من جبل بلس جنوبا من هضبة قليلة التغضن يشغلها حوض وادى شواص الأعلى الذى يتجه نحو الشمال مجاورا خط الشعاف ومبتعدا عنه شيئا فشيئا . والمنطقة بمثابة نهاية الاقليم الجبلى التابع إداريا لإمارة عسير فى جهة الشمال الغربى وتفصلها عن المناطق الجبلية التابعة لإمارة الباحة المجاورة لها .

لايزيد ارتفاع خط الشعاف فى هذه المنطقة عن ٢٠٠٠م الا لماما ، ويتراوح ارتفاع الهضبة من ١٧٠٠م فى الشمال الى ٢٠٠٠م فى الجنوب والغرب . الا أنها تتعرض للتأثيرات الجنوبية الغربية شبه الموسمية بسبب وجود حفرة وادى الحفيان ، فاعتدل مناخها واغتنت بالنباتات الطبيعية ، وانتشرت الحقول المزروعة على السفوح العليا ، ولو أنها متفرقة فى نطاق يبلغ عرضه ٤ كم ويقع خلف الحافة مباشرة بامتداد ١١ كم . وتزداد كثافة الحشائش والشجيرات فى الوديان .

وقد تسبب هذا فى ظهور عدد كبير من القرى الصغيرة الحجم والأكثر تباعدا بعضها عن بعض بالقياس الى المناطق الجبلية الأخرى . إذ وجد فيها نحو ٤٧ قرية لم يبلغ مجموع سكانها خمسة آلاف نسمة ، أكبرها قرية آل قادم الواقعة فى جنوب المنطقة بين شمران والحافة التى لا تبعد عنها اكثر من ١ $\frac{1}{2}$ كم وذلك عند زاوية انحنائها . وقد استفادت

من مرور طريق الجنوب (طريق الطائف - أبها) منها فسهل الوصول اليها وصارت مركزا للقرى الأخرى . وقد بلغ عدد سكانها ٣٤٢ نسمة لكنها نمت وتوسعت . ومن قرى هذه المنطقة أيضا : آل سعدان والرجمة وآل الصايد وآل شهوان والمبنى وآل شافع والبلس والفرسة والرباحين وآل سكن والنبأ والفوقا .

ويعيش قسم من سكانها فى سافلة المجرى الى الشمال على حالة البداوة يبلغ عددهم نحو الف نسمة ويردون عددا من مناهل المنطقة .

الفصل السابع

منطقة سروات الحجاز

نعنى بهذه التسمية المناطق الجبلية الواقعة فى شمال الشمال الغربى من سروات عسير ، والتى تعتبر امتدادا طبيعيا لها فى هذا الاتجاه ، وذلك من بداية سراة غامد فى منطقة قزانة عند خط عرض ٤٧ - ١٩° ش وخط طول ٤٧ - ٤٠° ش وحتى سراة بنى سعد الواقعة فى جنوب شرق الطائف عند خط عرض ١٠ - ٢١° ش وخط طول ٤٠ ٤٠° ش . ويزيد البعد الخطى لهذه المسافة عن ٢٠٠ كم (شكل ٤١) .

تنحصر هذه المنطقة فيما بين خط الشعاف ، وهو جرف الانكسار الرئيسى الذى يحدها غربا وبين بداية اقليم الهضاب الداخلية ، ويتراوح عرضها بين ٣٠ - ٤٠ كم تقريبا ، وتضم السفوح العليا للمرتفعات والتى تنحدر اجمالا باتجاه الشرق كما تضم الأحواض العليا للوديان التى تبدأ منها . وتبلغ مساحتها حسب هذا التحديد نحو ٧٥٠٠ كم٢ .

البيئة الطبيعية :

يرتفع خط الشعاف فى جميع هذا الاقليم من ٢٠٠٠ - ٢٣٠٠م عن سطح البحر ، ويصل ارتفاع بعض القمم الجبلية القريبة من هذا الخط أكثر من ذلك ؛ مثل جبل ابراهيم الذى يشرف على وادى تربة من جهة وعلى وادى الجرداء فى تهامة من جهة أخرى (٢٦٣٠) ، وجبل بيضان الذى يشرف على رغدان ٢٥٣٠م .

يهبط خط الشعاف باتجاه الغرب أو الجنوب الغربى بشكل فجائى ، ويشرف كحائط مرتفع باتجاه اصدار أودية تهامة التى تستمد روافدها العليا من هذه السروات مثل : قنونة وأحسبة والدوقة والشاقة والليث . ويقترب الهبوط من الوضع الرأسي فى بعض الأماكن . ولذلك يتعذر اجتيازه الا من أماكن محدودة هى العقبات .

ولكن ومثلما رأينا فى سروات عسير ، فان المرتفعات تنحدر انحدارا تدريجيا باتجاه الداخل بسبب عمليتي الانهدام والنهوض التى تعرضت لها هذه الحافة . غير أن التعرية التى نشطت عقب هاتين العمليتين فحفرت المجارى العليا للوديان بعمق شديد فى الصخور الأركية المتكونة فى الغالب من الجرانيت والسيانيت والديوريت والجنايس والجابرو والشست بأنواعه ؛ ساعدت على تشويه طبوغرافية الأرض وعملت على زيادة وعورتها ، ولو أن هذه الوعورة لم تصل الى مستوى وعورة مرتفعات تهامة بسبب البنية .

ونظرا لامتداد الوديان مع اتجاه الميل العام للهضبة المائلة نحو الشرق والشمال الشرق ، وبدئها من منطقة معتدلة الأمطار ؛ فقد تمكنت من أسر بعضها وتشكيل شبكات تصريف متطورة جدا ، وانتظمت فى القسم الجنوبى منها فى واديين رئيسيين هما وادى رنية ووادى تربة ، أما القسم الشمالى فلم تتمكن من ذلك بسبب قلة المياه التى تصل اليها فبقيت منعزلة بعضها عن بعض صغيرة وضعيفة ، وانتهت فى الهضبة الصحراوية التى تحاذيها شرقا وهى هضبة الجرد وأطراف ركبة .

لاتختلف الصفات المناخية فى مرتفعات الحجاز كثيرا عنها فى مرتفعات عسير ، فهما تتشابهان من حيث تباين معدلات الحرارة واعتدالها وتباين الامطار حسب الارتفاعات ، وحسب مواجهة المكان للرياح السائدة خاصة تلك التى تجلب الرطوبة . وفى حين ان موقعها الى الشمال من السابقة جعلها أكثر بعدا عن تأثير الرياح الجنوبية الغربية شبه الموسمية ، إلا أنه جعلها أكثر قربا وأفضل مواجهة لتأثير الرياح الشمالية الغربية الناتجة عن منخفضات البحر المتوسط الشتوية والربيعية ، وفى موضع اكثر مناسبة لتقابل الكتل الهوائية الناتجة عن تلك الرياح مع الكتل المتقدمة للملكة نتيجة سيطرة منخفض السودان وحركته باتجاه الشرق .

ومع ذلك لايخفى تأثير هذه المؤثرات إذا قارنا جنوب هذه الكتلة بشمالها ، حيث يلاحظ أن الأمطار تتناقص والجفاف يزداد إجمالا بالاتجاه الشمالى ، وهذا بدوره يفسر تطور التصريف المائى فى القسم الجنوبى الى واديين هامين هما رنية وتربة ، فى حين أنه لم يستطع الوصول الى هذه المرحلة فى القسم الشمالى ، رغم أن الأمطار تميل لأن تكون ربيعية وشتوية وتقل الأمطار الصيفية فى الاتجاه الشمالى . فقد بلغت معدلاتها فى بعض محطات هذا الاقليم على سبيل المثال :

٣٣١ ملم فى قزانة ، ٤٢٣ ملم فى بلجرشي ، ٣٨٤ ملم فى المندق ، ٣١٠ ملم فى حداد بنى مالك ، ٢٣٦ ملم فى بقران ، كما بلغت نحو ١٨٠ ملم فقط فى الطائف . والشكل ٤٢ يوضح المعدلات الفصلية فى بعض المحطات ويقارنها مع محطة الطائف التى تقع شمال هذه المنطقة مباشرة .

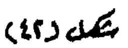
ولما كانت الأمطار تتصف بالفجائية وعدم الانتظام ، وصخور المنطقة من النوع الذى لايمتص سوى القليل جدا من المياه ، ومعظم الجبال مجردة من التربة ؛ لذلك وجدت معظم المياه الناتجة عنها سبيلها – رغم قلتها – الى الوديان شرقا أو غربا . والجزء الباقى الذى اتجه الى تزويد جذور النباتات بما تحتاج اليه من رطوبة كانت كميته متواضعة ، ولو أنه يختلف من مكان الى آخر .

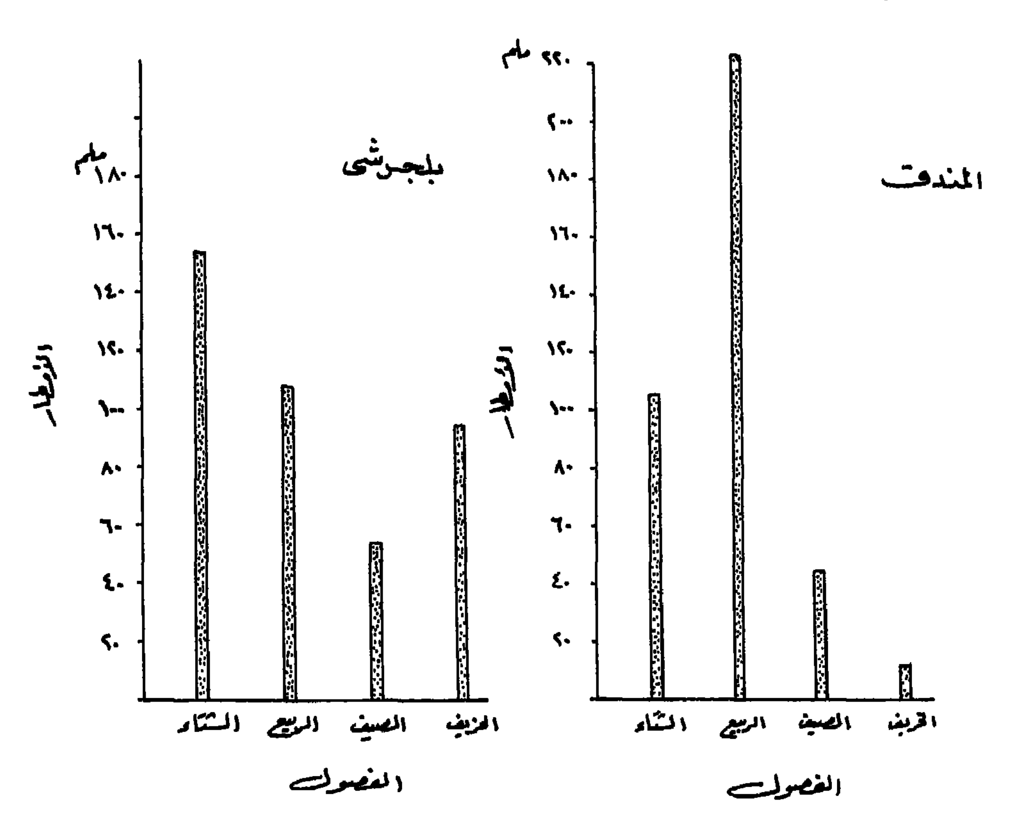
ففى بعض المواقع التى تستأثر بكميات أكبر من الرطوبة ظهر غطاء نباتى كثيف قوامه أشجار دائمة ، تتكاثف أحيانا فتغطى مظهر الغابات الحقيقية ، مثل تلك الغابات التى رأيناها فى مرتفعات عسير ومن أمثلتها : غابة الحمران وفيق ، والطيفة (رَغدان) والشهباء ، وبرحرح وغَمَضان وغَمدة والموقر . ويعتبر العرعر أهم أشجار هذه الغابات ، ويوجد الى جانبه العتم والطلح والشّث والشبارق والغَرب والرين وغيرها . ومن الملاحظ ان هذه الأنواع – خاصة الأكاسيات – تتكاثر فى الوديان المنخفضة .

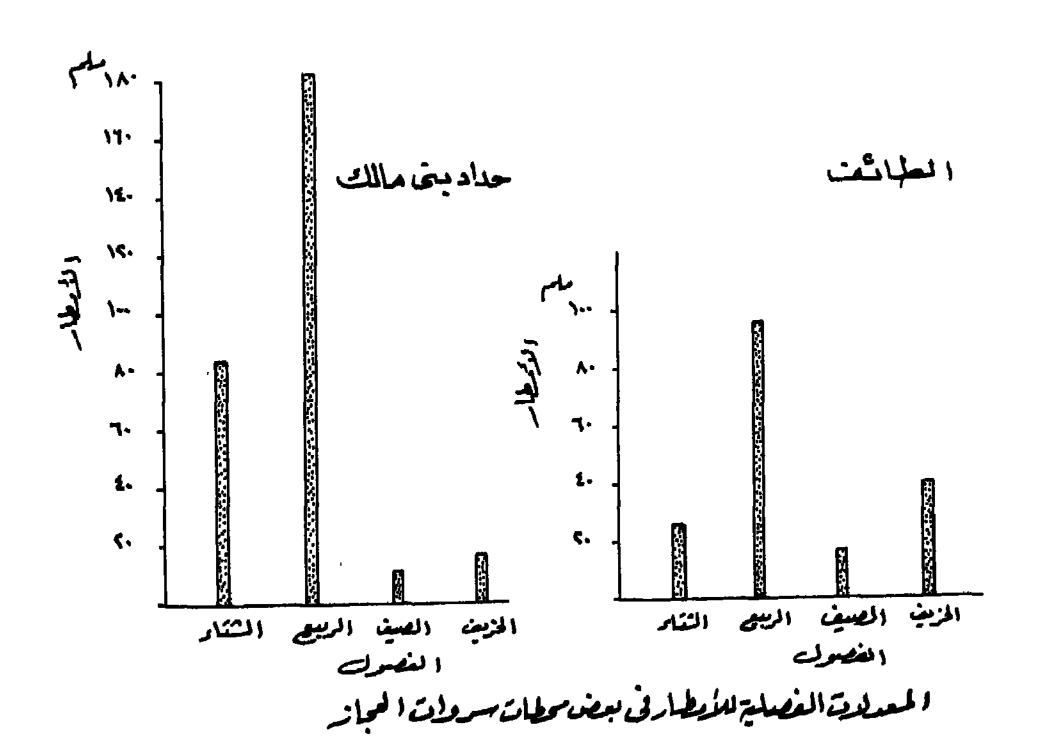
وتكتسى الأرض بغطاء عشبى كثيف فى المواقع الأخرى عقب سقوط الأمطار ، خاصة فى الأودية ، كانت عماد حياة رعوية جيدة سواء من قبل الريفيين أو البدو . كما استغلت أشجار الغابات فى أعمال التحطيب لاستعمالها كوقود أو فى الاستعمالات الخشبية الأخرى . وتحوى هذه المناطق الشجرية بعض الأنواع الحيوانية التى يصعب وجودها فى مناطق أخرى من المملكة مثل القردة والنسانيس وأنواع من والزواحف والطيور .

نشاط السكان :

ومثل مرتفعات سروات عسير تحول قسم من السفوح العليا – أى الأقل حرارة والأكثر أمطارا – إلى مدرجات جبلية تخصصت بزراعة الحبوب بالطرق التقليدية ، كما تحول قسم من مصاطب الوديان ، وهى المصاطب ذات التربة الطموية العليا أو الوسطى ، الى مزارع تعتمد على الرى من مياه الفيضان ، مهما كانت كمية الأمطار التى تسقط فيها ، أو على مياه الآبار المحفورة فى طبقة الطمى ذاتها والتى سبق وأن تسربت اليها من مياه الفيضان .







المعدلات الفصلية للأمطار في بعض محطات سروات الحجاز

وكانت هذه الزراعة منذ القدم العامل الرئيسى لاستقرار السكان فى تلك الأصقاع ، وصارت الزراعة عماد حياتهم ، ولذلك اعتبرت مناطق الجبال من ضمن المناطق الريفية التى تقل فيها البداوة وتخلو من ظاهرة المدن .

غير أن الريفيين مارسوا تربية الحيوانات الى جانب الزراعة حتى تساهم فى رفع مستوى دخلهم ، وحتى يستعينوا بالحيوانات فى القيام ببعض أعمال الفلاحة .

وأهم إنتاج هذه المناطق الجبلية : القمح والذرة الرفيعة والشعير والعدس . وقد اهتم مزارعو بطون الأودية بزراعة الأشجار المثمرة كاللوز والرمان والخوخ والعنب والتين الشوكى . وبدأوا مؤخرا بزيادة الاهتمام بزارعة الخضروات المتنوعة كالطماطم والبطيخ والشمام والبصل وغيرها . وأهم أنواع المنتجات الحيوانية الأغنام والماعز والأبقار .

وكان انتاج هذه المناطق وفيرا ويزيد عن حاجة سكان الاقليم . ولذلك فان الفائض من هذه المنتجات النباتية والحيوانية كانت تسوق فى مدن الحجاز ، مثل الطائف ومكة لاسيما فى مواسم الحج . والان ، وبالرغم من تزايد حاجة المنطقة الى المواد الغذائية النباتية والحيوانية واعتمادها فى تلبية حاجتها منها على الاستيراد ، فان بعض المنتجات الفائضة فى مواسم الحصاد والجنى لاتزال تجد سبيلها الى تلك الاسواق بالاضافة الى أسواق جديدة أبعد منها مثل : جدة والرياض بسبب سهولة المواصلات .

يبلغ عدد سكان هذه المنطقة الجبلية نحو ١٨٠٠٠٠ نسمة توزعوا فى نحو ٩٠٠ قرية وبلدة ، أى بمعدل ٢٠٠ فرد للقرية أو البلدة الواحدة ، مما يدل على سيادة القرى الجبلية الصغيرة والتى تتكون الواحدة منها من بضعة أكواخ بسبب ضيق الأراضي الزراعية وتباعدها بعضها عن بعض ، مما يقتضى استقرار عدد محدود من الناس حول مساحات محدودة من الأرض الزراعية .

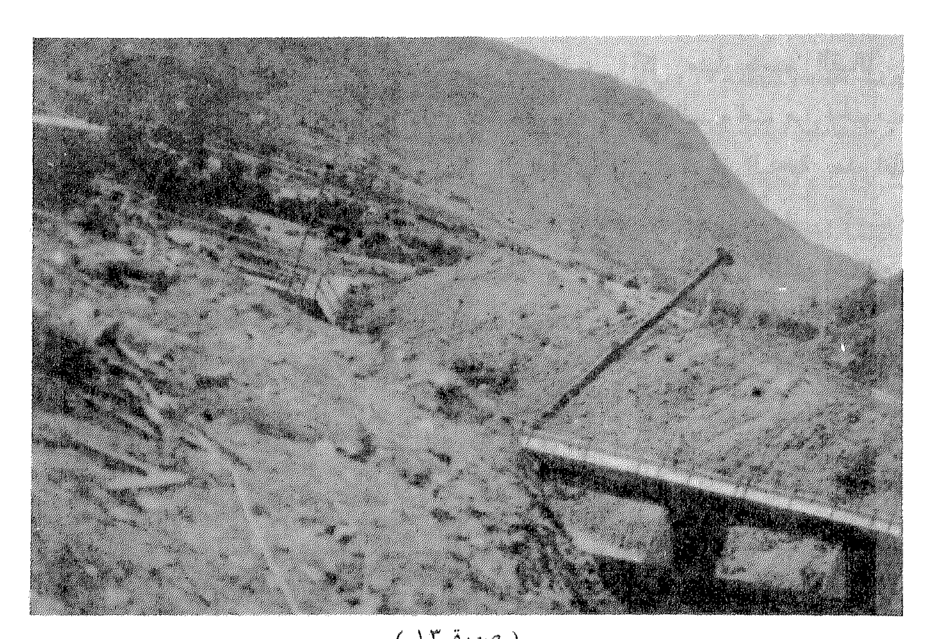
وبالمقابل لم تظهر فى هذه المنطقة مدن كبيرة أو متوسطة الحجم ، أما البلدات المتوفرة فهى قرى تميزت بموقعها المتوسط أو بسهولة الاتصال بها ، فاتخذت أسواقا لتبادل المنتوجات المحلية ، ثم قام بعضها بالوظيفة الإدارية حينما اتخذت قاعدة لإمارة صغيرة . وبدأت تنمو وتتسع حينما اتسعت فيها الوظيفة الإدارية بإنشاء عدد من الدوائر الحكومية ، ونشأت فيها وظيفة الخدمات ، حتى تحول بعضها الى مدن صغيرة مثل بلجرشى والباحة .

وقد استقرت فى تلك البلدات منذ ما اتخذت مراكز اتصال بين الناس وظيفة المهن التقليدية التى توجد عادة فى المدن مثل : الصناعات الجلدية كالدباغة وصنع القرب والحذيان والسروج ، والصناعات الخشبية كالأبواب والنوافذ والسقوف ، وصناعة الجريد والليف كالحبال والمراوح والقبعات والأوعية ، وصناعة القطران والفحم وزيت الخشب ، والصناعات الصوفية كالبسط والأكسية والجبب والأخراج . ومن أهم هذه المراكز المهنية الباحة وبلجرشي .

وبالرغم من غنى المنطقة بالمعادن ، حيث ثبت وجود المعادن الفلزية فى كثير من نواحي هذا الاقليم ، ووجود آثار لمناجم قديمة فيه أو بالقرب منه كان الاقدمون يستثمرونها فى الماضي ، مثل مناجم النحاس والزنك فى بطحان ، ومناجم الذهب فى العقيق وغيرها ؛ فانه لايستثمر منها شيء فى الوقت الحاضر . ومع ذلك فان وجود هذه الثروة تبقى امكانيات كامنة ، ومجالا من مجالات التنمية الاقتصادية فى المستقبل .

ولكن يجب أن لانغفل ان لجبال سروات الحجاز مستقبلا واسعا فى مجال السياحة واستثمار التصييف ، حيث أنها تتميز مثل مرتفعات عسير بطقس معتدل جميل ، وينتشر فى كثير من ربوعها مناظر الأشجار المتكاثفة والظليلة ، والمروج الخضراء والمدرجات المزروعة ، ومناظر القمم الجبلية الشامخة والوديان التهامية السحيقة ، وجمال الطبيعة الفتان .

ومن المعروف أن تطوير السياحة وتشجيع مجالات التصييف يرتبط ارتباطا وثيقا بتطوير شبكة المواصلات الحديثة وتوفير الخدمات والحاجات التى يتطلبها المصطافون لاسيما الفنادق والمطاعم والاستراحات . وقد بدأ عهد الطرق فى جبال الحجاز بانشاء طريق الجنوب التى تبدأ من الطائف الى أبها ومنها إما الى جيزان على ساحل البحر أو الى نجران فى الداخل . وقد أضيف الى هذه الطريق عدة وصلات على اليمين وعلى اليسار لربط المدن والمواقع المجاورة ، مثل الطرق التى تتفرع الى ميسان أو الى تربة أو الى العقيق أو الى الأزاهرة . غير أن طريق الجنوب تتجنب المناطق الجبلية العالية لوعورتها فى كثير من المناطق ، لاسيما فى القسم الأول حيث تتجنب جبال بلحارث وثقيف وبنى مالك وزهران . ولذا كان لزاما أن يجرى العمل على انشاء الطريق المحاذية لخط الشعاف ، والذى يكمل وصلة ميسان بلحارث وعبر تلك الكتل الجبلية المذكورة الى الباحة . وقد تم انشاء مطار العقيق الذى يبعد ٤٣ كم عن الباحة فى عام ١٤٠١هـ ليخدم سكان هذه المناطق الجبلية أو الذين يأتون اليها .



(صورة ١٣)

أقيم سد على وادى الصدر (عالية وادى تربة) لرفع مستوى الغشاء المائى فى الوادى لخدمة المزارع التى ترى فى الصورة بعد موقع السد .



(صورة ١٤)

قرية الملد هى حصن يشرف على وادى الملد وعلى أراضيه الزراعية ، وهو امتداد وادى جوب القادم من الباحة . وقد أخذت الصورة من فوق شلال الملد .

يضم اقليم جبال الحجاز اذن عدة سروات يدعى كل منها باسم القبائل التى تستوطنها ، وهذا يفسر تغير اسماء السروات عبر القرون . هذه السروات من الجنوب الى الشمال هى : سراة غامد وزهران ، ويشار اليها الآن باسم سراة الباحة بعد اطلاق الاسم على الإمارة ، وسروات بنى مالك ، وثقيف ، وبلحارث وبنى سعد . كانت هذه السروات تتبع فى معظم تاريخها المتأخر – لاسيما خلال العهد العثمانى الذى استدام مدة طويلة – ولاية مكة المكرمة . ومن هذه التبعية ورثت هذه المنطقة اسم الحجاز .

وحينما تشكل فى القسم الجنوبى من هذا الاقليم وحدة إدارية قائمة بذاتها هى إمارة غامدة وزهران حسب التنظيم الادارى للدولة السعودية ؛ بقى الجزء الشمالى منها تابعا لإمارة الطائف ، والتى تعتبر بدورها إمارة فرعية أو تابعة للامارة المركزية فى مكة . وقد أشرنا فى أكثر من موضع من هذا الكتاب الى ذلك القسم الجنوبى اى منطقة الباحة باسم « الحجاز الجنوبى » ، ورغم ارتباطاته الإدارية القديمة بمكة فقد تطور منعزلا عنها وبرزت له شخصية مميزة .

ومن ذلك رأينا تقسيم هذه المنطقة الجبلية الى قسمين : الأول سراة الباحة والثانى الاقليم الجبلى فى جنوب الطائف ، أى سراة بنى مالك وثقيف وبلحارث وبنى سعد .

أولا : سراة الباحة :

كانت إمارة الباحة حتى عهد قريب إمارة فرعية تابعة لإمارة الطائف . ثم فصلت عنها وصارت إمارة قائمة بذاتها تتصل بالنيابة العامة بمدينة مكة . وأطلق عليها اسم إمارة غامد وزهران باسم السراة وأصبحت منذ صدور التنظيم الادارى لسنة ١٣٧٣هـ الموافق سنة ١٩٥٢ إمارة رئيسية ترتبط بوزارة الداخلية بالرياض(١) ، وبقيت كذلك حتى الآن ؛ وكانت قاعدتها فى الأصل بلدة الظفير ، وانتقلت فى سنة ١٣٧٣م الى بلجرشى ثم عادت فى أواسط الثمانينات الهجرية الى بلدة الباحة المجاورة للظفير من جهة الشمال بسبب توسط موقعها بالنسبة لموطن فرعي الإمارة : غامد وزهران . وعمليا عادت القاعدة الى الباحة والظفير فى آن واحد بعد أن توسعت البلدتان واتصلتا معا واصبحتا مدينة واحدة . واطلق على الإمارة اسم « إمارة الباحة » باسم المدينة .

---

(١) حمد الجاسر – فى سراة غامد وزهران ، ص ٨٣

تضم هذه المنطقة الإدارية - بالاضافة الى سراة غامد وزهران - مساحة كبيرة من اقليم مرتفعات تهامة فى الجهة الغربية ، كما تضم مساحة اخرى من اقليم الهضبة الداخلية فى الشرق . ولكن الاقليم الجبلى أو « السراة » هو الموطن الرئيسى لهاتين القبيلتين ، وكان ثابتا مهما اختلف نفوذهما سلبا أو ايجابا .

يحد إمارة الباحة شمالا بلاد بنى مالك من بجيلة وبلاد بلحارث وذلك الى الشمال من مجرى وادى تربة حينما ينحرف اتجاهه نحو الشرق بالقرب من جبل ابراهيم . كما يحدها من الشرق بلاد البقوم (الحرة) وشمران . ويحدها من الجنوب بلاد خثعم (جنوب شرق قزانة) ، ومن الغرب الشريط الساحلى الذى يتبع قسمه الجنوبى قضاء القنفذة وقسمة الشمال قضاء الليث وهما يتبعان إمارة مكة .

كانت هذه الإمارة تتكون من تسع وحدات فرعية يقع أربع منها فى اقليم السراة ، ومثلها فى اقليم مرتفعات تهامة وواحدة فى اقليم الهضبة ؛ ثم تغير التقسيم وزاد عدد الوحدات بعد أن انفصلت إمارة دوس آل نعمة وإمارة بنى حسن (الصغرة) وإمارة عنازة والجماجم عن إمارة المندق ، وبعد أن استحدثت إمارة غامد الزناد (آل عاطف فى تهامة ، وإمارة ناوان فى تهامة أيضا ؛ وصارت تتكون من ١٦ وحدة ادارية أو إمارة فرعية . وقد سبق التعرف على سبع منها ضمن منطقة تهامة الباحة ويوجد وحدتان فى اقليم الهضبة الداخلية وسبع وحدات فى أقليم المرتفعات الجبلية (السراة) . والوحدات الأخيرة هى محور دراستنا الآن .

بلغ عدد سكان هذه الوحدات الفرعية فى اقليم السراة ١١٣٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٧٤م . ولما كانت مساحة كبيرة من مقاطعة بلجرشى تقع فى اقليم الهضاب الداخلية ، وقد بينت أرقام احصاء ١٩٧٤م وجود ٣٥٠٠ فرد من البدو فى تلك المقاطعة ؛ لذلك أمكن الافتراض أن عدد أفراد منطقة السراة لم يكن يتجاوز ١١٠٠٠٠ فى ذلك الوقت . ولاينتظر أن يكون العدد قد زاد الآن عن ١٣٠٠٠٠ فرد رغم ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية والخصوبة بسبب نزوح قسم من أفراد هذا الاقليم الى مناطق أخرى فى المملكة . ويتوزع هذا العدد فى ٣٧٥ قرية مختلفة الحجم بالاضافة الى مدينتين صغيرتين هما : بلجرشى والباحة .

وهذا يشير الى أن معظم سكان هذا الاقليم كانوا يعيشون من الإنتاج الزراعى والذى يتضمن تربية الحيوان . وحتى أن المدن هى مدن زراعية بالدرجة الأولى . وكان يمارس

بعضهم التجارة أو المهن اليدوية والخدمات المهنية . وأخذت تتقلص أهمية الانتاج الزراعى كثيرا خلال العقد الأخير فى حين زادت أهمية التجارة والنقل والخدمات المهنية والشخصية والوظائف الحكومية وأعمال الإنشاء .

ومع ذلك فإن توفر فرص العمل الجديدة هذه لم تكن بالقدر الذى توفرت فيه فى مدن المملكة الكبرى وفى بعض المناطق النامية ، مما حمل قسما كبيرا من شباب هذه المنطقة للنزوح الى تلك المناطق . وقد نالت الهجرة ممن كانوا يمارسون العمل الزراعى أو من أبنائهم أكثر من الفئات الأخرى ، بسبب انخفاض مستوى الإنتاج الزراعى وعدم ضمانته بسبب اعتماده على الأمطار وهى شديدة التذبذب والاختلاف . وصار من المألوف وجود مدرجات زراعية « دامرة » أى مهجورة .

ورغم تقدم الأنظمة الحكومية وسيطرتها فى تسيير دفة المجتمع فإن العلاقات الاجتماعية تتم على أساس قبلي ، لاسيما وان الاستيطان تم من البدء على ذلك الاساس ، إذ ان لكل قبيلة أو فخذ أو عشيرة قرية أو مجموعة من القرى يعيشون فيها أو لهم أراض ينتفعون منها دون غيرهم ، حتى أن كثيرا من القرى سميت باسماء العشائر . ولكل منها شيخ يتولى حل جميع المشكلات التى تنشأ بين أفراد جماعته ، ويقوم بالربط بين الدولة وأفراد الجماعة ؛ فهو الذى يعرض على الدولة حاجاتها ومختلف شئونها العامة ويتولى رفع الظلامات عنها ، وبالمقابل تنقاد القبيلة لشيخها وتخضع لرأيه .

وكان للنظام القبلى سلبيات كثيرة حينما كان بمنأى عن الإدارة الحكومية ، فكان ينشر الحزازات ويذكى روح العداوة بين القبائل والأفخاذ . ويشاهد أثر ذلك فى اقليم السراة متمثلا فى كثرة الحصون التى تحيط بقرى كل قبيلة ، بل أن الحصون كانت تنتشر فى وسط المزارع ، حيث كانت تبنى من الحجارة وتشاد فى قمم الجبال أو التلال لتحكم المراقبة على السهول المجاورة (صورة ١٤) .

ينتمى أفراد سراة الباحة الى قبيلتين هما : غامد وزهران تنتميان الى الأزد من بجيلة ، وكان أصلهما قبيلة واحدة ؛ إذ قيل أن زهران كان عم غامد ، واستوطن أبناء غامد فى القسم الجنوبى من المنطقة ، واستوطن أبناء زهران فى القسم الشمالى والشمالى الغربى منها .

ويتكون القسم الجبلى لسراة غامد وزهران ابتداء من الجنوب من الأقسام التالية :

١ ــ **مقاطعة بلجرشي** : وقاعدتها مدينة بلجرشي وتحتل مساحة واسعة (تزيد عن ١٠٠٠ كم٢) فى جنوب سراة غامد فتجاور بلاد خثعم التى تقع الى الجنوب الشرقى منها ، ويحدها اقليم تهامة (مناطق الاصدار) من الجنوب والغرب ، وتمتد شرقا باتجاه الهضبة الداخلية فى مناطق تشكل الروافد الرئيسية لوادى رنية .

يرتفع سطح الهضبة عند حافة الشعاف بين ٢٠٠٠ - ٢١٠٠م وترتفع بعض القمم الجبلية قرب الشعاف الى ٢٢٠٠م واكثر ، ويرتفع جبل حوالة الواقع جنوب قزانة فى اقصى جنوب شرق هذه المقاطعة ٢٤٠٩م . وينحدر ببطء باتجاه الداخل أى نحو الشمال الشرقى حيث تبدأ الروافد العليا لوادى رنية ، فى حين ينحدر بشكل فجائى نحو ١٠٠٠ - ١٢٠٠م باتجاه الجنوب والغرب خلال مسافةلاتزيد عن ٥ كم ؛ باتجاه الجنوب نحو وادى الخيطان والمجارى العليا الأخرى لوادى قنونة الأعلى ، وباتجاه الغرب نحو الوديان : راش وظيّان وبَطاط وهى المجارى العليا لوادى المخواة (أحسبة) .

يتصف مناخ هذه المنطقة بالأعتدال وتزيد كمية الامطار فيها عن ٣٠٠ ملم وترتفع فيها نسبة الرطوبة ، ولذلك انتشرت فى بعض جوانبها مساحات واسعة من المناطق الشجرية (الغابات) الكثيفة لاسيما من أشجار العرعر وشبارق وبعض الأكاسيات . وقد استطاعت المجارى العليا للوديان المتجهة نحو الداخل أن تشكل مصاطب رسوبية سميكة قادرة على تخزين كمية من المياه الساقطة عليها ، وقد حولها المواطنون منذ القدم الى مدرجات جبلية ، واخضعوها للزراعة خاصة الزراعة المطرية المتخصصة بانتاج الحبوب . وهذا يفسر انتشار الخضرة على خرائط هذه المنطقة بدون انقطاع سواء الناتجة عن النباتات الطبيعية أو المزروعة . كما يفسر وجود سلسلة متصلة من القرى الكبيرة والصغيرة والمتجاورة على مسافة قريبة من خط الشعاف وتقع فى نطاق من المعمور لايتجاوز عرضه ٥ كم ويقع الى الشرق من خط الشعاف مباشرة .

وتمتد مقاطعة بلجرشي فى اتجاه الشمال الشرقى من خط المعمور مسافة تقرب من ٥٠ كم ، فتشكل جزءا من أحواض روافد وادى رنية العليا وهى : وادى الجوف ووادى البصرة ووادى رنية ، التى تتجه إجمالا نحو الشرق أو الشمال الشرقى . ويمكن أن نصف أرضها بأنها هضبة مرتفعة تنحدر إجمالا من خط الشعاف أو من خط المعمور فى الغرب والجنوب باتجاه الداخل بشكل تدريجى من ارتفاع يقرب من ٢١٠٠م الى ١٧٠٠م عن سطح البحر .

غير أن المجارى العليا لروافد وادى رنية شوهت استواء سطحها وحفرت فيه بعمق ، وهبطت احيانا ٥٠م أو اكثر عن مستوى سطح الهضبة . وبالرغم من تفاهة هذا الانخفاض إلا أن حساسيته للمناخ واضحة ؛ فارتفعت معدلات الحرارة ونقصت معدلات الأمطار بشكل فجائى الى معدلات صحراوية .

وتحول سطح الهضبة شرقا الى منطقة جرداء قاحلة خالية تماما من مواقع الاستقرار . ولولا أن الوديان لا تزال تتميز بغناها بالأعشاب فأصبحت موطنا صالحا لحياة البدو الرحل لكانت خالية من السكان . وهذا مايبرز اقتطاع الجزء الشرقى من قضاء بلجرشى من اقليم المرتفعات وضمه الى اقليم الهضاب الداخلية .

بلغ عدد المستقرين فى قضاء بلجرشى فى سنة ١٣٩٤هـ ٣٥٠٠٠ نسمة ، كان ٥٠٠٠ فرد منهم يسكنون مدينة بلجرشى ، وتوزع الباقى فى ٩٤ قرية معظمها من القرى الكبيرة أو المتوسطة الحجم ، حيث بلغ معدل عدد افراد القرية ٣٢٥ فردا للقرية . وفى حين يتوقع زيادة عدد أفراد مدينة بلجرشى إلى مثلى ماكانوا عليه، فإنه لا يحتمل أن يزيد عدد أفراد القضاء كله بهذا القدر ، لأن قسما من تضخم مدينة بلجرشى كان على حساب سكان القرى أو البادية المجاورة .

وتتكون المنطقة المعمورة فى مقاطعة بلجرشى من الأقسام التالية ابتداء من الجنوب :

أ ــ **منطقة قزآنة** : وتقع فى أقصى جنوب شرق هذه المقاطعة على حدود بلاد خثعم وذلك فى أحواض الوديان : السكران والفرح والقمع وقزانة وهى من الروافد العليا لوادى رنية ويحدها من جهة الجنوب جبلا أثرب وحوالة المرتفعان واللذان ينحدران بشدة نحو وادى الخيطان بتهامة . ويعيش سكان هذه المنطقة من الإنتاج الزراعى فى مساحات تزيد ارتفاعاتها عن ١٩٠٠م تقع فى احواض الوديان وكانوا يعتمدون على زراعة الحبوب وعلى تربية الحيوانات . وتوجد فيها عدة قرى أهمها قزآنة وحوالة والفرح فى جنوب الخط « المزفلت » والقمع ، والأزاهرة فى شماله ، والأخيرة يصلها خط فرعى يبلغ طوله نحو ٣ كم ، وينتسب سكانها الى بالشهم ، وتتبع إداريا بالشهم المستوطنة فى الحميد . وتقع القرى ضمن منطقة لاتزيد أبعادها عن ٦ كم .

ب ــ **منطقة الحميد** : وتتكون من عشر قرى مختلفة الحجم تقع فى حوض وادى آل زارع (الملقاة الأعلى) الذى يبدأ من قمة السراة من شمال جبل العين ويتجه الوادى نحو

الشمال الشرقى محاذيا خط الشعاف ثم مبتعدا عنه شيئا فشيئا مسافة ٩ كم ويتكون من اجتماع عدد من الوديان الصغيرة هى : بنى هلال وسد العتم والجحافين وغيرها ، ويقع فيما بين خط الشعاف فى الجنوب وجبل الجويف وجبل ام الصلى فى الشمال . ولايزيد عرض المنطقة المعمورة بالمزارع والقرى عن ١ كم إلا نادرا ، ولايزيد امتداد البقع الزراعية عن ١ كم ، ويتراوح بعد القرية عن الأخرى ما بين ١ ، ٢ كم ، ومن أهم القرى فيه الحميد وفيها مركز إمارة فرعية والفُرَيَّة الى الجنوب منها ، ويليها الى الغرب الميراباه وآل زارع والجحافين وجبر وبنى هلال والحلية .

ج ــ **منطقة الحَمْران** : وتقع فى حوض الرافد الغربى لوادى البصرة الأعلى ويتكون من التقاء وادى البكير ووادى عبدان . ويبدأ الحوض من قمة السراة فى شمال منطقة المكرية ، ويتجه نحو الشمال مسافة ٦ كم وهو يجاور خط الشعاف مباشرة قبل أن يصب فى وادى البصرة فى شمال قرية الفرشة .

تمتد الأرض الزراعية فى منطقة يبلغ عرضها نحو ٥ كم ، كبقع واسعة مثل تلك المحيطة بقريتى الحَمران والأبناء ، تفصلها عن بعضها أراض غنية بالنباتات الطبيعية لاسيما نبات العثرب والعرعر والأكاسيات يزداد تكاثفها فى غابة الحمران . وتنتشر القرى فى هذا السهل المرتفع بحيث يتراوح بعد الواحدة عن الأخرى من ١ - ٢ كم فتتوسط المساحات المزروعة . ومن أهم قرى هذه المنطقة : الحمرَان وعبَدان القريتان من خط الشعاف فى جنوب المنطقة ، وقد توسعت الأولى وتطورت حتى كادت تصبح بلدة . ومنها شابور والصدتين وتقعان فى شمال شرق طريق الجنوب .

يتفرع من طريق الجنوب فى هذه المنطقة وصلتان تتجه إحداهما نحو الشمال الشرقى الى قرية الفرشة على بعد ٥ كم ، وتتجه الثانية نحو الجنوب الغربى الى عقبة الأبناء فتهبط سراة غامد قرب جبل حلحال الى تهامة فتربط السراة بمنطقة المخواة والقنفذة .

د ــ **منطقة بَلجُرشى** : وتقع الى الشمال الغربى من منطقة الحمران . بل تشكل هى والحمران منطقة واسعة على شكل بيضاوى قطره الكبير من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى نحو ١٠ كم وذلك لأنها تبدأ من خط الشعاف الذى يتخذ الشكل الدائرى فى هذه المنطقة من جهتى الجنوب والغرب . ويمتد قطرها الاخر باتجاه الشمال الشرقى مسافة ٨ كم حتى بداية وادى البصرة (احد روافد وادى رنية العليا) .

وتتكون المنطقة من هضبة شبه مستوية السطح يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٥٠ - ٢١٠٠م عن سطح البحر وتبرز فيها أحيانا بعض التلال الأكثر ارتفاعا مثل جبل الفقهاء في غرب بلجرشي (٢٢٤٨م) ، وجبل خياصة في شمالها الغربي (٢١٨٧م) . وتبدأ من هذه الهضبة الروافد العليا الغربية لوادي البصرة . ونظرا لارتفاعها وقربها من الشفا وبالتالي تعرضها للرياح الرطبة اعتدل مناخها ، وسقط بها كمية من الأمطار يزيد معدلها عن ٣٠٠ ملم ؛ مما حول مساحات واسعة من جوانب الوديان الى أراض زراعية تنتشر كبقع منفصلة إنما متقاربة تتخللها المساحات الغنية بالاشجار وحتى بالغابات ، كما تتخللها الكتل الصخرية الجرانيتية الضخمة والجرداء .

وقد انتشرت القرى الكبيرة الصغيرة في وسط هذه المساحات بحيث تبعد الواحدة عن الأخرى ما بين ٥ر١ - ٤ كم . وتمر بالقرب من الطرف الشرقي لهذه المنطقة طريق الجنوب والتي تنحني أيضا على شكل قوس من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، مما كان له أكبر الأثر على اخراج هذه المنطقة وقراها من عزلتها السابقة .

وقاعدة هذه القرى هي مدينة بالجرشي التي كانت تتكون من مجموعة من القرى يطلق عليها اسم السوق اى « سوق بلجرشي » . وتنسب الى بلجرشي وهي فخذ من قبيلة غامد . وكانت الى فترة قريبة عاصمة إمارة غامد وزهران قبل أن تنقل في نحو ١٣٨٥هـ الى الباحة . وبالرغم من انتهاء قيامها بوظيفة العاصمة للإمارة إلا أنها لاتزال اكبر وأهم مدينة في إمارة الباحة ، ولاتزال قاعدة ومرجع النصف الجنوبي من الإمارة ، وتلعب دور المركز التعليمي والتجاري الذي لايضاهيه أي مركز آخرُ فيها ، وكذلك مركز عدد من الشركات التي تقوم ببعض المشاريع الإنشائية في المنطقة . ويمتاز موقعها بانه يسهل الاتصال به من الشمال والشرق والجنوب ، ولو أنه يعتبر متطرفا نحو الجنوب بالنسبة لباقي أجزاء الإمارة ، خاصة بلاد زهران في دوس والمندق ، وهذا ما دعا الى نقل العاصمة الى الباحة التي تبعد عنها نحو ٣٠ كم باتجاه شمال الشمال الغربي . وفي بلجرشي مستشفى حكومي ومستوصفات وعدد من المدارس والدوائر الحكومية الأخرى وقد اتصلت بالهاتف الآلي ، وقد اتسع جهازها لألف مشترك .

لقد تحول عدد من القرى القريبة من بلجرشي الى ضواح أو أحياء نظرا للتوسع العمراني الذي تعرضت له وما شهدته من زيادة في عدد سكانها . حيث يقدر عدد سكانها بما يزيد عن عشرة آلاف حسب أقل تقدير . ومن القرى الهامة في المنطقة مضعة

وغيلان فى جنوب بلجرشي والقمان فى جنوبها الغربي ، والجلحية فى جنوبها الشرقى ، والطلقية والعدبة فى شرق خط الجنوب وخياصة وأم الضواحبي فى الشمال .

هـ ــ منطقة بنى سالم : وهى امتداد لهضبة بلجرشي السابقة الذكر باتجاه الشمال ، حيث يعتدل اتجاه خط الشعاف بعد بلجرشي باتجاه الشمال ، ولذلك فهى تأخذ الشكل القريب من المربع الذى يبلغ طول ضلعه ٥ كم تقريبا . يبلغ معدل ارتفاعها نحو ٢١٠٠م ، وتشبه سابقتها فى أن بعض القمم ترتفع الى اكثر من ذلك خاصة تلك المشرفة على خط الشعاف (٢٣١٦م فى غرب قرية بنى سعيد) حيث يبدأ الجرف باتجاه وادى ظيان فى منطقة المخواة بتهامة .

يبلغ عرض المنطقة المحصورة بين خط الشعاف وخط الجنوب المزفلت بين ٣ – ٤ كم ، وتشكل المجارى العليا لبعض روافد وادى رنية أيضا . ونظرا لانفتاحها واستوائها النسبى واعتدال مناخها وتشكل التربة فى جنباتها ، ظهرت فيها المساحات الزراعية ومناطق الاشجار الطبيعية وكتل الجرانيت الكبيرة الجرداء ، على غرار ما رأينا فى منطقة بلجرشي . وقد وجدت القرى الزراعية وسط الحقول وكان من أهمها : القرن بنى سالم ، وبنى جَرَّة وبنى سعيد وتقع إلى شمال بلجرشي بنحو ٨ ــ ٩ كم ويقابل بنى سالم من جهة الشرق أى إلى الشرق من طريق الجنوب وادى عسل المشهور بزراعة العنب وفيه قرية العسيلة ، والى الشمال منه وادى عالقة . ويعيش فى هذه المنطقة أيضا أفراد قبيلة المرهوة .

و ــ منطقة وادى بنى كبير : وبنى كبير فخذ من غامد وتعيش فى هذا الوادى الذى سمى باسمها ولها فيه ٢٠ قرية تمتد بامتداد الوادى من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرق يفصل بينها مسافة يبلغ معدلها بين ١/٢ الى ١ ١/٢ كم . ويبدأ الوادى بالقرب من الشعاف (على بعد ١ كم) من شمال غرب قرية بنى سعيد ، ويتجه أولا نحو الشمال الشرق الى أن يقطع طريق الجنوب ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى فتنتظم فيه القرى على النحو التالى : الحبيس والغبر والصديرة والظفير وبنى والبة والعبادل والزقاء والقليعة وظهر الحامر والكتفة والسيار والدهامشة والفلاح وآل سالم وآل سرور والنعيم وصبر والمرزوق . وتظهر هذه القرى على امتداد نحو ١٠ كم من الوادى وذلك قبل أن يلتقى بعالية وادى رنية ويقع أدناها وهى قرية المرزوق على ارتفاع ٢٠٠٠م .

وقد عمل الوادى الذى اشتركت الانكسارات والتعرية فى بنائه على إنشاء مصاطب رسوبية على جانبه خضعت للانتاج الزراعى وأصبحت الزراعة المهنة الرئيسية للسكان ، وتشترك معها حرفة تربية الحيوانات سواء فى داخل الحقول الزراعية أو من رعاية سفوح الوادى المرتفعة . ويبلغ عدد أفراد هذه المنطقة نحو ثمانية آلاف نسمة يشكلون إمارة فرعية تابعة للباحة يقع مركزها فى قرية **ظهر الحامر** فى وسط الوادى رغم صغرها .

٢ ــ **مقاطعة الباحة** : وقاعدتها مدينة الباحة وهى فى نفس الوقت عاصمة إمارة الباحة الإدارية . وتحتل هذه المقاطعة مساحة صغيرة نسبيا (تقل عن ٥٠٠ كم^{٢}) فى وسط الإمارة وذلك فيما بين مقاطعة بلجرشى فى الجنوب الشرقى ومقاطعة زهران فى الشمال الغربى وبمحاذاة خط الشعاف الذى يتجه بشكل متعرج باتجاه الغرب فالشمال فالشمال الغربى ، والذى يختلف ارتفاعه أيضا اذ يبلغ فى قسمه الجنوبى الشرقى (شفاظبيان) ٢٤٠٠م ، ولايتجاوز ٢٢٠٠ فى شفا الباحة .

ينحدر خط الشعاف باتجاه الجنوب الغربى مقدار ١٢٠٠ - ١٤٠٠م دفعة واحدة على مسافة ٣ - ٤ كم وذلك باتجاه وادى الطارق (عالية المخواة) ، ويكون الانحدار أحيانا على شكل جروف قائمة يستحيل اجتيازها . فى حين ينحدر السطح باتجاه الداخل ببطء شديد مما جعله يتكون من هضبة شبه مستوية قليلة الانحدار ، وقد عملت التعرية على تخديده وتحويله الى مجموعة من المرتفعات والوديان الأقل تعقيدا ؛ مما سمح لمجارى الوديان العليا ــ والتى تبدأ من خلف خط الشعاف مباشرة - أن تبنى مصاطب رسوبية سميكة تغطى بعضها بالاشجار الكثيفة أو النباتات المبعثرة والأعشاب نظرا لغزارة الأمطار التى تسقط عليها والتى يزيد معدلها عن ٣٠٠ ملم . فظهرت غابات حقيقية فى المنطقة مثل غابة رغدان فى شمال غرب الباحة وغابة الشهباء فى شمالها الشرقى وغابة جبل الغبر المشرف على وادى فيق ووادى بنى كبير فى جنوبها الشرقى .

وتحولت السفوح القريبة من سرر الوديان وبعض بطون الأودية كذلك الى حقول وبساتين زراعية منذ زمن بعيد لاسيما بعد اقامة المدرجات الجبلية فيها . فامتدت الأرض المزدانة بالخضرة سواء بالنباتات الطبيعية أو المزروعة ابتداء من خط الشعاف باتجاه الداخل بعرض ٧ كم فى الجنوب ويزداد حتى يصل ١٢ كم فى شمال غرب الباحة ، وتتحول الأرض من هذا الحزام الأخضر باتجاه الشمال الشرقى (الداخل) الى القحولة بشكل فجائى بسبب التحول الى الصفات الصحراوية .

يعيش فى هذه المنطقة الصغيرة نحو ٤٠٠٠٠ نسمة معظمهم — ان لم يكن كلهم — من المستقرين فى قرى مختلفة الحجم والأهمية ينتسبون الى قبيلة غامد .

يمر طريق الجنوب الحديث من الجزء الشرق من هذا الحزام الأخضر ويتجه نحو الشمال الغربى حتى الباحة ، ثم يتجه نحو الشمال فشمال الشمال الغربى باتجاه الطائف مما يجعله يبتعد أكثر وأكثر عن خط الشعاف . ففى حين يكون على بعد ١ كم عنه فى شمال غرب الباحة مباشرة نجده يبتعد نحو ١٠ كم عن الشعاف فى منطقة بنى سار . ويصبح هذا الخط « المزفلت » بالتالى قليل الأهمية بالنسبة للقرى العديدة القريبة من خط الشعاف .

وبالرغم من صغر مساحة مقاطعة الباحة يمكن تقسيمها الى الوحدات الأصغر التالية :

أ — منطقة بنى ظبيان وتقع فى جنوب شرق منطقة الباحة مباشرة بينها وبين مقاطعة بلجرشى وتحتل حوض وادى فيق . ونستطيع ان نجعل جبل الغبر الذى يشرف على وادى بنى كبير من جهة الجنوب وعلى وادى فيق من الشمال والذى يرتفع الى ٢٣٦٢م حدا بين المقاطعتين .

يبدأ وادى فيق من خلف الشعاف مباشرة قرب قريتى خفة وبنى حدة ولا يبتعد كثيرا عن منابع وادى بنى كبير من ارتفاع ٢٢٠٠م ولكنه يتجه نحو الشمال مسافة ١٠ كم فى مجرى ضيق وقليل الانحدار بين السفوح الجبلية المشرفة عليه والغنية بالنباتات الطبيعية لاسيما العرعر والأكاسيات ، والتى يتكاثف بعضها على شكل غابة هى غابة وادى فيق ، وقد تحولت السفوح الدنيا فيه الى الزراعة وانتشرت فيها القرى الزراعية مثل بنى حدة وخفة الواقعتين فى عاليته وقمهدة فى وسطه وبجوار الطريق ، وبنى مشهور والمراصفة فى شماله

حينما ينتهى طريق الجنوب من حدود بنى كبير يتجه باتجاه الشمال فيصعد مرتفعات جبل الغبر ، الذى يفصل بين وادى بنى كبير ووادى فيق اللذين يبدآن متجاورين فى شمال منطقة بنى سالم وينفرجان عن بعضهما . إذ يتجه الأول نحو الجنوب الشرقى ويتجه الثانى نحو الشمال الشرقى ، ويرتفع جبل الغبر عند الطريق الى نحو ٢٣٠٠م عن سطح البحر فيشرف على الواديين من تلال مملوءة بالأشجار ، ثم يهبط مع سفح وادى فيق تدريجيا فيقطع الوادى بميل الى الجهة المقابلة على ارتفاع ٢١٦٠م ، ويرتقى السفوح

الغربية لوادى فيق ويتجه نحو الشمال فى بلاد بنى ظبيان الى أن يصل علو ٢٢٢٠م وهناك يتجه الطريق نحو الغرب فالشمال الغربى باتجاه الباحة .

ويلى وادى فيق باتجاه الغرب مباشرة منطقة بنى ظبيان التى تتخذ شكل المستطيل الذى أبعاده ٦ × ٧ كم . تقع فيما بين خط الشعاف فى الجنوب وبين طريق الجنوب « المزفلت » فى الشمال وفيما بين وادى فيق فى الشرق والباحة فى الغرب ، وهى معقدة التضاريس ويرتفع خط الشعاف فيها فى الجنوب الى ٢٤٠٠م وتنخفض باتجاه الشمال نسبيا ، بسبب انحدار الأودية فى هذا الاتجاه فتتجاور المرتفعات والأودية بدون نظام . غير أن اعتدال المناخ وكثرة الأمطار وتحلل الصخور وتشكل الترب على سفوح الأودية ؛ أدى إلى انتشار المساحات الغنية بالنباتات الطبيعية أو الأراضى المتشكلة من صخور مجردة . ولذلك استمر انتشار الخضرة فى هذه المنطقة كامتداد يصل بين بلجرشى والباحة ، وقد توسطتها مجموعة من القرى تنتسب الى بنى ظبيان التى تشكل إمارة فرعية مركزها العشامرة وقد وصلها خط « مزفلت » فرعى يمر من معظم القرى يبلغ طوله نحو ٦ كم .

وأهم قرى بنى ظبيان : دار الرمادة وحصن الرمادة وتقع بالقرب من الشعاف المشرفة على تهامة ، ويقع الى الشمال منها على جانبى الطريق الفرعى : دار الجبل والعباس وعرى ودار العلى والطرفين ، وإلى الشمال من الخط : الجوة والعبد الله والحميدة والطارق كما يقع فى الشمال بالقرب من طريق الجنوب : العشامرة والعكشان والعطاردة والمغارزة وخويتم والسقيطة . وتقتصر بعض القرى على قلاع محصنة تتوطن أعالى الجبال . ولذلك لاتبتعد معظم هذه الحصون عن بعضها اكثر من نصف الى كيلو متر واحد .

وتلتقى سيول هذه المنطقة فى الشمال وتجتمع باسم وادى المفارجة ، وهذا يلتقى مع وادى فيق الذى يحاذيه من الشرق وذلك فى شمال شرق منطقة بنى ظبيان مشكلة معا وادى « شعيب الريمة » الذى لايلبث أن يلتقى بوديان منطقة الباحة -والتى تقع الى الشمال من هذه المنطقة وتصل باسم « وادى الحمدة » فى شرق جبل الطويلة فتتشكل بذلك عالية وادى ثَراد (رافد رنية الرئيسي) .

ب ـــ منطقة الباحة (حوض وادى جوب) : وتقع فى شمال غرب بنى ظبيان مباشرة فى موضع يتراجع فيه خط الشعاف الى الداخل كثيرا ، ولايزيد ارتفاعه فى هذا الموضع

عن ٢١٦٠م عن سطح البحر ، أى أنه يقل عن ارتفاعه فى المناطق المجاورة فى الجنوب الغربى أو الشمال الغربى ، فينفتح الأفق غربا على اقليم تهامة المنخفض وذلك باتجاه وادى الطارق (المخواة) حيث ينحدر السطح بشكل فجائى واحيانا رأسى فى ذلك الاتجاه . فى حين يتشكل سطح الهضبة من أرض غير مستوية ترتفع بعض القمم فيها الى ٢٤٠٠ و٢٣٠٠م عن سطح البحر .

غير أن التصريف المائى لم ينتظم بشكل عمودى على خط الشعاف باتجاه الداخل حتى ينخفض السطح تدريجيا فى هذا الاتجاه ؛ بل أنه انتظم حول وادى « جوب » الذى يبدأ من قرية بنى سعد فى جنوب قرية الزناقد الواقعة على بعد ٧ كم فى شمال الشمال الغربى للباحة ، والى الغرب من طريق الجنوب وذلك من ارتفاع ٢٣٠٠م ويتجه نحو الجنوب والجنوب الشرقى فيقترب شيئا فشيئا من حافة الشعاف التى تتجه فى هذه المنطقة شرق - غرب . وعند قريتى رغدان والزرقاء يرفده وادى الحاوية من الشرق ويسير موازيا لخط الشعاف ، وعلى بعد يتراوح بين ½ الى ١ كم . وينحنى فى غرب بلدتى الباحة والظفير نحو الجنوب الشرقى فالشرق فيقطع طريق الجنوب باسم وادى الملد حيث تسقط المياه منه على شكل شلال ، فيلتقى بوادى الراعب فى شرق طريق الجنوب ، فوادى حمدة الذى يبتعد بشكل عمودى عن خط الشعاف وينتهى الى وادى ثراد فى الشرق .

ونظرا لارتفاع هضبة الباحة وانفتاحها على المؤثرات الغربية والجنوبية الغربية بسبب انخفاض خط الشعاف اعتدل مناخها ، فزادت كمية الأمطار الساقطة فيها نسبيا ، وارتفعت نسبة الرطوبة الى درجة تكرار حدوث الضباب والندى ووصوله الى حالة مضايقة فى بعض الأوقات . وقد توفرت فيه مساحات مستوية أو شبه مستوية تطور فيها تحلل التربة الى درجة أنبتت النباتات الطبيعية بكثافة كبيرة تصل الى تشكل الغابات فى بعض البقع .

ففى منطقة الباحة غابات مشهورة استعملت مؤخرا للترفيه ولقضاء أوقات الفراغ مثل : غابة الشهباء وتقع على سفوح تلال فى شمال شرق مدينة الباحة يصلها طريق معبد طوله نحو ٤ كم ، يقع فيما بين طريق العقيق وطريق الطائف ، ويصل ارتفاع أعلى قمة فى التل إلى ٢٣٧٨م . وغابة رغدان (غابة الطفة) وتقع فى شمال غرب المدينة ، والى الغرب من قرية رغدان وبمحاذاة خط الشعاف مباشرة ، وهى امتداد لأشجار جبل

بيضان الذى يعتبر حدا بين بلاد غامد وبلاد زهران ، وقد وصلها أيضا خط معبد يتجه من الباحة غربا ويبلغ طوله ٣ كم تقريبا . وفرعة مهران الواقعة على التلال فى جنوب بلدة الظفير وبمحاذاة شفا الباحة ، وتشرف على وادى جوب من جهة الجنوب . وقد ظهرت أشجار متفرعة مختلفة الأنواع والأحجام على معظم الجبال الأخرى مما يكسب المنطقة منظرا مميزا عن المناطق الجرداء القريبة . وأهم أشجارها العرعر والأكاسيات والطرفيات والأثرب والعتم والسدر والشبارق والغرب والعرين والرين . وقد استغلت أخشابها فى كثير من الاستعمالات .

وقد حول المواطنون كثيرا من السفوح العليا الى مدرجات جبلية ، فزرعوها بالحبوب اعتمادا على مياه الأمطار وعملوا السواق لتجميع المياه . كما أخضعوا مصاطب الوديان التى تتكون من الطمى للزراعة اعتمادا على مياه الفيضان أو الآبار المحفورة فى الطمى . وأهم المناطق المزروعة وادى جوب ذاته الذى يعتبر من الوديان الغنية بالزراعة وبالتالى بالقرى الزراعية . أما الوديان المجاورة له فى الشمال والشرق فان المساحات الزراعية تقل فيها امتدادا ومساحة ، وبالتالى تقل سكانا عنه وعن المناطق الواقعة الى الجنوب كمنطقة بلجرشى أو بنى ظبيان مثلا .

ومع ذلك يمكننا أن نعتبر الزراعة كانت حتى عهد قريب هى عماد حياة سكان منطقة الباحة . وهى زراعة تقليدية محدودة الدخل ، ولذلك كان لابد للمزارعين من الاعتماد على تربية الحيوان استكمالا لمداخيلهم القليلة . وكانوا يتبادلون منتوجاتهم فى الاسواق الاسبوعية التى كانت تعقد فى القرى بالتناوب كسوق الباحة (سوق الخميس) . وقد تراجعت الزراعة كثيرا فى العهد الحالى لاسيما الزراعة « العثرية » التى تتم على المدرجات الجبلية والتى تعتمد على الامطار ، لأنها كانت غير مضمونة الأمطار فتحول معظمها الى مدرجات « دامرة » . ولا أمل كبير لتطوير الزراعة المروية لفقر المنطقة بالمياه الجوفية .

وقد نتج عن ذلك أن نقص الانتاج الزراعى والحيوانى . فبعد أن كانت المنطقة تكفى نفسها من هذه المواد وتبيع الفائض منها فى أسواق خارجية ؛ أصبحت تعتمد على المستورد من الحاصلات الزراعية والحيوانية أكثر مما تعتمد على الإنتاج المحلى ، وقد تيسر ذلك بتطور التجارة وتحسن المواصلات والقضاء على العزلة . وقد نتج عن ذلك أيضا ان أعرض كثير من الشباب فى القرى عن العمل الزراعى ، فارتحلوا الى الباحة للعمل فى

الوظائف الحكومية والخدمات العامة والخاصة ، أو فى المؤسسات الانشائية والمهن التى توفرت كثيرا ، أو أنهم ارتحلوا الى مدن ومناطق المملكة الأخرى ، ففقدت القرى نسبة كبيرة من سكانها .

نشأت بلدتا الظفير والباحة كمركزين مدنيين على تلين متجاورين يعود اليهما سكان القرى المجاورة فى الامور الإدارية أو التجارة ، وذلك على الجانب الايسر لوادى جوب (الجانب الشرقى) ، بحيث لاتزيد المسافة المستقيمة بين مركزيهما عن ١ ½ كم ويفصل بينهما سيل صغير يأتى من الشرق ويصب فى الوادى . وتقع الظفير الى الجنوب الشرقى من الباحة ، وكانت مركزا لإمارة غامد وزهران فى الزمن الماضى قبل أن تنقل الى بلجرشي ، ولذلك فانها كانت اكبر مساحة وعمرانا وسكانا من الثانية .

وقد أخذت البلدتانّ بالتوسع الحثيث منذ الستينات من هذا القرن حينما أعيد مركز الإمارة الى الباحة (إمارة الباحة) ، فشقت فيهما الشوارع الحديثة ونشأت المبانى الأسمنتية ، خاصة الدوائر الحكومية والمحال التجارية والأسواق والمطاعم والمبانى السكنية ومن ثم الفنادق والبنوك . وربطت بشبكة كهرباء الجنوب ومدت المياه بالانابيب ، وقد استفادت مؤخرا من اتصالها بالهاتف الآلى ثم من انشاء مطار العقيق الذى يبعد عنها ٤٣ كم باتجاه الشمال الشرقى . ومن الجدير بالملاحظة أن معظم الدوائر الحكومية ـــ كمبنى الإمارة وادارة التعليم والأمن العام والبنوك ـــ نشأت فى المساحة الفاصلة بين البلدتين مما زاد فى التحامهما واعتبرتا مدينة واحدة سارت على طريق النمو والتمدن خاصة على امتداد طريق الجنوب (الطائف – أبها) الذى مر من طرفيهما وربطهما بتلك الجهات . ويجرى إنشاء طريق مزفلت عبر عقبة الباحة الى تهامة .

بلغ عدد سكان الباحة فى سنة ١٩٧٤م ٢١٠٤ أفراد فقط ، ويمكن اعتبار أن هذا الرقم زاد الى ما لايقل عن ثلاثة أمثاله فى أقل تقدير ، إذا أدخلنا فى الاعتبار كثرة الانشاءات وانتشار الخدمات وتوفر فرص العمل لاسيما فى الدوائر الحكومية المستجدة ، وتوسع التجارة وحركة النقل البرى . وقد وفد اليها الكثير من ريفها المحيط بها ومن مناطق المملكة الأخرى ومن الخارج .

وعاش فى ريف الباحة نحو ٣٠٠٠٠ فرد توزعوا فى نحو ٨٤ قرية مختلفة الحجم والأهمية ولم يسجل التعداد فى هذه المنطقة أحدا من البدو .

ومن قرى الباحة الهامة تلك الواقعة فى وادى « جوب » ابتداء من الشمال وبالقرب من طريق الجنوب : بالعلا والرهوة والجادية والحمض ورَغدان والزرقاء ، وقد انشىء المستشفى المركزى على أحد التلال بالقرب من القرية الأولى والتي ترتفع اكثر من ٢٣٥٠م عن سطح البحر ، وذلك فى غرب الطريق العام على بعد نحو ٦ كم من الباحة . ويوجد عدد من القرى فى وادى الزرقاء أحد روافد وادى جوب ويأتيه من الشمال ويلتقى به عند قرية الزرقاء حيث يقطع طريق الطائف مثل : زعنب والحبيش وشو ، كما يوجد عدد من القرى فى مجموعة الوديان المسايرة لطريق العقيق مثل : الراعب والسواد والمريدى والولد ، والى الشمال قليلا الكراء .

بعد أن يصل طريق الجنوب الباحة يعتدل اتجاهه الذاهب الى الطائف نحو الشمال الغربى فالشمال تقريبا ، فى الوقت الذى يتجه فيه خط الشعاف من الشرق للغرب ثم للشمال الغربى . ولذلك فان الخطين يبتعدان عن بعضهما البعض ؛ فبعد أن يكونا على مسافة كيلو متر واحد فى شمال الباحة تصل المسافة بينهما الى ١١ كم (فى خط مستقيم) حينما تمر الطريق بين وادى بنى سار ووادى شبرقة التى تقع على بعد ١٥ كم عن مدينة الباحة .

ج ــ منطقة آل موسى وبنى سار : وهى عبارة عن سطح هضابى مستطيل الشكل يمتد الى الشمال من حوض وادى جوب المذكور وعلى بعد نحو ٥ كم فى شمال خط شعاف الباحة ويمتد مسافة ٨ كم باتجاه الشمال وبعرض نحو ٦ كم ، ويبلغ ارتفاعه مابين ٢٢٠٠ – ٢٣٠٠م وترتفع بعض القمم الى ٢٤٠٠م .

ونظرا لارتفاع هذه الهضبة ووضعها بالنسبة لخط الشعاف وانفتاحها على المؤثرات الجنوبية الغربية القادمة عبر خط الشعاف المنخفض فى منطقة الباحة : سمح لهذه التأثيرات أن تصل لمسافة بعيدة عن الخط تزيد كثيرا عن المناطق الأخرى ، ولذلك وجدنا ان الخضرة الناتجة عن النباتات الطبيعية والمزروعة امتدت بدون انقطاع الى نحو ١٢ – ١٣ كم شمالا . ويسير طريق الطائف القادم من الجنوب بجوار الطرف الشرقى لهذه المنطقة فى الجزء الجنوبى منها فاصلا منطقة آل موسى وشَبرقة فى غربه عن بلاد بنى سار فى جهة الشمال الشرقى منه .

وينتمى آل موسى وبنى سار الى زهران وتقع منطقة آل موسى من بنى حسن الى الشمال مباشرة من حوض وادى جوب والى الغرب والجنوب من طريق الطائف والى

الشرق من التلال المشرفة على وادى الصدر (عالية وادى تربة) ، وتتكون المنطقة من وهاد متفرقة فيما بين التلال المرتفعة بدون نظام ، غير أنها فى الجزء الشمالى منها تنتظم فى وادى شبرقة الذى يأتى من قرب وادى بنى سار ويتجه غربا ليصب فى وادى الصدر . وقد انتشرت الحقول الزراعية فى هذه الوهاد والسفوح مما سمح بتشكيل مجموعة من القرى الكبيرة والصغيرة ، والتى تعتبر امتدادا مكملا لوادى جوب باتجاه الشمال . ومن أهم هذه القرى : الربيان فى الجنوب والمفرح والبديرى والفارسية وآل هيان ومليكة وآل سلامة والقريع والقحف وآل موسى وشبرقة . وقد استفادت هذه المنطقة من طريق الطائف وبدأت القرى تتمدد بجوار الخط بسبب التوسع فى الخدمات كالمحطات والمطاعم والمحلات التجارية .

أما منطقة بنى سار فتقع الى الشرق من طريق الطائف وتنتظم حول وادى بنى سار الذى يتجه أولا من الجنوب إلى الشمال ثم الى الشرق حيث يلتقى أخيرا مع وادى ثراد . والمنطقة تعتبر امتدادا مكملا لمنطقة آل موسى فى هذا الاتجاه فهى مثلها تتكون من وديان ترتفع نحو ٢٢٠٠م عن سطح البحر ، وتبرز التلال التى ترتفع ٢٣٠٠ ، ٢٣٥٠م بجوارها ، وتنتشر فى هذه الاحواض مساحات واسعة ومتفرقة خاضعة للانتاج الزراعى الذى كان عمادا لوجود حياة ريفية مستقرة ، ولو أنها على بعد يزيد عن ١٠ كم عن خط الشعاف . وقد ظهرت فيها قرية كبيرة واحدة هى بنى سار وعدة قرى صغيرة متفرقة مثل : الطفيح والصدر والحجرة . وينتمى السكان الى بنى سار من زهران ، وتقع المنطقة على بعد ١٣ – ١٥ كم عن الباحة فى جهة شمال الشمال الغربى .

وينحرف طريق الطائف فى منطقة بنى سار نحو الشمال الغربى ويسير على أرض شبه مستوية ترتفع ٢٢٦٠ – ٢٢٨٠ م ، وتعتبر منطقة لتقسيم المياه بين ثلاثة أودية مختلفة الاتجاه : الأول هو وادى بنى سار الذى ينتهى الى الاتجاه الشرقى حتى يرفد وادى ثراد عالية رنية ، والثانى وادى بطحان (بيدة) الذى يبدأ من محاذاة الطريق ويتجه شمالا محاذيا للطريق التى تسير الى الغرب منه حتى يرفد تربة ، والثالث وادى شبرقة الذى يبدأ من وديان مختلفة فى غرب الطريق وينتهى الى الاتجاه الغربى ليرفد وادى الصدر (الرافد الأعلى لوادى تربة) .

٣ ــ سراة زهران :

وتمتد محاذية لخط الشعاف فى شمال غرب الباحة نحو ٥٠ كم حيث ينحنى الخط على

شكل قوس ، ويتجه اجمالا من شمال الشمال الغربى الى جنوب الجنوب الشرقى . كما تمتد المنطقة باتجاه الداخل مسافة ١٢ كم فى الجنوب و٣٠ كم فى الشمال . وتقسم الى ثلاثة اقسام متباينة هى :

أ ــ منطقة بنى حسن والمندق : وتلى منطقة الباحة مباشرة باتجاه شمال الشمال الغربى مسافة تزيد عن ٢٥ كم (كخط مستقيم) وتلى خط الشعاف مباشرة وتمتد فى الداخل نحو ١٢ كم . ويفصلها عن منطقة غامد سلسلة من الجبال العالية تبدأ من جبل بيضان المشرف على تهامة من ارتفاع ٢٥٣٠م وذلك من طرفه الجنوبى حيث يهبط بشكل فجائى الى وادى الطارق (المخواة) ، والذى يشرف على غابة رغدان من جهته الشرقية . وجبل ظنبدى (٢٥٦٥م) ويقع الى شماله .ثم جبل الدار الى الشمال (٢٤٠٥م) . وتعتبر هذه الجبال خطا لتقسيم المياه بين وادى جوب (رنية) ووادى الصدر (تربة) .

أما خط الشعاف الذى يحد هذه المنطقة من الجهة الجنوبية الغربية فان ارتفاعه يهبط من ٢٤٠٠م فى منطقة بنى هريرة فى الجنوب الشرقى الى ٢٠٥٠م فى منطقة المندق فى الشمال الغربى . وينتظم سطح المنطقة خلف خط الشعاف وخلف تلال الجنوب الشرقى المذكورة فى حوضي وادى الصدر ووادى رسباء ، وهما الرافدان الرئيسيان فى عالية وادى تربة . ويقع وادى الصدر الى الشرق من وادى رسباء . ويتجه الواديان باتجاه الشمال والشمال الغربى قبل أن يلتقيا فى شرق المندق على بعد نحو ٤ كم (كخط مستقيم) ويكون ارتفاع بطن الوادى ١٨٥٠م عن سطح البحر .

فالمنطقة وان كانت قليلة الاختلاف فى ارتفاعاتها ومنتظمة التصريف المائى فانها تعتبر من اكثر مناطق السراة تعقيدا فى تضاريسها ووعورة فى اجتيازها ، حيث تتكون صخورها من الشست الكلورايتى الذى يتحلل الى غبار ناعم أصفر ، مما ساهم فى انعزالها عن مناطق العمران الأخرى ، وتأخر مشاريع إنشاء الطرق فيها . ومع ذلك فقد بدأ إنشاء أول طريق « مزفلت » فى سراة زهران وبنى مالك .

غير أن هذا الارتفاع ساعد على تلطيف مناخها : كاعتدال الحرارة وغزارة الأمطار نسبيا وبالتالى على غناها بالنباتات الطبيعية ، وتوفر المجموعات الشجرية والأعشاب ، وأمكن بالتالى تحويل السفوح العليا الى مدرجات جبلية خضعت للزراعة المطرية المتخصصة بزراعة الحبوب ، كما أمكن استغلال بطون الأودية ومصاطبها فى الزراعة

المروية لتوفر المياه فى تربتها الطموية ، فتخصصت بزراعة الأشجار كالرمان والخوخ فى وادى الصدر . واستغلت الأعشاب فى تربية الحيوان . فقامت حياة ريفية مكتفية بما تنتجه من مواد زراعية أو حيوانية ، وهى حياة فقيرة بطبيعة الحال . وانتشرت القرى الزراعية فى وسطها . وكانت وسيلة الاتصال والاختلاط فيما بينها يتم عن طريق الأسواق الأسبوعية التى كانت تعقد فى القرى الرئيسية بالتناوب على مدار الأسبوع .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة ٢٢٠٠٠ سنة ١٩٧٤م ولاينتظر أن يكون العدد قد زاد كثيرا عن ذلك لأنها منطقة ريفية فقيرة تعرضت لفقدان عدد كبير من سكانها ، ولم تكن ذات جذب بشرى . ووجد فيها ٩٤ قرية زراعية مختلفة الحجم والأهمية . ولم يسجل تعداد ١٩٧٤م أى فرد من البدو الرحل فى هذه المنطقة . وينتمى السكان الى ثلاثة فروع من قبيلة زهران ينحصر كل فرع فى جزء منها ، هذه الاجزاء هى :

١ ـــ بنو حسن : وقد تواجدوا فى الزاوية الجنوبية الشرقية من هذه المنطقة وذلك فى حوض وادى الصدر وفى عالية وادى رسباء ، ولذلك فهى تجاور منطقة الباحة باتجاه الشمال الغربى . ونظرا لطبوغرافية وشكل هذه المنطقة نجد أن أطرافها من الشرق (منطقة التلال) والجنوب والغرب (مناطق الشعاف) غنية بالاشجار الطبيعية وبالمساحات الزراعية وبالتالى بالقرى الكثيفة بالسكان وذلك بعرض يتراوح بين ١ – ٢ كم . فى حين كانت المنطقة الوسطى ـــ وهى السفوح المتجهة نحو وادى الصدر ـــ جافة جرداء قليلة الخضرة . الا فى بطن الوادى حيث تمكن من تشكيل مصاطب رسوبية جيدة التربة وغنية بالمياه الجوفية فظهرت فيها الزراعة المروية وانتشرت فى وسطها القرى الزراعية بكثافة مناسبة .

يبلغ عدد افراد بنى حسن نحو ١٠٠٠٠ نسمة يتوزعون فى ٥٠ قرية معظمها قرى كبيرة ، يزيد عدد أفراد الواحدة منها عن ٢٠٠ نسمة : ومن هذه القرى ظنبدى والخنادير والبارك وهى قرى كبيرة تقع على التلال المرتفعة فى جنوب شرق هذه المنطقة . ويوجد بالقرب من خط الشعاف فى جنوبها عدد من القرى المتوسطة الحجم مثل: قرة وبنى هريرة والخنادير ونعاش .

وتقع بلدة الرباع قاعدة بنى حسن فى رحبة متسعة من الأرض كثيرة التموذج فى عالية وادى رسباء وذلك فى غرب هذه المنطقة . وهى غنية بالمساحات المغطاة بالأشجار والمساحات الزراعية والتى ينتشر فى وسطها عدد كبير من القرى المختلفة الأحجام مثل : الوفاء

والسباء والسهلة وصقرة والركبة والمسامير والعصداء وحميم والمشايعة . وقد توسعت قرية الرباح فضمت قرية الصقرة .

ويوجد فى صدر وادى الصدر عدد من القرى منها : مراوة والصدر والصخارتين والشريق والزربا وتعتمد على الزراعة المروية وتربية الحيوان .

٢ - **بلخزمر** : وهى إمارة فرعية صغيرة استحدثت فى جزء من سراة زهران تقع فيما بين إمارتى بنى حسن فى الجنوب الشرقى والمندق فى الشمال الغربى ، وذلك فيما يلى خط الشعاف الذى يرتفع هنا ٢٢٠٠م عن سطح البحر والتى تنحدر باتجاه تهامة نحو أحد روافد وادى الشعراء (الشاقة اليمانية) ، وتمتد شرقا مسافة لاتزيد عن ٣ كم حتى حوض وادى رسباء .

لايزيد عدد أفراد هذه الإمارة كثيرا عن الألف فرد ويعيشون فى قريتين كبيرتين وعدد من القرى الصغيرة . والقريتان اللتان سميت المنطقة باسمهما فى الماضى هما عنازة وتبعد ٢ كم عن خط الشعاف ، والجماجم وتقع الى الغرب منها بجوار خط الشعاف ويبدو أن التوسع الحديث ظهر فى قريتى : مولغ والأنصب . ولاتختلف حياة السكان فى هذه المنطقة عن حياة بنى حسن .

٣ - **المندق** : وتحتل مساحة تزيد عن مجموع مساحتى القضاءين السابقين وذلك فى شمال غرب هذه المنطقة ، إذ يزيد طول خط الشعاف فيها عن ٢٥ كم وهو ينحدر من ارتفاع ٢٠٥٠م باتجاه تهامة بشكل فجائى الى ٦٠٠ م فى وادى الشعراء على بعد ٧ كم غربا .

ونظرا للتقوس الذى يتخذه خط الشعاف حيث يتقدم باتجاه الغرب ، والتقوس المعاكس الذى يتخذه خط الشاطىء المقابل له فى الغرب (فى جنوب الليث) بحيث أصبحت المسافة بين الشاطىء وأعلى السراة لاتزيد عن ٧٠ كم (كخط مستقيم) وهى أقصر من الأماكن الأخرى . ولذلك فبالرغم من وقوع المنطقة شمال خط عرض ٢٠°ش ، ومن اعتدال ارتفاع هضبة السراة فى المندق بالنسبة الى المناطق الأخرى إذ تتراوح ارتفاعاتها بين ٢٠٠٠ - ٢٢٠٠م عن سطح البحر ، فقد وصلتها التأثيرات البحرية الجنوبية الغربية لاسيما وان وادى الشعراء (الشاقة اليمانية) مفتوح باتجاهها مما سبب فى زيادة الأمطار الساقطة فيها حيث سجلت المندق معدلا سنويا يتجاوز ٣٨٥ ملم . وقد ساعدت هذه الأمطار على انتشار النباتات الطبيعية على مختلف السفوح

الجبلية ، كما ساعدت على تحويل قسم كبير منها الى مدرجات جبلية خضعت لإنتاج الحبوب اعتمادا على الأمطار . وقد انتشرت هذه الأراضى فى شريط يتراوح عرضه بين ٢ – ٦ كم محاذيا لخط الشعاف ، أو أنه يقع بين الشعاف ومجرى وادى تربة الأعلى .

وقد نشأت فى هذه المساحات حياة ريفية مستقرة كبقية مناطق السراة الأخرى ، قوامها مجموعة من القرى الزراعية بلغ عددها ٣٧ قرية ينتمون الى المَندق وهم فرع من فروع قبيلة زهران ، يبلغ مجموع عددهم نحو ١١٠٠٠ فرد . يعيش أكثر من عشرهم فى بلدة المندق ، والتى كانت من السابق مركزا تجاريا هاما ، وكان يعقد سوقها يوم السبت ، وقد توسعت وأنشئت فيها أسواق حديثة ومبان اسمنتية وظهرت مجاورة للبيوت الحجرية القديمة ، وبلطت شوارعها بالأسفلت . وفيها مركز الإمارة الفرعية ومعظم الدوائر الحكومية وعدد من المدارس للجنسين . وتقع على سفوح جبلية منحدرة تشرف على الأحواض المزروعة وتبعد $1\frac{1}{2}$ كم عن خط الشعاف .

ومن القرى الهامة الأخرى التى تتبع المندق :

العامية والوسط ودار المسجد وبالحكم وبنى حريم وبَعَرة والنُّصْباء فى جنوبها ومثنية وتربة وعويرة فى شمالها وشمالها الغربى .

(ب) **منطقة دوس وبرحرح** : وتقع الى الشمال الغربى من منطقة المندق وذلك فى نهاية امتداد بلاد زهران باتجاه الشمال الغربى فتجاور بلاد بنى مالك من هذا الاتجاه . ويمتد خط الشعاف فى هذه المنطة بشكل حاد التعرج وينحدر بشدة باتجاه وادى رما فى الجنوب ووادى الجَرْداء الى الشمال منه (رافد الشاقة اليمانية) . وخط الشعاف كما هو معروف هو الحدود الغربية لجميع مناطق السراة ، والذى يختلف مستوى ارتفاعه أيضا ما بين ٢٠٥٠ – ٢٢٥٠م بدون نظام .

وتختلف كذلك ارتفاعات السطح خلف ذلك الخط بحدة ، فتظهر قمم جبلية عالية صعبة الإرتقاء مثل جبل القازة (٢٣٣٥م) ، وجبل العرنين (٢٢٤١م) ، وظهر الغَدى (٢٣٣٥٧م) وتنحدر هذه الجبال وأمثالها باتجاه وديان تنخفض عنها أحيانا ٣٠٠ و٤٠٠م ، وتنتظم كروافد عليا فى السراة وتنتهى الى تربة الذى يسير محاذيا لخط الشعاف من الشرق ، ويتجه باتجاهه تقريبا نحو شمال الشمال الغربى ، ويبعد عنه مسافة خطية تتراوح بين ٥ – ٨كم .

غير أن هذه المناطق الوعرة ازدانت سفوحها بالنباتات الطبيعية ، نظرا لاعتدال مناخها وتوفر الأمطار فيها ، وتزداد تلك النباتات كثافة فى بعض المواقع الى درجة تشكيل الغابات . وقد حول المواطنون منذ القدم قسما من تلك السفوح العالية الى مدرجات جبلية لاخضاعها للانتاج الزراعى ، كما تحولت بعض بطون الاودية كذلك الى حقول زراعية . ولذلك ظهرت المناطق الزراعية على خرائط هذه المنطقة كبقع صغيرة المساحة متناثرة بين تلك التضاريس .

ومن هنا كانت سراة دوس أيضا منطقة ريفية منعزلة ، وجد فيها ٤٤ قرية ، يبلغ عدد مستوطنيها نحو ٨٠٠٠ فرد ينتمون الى قبيلة دوس من زهران بمعدل ١٨٢ فردا للقرية الواحدة . ويمكن أن تقسم الى فرعين يسكن كل فرع جزءا منها هما :

١ - **دوس بنى نهب** : وتقع بلادهم فى جنوب شرق هذه المنطقة ، أى فيما يلى منطقة المندق مباشرة وذلك فوق « فرعة » تبرز فى خط الشعاف نحو الغرب وتعمل منه زاوية قائمة ، يبلغ عرضها فى الوسط نحو ٢ كم وتمتد بشكل طولى نحو ٤٫٥ كم . ويتراوح ارتفاع هذا المتسع بين ٢٠٠٠ - ٢١٠٠م ، يليه من الشرق جبل ظهر الغدى الذى يمتد شمال - جنوب ، والى الجنوب منه جبل غمضان وجبل جنبة ، يليها شرقا وديان طولية مثل وادى آل نعمة فى الجزء الشمالى (٢٠٦٠م) ، والذى يرفد وادى غمضان فى الجزء الجنوبى ويرتفع ١٨٥٠م ، يليه شرقا مجموعة من الجبال تنتهى الى وادى تربة فى الشرق منها جبل دوس (٢٠٥١م) .

وقد انتشرت فى الفرعة الأولى الأراضى الزراعية بكثافة كبيرة ، ومتقاربة ، وتوسطت هذه المزارع القرى الزراعية والتى من أهمها : الرّمس وهى موطن أبى هريرة الصحابى المعروف ، وقرية الفرعة وتقع على ربوة فى الجانب الغربى من وادى الخلصة والريحان والحبشة والقرن (قرن بنى الحشاش) والعياش وبنى على . وتوجد قرية القامة على تل منخفض فى جنوب هذه المنطقة . وقد اعتبرت بنى على قاعدة دوس . وتوجد القرى : بنى يزيد والكاحلة فى الشمال ، وآل نعمة فى الشمال الشرق . ويبلغ عدد هذه القبيلة نحو خمسة آلاف فرد ينتمون الى دوس بنى نهب .

٢ - **دوس بنى فهم** : وتقع بلادهم الى الشمال الغربى من السابقة وتمتد بمحاذاة خط الشعاف الذى يتجه فى هذه المنطقة باتجاه شمال الشمال الشرق ، ويشرف على عالية وادى الجَرْداء ويرتفع بين ٢٠٠٠ - ٢١٠٠م عن سطح البحر بشكل غير منتظم .

وكانت هذه المنطقة جزءا من بلاد دوس بنى نهب ، واستحدثت فيها امارة فرعية توطنت فى قرية الجحاف التى تقع فى وادى بَرْحْرح المنحدر من سفح جبل حرف وجنوب جبل سيحان (٢٢٤٦م) . ويعتبر الجبلان نهاية حدود زهران حيث تفصلها عن بلاد بنى مالك التى تليها شمالا بغرب .

يتجه وادى برحرح نحو الجنوب الشرقى ويلتقى مع وادى الحوية الذى يتجه نحو الشمال الغربى ، فيتجه الوادى المتكون من التقائهما نحو الشمال الشرقى ليصب فى وادى تربة ، وذلك على بعد ٤ كم فى شرق برحرح . وقد تواجدت مساحات زراعية متباعدة فيما بين هذه الوديان وفى الأحواض والسفوح الأخرى ، مما سمح بقيام حياة ريفية معتمدة عليها وعلى تربية الحيوانات . وقد تمثلت فى مجموعة من القرى المتوسطة والصغيرة الحجم ، من أهمها : برحرح التى أصبحت قاعدة الإمارة الفرعية بعد نقلها من الجحاف ، وقد نقل اليها مقر السوق ، غير أنه صار يعقد فى صباح يوم الخميس بعد أن كان بعد ظهر ذلك اليوم ، وبدأ يظهر فيها بعض البيوت الأسمنتية الحديثة وحتى بعض المحال التجارية فى السوق . ومن قراها أيضا الهرة والسلاطين والكاحدين والفاضل والقازة وآل جابور . وقد يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف نسمة ينتمون الى دوس بنى فهم .

(ج) القرى :

وهى امتداد داخلى من أقليم السراة ويشغل جزءا من حوض وادى تربة ، بل يشغل الهضاب الجبلية الواقعة بين وادى تربة غربا ووادى بيدة شرقا . ويبلغ امتداد هذه المنطقة نحو ٥٠ كم شمال – جنوب ، ويبلغ أقصى عرض لها نحو ٢٠ كم شرق – غرب . وتقع فى نهاية سراة زهران فى اتجاه الشمال ، أى أنها تجاور سراة بنى مالك . ويقطعها طريق الجنوب (طريق الطائف – أبها) ويعتبر حدا لها فى قسمها الشمالى .

تبعد هذه المنطقة الجبلية مسافة تتراوح بين ٩ – ١٢ كم عن خط الشعاف وتعتبر جزءا من السفوح المشرفة على وادى تربة الأعلى من الشرق فى هذا القطاع من المجرى وتتراوح ارتفاعات القمم الجبلية التى تتكون منها بين ٢٠٠٠ – ٢٢٠٠م عن سطح البحر ، وتشبه بذلك ارتفاعات القمم الجبلية على الجانب الغربى من حوض تربة أى جبال المندق ودوس ، فى حين تنخفض الوديان فيما بينها الى ارتفاعات تتراوح بين ١٩٠٠ – ٢٠٠٠م . ومن الملاحظ أن المرتفعات الجبلية تمتد بشكل طولى ، والوديان

تتخذ الاتجاه العام من جنوب الجنوب الشرق الى شمال الشمال الغربى وهى توازى تقريبا اتجاه خط الشعاف لأسباب تتعلق بالبنية الجيولوجية . وتنتهى جميع وديان هذه المنطقة إلى وادى تربة .

وتبعا لهذه الظروف وجدنا أن التضاريس المرتفعة - خاصة تلك التى تزيد عن ٢٠٠٠م - لاتزال تتمتع بمناخ معتدل وتسقط عليه أمطار متوسطة الكمية لاتختلف كثيرا عن مواقع الشعاف ، غير أن سفوح الوديان الدنيا تتحول نحو الجفاف بسرعة رغم ضآلة انخفاضها ، وقد نتج عن ذلك أن الغطاء النباتى أصبح فقيرا ، وسادت فيها بعض الأعشاب الفصلية والقليل من الأشجار الشوكية ، أو نصف الشوكية . وتوسعت المساحات الجرداء القاحلة . غير أنه أمكن إخضاع السفوح العليا التى تتمتع بصفات أحسن للزراعة بتحويلها الى مدرجات ، فامتدت المساحات المزروعة بشكل طولى وأحيانا خطى تبعا لامتدادات التضاريس ، خاصة تلك السفوح المتجهة نحو الغرب .

وقد سادت الزراعة « العثرية » فى هذه السفوح وهى متخصصة بزراعة الحبوب ، وقامت عليها حياة ريفية قوامها مجموعة من القرى المتناثرة فى وسط المناطق الزراعية ، يعيش افرادها من استثمار الأرض ومن تربية الحيوان . كما أمكن وجود حياة بدوية تعتمد على رعاية الحيوانات وحدها ، الأمر الذى لم نجده فى مناطق الشعاف .

يبلغ عدد أفراد هذه المنطقة التى تزيد مساحتها عن ٨٠٠ كم٢ ١٣٢٠٠ نسمة ، وهذا يوحى أن انتشار السكان فيها لايصل الى كثافة انتشارهم فى مناطق الشعاف بسبب التغير البسيط فى الظروف الطبيعية . ويعيش نحو ١٢٠٠٠ منهم فى ٧٠ قرية يغلب عليها القرى الصغيرة ، رغم وجود عدد من القرى المتوسطة والكبيرة . ويعيش بين ظهرانيهم أقل من ١٠٠٠ من البدو الرحل الذين يتخذون من تربية الحيوانات وسيلة لمعيشتهم . وينتمى سكان هذه المنطقة الى ثلاثة فروع من قبيلة زهران تتوطن كل واحدة منها فى قسم من منطقة القرى وهى :

١ - **الأطاولة** : وتمتد بلادهم بشكل طولى على منطقة تقسيم المياه بين وادى بطحان من الشرق ووادى تربة من الغرب مسافة ٢٠ كم ، وتقع الى الشمال من بلاد آل موسى وبنى حسن ، ويخترقها فى هذا الامتداد طريق الجنوب (الطائف) ، والذى يتراوح ارتفاعه فى هذه المنطقة بين ٢١٨٠ - ٢٠٠٠م على سطح البحر .

وقد استفادت هذه المنطقة من خاصية امتدادها الطولى وقلة تعقيد تضاريسها وارتفاعها عن الأحواض الوعرة المجاورة لها شرقا وغربا ، بأن تحولت الى ممر فى طريق قوافل حجاج عسير واليمن وقوافل التجارة المتجهة الى الطائف ومكة ، سواء عبر طريق شمرخ (عقبة شمرخ) أو طريق وادى بطحان . وتحولت القرى الى محطات على تلك الطريق . وليس غريبا أن ينشأ الطريق « المزفلت » فى مكان طريق القوافل القديم لنفس الميزات التى يتمتع بها .

وأمكن إخضاع السفوح العليا فى هذه المنطقة كذلك لزراعة المدرجات الجبلية فامتدت المساحات الزراعية بشكل خطى وطولى يساير الطريق وفى شريط من الأرض يتراوح عرضه بين ١ –٥ر١ كم ، تلى هذا الشريط من الجانبين أراض فقيرة بالأعشاب أو جرداء ، وقد استغلت أعشابها الى حد ما فى تربية الحيوانات سواء من قبل المستقرين الريفيين أو البدو . وقد تراجع الانتاج الزراعى ونقصت الثروة الحيوانية فى الوقت الحاضر ، بسبب تحول قسم من السكان الى المهن والنشاطات الجديدة ، التى ظهرت خلال السنوات العشر الأخيرة لاسيما فى الأطاولة وقرى الطريق .

فقد استفادت بلدة الأطاولة قاعدة هذه المنطقة أكثر من غيرها من وقوعها على طريق (الطائف – أبها) الجديد ، فتمددت عمرانيا خاصة مع الخط ، وظهرت فيها المحال التجارية ، وتكثفت الخدمات ونشأت المبانى الأسمنتية حتى صارت الطابع العام للبلدة . وارتفع عدد سكانها بحيث يبلغ الآن نحو ١٥٠٠ فرد ، أى نحو عشر سكان منطقة القرى ، خاصة بعد أن أقيم فيها مختلف الدوائر الحكومية وتعددت فيها المدارس . كما انتعشت جميع القرى التى مر الطريق منها أو بالقرب منها مثل : السلمان فى طرف المنطقة الجنوبى ، فالقواريـر وآل سرور والشطـة والحكمـان والحميـدان ، وتقـع في وادي دحيس المحاذى للطريق ، ثم الكسن والأطاولة والقهاد والنجارش فى وادى الأطاولة المحاذى للطريق أيضا . وقريش الحسن فى شعب الشذلة عند نقطة أنحاء الطريق باتجاه الشمال الغربى (ملف هملان) ، ثم قرية القصمة وزهران ومحوية فى شمال الطريق .

٢ – بنى حريرة : وتقع الى الغرب من الأطاولة فيما بينها وبين المندق ودوس وذلك الى الشمال والشرق من مجرى وادى تربة بعد انحنائه عن اتجاهه الأول (الشمال) الى اتجاه الشمال الغربى ، وبعد التقائه بروافده العليا الهامة : الصدر ورسباء . وهى بأجمعها جزء صغير من حوض وادى تربة تمتد طوليا من الجنوب الى الشمال .

تبدأ بنى حريرة فى الجنوب من هضبة يمكن اعتبارها امتدادا لمنطقة وادى الصدر ، ينحدر سطحها ببطء باتجاه الجنوب ، أى باتجاه معاكس لاتجاه وادى الصدر وتنصرف مياهها فى واد ينتهى الى تربة أيضا ، فى مصب يقع الى الشمال من مصب وادى الصدر الذى يعاكسه فى الاتجاه . وتنتشر فى القسم الشرقى من هذا الجزء أراض عشبية اعتبرت منذ القدم « حمى » لأفراد القبيلة هى منطقة الجنش أو حمى الجنش أو « حمى العبيدى » . ويوجد الى الغرب من الحمى مساحات زراعية محدودة ومتفرقة على السفوح الغربية وتشرف عليها من على تلال مجاورة قريتا المكاتيم والجعصة .

وترتفع قمم التلال الى الشمال من ذلك الموضع الى اكثر من ٢٢٠٠م مثل جبل الدعابة (٢٥٥٢م) ، وينعكس اتجاه الانحدار العام للتضاريس ويصبح باتجاه الشمال أو الشمال الغربى أو الغرب حسب اتجاه الوديان المتجهة الى تربة . ويبدو أن صفات الطقس تتغير تبعا لذلك وتزداد أهمية الأعشاب التى تكسو الأرض ، كما تزداد مساحة السفوح العالية التى أمكن تحويلها الى مدرجات زراعية بالقياس الى منطقة المكاتيم . وتنتشر القرى بكثافة فى منطقة يختلف عرضها بين ٣ - ٦ كم ، ولو أن معظمها قرى صغيرة أو متوسطة الحجم . ومن هذه القرى : الدعابة والمشارق والدهامين والثراوين والمثيلا والحبشة وآل سعيدان والصعدان وحضى .

٣ - **بنى عدوان** : تعتبر منطقة بنى عدوان امتدادا لبلاد بنى حريرة باتجاه الشمال ، وتتكون من سطح هضابى يقع بين طريق الطائف شرقا والسفوح المنحدرة بشدة على وادى تربة غربا . وتشبهها فى الظروف الطبيعية ؛ حيث تتكون من مناطق أعشاب فقيرة وقد أمكن تحويل مساحات من السفوح العليا التى يزيد ارتفاعها فى الغالب عن ٢٠٠٠م ، بل يتراوح ارتفاعها بين ٢١٠٠م فى الأجزاء الجنوبية و ١٩٥٠م فى الأجزاء الشمالية منها . واستطاعت هذه المساحات أن تعيل مجموعة من القرى تقل فى عددها عن قرى بنى حريرة ، ولكنها تزيد فى أحجامها عنها . ولذلك فهى أكثر تباعدا بعضها عن بعض وتنتظم فى شريط ضيق بالقياس الى السابقة حيث لايتجاوز عرضه ٣ كم . من أهم تلك القرى : الوادى والدار والكلبة والظحوات والكراوثة والقعر . وتقع قريتا سبيحة الدنيا وسبيحة العليا فى وادى سبيحة الذى يأتى من جمرش فى الجنوب ويتجه شمالا قبل أن ينحرف الى الشمال الغربى ويصب فى تربة وذلك بمحاذاة طريق الجنوب فى غرب جبل شمرخ .

ومن الملاحظ تناقص المساحات الزراعية فى معظم هذه الأماكن فى الوقت الراهن بسبب تحول قسم كبير من السكان عن مهنة الزارعة وهجرتهم مواطنهم الى مدن المملكة الأخرى للعمل في أعمال أخرى كالوظائف والتجارة والخدمات . وصارت معظم هذه القرى تعتمد فى حياتها على مايردها من أبنائها فى الخارج ، أو على الخدمات التى ظهرت فى بعضها كالقرى الواقعة على الطرق .

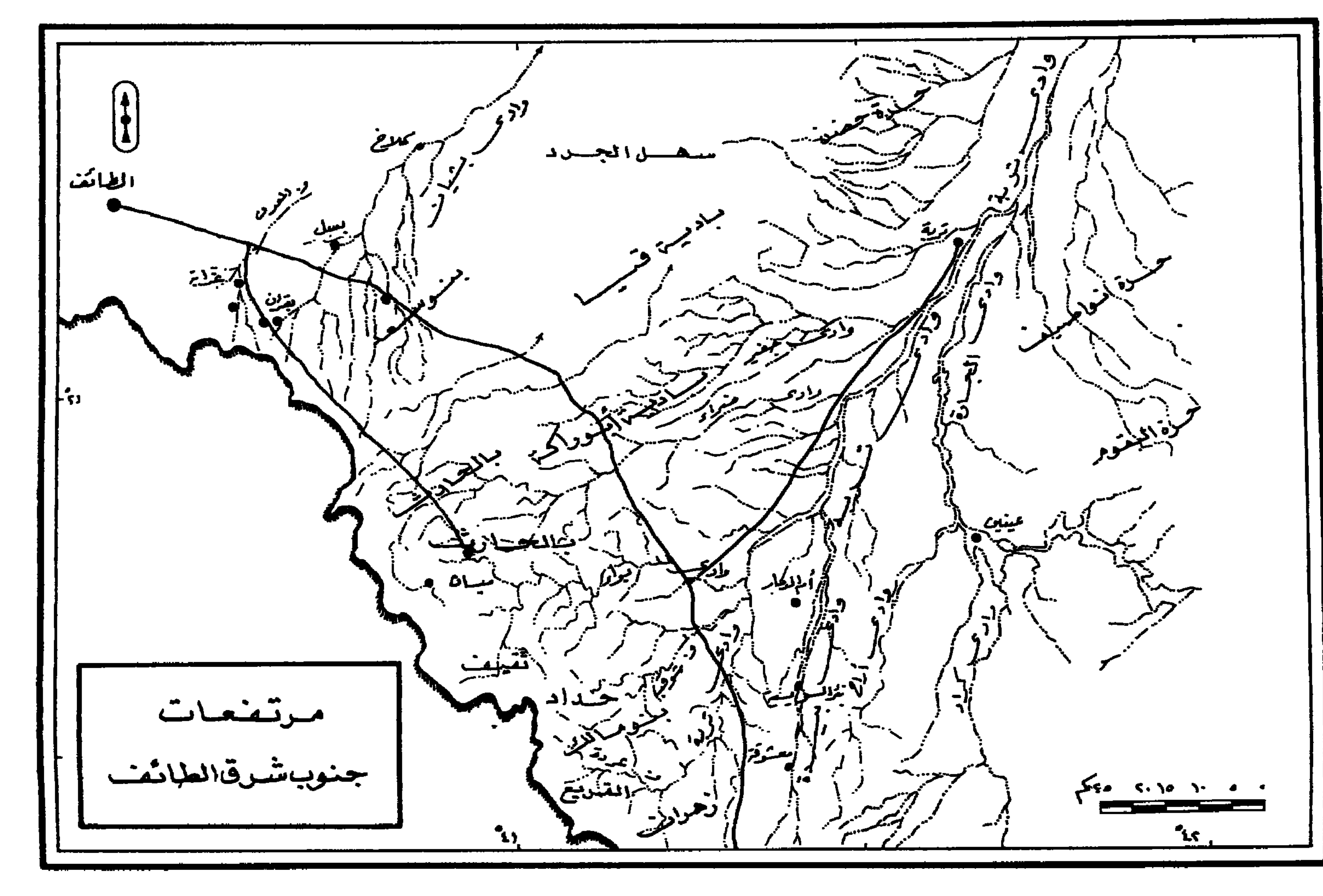
ثانيا : الإقليم الجبلى فى جنوب الطائف :

يعتبر جبل ابراهيم الواقع عند خط عرض ٢٥- ٢٠°ش والذى يرتفع شامخا فى شمال بلاد زهران الى ارتفاع ٢٦٣٠م عن سطح البحر ، وتنبع من جهاته الأربع عدد من روافد وادى تربة لاسيما وادى عَرَدة ، وتنبع ليس بعيداً عن قاعدته الغربية المجارى العليا لوادى « الجَرداء » ، أحد روافد وادى الشاقة اليمانية الهامة ؛ حدا فاصلا بين القسم الجنوبى من سراة الحجاز الجنوبية (سراة الباحة) والقسم الشمالى منها (سراة بنى مالك ومايليها) ، ويشترك معه فى ذلك عدد من الجبال المتصلة به من الشرق مثل جبل سيحان وجبل زيد ومجرى وادى تربة بعد أن يلتقى برافده الرئيسى القادم من بلاد بنى مالك وهو وادى « عَرَدة » .

ويمتد القسم الثانى من جبال الحجاز الجنوبى من جبل ابراهيم المذكور ومجرى وادى تربة من جهة الجنوب الشرق حتى وادى المعدن عند خط عرض ١٠- ٢١°ش ، وبذلك فهو يمتد طوليا مسافة تقرب من ١٠٠ كم من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى . ويختلف عرض هذه المنطقة من مكان الى آخر ويتراوح بين ١٥ - ٢٥ كم تقريباً (انظر شكل ٤٣) .

وبالرغم من تشابه تركيب وبنية هذه المناطق مع مناطق السروات الواقعة الى الجنوب منها ، الا أن خط الشعاف (أى حافة الجرف الرئيسى) يتصف بأنه أقل امتدادا وانتظاما ووضوحا فى التضاريس من جميع المناطق ، ويختلف ارتفاعه عن سطح البحر اختلافا كبيرا ، مع أن التشابه يندرج على انحدار سطح الهضبة المرتفعة ، وعلى شكل الجروف القائمة أو شبه القائمة عدة مئات من الأمتار باتجاه الغرب والجنوب الغربى نحو روافد وادى الشاقة اليمانية العليا وروافد وادى الليث ، وعلى انحدار سطحها ببطء باتجاه الشرق أو اتجاه الشمال الشرق ، كما كان الوضع فى معظم الأقسام الأخرى فى المرتفعات الجنوبية

شكل (٤٣)


مرتفعات
جنوب شرق الطائف
الطائف
سهل الجرد
بادية قيا
وادي تربة
تربة
عشيرة
بسل
بنو سعد
ثقيف
حداد
زهران
القنديج
بالحارث
مياه
٠ ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥كم

فتنصرف مياهها فى مجار شبه متوازية تتخذ ذلك الاتجاه وتنتهى فى الهضبة شرقا بالإضافة الى ماينصرف الى وادى تربة .

ونظرا لموقع هذه المنطقة الجبلية فى خطوط العرض وتطرف هذا الموقع نحو الشمال بالنسبة لتأثير المؤثرات الجنوبية الغربية شبه الموسمية الصيفية ، واقترابها من المؤثرات الشمالية الغربية الشتوية ، وبالتالى استفادتها من كليهما استفادة هامشية . أى أن حصيلة الأمطار السنوية فيها تقل فى معدلاتها عن معدلات الأمطار فى مرتفعات الباحة أو عسير ، ولا تصل بالكاد فى أفضل الحالات إلى ٣٠٠ ملم .

ولكن يبدو أن تركيب هذه الكتلة الجبلية من صخور متحولة غير متجانسة ومتداخلة مع صخور الجرانيت والسيانيت السائدة ، ووجود مجموعة من الانكسارات المحلية المحدودة الطول والامتداد ، وفي اكثر الاحيان متعامدة على خط الانكسار الرئيسى (main escarpment) أو خط الشعاف ؛ ساعد على تطور التعرية عامة وتطور النحت المتراجع لروافد واديى الشاقة والليث الغربيين خاصة . فحصلت فجوات فى خط الشعاف حسب تمدد رؤوس الوديان فيما بين المجارى العليا للوديان المتجهة للشرق بالرغم من ضآلة الأمطار نسبيا .

وبالإضافة الى ذلك استطاعت الوديان المتجة للشرق أن تحفر بعمق فى تلك الصخور السطحية ولنفس الأسباب ، وسارت مسافة أطول فى ذلك الاتجاه . وقد ساهمت هذه الظواهر فى زيادة التعقيد فى تضاريس المنطقة وبالتالى انعزالها ، وكذالك فى زيادة عرضها باتجاه (شرق – غرب) بالقياس الى المناطق الجبلية الأخرى فى الجنوب ، وفى اختلاف أثر التعرية على الارتفاع بحيث يتراوح خط الشعاف بين ٢٢٠٠ – ١٧٥٠م . وهذا مايجعل تتبعه على الخرائط أكثر صعوبة ، ويفسر تداخل مواقع بدايات الروافد الشرقية والغربية . أى يفسر اختفاء الانتظام التقريبى لارتفاع حافة الهضبة المكسورة (على شكل درجة ممتدة) ، وامتداده مسافات كبيرة .

وقد تحولت المنطقة نتيجة ذلك الى مجموعات من القمم الجبلية تجاور مجموعات من الوديان السحيقة فى الغالب ومختلفة الاتجاهات ، مما أضفى على المنطقة طابع التعقيد فى التضاريس وبالغ فى انعزالها . وهذا يفسر تجنب طرق القوافل القديمة الواصلة بين الطائف (والحجاز) من جهة وبين غامد وزهران أو عسير أو اليمن أو نجران من جهة أخرى ؛ وحتى تجنب طريق الجنوب الحديث « المزفلت » هذه المنطقة ؛ أنه اتجه من

الطائف نحو الجنوب الشرق حتى طرف الهضبة الشرقية وقطع حوض وادى تربة بمحاذاة قاعدة الكتلة الجبلية من جهتها الشرقية ، مبتعدا عن خط الشعاف مسافة ٣٠ كم عند عرض وادى شوقب و ٤٠ كم عند عرض وادى ضيراء ، متجنبا بلاد بنى مالك فى الأولى وجبال بلاد ثقيف فى الثانية ، والتى يتم الوصول الى أى منها بواسطة مسالك صعبة . ومن الجدير بالملاحظة أنه يجرى شق طريق حديث يساير خط الشعاف تقريبا وسيصل هذه المناطق بالطائف من جهة وبالباحة من الجهة الأخرى .

وتفسر هذه الخصائص أيضا ضعف الغطاء النباتى واقتصاره فى أحسن الحالات على بعض المجموعات القزمية من الأشجار الشوكية أو نصف الشوكية أو الأعشاب الفقيرة ، ماعدا مجارى الوديان حيث تتوافر ظروف أكثر ملاءمة لوجود النباتات . وحتى أن إمكانية إخضاع السفوح العليا لعمل المدرجات الجبلية اعتمادا على مياه الأمطار كانت أقل توافرا ، وإذا وجدت فتكون على مساحات أصغر واكثر تفرقا ، وتختفى بسرعة اذا نقصت الارتفاعات . وتنعدم على السفوح الشديدة الانحدار حتى تظهر ثانية على شكل واحات فى بعض جوانب الوديان اعتمادا على الرى .

وقد انعكست هذه الظروف فى قلة وتفرق القرى الزراعية وصغر أحجامها وقلة عدد سكانها بالمجموع ، وبالتالى ضعف البيئة الريفية ، واختفاء ظهور المدن اطلاقا بالرغم من اتساع مساحتها . ولكن ظهرت بلدات صغيرة متفرقة كمراكز ادارية وتجارية فى وسط كل مجموعة من المجموعات التى تتكون منها على نحو ماسيمر معنا بعد قليل .

ويتبع هذا القسم من الكتلة الجبلية إمارة الطائف ، وهى إحدى أكبر الإمارات الفرعية التابعة لإمارة مكة المكرمة إداريا ، بل هى أوسعها مساحة . ولذلك فان موضع القسم الأكبر منها (خاصة الشمالى) – إن لم يكن كلها – على مقربة من أماكن الحج والمناسك ومن مدنها : مكة المكرمة وجدة والطائف ؛ جعلها تقع فى ظهير تلك الأماكن ، فتحفزت لأن تمدها بالمواد الغذائية الزراعية أو الحيوانية ، وتمدها بالطاقة البشرية للقيام بالخدمات اذا لزم الأمر ، فتأثرت بها ونمت بنموها .

وكذلك فان موقع مدينة الطائف فى منطقة جبلية معتدلة الارتفاع وعلى مقربة من أماكن الحج والمناسك ، وتمتعها بطقس معتدل نسبيا ، واحتوائها على وديان غنية بالانتاج الزراعى نسبيا ، واستفادتها من مواقعها على طريق الحج للقادمين من الجنوب فى

عسير واليمن ، ومن الشرق فى نجد ومنطقة الخليج ولاسيما على طريق الرياض العاصمة التى تتعرض لنمو سريع ، وتحولها الى مركز تصييف للمملكة كلها ، والى عاصمة إدارية فى فصل الصيف ؛ كل هذه الظروف بدأت تؤثر على ظهير الطائف الريفى الذى يقع إلى الجنوب منها والذى كان يتمتع بالعزلة والتأخر ، فبدأت تتخلص من عزلتها شيئا فشيئا لاسيما وأن طرق المواصلات الحديثة تقترب منها بدون إبطاء .

يبلغ عدد سكان هذه المناطق الجبلية الواسعة نحو ٦٥٠٠٠ نسمة ، وقد كان ٥٧٥٤٤ نسمة حسب إحصاء ١٩٧٤م ولاينتظر أن يكون العدد قد توسع كثيرا لما تعانيه هذه المنطقة من نزوح عدد كبير من سكانها ، وعدم اجتذابها لأعداد تعوض عن المفقود ، بسبب عزلتها وفقرها وانعدام فرص الأعمال فيها . وينتشر هذا العدد من السكان فى خمسة أقضية تجاور بعضها بعضا تبدأ من جبل ابراهيم ومصب وادى عردة فى الجنوب الشرقى الى شمال بلاد بنى سعد ،وتشمل سراة بنى مالك وثقيف وبالحارث وبنى سعد .

وهكذا يبدو بجلاء أن كثافة السكان فى إقليم جبال جنوب الطائف هى دون مثيلاتها فى المناطق الجبلية الواقعة للجنوب منها والتابعة لمنطقتى الباحة أو عسير ، بالرغم من تفردها بالقرب من الطائف ومن مكة وجدة ومواقع الحج ، وفرصة استفادتها من هذا القرب فى تسويق المنتوجات الزراعية والحيوانية وفى جذب المصطافين .

توزع السكان إذن فى قرى معظمها من الحجم الصغير ، وعاشوا حياة ريفية توصف بأنها حياة عزلة واكتفاء ذاتى وفقر عام ، مقتنعين بما تنتجه الأرض من حاصلات زراعية أو حيوانية . وقد بلغ عدد هذه القرى ٥٢٤ قرية ، أى أنها حوت نحو ٥٨٪ من مجموع قرى إمارة الطائف على اتساع مساحتها وامتدادها فى اقليم الهضبة الشرقية امتدادا كبيرا . إن دل هذا الرقم الكبير من عدد القرى على شىء ، فانه لايدل على تبعثر القرى وكثافة وجودها بسبب كبر مساحة المنطقة ؛ بل أنه يدل على صغر حجم القرى ، وعدم وجود بلدات أو قرى كبيرة ، إذ يبلغ معدل عدد أفراد القرية حسب الأرقام الواردة أعلاه (بين ١١٠ - ١٢٥) فردا فقط للقرية الواحدة .

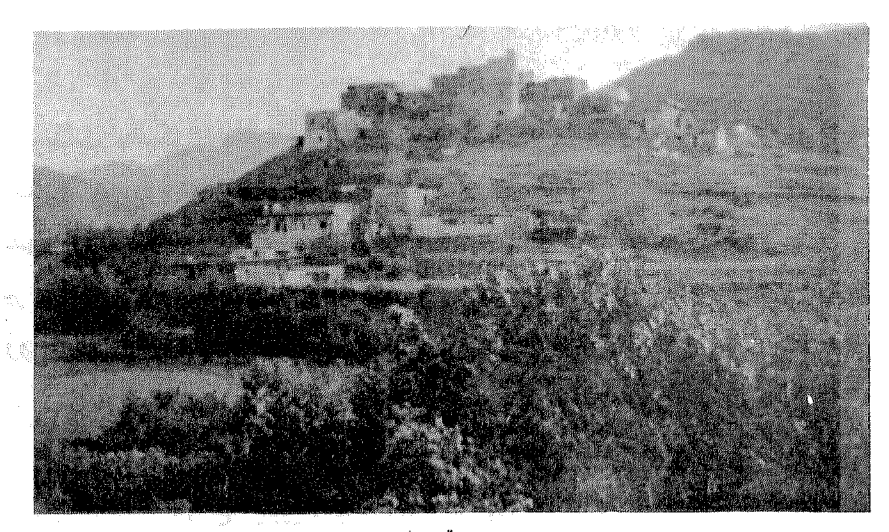
ويمكن أن نقسم هذه المنطقة الجبلية الى خمسة مقاطعات مرتبة من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ونستعرضها فى نحو مايأتى :-

١ – **قضاء القريع :**

ويحتل مساحة كبيرة فى أقصى جنوب إمارة الطائف ، وهى أول بلاد بنى مالك ، وتقع فى حوض وادى عَردَة وروافده (أحد أهم روافد وادى تربة) ؛ وذلك الى الشمال الغربى من بلاد دوس بنى فهم ، ويفصلهما عن بعضهما جبل ابراهيم وجبل بنى مالك . وتمتد القريع على شكل هضبة مستطيلة تتجه من الجنوب الشرقى عند الجبال المذكورة نحو الشمال الغربى حتى جبل حيض الرضمة (٢١٢٥م) وجبل صالح التى تفصلها عن بلاد حداد بنى مالك من الجهة الأخرى . وتبلغ أبعادها نحو ١٤ كم بالاتجاه السابق محاذية لخط الشعاف ونحو ١٢ كم بالاتجاه المعاكس .

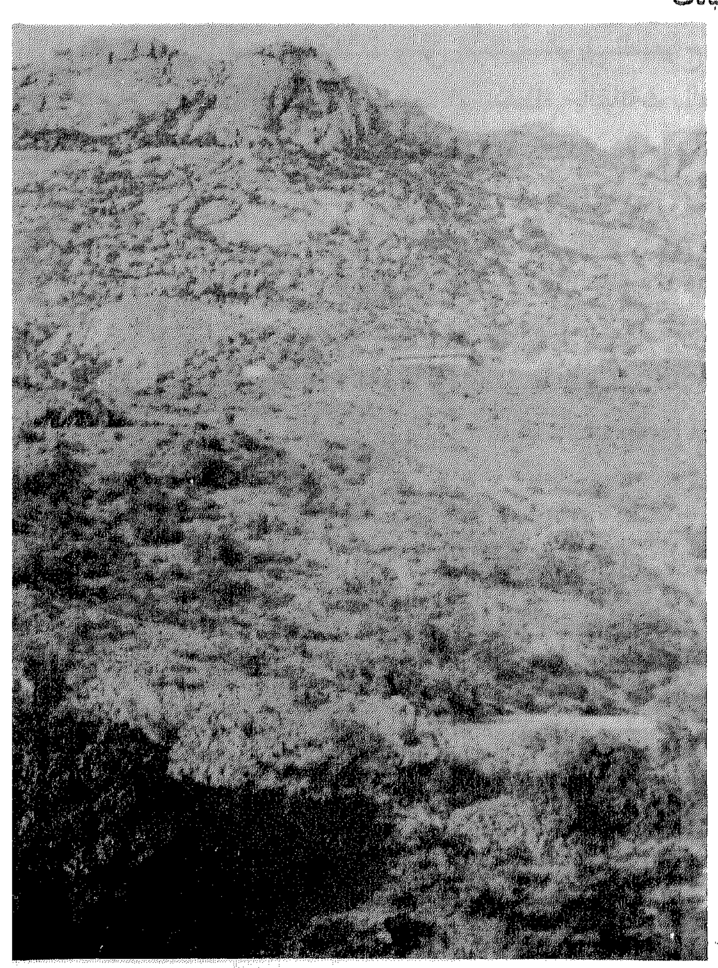
تتصف هذه الهضبة – والتى تقع بين خطى عرض ٢٥َ ٢٠° ، ٣٠َ ٢٠°ش – بأنها أقل ارتفاعا من مناطق السروات الأخرى نسبيا ، وأكثر انحدارا منها باتجاه الشرق والشمال الشرق وأكثر وعورة فى تضاريسها . إذ أنها تنحدر من ارتفاع ٢٠٠٠م تقريبا عند خط الشعاف الى نحو ١٦٠٠م فى الشرق والشمال الشرق تبعا لانحدار الروافد وحفرها بشدة وعمق فى هذا الاتجاه ضمن الشست الكلوريتى .

تبدأ المجارى العليا لوادى عَردَة من خلف خط الشعاف مباشرة وتنتظم فى ثلاثة روافد رئيسية : الأول ويبدأ من سفح جبل ابراهيم الغربى ويتجه نحو الشمال الغربى فى وسط شريط من الأرض ، يقع بين الجبل المذكور والذى يتكون من الجرانيت غير المتحول وخط الشعاف الذى تراجع للشرق كثيرا بحيث لم يزد عرض الشريط عن كيلو متر واحد ، وليس بعيدا عن المجارى العليا لوادى الجردَاء الذى يتجه (فى تهامة) من سفوح الشعاف نحو الجنوب . ثم يتجه الوادى شمالا حتى يلتقى مع المجرى الرئيسى لوادى عردة عند قرية رماح . الثانى يبدأ من خلف خط الشعاف فى شمال الفجوة التى تسبب فيها النحت المتراجع لروافد وادى الجرداء العليا فى صخور الشست الكلورايتى ذاتها ، وذلك من شمال غرب الموقع السابق ويسير أيضا باتجاه الشمال الغربى موازيا لمجرى الوادى الأول من جهة ، ولامتداد خط الشعاف فى شمال الفجوة من الجهة الأخرى وعلى بعد يبلغ ٢ كم عن كل منهما ، ويلتقى مع المجرى الرئيسى بالقرب من بلدة القريع فى عالية المصب السابق . والثالث ويبدأ من جنوب فجوة ثانية لخط الشعاف المتراجع عند خط عرض ٣٠َ ٢٠° ويتجه نحو الجنوب الشرقى موازيا لخط الشعاف أيضا ولكن فى اتجاه معاكس للرافد السابق ويبتعد فى الوسط نحو ٣ كم عنه الى أن يلتقى بالمجرى الرئيسى بعيد مصب الرافد السابق فى شرق القريع .



(صورة ١٥)

جانب من بلدة القريع قاعدة بلاد بنى مالك وقد اختلطت المبانى الاسمنتية بالمبانى الحجرية القديمة وذلك فى ارضية مخضرة بالنباتات



(صورة ١٦

جبل ابراهيم الذى يرتفع شامخا الى ٢٦٣٠م عن سطح البحر ويرى من عاليته وادى عردة .

وبذلك يتشكل سطح الهضبة من مرتفعات مختلفة الارتفاع والاتجاه والامتداد ، ومجموعة من الوديان تتلوى فيما بينها ، ومعظمها عميقة مما أضفى على المنطقة وعورة شديدة في التضاريس . وزيادة على ذلك فإن خط الشعاف الذى يحدها من الجهة الغربية غير واضح المعالم تماما على خرائط المنطقة بسبب كثرة الفجوات الناتجة عن تراجع رؤوس الوديان التهامية (النحت المتراجع) ، وعدم انتظام ارتفاع الخط حيث يختلف بين ١٩٠٠ ، ٢١٠٠م عن سطح البحر .

وقد عملت هذه الظروف – بالاضافة الى تطرف موقع المنطقة عن التأثيرات شبه الموسمية الجنوبية الغربية بالنسبة للسروات الواقعة الى الجنوب – على تقهقر صفات الطقس ومعدلات الأمطار الساقطة ، ولو أنها زادت اقترابا من اتجاه التأثيرات الوسيطية الشمالية الغربية . وقد انعكس هذا التقهقر على مظهر الغطاء النباتى وأصبح أقل غنى وامتدادا من المناطق الواقعة الى الجنوب إجمالا ، وعلى إمكانية تحويل السفوح العليا الى مدرجات زراعية . وإن وجدت المساحات الخضراء المغطاة بالنباتات الطبيعية أو الخاضعة للزراعة ، فهى على شكل قطع محددة المساحة غير متصلة يتواجد معظمها فى بطون الأودية أكثر مما يتواجد على السفوح العليا .

ومع ذلك كانت هذه المساحات على صغرها – ولكن لكثرتها – سببا فى وجود عدد ليس بالقليل من القرى الصغيرة الحجم مبعثرة ، إذ بلغ عددها حسب تعداد السكان لسنة ١٩٧٤ – ١٧١ قرية عاش فيها ١٢٢٠٠ فرد أى بمعدل ٧١ نسمة للقرية الواحدة يعيشون من استثمار الأرض فى الزراعة أو تربية الحيوانات بطريقة تقليدية . ولم يتطور فى المنطقة شيء من المدن .

غير أن قرية **القريع** التى تقع على جانب وادى عَردَة بالقرب من منطقة التقاء الروافد الهامة ، والتى اتخذت قاعدة الإمارة الفرعية فوجدت فيها بعض الدوائر الحكومية الأخرى والمدارس ، وكانت فى الأصل موضع سوق اسبوعية يعقد يوم الجمعة ، فظهرت فيها بعض المشاريع الإنشائية كالأسواق وبعض البيوت الاسمنتية فاتسعت وتحولت الى بلدة .

ومن القرى الكبيرة نسبيا فى هذه المنطقة : الصنادلة والوهسة والجرهاء وعوياء والقاع فى جنوب وجنوب شرق القريع ، والأشراف والحضارمة فى غربها ، والحدب

والأصافرة والطافرة فى الشمال الغربى ، والدارين والطياسنة ورماح والطرف فى بطن الوادى الى الشرق منها .

ينتمى سكان هذه المنطقة الى فروع من قبيلة بنى مالك التى تستوطنها وتستوطن المنطقة التى تليها فى الشمال الغربى فى حوض وادى شوقب الأعلى (حداد بنى مالك) ، وهى غير بنى مالك عسير . وقد أطلق اسم القبيلة على المنطقة وعلى الوادى وعلى الجبل وبالاضافة الى ذلك على السراة .

٢ - حداد بنى مالك :

وتحتل مساحة تزيد عن مساحة مقاطعة القريع فى جنوب إمارة الطائف وتجاورها فى الشمال الغربى منها، فتمتد نحو ١٨ كم فى هذا الاتجاه . ويحدها من الغرب خط الشعاف الذى يتجه فى القسم الجنوبى منه باتجاه الشمال ثم يعود للاتجاه غربا على شكل زاوية شبه قائمة بسبب فجوة أخرى سببها النحت المتراجع لعالية وادى الشاقة الشامية(الجايزة) الذى يبدأ من هذه الفجوة نحو الجنوب الغربى فى إقليم تهامة .

والقضاء عبارة عن هضبة مرتفعة يشغلها حوض وادى شوقب الأعلى ، وهو أحد روافد وادى تربة ، الذى تبدأ مجاريه العليا من خلف خط الشعاف ، حيث يختلف ارتفاعه بين ٢٠٠٠ ، ٢١٠٠ م عن سطح البحر . وتلتقى هذه المجارى بعد أن تتخذ اتجاهات مختلفة ، ويتجه المجرى الرئيسى نحو الشرق ، فتحفر فى صخور الشست الكلوريتى بعمق شديد كما حصل فى منطقة القريع ووادى عردة ، مما أدى الى تخديد السطح وتحويله الى منطقة شديدة الوعورة ، وتهبط باتجاه الشرق بشدة الى ارتفاع ١٥٠٠ م تقريبا عند قاعدة الكتلة الجبلية ، أو عند حافة الهضبة الداخلية على بعد يقرب من ٢٥ كم عن خط الشعاف . وعند الحافة هناك أمكن إنشاء طريق الجنوب (الطائف – أبها) المزفلت ، وكانت طرق القوافل تسير من هناك حتى تتجنب الكتلة الجبلية الوعرة ، مما كرس انعزالها .

ويمكن أن نقسم هذه الكتلة الى قسمين : **الأول** الذى يبدأ من خط الشعاف غربا وحتى ارتفاع ١٨٠٠ م تقريبا ، ولا يبلغ هذا القسم نصف مساحتها . فهى لموقعها وارتفاعها ووصفها العام تشكل جزءا من مناطق السراة العالية ، وتشترك معها فى الصفات خاصة من حيث تعرضها للمؤثرات الجوية الصيفية أو الشتوية ، المسببة

لاعتدال الطقس وتوافر الأمطار الى حد ما ، وظهور غطاء نباتى لا بأس به ، ولو أنه على شكل مساحات صغيرة متفرقة . وأمكن إخضاع مساحات محدودة من السفوح العليا التى تجمعت فيها التربة الى حد كاف لاقامة المدرجات الزراعية ، ولكن أمكن اخضاع مساحات أكبر وأهم منها فى المصاطب الرسوبية فى بطون الأودية .

وقد كانت هذه المساحات المحدودة والمتفرقة عماد حياة ريفية تقليدية تكتفى بمواردها الضعيفة ، قوامها ١٢٨ قرية يعيش فيها جميعا نحو ١١ الف فرد ينتمون الى قبيلة بنى مالك كما سبق ذكره ، أى بمعدل ٨٨ فردا للقرية الواحدة . وهذا يعنى أنه يسود فيها القرى الصغيرة جدا بسبب صغر المساحات الزراعية وتفرقها ، وبالتالى ضعف الموارد بالقياس الى مارأيناه فى سراة عسير أو غامد وزهران .

غير أن **قرية حداد بنى مالك** اتخذت مقرا لإمارة فرعية تقع فيما بين مجموعة من التلال المرتفعة وتشرف على وديان منخفضة وخاضعة للزراعة المروية . فأقيم فيها عدد من الدوائر الحكومية كمقر الإمارة وعدد من المدارس ، فتوسعت السوق ونمت وقامت بعض المشاريع الإنشائية والخدمات مما ساعد على توسعها وتحويلها تدريجيا الى بلدة . وقد ساعد على وجود النشاط والحركة فيها إقامة معسكر لموظفى ومهندسى الشركة العاملة على إشادة طريق معبد يقطع المناطق الجبلية بمحاذاة خط الشعاف ، وذلك على جبل بالقرب منها ، وإقامة معسكر آخر للمعدات الثقيلة والعمال فى أحد الوديان وكانت حداد مركز سوق أسبوعى من السابق .

ويتبع حداد عدد من القرى المتوسطة الحجم كما تظهر على خرائط المنطقة مثل : الحَصّبَة والمجارزة والصنوان والرافع العظيمة والمهارية فى غرب حداد ، والجاهلين والريّس ونانا فى شمالها ، والنفيل والبناء والعمشان فى جنوبها ، والعرق والجعلان فى شرقها .

أما القسم **الثانى** من هذه المقاطعة ويقع الى الشرق من منسوب الارتفاع ١٨٠٠م وتزيد مساحته عن نصف مساحة المنطقة ، ويمتد حتى حافة الهضبة فى الشرق عند منسوب الارتفاع ١٥٠٠م تقريبا ، فيتكون من سطح جبلى كثير التضرس بالغ الوعورة صحراوى المناخ قاحل تماما ، ساهم فى إبعاد وعزل المساحات المعمورة والعالية ، ولم يستطع أن يعيل حياة رعوية معتبرة حسبما ورد فى إحصاء السكان لسنة ١٩٧٤م والذى سجل وجود ١٢ فردا منهم فقط .

٣ - بلاد ثقيف :

وتحتل مساحة من اقليم السراة قد تعادل أحد القضاءين السابقين وتقع الى الشمال الغربى منها ، ويفصلها عنها امتداد الفجوة الكبيرة فى خط الشعاف والتى رأيناها فى شمال المقاطعة السابقة . إذ يبدو ان ذلك الخط تراجع بعمق يبلغ نحو ١٢ كم باتجاه الشمال الشرقى بفضل النحت المتراجع الذى قام به وادى حلية (عالية وادى الشاقة الشامية) فى الصخور المتحولة : المتاديوريت والامغيبوليت ، ووصلت رؤوس الوديان الى صخور الجرانيت الأكثر صلابة . وبعد الفجوة يعود خط الشعاف ثانية إلى الاتجاه نحو الشمال الغربى ، ولمسافة ٣٠ كم تقريبا بخط متعرج يشرف من عل على باقى المجارى العليا لوادى حلية ووادى الليث (فى إقليم تهامة) .

ويشغل بلاد ثقيف حوض وادى بواء الأعلى والذى تبدأ مجاريه العليا العديدة من خلف خط الشعاف شرقا وتتجه اتجاهات مختلفة ، إلا أنها تلتقى بالمجرى الرئيسى للوادى . ولذلك ينحدر سطح هذه المنطقة ، شأن الاقليم السابق من ارتفاعات تزيد عن ٢٠٠٠م فى الغرب باتجاه حافة الهضبة الشرقية على بعد ٢٠ كم تقريبا فتنخفض الى ارتفاع يقرب من ١٤٠٠م عن سطح البحر ، وذلك بفضل الوادى وروافده التى تحفر بعمق فى صخور الشست الكلورايتى والسرسايتى اللينة نسبيا ، فى حين تفصله عن الأحواض الأخرى مجموعات من صخور الجرانيت أو الصخور المتحولة .

ولذلك يحسن بنا أن نميز بين القسم الغربى من هذه المنطقة بعرض من ١٢ - ١٣ كم ، وارتفاع لايقل عن ١٨٠٠م ، والقسم الشرقى الذى ينخفض الى نهاية المنطقة . فالقسم الأول لايختلف في ظروفه من حيث الارتفاع والتعرض للتأثيرات الجوية الصيفية والشتوية ، وفى اعتدال طقسه واستقباله كمية لابأس بها من الأمطار ، خاصة على الأماكن المرتفعة أو السفوح المواجهة للرياح الرطبة ، ولو أنها متواضعة فى كمياتها بالقياس الى مرتفعات السروات الى الجنوب من هذا الموقع . غير أن تركيبها الصخرى ساعد بفعل عوامل التعرية على تطوير تربة قليلة السمك على السفوح ، الا أنها قابلة لإنبات غطاء نباتى فى بعض المواضع الملائمة ، فنمت فيها غابات حقيقية مثل غابة غمدة وغابر الموقر بالقرب من ترعة ثقيف يمكن أن تخدم الأغراض الترفيهية وتمتد على السفوح المشرفة على عالية الوادى حتى الريع أى فى مناطق الشعاف التى تشرف على تهامة عبر عدة عقبات .

وقد اتضح أثر التركيب الصخرى كذلك فى النحت الذى قامت به الوديان حيث حفرت بعمق حتى فى مجاريها العليا ، وفى اتساع وادى لخمة (عالية وادى بواء) الذى تنتهى اليه ، وامتلاؤه بالصخور الكبيرة والصغيرة والرسوبيات وغناه بالأشجار الضخمة من الأكاسيات والغيلة (القصب) والأعشاب وغيرها .

وكان هذا الوادى عاملا هاما فى توجيه الانسان نحو استثمار الأرض ، بل إن مواقع الاستقرار اقتصرت على جوانب الوديان ، فقد حول قسما من مصاطبها الرسوبية الى حقول زراعية ، واستثمر أعشابها فى تربية الحيوان ، فقامت عليها حياة ريفية لاتختلف عن تلك فى مناطق السروات الأخرى . فنشأت الزراعة التقليدية الفقيرة ، وعاش أصحابها حياة عزلة واكتفاء ذاتى وقد كرس ذلك صعوبة المواصلات .

بلغ مجموع سكان عالية هذا الوادى نحو خمسة آلاف نسمة ينتمون الى قبيلة ثقيف ، وقد عاشوا فى ٣٥ قرية مبعثرة فى جنبات الوديان . أى بمعدل ١٣٦ فردا للقرية الواحدة ، وهذا يزيد عن معدل أفراد القرية فى الاقليمين السابقين بسبب انعدام وجود القرى الصغيرة جدا والمنتشرة على السفوح العليا ، واقتصارها فى مواقع مرتبطة بامكانية الوديان ومصاطبها الرسوبية على الإنتاج . ومن أهم تلك القرى : **ترعة** ثقيف التى اتخذت قاعدة للمنطقة ، وهى قرية زراعية وفيها سوق عامر وبعض الدوائر الحكومية ، وتجاورها قرية الدارين ، وقرية الصخرة فى وادى الصخر ، وتها ، والعمار ، والجبيل ، والمجاردة .

أما القسم الشرقى من هذا القضاء فقد وقع فى ظل المطر ، وتقهقرت ظروفه نحو الظروف الصحراوية الجافة والقاحلة . واقتصرت الحياة فيه على أعداد محدودة من قبائل البدو الرحل الذين ينتمون الى بالحارث .

٤ – قضاء ميسان : (بالحارث) :

ويقع إلى الشمال مباشرة من بلاد ثقيف ويمتد حتى يصل إلى بلاد بنى سعد فى الشمال وأبو راكة فى الشرق . ويشكل هضبة مرتفعة تبدأ من خط الشعاف الذى يتجه من الجنوب الى الشمال بسبب الفجوة التى عملها الحت المتراجع للمجارى العليا لوادى الليث فى اقليم تهامة ضمن الصخور المتحولة وصخور الجرانيت . وينحدر سطحها باتجاه الشرق حسب انحدار روافد وادى ضراء الأعلى والذى ينتهى فى الشمال الشرقى الى تربة .

وهو يشبه فى ظروفه قضاء « ثقيف » ويعتبر امتدادا مكملا له ، ويقترب حوض وادى ضراء من حوض وادى بُواء ويكمله ، ويخضعان لظروف طبيعية متشابهة من حيث الارتفاع عن سطح البحر ومواجهة التأثيرات الملطفة البحرية خاصة المواجهة لخط الشعاف والسفوح الغربية ، وسقوط أمطار متوسطة الكمية وانتشار الأعشاب والشجيرات الخضراء على السفوح العليا ، مما جعلها جزءا من إقليم السراة ولكن بعد أن تقهقرت صفاتها كثيرا ، فقل النفع فى السفوح العليا بسبب قلة الأمطار .

ومع ذلك فإن أهمية هذه الأمطار القليلة تظهر فى تطوير وديان عريضة وهامة ، وقد شكلت على جنباتها مصاطب رسوبية سميكة أمكن تطويرها بفضل مياه الفيضان وتحويلها إلى حقول زراعية تخصصت لزراعة الحبوب والخضروات . وكانت سببا فى وجود حياة ريفية راسخة .

ومثل الأقضية السابقة يمكن تمييز قسمين : الغربى الذى يلى خط الشعاف والذى يتروح عرضه بين ٥ — ١٠ كم فقط ، والذى يعتبر غنيا بنباته الطبيعى وسفوحه العليا الخضراء ، عن القسم الشرقى الذى يمتد حتى حافة الهضبة وقد تحول إلى منطقة جبلية وعرة صحراوية المناخ قاحلة .

ولكن يبدو أن تكوين صخور هذا الجزء من المجرى من صخور الشست الامفيبوليتى الذى تتداخل فيه راقات مختلفة قد ساعدت على توافر المصاطب الرسوبية فى بعض جوانب مجرى وادى ضراء فى القسم الشرقى من المقاطعة على عكس إقليم ثقيف ، وبالتالى عملت على وجود الزراعة والقرى الكبيرة على مسافة تبعد أكثر من ٢٠ كم عن خط الشعاف شرقا .

ويبدو كذلك أن قرب مقاطعة ميسان من الطائف وأماكن الحج عموما ومن طريق الجنوب (طريق الطائف — الباحة) خصوصا ، وحتى من طريق القوافل القديم ، قد ساعد على التخفيف من عزلة هذا الإقليم ، وأمكن إعماره وزاد إنتاجه ، وارتفع عدد سكانه نسبيا بالقياس إلى المناطق الثلاث السابقة . اذ يبلغ عدد مستوطنيه ١٦٠٠٠ نسمة ، يعيش نحو ١٤٠٠٠ منهم فى ١١٤ قرية مختلفة الحجم ، ولو أن معظمها يرتبط بمجارى الوديان ، أى بمعدل ١٢٢ فردا للقرية الواحدة . وهذا يعنى أنه يسود فى ميسان القرى المتوسطة الحجم والتى تزيد فى حجمها عن قرى بلاد بنى مالك وثقيف المجاورة لها ، ولكن تشبهها فى أنها قرى زراعية تعتمد على إنتاج الحبوب والخضروات وتربية الحيوانات ، ويمكن أن تسوق قسما من حاصلاتها فى أسواق الطائف .

اما باقى السكان ويشكلون ١٣٪ من المجموع فهم من البدو الرحل ، يملكون ١٧ منهل ماء تقع فى الحوض الأوسط لهذه الوديان . وينتمى هؤلاء البدو كما ينتمى الريفيون فى ميسان إجمالا الى قبيلة بالحارث التى تعيش فيها وفى المناطق المجاورة لها باتجاه الشمال والشرق اى فى إقليم الهضبة الشرقية . إذ تمتد « ديرتهم » باتجاه الشمال الشرقى فى مقاطعة قيا حتى وادى شقصان ، وباتجاه الشمال حتى « ربع النجد » وهو مرتفع يعتبر الحد الفاصل بين بلاد بالحارث وبلاد عتيبة التى تستوطن سهل الجرد وركبة ، وتمتد بلادها بعيدا فى عالية نجد .

لايوجد مدن فى ميسان شأن جميع الإقليم الجبلى فى جنوب الطائف ، غير أن قرية الشعاعيب أو ميسان – والتى تقع على الجانب الأيسر لوادى ميسان (عالية ضراء) فى موضع تتسع فيه المصاطب الرسوبية الخاضعة لزراعة الحبوب والخصروات – قد اختيرت لأن تكون قاعدة بلاد بالحارث فاقيمت الإمارة (الفرعية) فيها ، وظهرت بعض الدوائر الحكومية ، فنشأ فيها بعض المشاريع الإنشائية ، كالبيوت الأسمنتية والمدارس ، وقد انتهى إليها الخط « المزفلت » المتفرع من طريق الجنوب (الطائف – الباحة) من مكان على بعد ٢٨ كم فى جنوب شرق الطائف قبيل منطقة الملعب ، ويخترق هذا الخط بلاد بنى سعد ويبلغ طوله ٨٠ كم . ويجرى العمل الآن على ربط الشعاعيب بطريق الجنوب ثانية عبر ممر الوادى . وعندها ستخرج من عزلتها أكثر ، وتتحول من بلدة كما هى الآن إلى مدينة عامرة .

ومن قرى ميسان الأخرى : العطا والمناضح وتقعان فى الوادى بعد الشعاعيب وقد أقيمت مدرسة فى كل منهما ، وسوق الربوع وتقع عند اجتماع عدد من الروافد ، والحدب وتقع فى مرتفع على الحدود بين بلاد بالحارث وبنى سعد ، والمنامة فى سافلة الوادى .

٥ – قضاء بنى سعد :

ويقع فى شمال غرب بلاد بالحارث (ميسان) ، وفى شرق مقاطعة قيا (فى الهضبة الشرقية) ويمتد حتى منطقة الطائف وضواحى الطائف من الشمال ، وقضاء الشفا فى الشمال الغربى ، ويحده خط الشعاف الذى يفصله عن اقليم الليث فى تهامة من الغرب .

يتجه خط الشعاف كامتداد لما كان عليه فى قضاء ميسان نحو الشمال أولا ، ثم ينحنى نحو الغرب مسافة تزيد عن ١٢ كم بسبب الفجوة الكبيرة فى الخط التى أحدثها

النحت المتراجع فى عالية المجرى الرئيسى لوادى الليث ، فى مركب الصخور المتحولة (الميتاديوريت والميتاغابرو والامغيبوليت) إلى أن وصل خط الانكسار الذى يفصل هذه الصخور عن صخور الجرانيت المكونة للمنطقة الجبلية إلى الشمال من خط الشعاف .

تشغل هذه المنطقة أحواض عدد كبير من الوديان الصغيرة شبه المتوازية والتى تتجه اجمالا بعد خط الشعاف فى شرق الفجوة ، نحو الشمال الشرقى ، فتقطع بالتتالى طريق (الطائف – أبها) (من ٣٥ – ٦٠ كم عن الطائف) وتنتهى قبل أن تلتقى جميعا مع بعضها البعض فى طرف سهل الجرد الصحراوى . ومن أهمها : وادى بسل ووادى مظللة ووادى شقصان ووادى أم الحميطة ووادى المعدن .

ويظهر بوضوح تقهقر الظروف الطبيعية لهذا الإقليم لاسيما المناخية – نسبيا – عن نظائرها فى الأقاليم الجبلية المجاورة الأخرى ، بسبب انخفاض الإرتفاعات وانزوائها باتجاه الشرق الناتج عن الفجوة فى خط الشعاف فنقصت معدلات الأمطار الساقطة فيها ، وتضاءل امتداد النباتات الطبيعية وهزلت أحجامها ، وتدرجت صفاتها نحو شبه الجفاف . ولو أن ظروف حوض وادى المعدن الأعلى لم تتقهقر بقدر تلك الأودية .

ومع ذلك استطاعت المجارى المائية نظرا لكثرتها أن تبنى مصاطب رسوبية ، ولو أنها ضعيفة المساحة ومتفرقة على جوانبها بسبب حفرها فى صخور الشست الكلوريتى والسرسايتى . وقد استغلها السكان فأخضعوها للزراعة ونشأت فى وسطها القرى ، فوجدت الحياة الريفية التقليدية . وقد استفادت هذه القرى من ميزة قربها من مدينة الطائف فى تسويق منتوجاتها الزراعية والحيوانية ، حتى وقبل تطور طرق المواصلات ، فتوجهت لزراعة الخضروات منذ وقت مبكر بسبب ارتفاع الطلب عليها .

وقد انعكست هذه الظروف فى زيادة الاحتلال البشرى نسبيا بالقياس إلى مايماثلها من المناطق الجافة . فقد بلغ مجموع سكان بنى سعد نحو ١٤٠٠٠ نسمة عاش ١٢٨٠٠ منهم فى ٥٧ قرية ، أى بمعدل ٢٢٥ فردا للقرية الواحدة . ويشير هذا الرقم إلى سيادة القرى الكبيرة أو المتوسطة كما يشير إلى أن معدل حجم القرية فى إقليم الجبال الواقع إلى الجنوب من الطائف يتزايد بالاتجاه الشمالى ، أى بالاقتراب من مدينة الطائف . وقد يساعد على كبر حجم القرى وقوع بعضها على طريق الجنوب بحيث لعبت دور تقديم الخدمات للمسافرين بعد انتهاء الطريق المعبد ، ودور مراكز الاستراحة على الطريق .

غير أن أهم مجموعة من القرى تقع فى وادى المعدن مثل : بقران والشواطة والمعرش وأريع وغرابة والتى تقع بالقرب منها مواقع مناجم قديمة سبق أن أعطت الوادى اسمه . أما **السحن** – والتى تقع بين مجموعة من التلال فى عالية الوديان – فقد اعتبرت قاعدة إمارة بنى سعد ، فبنيت فيها الإمارة وعدد من الدوائر الحكومية ، وظهرت فيها بعض الدكاكين والمبانى الأسمنتية وبدأت تتحول إلى بلدة . وقد استفادت من الطريق المعبد الفرعى الذى اخترق المنطقة . ومن القرى الأخرى : الكلادة وتقع على قمة جبل تشرف على الطريق ، والدار الحمراء وهما آخر قرى بنى سعد على هذا الطريق باتجاه ميسان . ومن القرى الجديدة والعامرة على الطريق الرئيسى : قرية الملعب ، وهى قرية خدمات للمسافرين .

وقد سجل تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م وجود نحو ألفى فرد من البدو غير المستقرين أى ٥ر٨٪ من مجموع سكان هذا القضاء ، كانوا يستوطنون الأطراف الشرقية منها ، أى سافلة الوديان حتى الطريق العام وكانوا يملكون منهلين للماء ، ومن المتوقع أن يكون قد تناقص عددهم كثيرا الآن .

الفصل الثامن

منطقة نجران

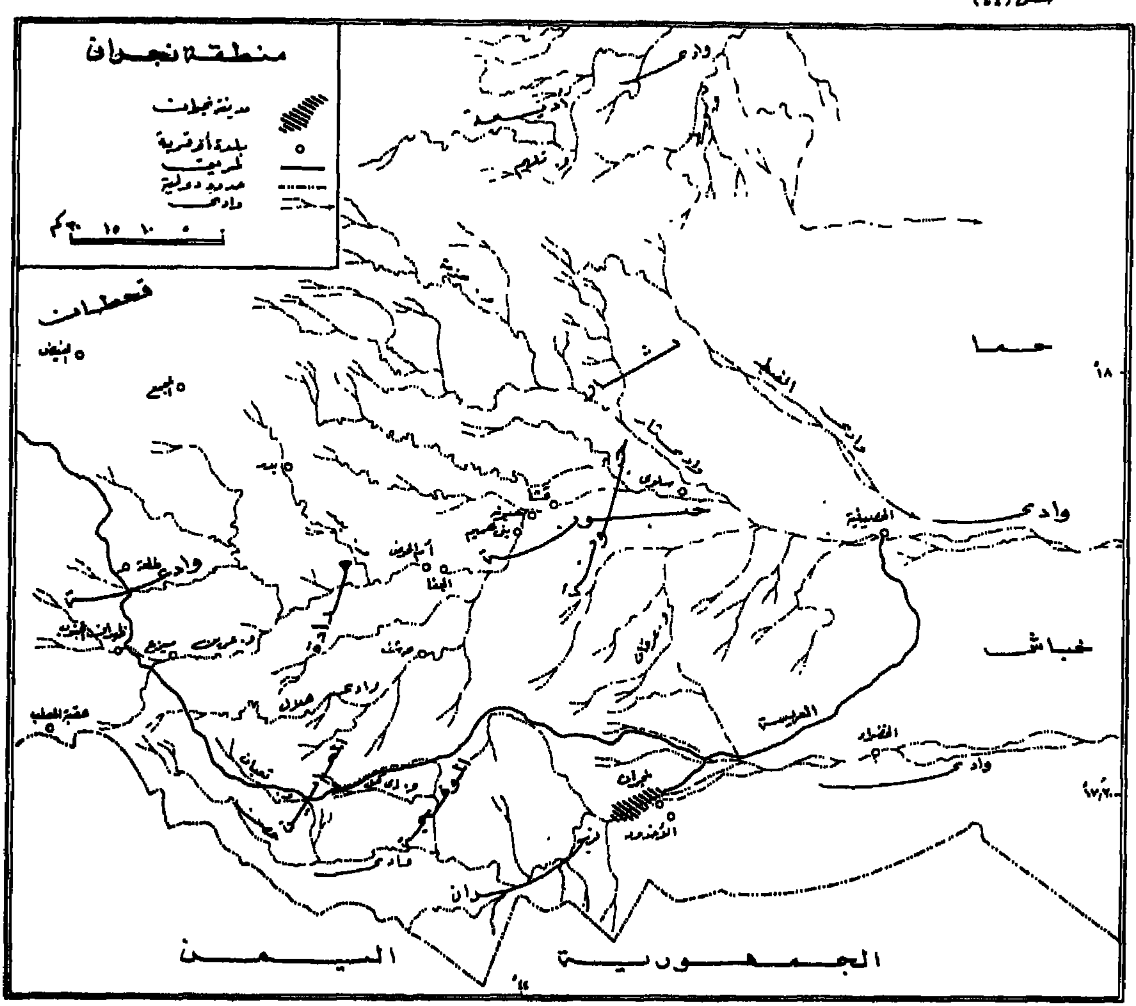
تحتل منطقة نجران الجزء الجنوبى من إقليم الهضاب الداخلية التابعة لجنوب غرب المملكة ، وتقع الى الشمال مباشرة من خط الحدود بين المملكة والجمهورية العربية اليمنية عند خط عرض ٢٠- ١٧° شمالا ، وتمتد حتى خط عرض ١٠- ١٨° ش ، مسافة تقرب من ١٥٠ كم (شمال - جنوب) ، وذلك إلى الشرق من مرتفعات قحطان ووادعة وشمال اليمن عند خط طول ٣٠- ٤٣° شرقا ، إلى أن تصل هضبة الوجيد الواقعة على حافة الربع الخالى شرقا مسافة تقرب من ١٥٠ كم (شرق - غرب) أيضا ، وتبلغ مساحتها أكثر من ٢٠٠٠٠ كم٢ .

البيئة الطبيعية فى نجران :

تعتبر هذه المنطقة من حيث تركيبها جزءا من إقليم الدرع العربى الذى تتكون أرضه من صخور القاعدة النارية التى تنتمى للزمن الأركي ، وتقع على طرف هذا الدرع الذى ينتهى عند هضبة الوجيد الرسوبية . ومن أهم الأصناف الصخرية المنتشرة فى هذه المنطقة : الديوريت والجرانيت والجرانوديوريت والاندسيت والجابرو والحجر الأخضر .

غير أن الانهدام الاسيوى الأفريقى العظيم (انهدام البحر الأحمر) الذى حدث منذ بداية الزمن الجيولوجى الثالث - والذى تسبب فى نهوض الحافة الغربية للهضبة العربية ، فبرزت جبال السروات العالية ممتدة بامتداد حافة الانهدام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى - تسبب أيضا فى ميل سطح الهضبة المرفوعة بالاتجاه المعاكس للإنهدام أى بالاتجاه الداخلى . وبالرغم من مرور عشرات الملايين من السنين على نحت وتعرية الأجزاء المرتفعة ، فما زالت آثار هذا الميل واضحة على طبوغرافية المنطقة .

شكل (٤٤)



منطقة نجران
مدينة نجران
بلدة أو قرية
طريق
حدود دولية
وادي
٥ ١٠ ١٥ ٢٠كم
قحطان
حما
خباش
وادي
نجران
الجمهورية اليمن

وقد تأثرت شبكات التصريف المائى بهذه الأحداث وانتظمت فى منطقة نجران فى ثلاثة أحواض ذات تصريف داخلى متجاورة هى : حوض وادى نجران ويقع فى الجنوب وذلك بعد الحدود اليمنية ، وحوض وادى حبونة ويقع إلى الشمال منه ، ويشترك الحوضان فى أن كلا منهما يبدأ من منطقة مرتفعات السروات غربا ويتجه شرقا إلى أن ينتهى فى الداخل ، وحوض وادى أدمة ويقع الى الشمال الشرق من حبونة فيبدأ من الهضبة بعيدا عن الجبال . تصرف وديان هذه الاحواض مياه السفوح الشرقية لمرتفعات السراة المجاورة للمنطقة وكذلك سفوح الهضبة ذاتها ، وتتجه بها نحو الداخل إلى أن تصل منطقة الغطاء الرسوبى الذى يلى صخور الدرع العربى فى هضبة الوجيد فتختفى مياهها فى صخورها الرملية المنفذة ، والتى تنتمى للعصر الكمبرى .

وهذا يفسر أن تكوينات الوجيد صارت واحدة من خزانات المياه الجوفية الهامة فى داخل المملكة العربية السعودية ، رغم وجودها فى منطقة صحراوية قاحلة نادرة الأمطار . ومن الجدير بالملاحظة أن مياه هذا التكوين لم تستغل على الوجه الأكمل وتقع على الأطراف الغربية لرمال الربع الخالى الواسعة . ولذلك لم تستفد منطقة نجران من مياه هذه التكوينات .

يبدأ سطح منطقة نجران بالانخفاض التدريجى اعتباراً من أقدام مرتفعات السروات العالية ، من ارتفاعات تزيد أحيانا عن ١٧٠٠م عن سطح البحر فى الغرب إلى أن تصل إلى ١٢٠٠م أو ١١٠٠م عند حدود الوجيد فى الشرق . وأن هذا الإنحدار هو فى الواقع استمرار لسفوح السروات ذاتها فى هذا الاتجاه .

ونظراً لما تمتاز به صخور هذه المنطقة من حيث انعدام النفاذية ، وضعف القدرة على الاحتفاظ بالماء ، وانحدار السطح باتجاه الداخل ؛ جعل المجارى العليا للوديان تحفر فى منطقة الجبال وكذلك فى الهضبة بعمق شديد ، مما حول الأرض إلى خوانق ضيقة ، أكسب المنطقة شكلا كثير التضرس . وهذا يبرر إطلاق الناس عليها اسم « جبال » نجران . والأهم من هذا أن فرص ترسب مفتتات التعرية فى هذه المجارى الضيقة نادرة لا تكاد تحتفظ بشىء من مياه السيول والفيضان .

وقد وقعت هذه المنطقة الواسعة في ظل المطر بالنسبة لمرتفعات السراة ، وبالنسبة لوصول التأثيرات الجنوبية الغربية والشمالية الغربية ، فانخفضت معدلات الأمطار عن

١١٠ ملم في جميع محطات هذا الإقليم ، فقد بلغت ٦٢ ملم في نجران ، و٦٧ ملم في بني حميم ، و١٠٨ ملم في بئر عسكر . ومع أن درجات الحرارة في نجران عالية ، والفروق الحرارية كبيرة ونسب الرطوبة منخفضة ، إلا أنها تتميز بالاعتدال النسبى إذا قيست بمثيلاتها في وسط المملكة وشرقها ، وصارت بالتالي أكثر تحملا من قبل الانسان .

ولكن نظراً لاتساع الحوض الأعلى لكل من وادى نجران ووادي حبونة في إقليم المرتفعات الأكثر مطراً ، وعظم كمية المياه التي تنتهي إلى روافد الأودية ، والتى توصلها بدورها إلى المجرى الرئيسى فيغتنى بها ، ويحملها مسافة طويلة على سطح الهضبة . فتتاح لها الفرصة لترسيب كميات كبيرة من حمولتها الصلبة في بُطون الأودية حينما يخف الميل ويتسع المجرى ، فيصبح باستطاعتها أن تختزن كمية كبيرة من مياه الفيضانات في تلك الرسوبيات . فقد توافر بذلك أهم شرطين لنشوء الزراعة وهما التربة والماء في الحوض لهذين الواديين .

أما الجزء الغربي من هذه الهضبة – أي منطقة المجاري العليا التي تلي السراة مباشرة – فهي وإن كانت مزدانة بالحشائش وتصلح للرعاية ، فقد انعدم وجود الزراعة وكذلك الحياة المستقرة فيها . واختفت القرى أو كادت في هذا الجزء المرتفع . واقتصرت الموارد التي يمكن أن تستثمر فيها على تلك الأعشاب في تربية الحيوانات ، والتي تزداد كثافة في الوديان بالقياس إلى السفوح . فوحد فيها جماعات البدو الذين يمتلكون قطعاناً متفرقة من الأغنام والماعز والقليل من الإبل .

ففي وادي نجران تشكلت رسوبيات طموية في المنطقة التالية لمكان اتساع المجرى تتكون من الرمل والحصى والحجارة تقع تحت قناة الجريان ، ومن رسوبيات ناعمة سلتية ورملية على جانبي المجرى . وتحوى منطقة المجرى غشاء مائياً متصلا ، كما تحوى المناطق على جانبي المجرى مياها تحت شروط مقيدة . وقد حسبت نفاذية الرسوبيات من ٢×١٠$^{-٤}$ إلى ٤×١٠$^{-٣}$م / ث . لكن معامل التخزين منخفض بسبب وجود راقات من الطين والسلت تفصل الرمل والحصباء . وقد قدر حجم الطمى في هذا القطاع من الوادى بنحو ٢١٠٠٠ مليون م^{٣} . والطمى المبلول بالماء نحو ١٢٠٠٠ مليون م^{٣} ، وكمية الماء المخزون ١٨٠٠ مليون م^{٣} وتتمتع بنوعية جيدة . أما مجموع سحب الماء فقد قدر بـ ٦٤ر٤ مليون م^{٣} من جميع الواحات في أواخر الستينات ، وذلك من ٦٠٥

آبار (١) . وكان مستوى الماء يتجه للهبوط إلا إذا ترددت فيضانات قوية . ومع ذلك يمكن اعتبار أن إمكانية تطويره متوافرة أكثر من غيره من الأحواض . ويفضل حفر الآبار في شرق السهل الرسوبي للاستفادة من المياه قبل أن تضيع إلى خارج المنطقة . وقد عمد إلى تطويره بإقامة سد على المجرى قبل أن يأخذ بالاتساع إلى الاستفادة من المياه بسحبها من أقنية من ناحية ، ولرفع نسبة التخزين وزيادة منسوب الغشاء المائي بالتسرب من ناحية اخرى . ويقدر أن الأراضي الزراعية المضافة والتي يمكن أن تستفيد من هذا المشروع ما بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ هكتار .

وقد تشكلت رسوبيات مشابهة في وادي حبونة أيضا ، قدرت كميتها بـ٣١٨٥ مليون م٣ ، كما قدرت الكمية الحاملة للماء منها بـ٢٣٢٩ مليون م٣ ، وبلغ معدل سمكها ٤٠ م ومعدل عمق الجزء المبلل من ٢٠ – ٣٠ م ، وتقرب كمية المياه المخزونة من ٣٥٠ مليون م٣ .. توجد بعض المساحات الزراعية في عالية السهل الرسوبي تستهلك نحو ١٣ مليون م٣ سنويا وذلك من ١٦٠ بئرا نوعيتها جيدة . ولذلك فإن هذا المخزون لايحتمل حفر آبار للري (٢) .

نشاط السكان :

لقد نشأ في منطقة نجران واحات غنية مثمرة خاصة في وادى نجران (وادى مروان) ، وامتلأت بالقرى المتقاربة والممتدة بشكل خطى مع امتداد المجارى وكانت بؤرة لحياة مستقرة منذ آلاف السنين . يدل على ذلك الآثار التي تركها أولئك الأقدمون وراءهم ، ولا تزال بعض بقاياها ماثلة في الإقليم خاصة في قرية الأخدود . ولا تعود أهمية منطقة نجران إلى مواردها الطبيعية وغنى أحواضها المائية أو اتساع المساحات الزراعية والقرى بقدر ما تعود لأسباب تاريخية وحضارية ودينية .

وتعزى أهمية هذه المنطقة – بالإضافة إلى ماذكر – إلى موقعها المتوسط وعند معابر الطرق المؤدية إلى المواقع الداخلية في شبه الجزيرة العربية والمؤدية للمناطق الجبلية ، فقامت بدور بوابة العبور إلى هذه الأقاليم المختلفة . وتميزت نجران بأنها كانت – رغم موقعها الداخلي – أقل انعزالا من المواقع الأخرى ، وقد اجتازتها طرق القوافل القديمة .

(1) Italconsult, Agricultural and Water Resources, Final Report, Agricultural Development Surveys for Area II and III, P. 173-174.

(2) Loc. Cit.

لعبت نجران خلال فترة من التاريخ القديم دور عقدة المواصلات الرئيسية داخل الجزيرة العربية ، حيث كانت تصلها الطريق الوحيدة من عدن وتتفرع منها طريقان رئيسيان تسلك أحداهما أطراف الهضاب وأقدام الجبال من جهة الربع الخالي إلى اليمامة ، فساحل الخليج العربي ، أو اليمامة فبلاد مابين النهرين ، أى باتجاه الشمال الشرقي . ومن الطبيعي أن تتحول بعض واحاتها إلى محطات على تلك الطرق فتتسع وتتعمر سواء كان لها أساس زراعى متين مثل نجران أو لم يكن مثل بلدة بدر ، وتتحول إلى بلدات عامرة ومدن هامة .

أما مواردها الاقتصادية فهى متواضعة ، إذ بلغت مساحة المحاصيل الزراعية الدائمة فى إمارة نجران فى عام ٧٣ / ١٩٧٤م ١٨١٤٢ دونما ، والمحاصيل المؤقتة ٥٩٨٣٠ دونما فقط[١] . وقد حصل تغير سلبى لصالح الأولى وايجابى لصالح الثانية فى عام ٧٧ / ١٩٧٨م إذ بلغت المحاصيل الدائمة ١١٣٥١ دونما ، والمحاصيل المؤقتة ٦٤٥٧٦ دونما[٢] أى ما مجموعه ٧٥٩٢٧ دونما . وقد ارتفعت المساحة الزراعية الى٧٣٤٩٠ دونما من المحاصيل المؤقتة و ٣٤٩٠١ دونما من المحاصيل الدائمة في عام ٨٠ / ١٩٨١ م[٣] . وكانت أهم الحاصلات الدائمة : التمور والحمضيات والعنب ، وأهم الحاصلات المؤقتة الحبوب بأنواعها كالقمح والذرة ، والخضروات كالطماطم ، والأعلاف . وفى حين تراجع إنتاج نجران من التمور فى السنوات الأخيرة غير أنه عاد وارتفع الى ١٩٧٦٥ طناً عام ٨٠ / ١٩٨١م ، وارتفع انتاجها من الحاصلات الأخرى وبلغ ٤٥٠٤ طنا من القمح ، و٧٣٨٠ طنا من الطماطم ، ٥٨٥٠ طنا من البرسيم ، و١٤٢٠ طنا من العنب ، و٤٠٤٣ طنا من البطيخ[٤] . ومن الواضح أن هذه الكميات ضئيلة إذا قيست بالمساحة العامة للمنطقة ، ولكنها تتناسب مع المساحات الزراعية المحدودة حيث أنها لم تتجاوز ٧٧٩٧٢ دونما فى سنة ٧٣ / ٧٤م . وانخفضت الى ٦٠٠٠٠ دونم فى سنة ٧٩ / ١٩٨٠م[٥] . ولو أنها تعتمد كلها على الرى من الآبار . غير أنه من المنتظر ازديادهافيما بعد بسبب إتمام مشروع سد وادى نجران الذى بنى فى عالية القسم المتسع

---

(١) وزارة الزراعة والمياه – نتائج التعداد الزراعى الشامل لعام ٧٣ / ٧٤م الجزء الأول الجدولين ٧ ، ٨

(٢) مصلحة الاحصاءات العامة – الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٦ ، ص ٤٤٩ ومابعدها .

(٣) الكتاب الاحصائي السنوي . العدد ١٨ . ص ٥٤٩ – ٥٥٨ .

(٤) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٨ . ص ٤٤١ ومابعدها .

(٥) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٧ . ص ٤٨٩ .

والمعمور من الوادى ، والذى هدف منه إلى زيادة نسبة تسرب وتخزين المياه الى طبقة الطمى فى المجرى ، الأمر الذى سيساعد على زيادة المساحة الزراعية .

يمارس القرويون بالإضافة إلى الأعمال الزراعية تربية الحيوانات التى يعتمدون على بعضها فى التشغيل كالحمل والجر ، أو أنهم يربونها للاستفادة من لحومها وألبانها ، حتى أنه يصعب علينا تخيل مزرعة خالية تماما من الحيوانات ، وهذا يفسر ارتفاع كمية انتاج الأعلاف خاصة البرسيم فى المنطقة . أما البدو فهم يعتمدون على تربية الحيوانات اعتمادا كاملا ، ويعيشون حياة تنقل وترحال حسب حاجة تلك الحيوانات الى الرعى أو السقاية . وقد بلغت الثروة الحيوانية فى نجران فى عام ٨٠ /١٩٨١م ١١٩٩٧٤ رأساً من الضأن ، و ٦٥٦٩٨ رأساً من الماعز ، و٧٧٩٤ رأساً من الجمال ، و٦٤٧٦ رأساً من الأبقار . وتشير الاحصائيات الى تناقص هذه الأعداد فى السنتين التاليتين[١] .

وقد تعرض الوضع الاقتصادى والاجتماعى لمنطقة نجران الى تحولات جذرية خلال العشرين سنة الماضية ولايزال يتعرض لها . ويأتى فى طليعة العوامل الدافعة لهذا التغيير ربطها بطرق المواصلات الحديثة . فقد أنشىء فى الستينات فى وادى نجران مطار حديث يقع فى المتسع القريب من العريسة فى شرق البلدة القديمة ، استطاع المساهمة فى ازالة العزلة عن سكان هذه المنطقة . يدل على ذلك تطور حجم حركة الطيران ؛ إذ أن مطار نجران استقبل ٧٠٤٥٨ مسافراً سنة ١٩٨٢ من مطارات المملكة أهمها من الرياض (٢٨٧٢٤) فجدة (٢٧١٤٧) . وغادره ٧١١٩٧ مسافرا الى مطارات المملكة سنة ١٩٨٢ أهمها الرياض (٣٠٨٥٠) وجدة (٢٧٥٢٧) مسافرا[٢] .

وقد زاد من أهمية مطار نجران – وهو مطار داخلى – بعد المسافات التى تفصل مناطق المملكة بعضها عن بعض ، وتأخر إنشاء طرق السيارات وتطورها بالقياس الى المطارات . ورخص أجور النقل الداخلى فى الطيران .

وفى أوائل السبعينات (١٩٧٢م) تم توصيل نجران بخميس مشيط عبر ظهران الجنوب (٢٥٥ كم) ، فاتصلت بذلك بطريق الجنوب (الطائف – أبها) والذى اتصل فيما بعد بجيزان على ساحل البحر الأحمر . ويجرى العمل حثيثا لإنشاء خطين خارجيين

---

(١) المرجع السابق ، العدد ١٨ ص ٥٥٨ .

(٢) الكتاب الاحصائى السنوى العدد ١٨ ص ٣٤٦ – ٣٤٧ .

رئيسيين آخرين يتفرعان من نجران : يتجه الأول شرقا نحو شرورة فى جنوب غرب الربع الخالى والذى سيصل الى الوديعة ، فيربط المملكة بدولة اليمن الجنوبي ، وقد تمت اربع مراحل من هذا الطريق حتى سنة ١٤٠٢ هـ مجموع أطوالها ٣٧٤ كم . ويتجه الثانى نحو الشمال والشمال الشرقى عبر الحصينية فتثليث فالخماسين فى وادى الدواسر ، وقد تم منه ثلاث مراحل حتى عام ١٤٠٢ هـ مجموع أطواله ٣٤٧ كم (١) . وعندئذ ستتصل نجران بخط برى بالرياض عاصمة البلاد . وتكون الطرق البرية عندها قد شيدت على مسارات وخطى طرق القوافل القديمة .

كانت الأسواق الأسبوعية فى الماضى هى الوسيلة الوحيدة التى ساهمت منذ القدم فى توثيق الصلة بين سكان منطقة نجران فيما بينهم . والأسواق وإن كانت دوافعها تجارية بحته ؛ الا أن ذلك لايخفى مالها من نتائج اقتصادية واجتماعية وحضارية أخرى . ومن أهم تلك الأسواق القديمة فى نجران : سوق الأحد فى دحضة ، وسوق الاثنين فى قرية بنى سليمان ، وسوق الثلاثاء فى بلدة بدر ، وسوق الأربعاء قرب قرية العان ، وسوق الخميس فى قرية مقابل ، وسوق الجمعة فى صاغر (٢) . وتقع جميعها فى وادى نجران فيما عدا بدر التى تقع فى عالية وادى حبونة ، ومن المنطقى أن تتغير أهمية هذه الأسواق مع الزمن كما قد تتغير أماكنها ، غير أن منافسة الأسواق الحديثة فى مدينة نجران وهى أسواق دائمة ستطمس معظم هذه الأسواق .

ينتسب معظم سكان منطقة نجران الى قبيلة يام . واليامية فرع مهم من فروع قبيلة همدان بن زيد بن قحطان ، وكانت اليامية من أشد القبائل شكيمة وقت الحروب ومن أحبهم للغزو والإغارة ويتكونون من ثلاث بطون : (٣)

أ – بطن آل فاطمة ويتكونون من ٣٧ قسما .

ب – بطن آل واجد ويتكونون من ١٤ قسما تسكن فى وادى حبونة ونجران .

ج – بطن أدشم (أجشم) ويتكونون من ١٧ قسما .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣١٥ – ٣١٩ .

(٢) فؤاد حمزة – فى بلاد عسير ، ص١٨٧ .

(٣) فؤاد حمزة المصدر السابق ، ص ١٧٥ – ١٨٠ .

وهم موزعون بين مستقرين فى قرى أو بدو رحل . ومن اليامية من يعيش خارج حدود منطقة نجران الإدارية ، وهؤلاء غالبا مايكونون على حالة البداوة ، ومنهم من يعيش فى جبال اليمن المتاخمة للحدود السعودية . ويعيش فى نجران عدد من فروع قبائل أخرى ، ولكنهم يوجدون فى الغالب فى أطراف منطقة نجران الشرقية وعلى الحدود بين نجران واليمن الشمالى واليمن الجنوبى .

لقد أوضحت أرقام تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ ، سنة ١٩٧٤م(١) أن عدد أفراد منطقة نجران الادارية (إمارة نجران) يقربون من ١٤٨٠٠٠ نسمة ، فإذا انقصنا من هذا العدد نحو ٢٥٠٠٠ فرد وذلك عدد أفراد المناطق الواقعة ضمن حدود الإمارة إداريا ولكنها تقع الى الشرق من المنطقة التى نحن بصددها وقد حسبت معها فى التعداد ، وتشكل جزءا كبيرا من إقليم الربع الخالى وهى : شرورة والوديعة والمنخلى والوجيد وخباش فيبقى نحو ١٢٣٠٠٠ نسمة هى عدد أفراد المنطقة التى تعنينا دراستها الآن .

ويعيش ٤٧٥٠٠ فرد من هذا العدد فى مدينة نجران ذاتها . ونجران هى قاعدة هذه الإمارة وأكبر مراكزها الحضرية ، وقد نمت وتوسعت مؤخرا وضمت عددا من المراكز القروية القديمة ، بسبب قيامها بالوظيفة الإدارية بالإضافة الى وظائفها السابقة ، فاتخذت مركزا للإدارات الحكومية ، وأقيمت فيها مكاتب الشركات الاستشارية والتنفيذية العاملة فى الانشاءات ومشاريع التنمية ، خاصة شق الطرق والمبانى الحكومية والمطار والسدود والكبارى وحفر الآبار وما اليها .

ولم يوجد فى منطقة نجران سوى ٣٣٠٠٠ من الريفيين يعيشون فى نحو ١٣٠ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، إذ يمكن اعتبار بعضها بلدات صغيرة . فى حين وجد فى هذه المنطقة ٤١٩٠٠ نسمة كانوا على حالة البداوة يترحلون حسب الفصول وتبعا لمتطلبات تربية الحيوانات ، أى أن عددهم يفوق عدد الريفيين ، وهذا العدد لايضم بدو باقى الإمارة فى الشرق مثل بدو شرورة والمنخلى والوجيد وخباش . وهذا يعنى أن البدو يشكلون ٣٤٫٣٪ من سكان منطقة نجران رغم وجود مدينة كبيرة تضم مايقرب من خمسي السكان .

---

(١) مصلحة الاحصاءات العامة . التعداد العام للسكان لسنة ١٣٩٤ هـ ، سنة ١٩٧٤م .

وباستثناء المناطق الشرقية الخارجة عن حدود هضبة نجران والواقعة فى إقليم الربع الخالى الصحراوى من الأراضى التى تضمها إمارة نجران الإدارية ، فإن منطقة نجران التى ندرسها الآن تضم الجزء الهام والمعمور منها . إذ توافر فيها جميع الدوائر الحكومية الفرعية التى توجد عادة فى الإمارات ، كما توافرت فيها إدارات الخدمات الحكومية المطلوبة ؛ ومن ذلك مكتب للإشراف على التعليم ليكون مسئولا عن تطور الحركة التعليمية فى المنطقة ، فأشرف فى سنة ١٤٠١ / ١٤٠٢هـ على ٧٣ مدرسة ابتدائية و٢٤ مدرسة متوسطة و٦ مدارس ثانوية ، انتسب اليها ١١٢٩١ طالبا ، ٢٤٦٣ طالبا و٦١٥ طالبا على التوالى . هذا عدا مدارس البنات التى تقل عن مدارس الذكور لحداثتها .

وقد توسعت الخدمات الصحية كذلك حيث يوجد فى مدينة نجران مستشفيات حكومية : المستشفى العام ومستشفى عزل نجران ، كما يوجد فيها وفى المنطقة ١١ مستوصفا و١٤ نقطة صحية[1] .

تتكون إمارة نجران فى الأصل من ٢٦ وحدة إدارية مختلفة فى مساحتها وسكانها وأهمية كل منها . جميع هذه الوحدات تتبع المركز الادارى فى مدينة نجران . ولو أن معظمها وحدات أو أقضية صغيرة جدا . ولايشكل بعضها إقليما جغرافيا قائما بذاته . ولذلك لن نتخذ الوحدة الادارية أداة لتقسيم نجران الى اقسامها الإقليمية ، بل سنتخذ فى أغلب الأحيان الاقليم الطبيعى ، خاصة أحواض الوديان أو روافدها أو أقسامها أو عددا منها فى وقت واحد ، بحيث تضم الوحدة الجغرافية التى نتخذها عددا من الوحدات الإدارية فى أغلب الأحيان . ولذلك سنقسم الواحد والعشرين وحدة إدارية ، بعد استبعاد الوحدات الخمس الشرقية ، الى ثمانية أقسام جغرافية على النحو التالى :

١ - الحوض الأعلى لوادى نجران فى الأراضى السعودية : ويضم قضاءى المعاين والموفجة . ويحتل الزاوية الجنوبية الغربية لمنطقة نجران وهى على شكل مثلث تقريبا يقع رأسه بمحاذاة طرف قضاء ظهران الجنوب الجبلى عند الحدود مع اليمن وينطبق ضلعه الأول على خط الحدود من تلك النقطة باتجاه الشرق ، وتتمثل قاعدته بخط يقطع وادى نجران عموديا باتجاه الشمال وبطول يبلغ نحو ٣٥ كم وتبعد قاعدته عن رأس المثلث مسافة تقرب من ٤٥ كم ، وتبلغ مساحته نحو ١٢٠٠ كم^2 .

---

(١) حسبت جميع هذه الأرقام من جداول الكتاب الاحصائى السنوى - العدد ١٨ .

يتكون الحوض الأعلى لوادى نجران من عدة روافد يبدأ بعضها فى الأراضى اليمنية ، ويبدأ بعضها الآخر فى الأراضى السعودية من ارتفاعات تقرب من ٢١٠٠م عن سطح البحر داخل قضاء ظهران الجنوب ، وتشمل أحواض الوديان : ثعبان وحصن وذى كحل التى تجتمع معا عند منسوب ١٤٤٠م وذلك بالقرب من خط طول ٤٤° ش .

ولذلك تميز سطحها بالانحدار الشديد نحو الشرق وذلك خلف جبال السراة العالية ، والتى حجبت عنها التأثيرات الغربية والجنوبية الغربية الجالبة للرطوبة ، فوقعت فى ظل المطر لتلك المرتفعات ، وتحول الطقس بشكل فجائى الى الصحراوى . بحيث يمكن ملاحظة تباينه عن طقس المناطق الجبلية المجاورة له ، بالرغم من ارتفاعه الكبير عن سطح البحر ، وذلك عن طريق تغير مظاهر النبات الطبيعى المفاجىء .

وقد نتج عن هذا الانحدار الشديد أيضا تعمق المجارى المائية فى الصخور النارية فتحولت الوديان الى خوانق شبه قائمة ، تعذر عليها أن تترك الفتات الصخرى فى جوانبها أو ترسب تربة طموية . وتعجز صخورها فى الأصل عن تخزين شىء من المياه لانعدام مساميتها وقلة سمك الصخور المتآكلة من التعرية على سطحها . وهذا يفسر تبدل مظهر النبات الطبيعى حيث تقهقر عما فى الجبال العالية ، تحول الى شجيرات أو أعشاب هزيلة متباعدة ، أو أن تبقى الأرض جرداء خالية من أى نبات . مما جعل إمكانية الإنتاج الزراعى محدودة للغاية إن لم تكن معدومة ، وجعل أسباب توافر القرى المستقرة مفقودة ، إلا فى مناطق محدودة فى سافلة مجارى الوديان بالذات . ومعظم السكان من البدو الرحل وأعدادهم قليلة بالقياس الى مساحة الأرض التى يملكونها .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة ٦٦٠٠ فرد فى سنة ١٩٧٤ ، ولاينتظر أن يكون قد زاد فى الفترة التالية ، بل من المحتمل أن يكونوا قد تناقصوا بسبب الهجرة . يعيش نحو نصف هذا العدد فى قضاء المعاين الواقع الى الغرب الاكثر ارتفاعا والاقرب للجبال (ظهران الجنوب) ، جميعهم على حالة البداوة سوى ٥٠ فردا وجدوا فى المركز الإدارى لهذا القضاء . وقد وجد فى منطقتهم عشرة مناهل يلجأ اليها البدو .

ويعيش النصف الآخر من هذا العدد فى عشر قرى ، تقع فى اتجاه سافلة الوادى بالشرق ، يضمها قضاء الموفجة ، أى أنها تقع فى الجزء الأقل ارتفاعا من المنطقة وذلك على جانبى الوادى الضيق قبيل انفراجه وعند بدء تخلصه من المفتتات الصخرية التى تحملها المياه . ويعيش اكثر من ربعهم فى قرية الموفجة وحدها . والموفجة أولى القرى

العامرة فى وادى نجران من جهة عاليته بعد خروجه من مضيق مروان وعقبة رفادة . ومن القرى الاخرى القريبة منها فى هذا الوادى الضيق : زور وادعة والمخلاف الأعلى وزور آل الحارث .

٢ ـ الحوض الأوسط لوادى نجران :

ويتكون من ست وحدات إدارية صغيرة الحجم تقع الى الشرق مباشرة من المنطقة السابقة وهى : الحصن ، وشعب بران ، والحرفية ، ونجران ، والاخدود ورجلاء . وتحتل مساحة من الأرض فى وسط حوض الوادى على شكل مستطيل يقع أحد أضلاعه على قاعدة المثلث فى المنطقة السابقة ويمتد نحو ٣٠ كم باتجاه مجرى الوادى ، اى الاتجاه الشرق ، فى حين أنه يمتد بالاتجاه الآخر ، أى من الجنوب الى الشمال ابتداء من خط الحدود مسافة ٤٠ كم تقريبا . أى أن مساحة المنطقة لاتزيد كثيرا عن ٧٥٠ كم٢ . غير أنها من أكثر مناطق نجران عمرانا وإنتاجا وسكانا .

تنحدر الأرض فيه من ارتفاع ١٤٥٠م فى عاليته فى الغرب الى ١٣٥٠م عن سطح البحر تقريبا فى الشرق . وتقع المنطقة كلها فى وسط الهضبة وبعيدا عن مرتفعات السراة ، فيقل انحدار المجرى وتنبسط الأرض الموجودة على جانبيه ، وتبتعد المسافة بين سلسلتى الجبال الشمالية والجنوبية وهما فى الواقع جانبا الوادى .

وقد أدت هذه الظروف الى تخفيض سرعة التيار فسمحت للوادى بتشكيل مصاطب رسوبية على جانبيه بالاضافة الى ترسيب المفتتات فى المجرى ذاته وذلك مما تحمله المياه من حمولة صلبة . وتكمن أهمية هذه الترسبات بامكانية تحويل سطحها الى تربة ملائمة للزراعة ، وبأنها قادرة على اختزان كمية كبيرة من مياه الفيضان ، فظهرت فيها الواحات الزراعية منذ القدم على آبار تحفر فى الطمى لعمق بضعة أمتار ، وتحولت الى قرى مستقرة . وهذا يفسر ميزة هذا الجزء من الوادى وقدم إعماره وأسبقيته حضاريا وغناه بالآثار القديمة ، وكذلك غناه بالموارد ، وعمرانه بالسكان نسبيا .

واسم نجران ، ولو أنه قديم ، ويذكر فى التاريخ على أنه موقع مدنى هام ؛ الا أنه كما يبدو قد أطلق فى البدء على مجموعة من قرى هذا القطاع من الوادى ، أى على منطقة وليس على مدينة . كانت فى كل فترة تاريخية تشتهر احدى هذه القرى اذا استأثرت بالمركز الإدارى أو بالمركز التجارى كأن تكون المحطة الرئيسية من محطات القوافل ، ثم تنتقل الشهرة الى قرية أخرى إذا تغيرت الظروف . وحتى بداية العهد السعودى الحديث

لم يكن لنجران كمدينة شأن يذكر ؛ بدليل أن فؤاد حمزة (وقد زارها فى سنة ١٣٥٤هـ) وصف الوادى ووصف قراه بالتفصيل دون أن يتعرض لمدينة أو قرية بالذات يطلق عليها اسم « نجران » .

وقد اتخذت قرية « أبا السعود » فى العهد الحديث قاعدة لإمارة نجران ، وتقع على جانب الوادى عند بداية منطقة الإتساع ، اى فى غرب المنطقة العامرة تقريبا . وقد نمت واتسعت وضمت عددا من القرى المتجاورة والقريبة منها . ثم اطلق عليها اسم مدينة نجران باسم الإمارة حينما تكرست فيها الوظيفة الإدارية وتأصلت الوظائف الأخرى ، ولعبت دور المركز التجارى للمنطقة كلها فى وقت ازدهرت فيه التجارة فى المملكة ، وزادت فعالية البيع والشراء ، وقوى اقتصادها .

وقد زاد من أهمية نجران أنها استقطبت وجذبت معظم النشاطات المخصصة للامارة أو لمركزها . ومن ذلك ان إنشاء الطريق « المزفلت » الذى ربط منطقة نجران بطريق الجنوب انتهى اليها ، وان مطار نجران أنشىء بالقرب منها ليقوم بخدمة سكانها ، وان المؤسسات والشركات العاملة فى مشاريع التنمية الهامة استشارية أو تنفيذية ؛ كشركات شق الطرق وبناء الجسور وإنشاء المبانى والمشاريع الحكومية ، قد اتخذت منها مركزا وقاعدة للعمل . وقد اقيمت فيها معظم الدوائر الحكومية الفرعية ، وأنشئت بلدية لتشرف على تطورها وتنظمه . كل ذلك زاد من الطلب على الخدمات فتوفرت فرص العمل فزادت طاقة مدينة نجران على جذب السكان اليها خاصة الأيدى العاملة ، الأمر الذى جعلها تتطور بسرعة فائقة .

وبعد أن كانت « أبا السعود » بلدة صغيرة « مبنية من اللبن أو التنك ، وبيوتها القديمة كالابراج هرمية الشكل ذات نوافذ صغيرة جدا ، وتوجد حوانيتها على الرصيف أو تحت الخيام . وكانت تتكون من تجمعات على جانبى الوادى بحيث اذا سال بالماء قطع الطريق ... » كما وصفها أحد الزائرين قبل بضعة عشر عاما ؛ فقد أصبحت فى سنة ١٩٧٤م مدينة كبيرة ، بلغ عدد سكانها ٤٧٥٠١ نسمة ، واحتلت بذلك المركز الثانى عشر من بين كبرى مدن المملكة .

استمرت مدينة نجران فى النمو والزيادة بعد هذا التاريخ وبسرعة تفوق سرعة التطور الماضى بسبب دوام تأثير عوامل النمو السابقة ، وبفضل التشجيع الحكومى والتخطيط المدنى ، ونتيجة لتطور اقتصاد سكان المملكة عامة ؛ فضمت عددا من القرى القريبة ،

منها : العويرة والاشراف وآل سدوان والحلان . ومن المنتظر أن تستمر فى التوسع وتضم جميع قرى الوادى المتقاربة فى مجمع مدنى واحد . فقد استهدف التخطيط الحكومى تمديد المدينة شرقا على ضفة الوادى اليسرى الى متسع « الصعيد » الذى يمتد الى نحو ١٠ كم شرق المركز القديم فيما بين سلسلة القرى الواقعة بالقرب من المجرى مباشرة وهى مرتبة من الغرب الى الشرق : عكام والحامية وصاغر والحاشة وثبتان والمنجم ، وبين حافة الوادى الشمالية والى الجنوب والشرق من القرى المحاذية لها (أى للحافة) وهى مرتبة بعد « أبا السعود » من الغرب الى الشرق : زيتا والهنى ودحضة وال مسير وآل سودان وهتيلة والعجمة ، ويستمر الصعيد شرقا حتى الأثاثية عند المفرق الذى ينتهى اليه الخط الحديث « المزفلت » القادم من خميس مشيط ، والذى يصل الوادى عبر أحد روافد وادى نجران التى تصب فيه من الشمال .

ومن المنتظر كذلك أن تتمدد نجران أيضا من بلدة أبا السعود وعبر جسر أقيم على الوادى لربطها بالضفة الجنوبية له لتضم مجموعة القرى الواقعة على تلك الجهة ، والتى تصلها الطرق المعبدة الآن : وهى مرتبة من عويرة فى أبا السعود باتجاه الشرق الى جربة وآل حمادة والقابل والاخدود (القرية) وسكام (وهى مبنية من الصفيح الآن) والحصين ورجلاء . وقد اقيم مطار نجران فى متسع آخر يلى متسع الصعيد شرقا ويقع فيما بين العريسة والخضراء .

وقد بدأت حركة التوسع هذه بانشاء المبانى الحكومية فى سهل الصعيد مثل مبنى الإمارة ومبنى البلدية وحرس الحدود ، وظهر نشاط البلدية فى إقامة الشوارع الحديثة والأرصفة المشجرة والمنارة بالكهرباء ، ثم انتشرت فيما بينها مجموعات من « الفلل » والبيوت الإسمنتية ونشأت المدارس والفنادق والمؤسسات . فقد منحت البلدية فى سنة ١٤٠١هـ على سبيل المثال ٨٢٢ رخصة بناء منها ٥٥٧ من الاسمنت و١٩١ من البلوك ومنحت كذلك ٨٣ رخصة عمل(١) . وتحول الشارع الرئيسى الذى يوصل بالبلدة القديمة الى شارع تجارى حديث ومركز تسويق ، حيث ازدان بالمحال التجارية والمخازن والمطاعم والخدمات المختلفة . وتحولت القرى الى أحياء أو ضواحٍ ، إذا مازال بعضها يحتفظ ببعض الخدمات المركزية الهامة التى نشأت فيها مثل : محطة توليد الطاقة

---

(١) الكتاب الاحصائى السنوى عدد ١٨ – الفصل ٤ . الخدمات الاجتماعية .

الكهربائية فى دحضة ، والمحكمة الشرعية فى صاغر ، والسوق القديم فى أبا السعود ، وسوق الحيوانات « مجلابة » فى عويرة . فى الوقت الذى مازالت تحتفظ هذه الضواحى أو القرى القديمة بأهميتها الزراعية التى قامت على أساسها بفضل التشجيع الحكومى كالإعانات للمزارعين وضمان تسويق المنتجات والقروض ، وبفضل إنشاء سد وادى نجران الذى أقيم فى عالية المجرى الأوسط ، أى قبل أن يأخذ مجراه فى الاتساع وذلك فى غرب أبا السعود ومعظم القرى الهامة ، والذى ساهم فى رفع منسوب المياه الجوفية فى الوادى فى قطاعه الأوسط .

بلغ مجموع سكان القرى الزراعية فى هذا القطاع – والتى لم تضمها مدينة نجران حتى عام ١٣٩٤هـ – ١٨٠٠٠ نسمة ، كما بلغ عددها ٥٥ قرية . وقد اتسع بعضها واكتسب أهمية خاصة ، كأن تتخذ القرية قاعدة إدارية فرعية أو سوقا عامراً أو عقدة مواصلات جيدة ، مثل رجلاء (وفيها ٩٩٣ فردا) ، وقرية الاخدود (٧٩٨ فردا) والبديع (٦٣٠ فردا) ، أم صورة (٤٠٩ أفراد) ، الجرفية (٣٩٠ فردا) . فى حين لم يتجاوز عدد البدو فى هذه المنطقة ١٥٠٠ فرد يعتمدون على خمس مناهل ماء تقع فى الروافد التى تصب فى المجرى الرئيسى .

يوجد بين قريتى القابل ورجلاء الواقعتين على ضفة وادى نجران الجنوبية وذلك ضمن الوادى ، ولكن الى الجنوب من مستوى القريتين وضمن المتسع آثار خرائب كثيرة . ويقع ذلك الى الجنوب الشرقى من قرية أبا السعود وعلى الطريق الذاهبة من الوادى الى عقبة نهوقة الموصلة الى الأراضي اليمنية على جانب جبل الحمراء . يطلق على هذه الخرائب اسم حصن الاخدود وهى آثار بلدة قديمة ، ومن ضمنها قلعة فاخرة وخندق يملأ بالماء ، وبقايا السدود القديمة والأقنية المحفورة فى الصخور ، ومن ضمنها أيضا بقايا كنيسة هى آثار اسقفية نجران . وعثر بين أنقاض البيوت على حجارة مكتوبة بكتابات قديمة وعلى أدوات قديمة أيضا . ويعتقد أن هذه الآثار هى بقايا المدينة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم باسم « الاخدود »(١). وقد اهتمت دائرة الآثار السعودية بتلك الآثار وخصصت لها حراسة دائمة حرصا عليها من الضياع أو التلف قبل أن يتم التنقيب فيها .

---

(١) القرآن الكريم – سورة البروج .

٣ ــ المجرى الأدنى لوادى نجران :

ويضم قضاءى العريسة والخضراء وقسما محدودا من الأراضى التابعة لخباش ، ويقع الى الشرق مباشرة من القسم السابق حيث يشتد ميل الوادى مرة ثانية ويهبط المجرى عبر مسافة لاتزيد عن ٢٥ كم من ١٣٥٠م الى ١١٥٠م ، ويضيق حتى يزول الانفساح الذى رأيناه فى نجران ويقل اتساع المصاطب الرسوبية على جوانبه وينقص سمك الرسوبيات فى مجراه . وبالتالى تتضاءل أهمية المزارع ، وتضعف امكانية الحياة المستقرة ويقل عدد وشأن القرى . ولكن تزداد أهمية الآبار المحفورة فى الطمى التى يستقى منها الرعاة الى أن ينتهى الوادى عند عرق المهرة على طرف منطقة نجران من الجهة الشرقية .

ومع ذلك لم تختف الواحات تماما من هذه المنطقة : بل ظهرت منذ القديم قليلة متباعدة مثل واحات العريسة فى الغرب ، أى فيما يلى رجلاء مباشرة ، وواحات الخضراء على بعد ٣٥ كم فى شرق بلدة نجران . وقد حاول بعض بدو المنطقة إنشاء مزارع للحبوب اعتمادا على الآبار ، وبذلك بدأ قسم منهم بالتحول من حالة البداوة الى الاستقرار مثل بدو الشرفة والدريب .

وفى حين تبين أن عدد سكان قضاءى العريسة والخضراء بلغ فى سنة ١٣٩٤هـ ٨٥٩٠ فردا فان ٣٩٥٨ فردا منهم فقط حسبوا من المستقرين (٤٦٪) ، وذلك فى ثمانى قرى تقع فى مجرى الوادى . ويبدو أن وقوع بعض هذه القرى في الوادى ، وبالتالى على مفارق الطرق – خاصة بالقرب من الحدود – ساعد على تضخيم أعدادها بهذا القدر أكثر مما عملت الزراعة ، خاصة قريتي العريسة وفيها ٢٨١٢ فردا ، والخضراء وفيها ٥٤٩ فردا ، وهما مركزان إداريان فرعيان فى نفس الوقت .

ويبدو أن هناك عاملا ثالثا ساعد على نمو قرية العريسة وتحويلها الى بلدة عامرة تضم ثلثى عدد المستقرين فى هذه المنطقة هو تجمع عمال وموظفى الشركات المشرفة والعاملة على إنشاء الطرق والمشاريع ، وقرب مطار نجران منها . ومع ذلك مازال البدو يشكلون ٥٤٪ من سكان هذه المنطقة الواسعة . ويمكن أن نضيف اليهم جزءا من قبيلة خباش التى يتكون سكانها من البدو وتمتد ديرتهم الى طرف هذه المنطقة . وخباش تشكل قضاء خاصا ببدو الحدود وتقع جميعها فى البادية الخالية من أى مظهر من مظاهر الاستقرار ، سوى ماظهر حديثا من مواقع الخدمات التى نشأت كمحطات على الطرق . وتمتد ديرتهم فى سهل خباش (أو صحراء العرمرم) فى شرق منطقة الدراسة وهى جزء من

غرب اقليم الربع الخالى . وقد بلغ عدد المستقرين فى خباش ٧٤ فردا من بين البدو الذين تجاوز عددهم العشرة آلاف مواطن .

٤ ـــ الحوض الأعلى لوادى حبونة :

ويضم الأقضية هدادة والمجمع والحرشف . ويقع الى الشمال مباشرة من حوض وادى نجران الأعلى (المنطقة الأولى) ، وإلى الشرق من قضاء ظهران الجنوب (أى المنطقة الجبلية لسراة وادعة) . ويتكون حوض وادى حبونة الأعلى من مجموع احواض الوديان : هلال وبطا والمصلولة وروافدها . وتلتقى هذه الوديان فى شرق قرية الجفا بالقرب من خط طول ٤٤°ش أيضا مشكلة المجرى الرئيسى للوادى .

ولذلك اشتركت هذه المنطقة مع المنطقة الأولى فى كثير من الصفات حيث أنها تقع مثلها فى منقلب السراة باتجاه الشرق حيث تنحدر الطبوغرافية بشدة فى هذا الاتجاه وذلك من نحو ١٨٠٠م غربا الى ١٣٥٠م شرقا على مسافة تقرب من ٤٠ كم — ٤٥ كم . فتحفر تلك المجارى بعمق شديد فى صخور المنطقة النارية والمتحولة فى ظل ظروف صحراوية ، مما لايدع مجالا واسعا لترسيب مفتتات التعرية على جوانب تلك الوديان . فحرمت المنطقة من الأراضى الصالحة للزراعة ومن خزانات المياه الباطنية ؛ لأن الصخور النارية ذاتها لاتعمل على تخزين الماء .

ووقعت مثلها كذلك فى ظل المطر وتحولت الى مناطق جافة بشكل فجائى ، ولو أن غطاء خفيفا من التربة تشبث على السفوح الأقل انحدارا فتسبب فى وجود مجموعات من الشجيرات الخفيفة والأعشاب لاتقارن بما هو موجود فى المناطق الجبلية . وهذا يعنى أن مواردها صارت محدودة للغاية وسكانها قلائل جدا بالقياس الى مساحة الأرض التى يعيشون فيها ويستثمرون أعشابها . ولذلك فان معظمهم على حالة البداوة يعتمدون على تربية الحيوانات . ومن الواضح أن إمكانية تنمية هذه المناطق محدودة للغاية .

وجد فى هذه المنطقة التى لاتقل مساحتها عن ٩٥٠ كم٢ ١٥ قرية فقط لايزيد عدد ساكنيها عن ٢٢٠٠ فرد ، ومن غير المنتظر أن يزيدوا عن ذلك ، أى أنهم توزعوا بمعدل ١٤٥ فردا للقرية الواحدة بما فى ذلك المراكز الإدارية الفرعية مثل : حَرشف وهدادة والمجمع ، والتى تضخمت بسبب قيام كل منها بالوظيفة الإدارية . ومن القرى الأخرى أم الحوص والجفا .

لايكاد هؤلاء المستقرون يشكلون ٤٨٪ من مجموع سكان هذه المنطقة ؛ لأن الباقى وهم نحو ٢٣٢٠ من البدو الرحلّ الذين ينعمون بوجود ٢٩ منهل ماء يلجأون اليها للشرب وسقى الحيوانات .

٥ ــ الحوض الأوسط لوادى حبونة :

ويضم الاقضية : حبونة وبئر عسكر وشلياء ، ويقع الى الشرق مباشرة من المنطقة السابقة (الحوض الأعلى) ، والى الشمال من الحوض الأوسط لوادى نجران . وتحتل مساحة ٥١٠ كم٢ . وبالرغم من أن ظروفه العامة تشبه الى حد كبير ظروف المنطقة المذكورة ؛ الا أن أهمية الروافد العليا لوادى نجران وما تجلبه من مياه وطمى من منطقة جبال السراة تفوق مثيلاتها فى وادى حبونة . وبالتالى لم يستطع الوادى الثانى ان يعمل على تشكيل مصاطب رسوبية ذات شأن بالمقارنة بالمصاطب الرسوبية فى وادى نجران . فتضاءل حجم وشأن المستوطنات البشرية وقل عددها فى الحوض الأوسط لوادى حبونة ، إذ لم يتجاوز عدد قرى الوادى ٧ قرى ، وقد نمت واحدة منها وكبرت بسبب اتخاذها القاعدة الإدارية الفرعية لحبونة وضمت ١٣٠٠ فرد فى العقد الماضى ومن المنتظر أن تنمو وتتسع اكثر من ذلك على حساب القرى الاخرى أو سكان البادية . ولا تكاد باقى القرى أن تضم مثل هذا العدد .

وبالمقابل فقد زاد شأن وأهمية البدو فى هذه المنطقة حيث بلغوا ٤٤٦٠ فرداً ، أى ما نسبته ٦٥٪ من سكان هذه المنطقة ، وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى المملكة ، رغم أنها تحتل أنسب المواقع بالنسبة لوادى حبونة . وهذا يدعونا الى مقارنتها مع الحوض الأوسط لوادى نجران الذى لايشكل البدو فيه أكثر من ٥ر٢٪ فقط من مجموع سكانه . وقد أحصى فى هذه المنطقة ١٣ مورد ماء .

وسكان وادى حبونة – سواء المستقرون أم البدو – ينتسبون أيضا الى القبائل اليامية شأن سكان وادى نجران .

٦ ــ الحوض الادنى لوادى حبونة :

ويضم قضاء الحُصَيْنِية وجزءا صغيرا آخر من قضاء خباش . ويقع الى الشرق مباشرة من المنطقة السابقة والى الشمال من الحوض الادنى لوادى نجران (شمال قضاء العريسة) . ومع ذلك فظروفه تختلف عن ظروف الاقضية المحيطة به وتبرز له شخصية

خاصة به ، فهو من جهة يقع عند نهاية الاقليم الهضابى وبداية المنبسط الرسوبى ، أى منطقة الوحيد الذى يتكون من الصخور الرملية أو الرمال ، وتختفى فيه مياه الوادى مهما عظمت . ولذا فالمنطقة تعتبر صحراوية الى حد كبير . غير أن موقع الحصينية من جهة اخرى عند منطقة الالتقاء هذا ؛ أهلها أن تتخذ مركزا تتفرع عنده طرق القوافل فى عدة اتجاهات . فاكتسبت أهمية خاصة واتخذت مركز قضاء كان جميع سكانه من البدو . ولذلك فالاستقرار فيه استقرار مؤقت ، إذ لم يزد عدد أفراد قرية الحصينية عن ٦٠ فردا ، فى حين بلغ عدد البدو التابعين لها ٦٤٠٠ فرد ، بفضل اتساع مساحة هذا القضاء حيث تزيد عن ١٥٠٠ كم٢ وليس بفضل غناه بالأعشاب .

٧ ــ هضبة بدر :

وتضم الوحدات الإدارية : بدر المضمار وثار وحما ، وتشغل أحواض الروافد الشمالية الغربية لوادى حبونة ، وقد اطلقنا عليها هضبة بدر لتوسط بدر لتلك الهضبة ، وهى مستطيلة الشكل ، وتضم هذه الوحدات فى الأصل ، بالاضافة الى أحواض روافد وادى حبونة الشمالية الغربية والشمالية ابتداء من أقدام جبال قحطان ؛ المساحات الواقعة بين حوض وادى حبونة من الجنوب ، وحوض الجزء الجنوبى من وادى تثليث ، وتمتد حتى بداية هضبة الوجيد فى الشرق مسافة تبلغ بين ١٠٠ ، ١٢٠ كم . وتقع بالنسبة لمنطقة نجران أيضا فى الشمال والشمال الغربى وذلك الى الشرق من مقاطعة الحَرجَة التابعة لقضاء ظهران الجنوب .

تحتل هذه المنطقة مساحة واسعة تبلغ نحو ٣٥٠٠ كم٢ أى مايزيد عن ثلاثة أخماس مجموع مساحة المناطق الست السابقة . وينحدر سطحها بالقرب من الجبال من ارتفاع ١٧٠٠م عن سطح البحر فى الشمال الغربى عند خط تقسيم المياه بين روافد تثليث وروافد حبونة الى ارتفاع ١٢٠٠م تقريبا فى الشرق عند حافة هضبة الوجيد . ويميل معظم سطحها نحو الجنوب الشرقى حسب الاتجاه العام لروافد حبونة .

ولذلك وجدنا أن هذه الروافد حفرت بعمق شديد ضمن الصخور النارية والمتحولة فى أعاليها ، رغم أنها جرت فى منطقة تتميز بأمطارها القليلة ابتداء من منابعها . إذ تتميز مناطق شعاف السراة التى تقع هذه المنطقة فى شرقها باتخاذها الاتجاه الجنوبى – الشمالى ، وبالتالى بتباعدها التدريجى عن شاطىء البحر وانحرافها عن اتجاه التأثيرات

الجنوبية الغربية الحاملة للرطوبة . فتراجعت خصائص المناخ فى هذه السراة كما مر معنا فى الفصل الخاص بمنطقة عسير وذلك بالمقارنة مع نظائرها من السروات الى الجنوب أو الشمال منها .

ولما وقعت « هضبة بدر » فى ظل المطر بالنسبة لسراة قحطان فتراجعت صفات المناخ فيها كثيرا حتى تحولت الى منطقة جافة بشكل فجائى . وقد ساعد على قحولتها أكثر أن معظم المجارى العليا لهذه الأحواض لم تبدأ من اقليم السراة شأن المناطق السابقة (عالية حبونة ونجران) ، بل بدأت من حدود الهضبة ذاتها ، فزودت وادى حبونة بالقليل من الماء والطمى . وتضاءلت فرصة تشكيل ترسبات نحتية أو مصاطب طموية ، وبالتالى تلاشت إمكانية وجود أراض قابلة للاستثمار الزراعى ، وضعفت مظاهر الاستقرار البشرى خاصة الاستقرار الذى يعتمد على الزراعة .

بلغ عدد سكان هذه المنطقة على اتساع مساحتها ١٣٢٦٦ نسمة فى سنة ١٩٧٤م ، ولاينتظر أن يكونوا قد زادوا خلال الفترة التالية إن لم يكن الاحتمال الاكبر تناقصهم لتعرضهم للهجرة . ولم يشكل المستقرون من هذا العدد سوى ٢٢٤٧ فردا (١٧٪) ، عاش مايقرب من ثلثهم فى بلدة **بدر المضمار** وهى بلدة قديمة جدا ، وكانت مركزا إداريا خلال فترات طويلة فى الماضى ، بفضل ما تتميز به من موقع مناسب على مفترق الطرق ، فكأنها بوابة الولوج الى المناطق الجبلية ومنها الى مناطق مختلفة فى الداخل . ويتوزع باق السكان المستقرون فى ٢٨ قرية صغيرة أي بمعدل ٥٧ فردا للقرية الواحدة .

وهذا يعنى أن البدو ويبلغ عددهم ١١٠٢٠ فردا يشكلون ٨٣٪ من سكان هذه المنطقة ، وهذه النسبة تعتبر من أعلى نسب تواجد البدو فى المملكة . ويعيشون على استثمار الاعشاب التى تتواجد فى مجارى الوديان فى تربية الحيوانات التى يأتى فى طليعتها الأغنام والماعز والجمال ، ويستقرون مؤقتا حول ٢١ موردا ثابتا للماء .

٨ ـــ حوض وادى يدمة (ادما) :

وادى يدمة هو ثالث وديان منطقة نجران ويقع الى الشمال والشمال الشرقى منهما ، وهو أصغرهما وأقلهما أهمية ، لأن جميع روافده تنبع من منطقة الهضبة القليلة الأمطار والواقعة فيما بين روافد وادى حبونة من الجنوب وروافد وادى تثليث من الغرب والشمال الغربى ، وتبعد أطرافها العليا نحو ٥٠ كم عن خط الشعاف .

يتجه الوادى إجمالا من غرب المنطقة باتجاه الشمال الشرقى وينتهى عندما تختفى مياهه عند حافة هضبة الوجيد . ويتخذ حوضه شكلا قريبا من المستطيل ويمتد بنفس الاتجاه ، ويحتل مساحة واسعة تبلغ نحو ٣٠٠٠ كم٢ ، ويتراوح ارتفاعها بين ١٦٠٠م عن سطح البحر تقريبا فى عالية الوادى أى فى جنوبها الغربى و١٠٠٠ م تقريبا فى سافلته عند حافة الوجيد ، ذات الصخور الرسوبية فى حين تتكون أرضه من الصخور النارية والمتحولة .

فلا غرابة اذن ألّا تكون هذه المنطقة صحراوية المناخ فحسب ، بل إنها أكثر جفافا وقحولة وفقرا بالموارد المائية الباطنية وبالتربة من جميع المناطق التى سبق ذكرها . ومن الواضح أن وجود حياة مستقرة تعتمد على الإنتاج الزراعى ضرب من المستحيل ، فيقتصر مستوطنوها على جماعات البدو القليلى الكثافة والذين بإمكانهم استثمار ثروتها العشبية مهما كانت فقيرة . إذ وجد فيها ٨٤٠٠ بدوى استطاعوا استيطانها بفضل وجود ١١ مورد ماء . وقد نما المركز الذى اعتبر قاعدة إدارية للامارة الفرعية وتحول الى قرية كبيرة بلغ عدد أفرادها ٣٥٥ فردا . ووجد فى هذه المنطقة الواسعة ثلاث قرى صغيرة اخرى لم يتجاوز عدد افرادها.مجتمعة ١١٥ فردا ، نشأت كمراكز خدمات على الطرق .

الفصل التاسع

حوض وادى تثليث

هضبة عسير :

نستطيع ان نطلق تعبير هضبة عسير على القسم الهضابى الذى يلى مرتفعات عسير شرقا ، وتقع الى الشمال مباشرة من هضبة نجران وتمتد بنفس اتجاه الجبال من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى مسافة تزيد عن ٤٥٠ كم . وتنتهى حدودها الشرقية عند حافة الدرع العربى وبدء ظهور التكوينات الرسوبية التى تفصل هذه المنطقة عن اقليم الربع الخالى فى الجزء الجنوبى منها ، وعن اقليم عالية نجد فى الجزء الشمالى . وهى تنحصر بين خطى عرض ١٠َ ١٨° ش ، ١٠َ ٢١° ش أى ثلاث درجات عرضية ، وخطى طول ٤٥َ ٤١° ش ، ٣٠ ٤٤° ش .

تتكون المنطقة بأجمعها من هضبة مائلة السطح ، تبدأ الاطراف المرتفعة فيها من نهاية مرتفعات السراة غربا وذلك من مستويات ١٧٥٠ و ١٦٠٠ م عن سطح البحر وتنحدر اجمالا باتجاه الشمال الشرق . وهذا يغاير الاتجاه العام فى منطقة نجران حيث تنحدر الأخيرة نحو الشرق . وقد تحكمت هذه الاتجاهات والتى تأثرت فى الأصل بخطوط البنية خاصة مواقع تجاور الكتل الصخرية المختلفة التركيب فى اتجاهات تصريف المياه . وتهبط فى تلك الاتجاهات الى نحو ١١٠٠ أو ١٠٠٠ م عن سطح البحر .

فهضبة عسير هى جزء من اقليم الدرع العربى الذى تتكون أرضه من الصخور النارية والمتحولة التى تسود فيها مجموعة صخور الجرانيت ومجموعة صخور الشست والصخور المتحولة عن واحد منها . وهى فى غالبيتها صخور متبلورة صلبة تقاوم التعرية كثيرا ، قاتمة اللون ، كتيمة خالية من المسامات أو الشقوق ، وتنعدم فيها عملية تخزين الماء الا على نطاق ضيق جدا ، وذلك فى الصخور السطحية المكسرة والمتهتكة بالنحت .

ونظرا لوقوع الهضبة فى شرق وشمال شرق سلسلة مرتفعات السروات واتجاه انحدارها عامة بشكل عمودى ومعاكس لاتجاه تلك السلسلة ، فهى تقع فى ظل المطر بالنسبة للتأثيرات الجوية الجنوبية الغربية الشتوية . فقد تقهقرت فيها صفات الطقس بشكل شبه فجائى مع بداية تناقص الارتفاعات . فاتصف الاقليم بقلة الأمطار وعدم انتظامها ، وارتفاع وتفاوت درجات الحرارة ، وانخفاض نسب الرطوبة ، وارتفاع نسب التبخر ، وسيطرة الرياح الحاملة للغبار أو الرمال . اى أنها اتصفت بالصفات الصحراوية .

غير أن مجاورتها لسلاسل الجبال ووقوعها خلفها وقيامها بدور امتداد لانحدارات سفوحها ؛ ترك نتائج ايجابية على الجريان المائى والثروة المائية ، بحيث عوضت عن ، وخففت من سلبيات الصفات الصحراوية المذكورة . فتحت شروط توفر الأمطار على المرتفعات ، وتدرج انحدار السفوح الشرقية لها ، وشحة نفاذية صخور المنطقة ؛ لعب الجريان المائى فوق سطح الهضبة دورا هاما فى التوازن المائى . خاصة دوره كمصدر رئيسى لإعادة نقل وترسيب طمى الوديان .

ولكن الجريان السطحى يتباين من سنة لأخرى ومن فصل لآخر ، تبعا لتذبذب الأمطار فى المناطق الجبلية وفى الهضبة ذاتها . ويرتبط الجريان كذلك بمساحة منطقة التغذية فى الإقليم الجبلى ، أى بمساحة الأحواض العليا لتلك الوديان ، والتى تتراوح أمطارها بين ٢٠٠ — ٤٠٠ ملم . وهذا يفسر اختلاف أهمية هذه الوديان بالنسبة لبعضها البعض ، وبالتالى يفسر تفوق وادى بيشة على جميع الوديان الأخرى فى هذا المجال .

يحدث تسرب الماء الى جوف الارض عادة إما مباشرة من الأمطار أو من جريان الوديان ومن الفيضانات بطريق غير مباشر . والأولى قليلة الأهمية فى هضبة عسير بسبب قلة الأمطار على الهضبة . ولذلك يرتبط توزيع الماء الباطنى فى هذه المنطقة مع التصريف السطحى حيث تكون أهم خزاناته فى الاماكن التى تتوفر فيها رسوبيات الطمى على بعض قطاعات مجارى الوديان الرئيسية ، وتتواجد بالدرجة الثانية على السطوح المنحوتة وصخور القاعدة المكسرة أو المتحللة ، والتى يمكن أن تكون مغطاة بطبقة من الطمى مثل قيعان الوديان ، أو معراة كما هى الحال فى المرتفعات ، وهناك خزانات أخرى أقل أهمية فى صخور البازلت التى تتصف بالتشقق .

لقد انتظمت مجارى تصريف هضبة عسير العديدة فى حوضين من أهم أحواض التصريف الداخلية فى المملكة العربية السعودية هما : حوض وادى تثليث وحوض وادى بيشة . ولذلك سنقسم هذه المنطقة الواسعة الى اقليمين لنكمل دراستنا للاقسام الاقليمية لجنوب غرب المملكة ، فندرس أقسام حوض وادى تثليث فى هذا الفصل ، وندع أقسام حوض وادى بيشة للفصل التالى :

١ ـــ حوض وادى تثليث :

يقع حوض وادى تثليث الى الشمال مباشرة من هضبة نجران ، ويتخذ شكل المستطيل فيحتل الجزء الشرقى من هضبة عسير . ومع أنه يتجه من الجنوب الى الشمال ، الا ان اتجاهه هذا ينحرف عن اتجاه سلاسل الجبال ، فيمتد من بين تلك السلاسل فى سراة قحطان فى الجنوب الغربى وبين حوض عالية وادى الدواسر فى الشمال والشمال الشرق ، بطول يبلغ نحو ٣٠٠ كم . وينحصر فى الاتجاه الآخر بين حوض وادى بيشة فى الغرب وبين هضبة الوجيد ذات التركيب الرسوبى فى الشرق بعرض يتراوح بين ١٠٠ - ١٢٠ كم .

البيئة الطبيعية والبشرية فى وادى تثليث :

ينحدر سطح حوض تثليث من نهاية جبال قحطان من ارتفاع ١٨٠٠م ومن شمال هضبة بدر ويدمة من ارتفاع ١٦٠٠م عن سطح البحر ، وذلك فى الجنوب الى عالية وادى الدواسر عند ارتفاع ٩٠٠ و١٠٠٠م ، بعد أن يسير الوادى اعتبارا من أبعد روافده العليا الى مكان اختفائه فى رمال عرق الوادى مسافة تقرب من ٤٠٠ كم . ولايزيد ارتفاع الأرض فى هذه المساحة الواسعة فوق بطون الوديان أكثر من ٢٠٠ أو ٣٠٠ م .

وبالطبع يتمتع هذا الحوض بمناخ صحراوى ، يتدرج فى تزايد الجفاف وارتفاع معدلات الحرارة باتجاه سافلة الوادى متأثرا بذلك بعامل البعد عن خط الشعاف من ناحية وتناقص الارتفاع فى الوادى وفى التضاريس المحيطة من ناحية اخرى ، حتى يبلغ درجة الجفاف الشديد . إذ بلغت معدلات الأمطار فى عالية الوادى (١٤١ ملم) فى مشروفة الواقعة فى وادى طريب وعلى ارتفاع ١٨٢٥م ، وبلغت (١٢٥ ملم) فى المضة الى الشمال بنحو ٤٢ كم فى

نفس الوادى على ارتفاع يبلغ نحو ١٥٠٠ م عن سطح البحر . وفى حين بلغت فى يَعرى فى وادى مِسْياب فى غرب طريب ١٣٧ ملم لم تتجاوز فى تثليث فى شمال المنطقة ٨٢ ملم سنويا .

ولا يصعب علينا – إذا عرفنا أن هذه الكميات المحدودة من الأمطار الساقطة على الهضبة التى تتمتع بارتفاع معدلات الحرارة وبالتالى بارتفاع نسب التبخر – أن نتصور كيف ستكون المنطقة قاحلة تماما ، وأن التوازن بين تحلل التربة وانجرافها سيكون فى صالح الثانية ، ولايبقى سوى قشرة رقيقة لاتكاد تعيل حياة نباتية ملائمة ، الا فى بعض البقع المحدودة المساحة كبعض جوانب الوديان والمنخفضات . وتميل فى أكثر الأحيان لأن تكون مالحة غير خصبة . ولولا أن وادى تثليث الذى تبدأ مجاريه العليا من مرتفعات قحطان ذات معدلات الأمطار المتوسطة الكمية (اذ تقرب من ٣٠٠ ملم) ، تنحدر مياهه منها الى المجرى الرئيسى بسبب عدم نفاذية الصخور النارية والمتحولة فى المنطقة ، والتى لاتمتص شيئا يذكر من المياه ، رغم ما تتعرض له تلك المياه من التبخر سواء فى مجاريها العليا أو أثناء سيرها فى الوديان . ولكن أهم ما فى الأمر أن قسما منها يتسرب أثناء سيرها فى التكوينات الرسوبية التى بناها الوادى مما يحمله من فتات التعرية . فتتجمع وتشكل أغشية مائية تختلف أهميتها من مكان إلى آخر حسب امتداد وأهمية التكوينات الرسوبية التى تختزن فيها . وقد أمكن استثمار بعضها منذ القدم فظهرت الواحات القديمة والتى قد تكون كثيفة ومتعددة فى مناطق ، وقليلة العدد وكثيرا ما تكون متباعدة فى مناطق أخرى . وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنه يمكن تنمية بعض نواحى هذه الوديان بسبب توفر الرسوبيات والغشاء المائى واستثمارها بكثافة تزيد عن استثمارها الحالى .

وفى الأحوال العادية – نظرا لما تتعرض له هذه الأودية من تبخر أو تسرب – فانه لايتبقى فى المجرى صبيب ذو شأن ، الا اذا حصلت فيضانات قوية وهى غير منتظمة التردد ، ومرتبطة بعدم انتظام أمطار المنطقة . وعندها تواصل مياه الوادى الجريان الى أن تضيع فى رمال منطقة « عرق الوادى » ، وهى الرمال التى قطعت طريق المجرى ومنعته من الاتصال بوادى الدواسر حيث كانت تصل اليه فى الماضى وتصب فيه . ومن الجدير بالذكر أن فيضانات وادى تثليث تسبب ارتفاعا واضحا فى منسوب الغشاء المائى فى وادى الدواسر من دون أن تصل اليه ، مما يدل على الصلة القديمة بينهما .

لقد قدرت مساحة حوض وادى تثليث بـ ٢٩٧٨٢ كم٢ اى مايقرب من مثلى مساحة دولة الكويت . كما قدر معدل الجريان السنوى فيه بـ ٤٥ مليون متر ٣[(١)] . وقد استثمر جزء من هذا الحوض مما يقع فى اقليم الجبال (فى مرتفعات قحطان) ، كما استثمرت بعض قطاعات الوادى أو روافده الهامة فى الأماكن التى استطاعت الوديان ترسيب كميات مناسبة من فتات التعرية فى قناة الجريان ، أو فى السهل الفيضى والمصاطب الرسوبية على جوانبها ، متى سمحت بذلك شروط الجريان ، لأنها وفرت بذلك الأراضى القابلة للعمل الزراعى ، وقامت فى نفس الوقت بتخزين مقادير مناسبة لمياه الرى . وقد ازدادت أهمية بعض هذه الواحات بفضل وقوعها على مفترق طرق القوافل ، مثل تثليث . وقد خضعت باقى مساحة هذه الأحواض لتحركات البدو ، وكانت مسرحا لتنقلاتهم الفصلية . وتحولت الآبار التى حفرت منذ القديم فى طمى الوديان الى مواقع الاستقرار المؤقت لهم خاصة فى فترات الجفاف .

امتدت واحات وادى تثليث على امتداد ٢٠ كم من المجرى الرئيسى قبيل سافلته بعرض لايزيد عن ١ كم ، وذلك عند خط عرض ٣٠َ ١٩° ش ، وخط طول ٣٠َ ٤٣° ش تقريبا . وقد توفرت فى هذا المجرى رسوبيات بعمق يقرب من ١٠م ، يملأ الغشاء المائى أكثر من نصفها ، فيتراوح بعد الآبار بين ٢ – ٥م عن سطح الأرض . غير أن مياه تثليث رديئة النوعية نسبيا لأنها تحوى ١٥٠٠ جزء من المليون من الأملاح على الأقل .

وقد امتدت الواحات كذلك فى بعض روافد تثليث الهامة مثل : العرين وطريب والمسياب والسليل ، وتسير جميعها من الجنوب الى الشمال موازية بعضها بعضا وتقع الى الغرب من المجرى الرئيسى بالتتالى . وقد ظهر فى قطاع من كل من مجاريها أربع مجموعات من الواحات تحاذى بعضها بعضا أيضا هى من الشرق الى الغرب : واحات العرين ، وواحات مشروفة والمضة ، وواحات يعرى وواحات خيبر .

تستغل واحات الروافد هذه كمية من المياه تقدر بـ ٥ر٢ مليون متر ٣/ السنة وذلك من ٢٤٤ بئرا محفورة فى الطمى لرى مزروعات المنطقة . أما فيما يلى واحات تثليث الرئيسية شمالا فلا يستفاد من المياه المترشحة فى المجرى بسبب ارتفاع نسبة الملوحة . ولا يبدو أن الاستثمار الحالي للماء فى منطقة تثليث يمكن زيادته الى درجة كبيرة . وإنما يمكن

---

(1) Italcomult (1969): Water Developnment survey. Ibid P.172.

إعادة تنظيمه بحيث ينصح بزيادته وتكثيفه فى بعض الجهات التى تسمح ظروفها بذلك وتقليل استثماره فى مناطق أخرى بسبب فقر التربة وملوحة الماء .

وتفسر هذه الظروف ضآلة النشاط البشرى حيث لم يتجاوز عدد سكان هذه المنطقة الواسعة ٧٧٠٠٠ نسمة قبل تسع سنوات ، ولا ينتظر ان يكون قد زاد بعد ذلك ؛ لأن المنطقة تمثل موطن هجرة ولا تشجع القدوم اليها . وقد بلغ عدد المستقرين فى ٢١٧ قرية مختلفة الحجم والأهمية ١٢٩٠٠ فرد فقط . ولا تحوى هذه المنطقة على سعتها أيضا ولا مدينة واحدة .

وتعنى هذه الأرقام ان نسبة البدو ترتفع الى ٨٣٪ من مجموع السكان وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى مناطق المملكة ، وبالتالى يمكن اعتبار المنطقة ديرة من دير البادية . ومن أجل دراستها تفصيليا لابد من تقسيمها الى عدد من الوحدات ، كل وحدة منها قد تضم قضاء إداريا أو أكثر . ونستعرض هذه الوحدات ابتداء من الجنوب باتجاه الشمال على النحو التالى :

١ ـــ قضاء الأمواه :

ويقع فى جنوب شرق هذه المنطقة وذلك الى الشمال مباشرة من حوضى حبونة وأدمة (اى من شمال منطقة نجران) . ويحتل المجرى الأعلى لوادى تثليث بعد انتهائه من سراة قحطان . ويتكون هذا المجرى من الوديان : ملحة (عالية تثليث) ، وثغر المعا والأمواه وبعض الروافد الصغيرة التى قد ينتهى بعضها حينا تتسرب مياهها القليلة في سهل العمق ، ولا تصل الى تثليث بسبب شدة الجفاف .

يمتد قضاء الأمواه مسافة تقرب من ٨٠ كم من الجنوب الغربى الى الشمال الشرق وبعرض يتراوح بين ٤٠ كم فى الطرف الأول و٨٠ كم فى الطرف الثانى الأكثر صحراوية أى عندما يجاور قضائى تثليث والعين . وتبلغ مساحته نحو ٣٣٠٠ كم٢ .

وبالرغم من قرب الطرف الجنوبى الغربى لهذا القضاء من سراة قحطان ، الا أن اتجاهه يبتعد عن خط الشعاف بشكل شبه عمودى فى الوقت الذى يتناقص فيه الارتفاع ، فيدخل بشكل فجائى فى نطاق المنطقة الصحراوية الجافة . وقد حفرت المياه الساقطة فى الأصل على المناطق الجبلية وانحدرت اليه بسرعة ، وسارت فوق صخور القاعدة الصلبة والعديمة النفاذية حفرت فيها بعمق شديد ، وتحولت المجارى العليا الى خوانق ضيقة ، لم

تتمكن من امتصاص شيء من المياه . كما أنها لم تتمكن من ترسيب فتات التعرية بكميات يمكن أن تتحول بها الى أراض زراعية ، فصارت المنطقة جرداء قاحلة خالية من الواحات والقرى الزراعية رغم ارتفاع السطح الذى يتراوح بين ١٤٠٠ – ١٨٠٠م عن سطح البحر ، ورغم توفر الأعشاب والشجيرات فى الوديان .

وتفسر هذه الظاهرة عدم وجود السكان المستقرين ، وكيف أن جميع سكانها البالغ عددهم حسب الاحصاء الأخير نحو ١٥٤٠٠ فرد كانوا من البدو الرحل . ومن المنتظر أن يكون قد تناقص هذا العدد فى الفترة التالية ، بسبب النزوح والهجرة التى تعرضت لها بوادى المملكة ، وتحول البدو السريع الى الاستقرار فى أماكن أخرى ، خاصة قرب المدن الكبيرة ومراكز النشاط الاقتصادى . وقد امتلك البدو ٥٨ منهل ماء فى هذه المنطقة تمثل مواقع الالتجاء فى الفصول الجافة .

لم يسجل التعداد المذكور فى قضاء الأمواه سوى ٤١ فردا تواجدوا فى قريتين ، كانت احداهما قرية « الأمواه » قاعدة هذا القضاء والتى سميت باسمه ، بل باسم الوادى الذى تقع فى مجراه . وقد نشأت كمحطة فى طريق القوافل بين الحصينية وتثليث ، أو بينها وبين بيشة ، وثانيهما قرية حمضة وتقع بالقرب منها وتخص آل مسفر من قحطان . ويبدو أن الاستقرار فى القريتين كان غير كامل بدليل نزوح سكانهما فى وقت زيارة عدادى مصلحة الاحصاءات العامة اليهما .

٢ ــ القسم الغربى من عالية وادى تثليث :

ويضم الأحواض العليا والوسطى للروافد التى تصب فى تثليث من الجهة اليسرى وهى أهم روافده اي : العرين وطريب ويعرى . وتتجه جميعها من الجنوب إلى الشمال عامة يوازي بعضها بعضا ، وتوازى المجرى الرئيسى الواقع إلى الشرق منها ، والذي تصب فيه بشكل متتابع من ضفته الغربية . فتحتل مساحة كبيرة فى هذا الجزء من عالية وادى تثليث .

يمتد هذا القسم من نهاية مرتفعات سراة عَبيدة ورُفَيدة ويتجه شمالا ، أي باتجاه مجاري هذه الوديان مسافة تبلغ نحو ٤٠ كم ، كما يمتد بالاتجاه الآخر نحو ٦٠ كم كى يضم هذه الأحواض الثلاثة فيما بني قضاء الأمواه من الشرق وقضاء وادى ابن هشبل فى الغرب . وتكاد مساحته تبلغ نحو ثلثى مساحة القضاء السابق .

وبالرغم من وقوع هذا القسم فى غرب القسم السابق « الامواه » وقربه بالتالى من مناطق الشعاف وارتفاع أرضه ؛ الا أنه يخضع من حيث باقى المؤثرات الى ظروف متشابهة . فهو يبدأ مثله من نهاية جبال السراة ، ويقل الإنحدار كلما ابتعد عنها ، وقد نقصت الأمطار وزاد الجفاف وارتفعت الحرارة وتحول فجأة الى منطقة صحراوية ، وقد حفرت الوديان فيه مثل القسم السابق أيضا بعمق شديد ، ضمن الصخور النارية والمتحولة الصلبة وقليلة النفاذية ، وتغلبت عوامل النقل على عوامل الترسيب فتجردت الصخور من التربة أو كادت .

غير أن وديان المنطقة تعمل بعد أن تبتعد عن الجبال بقدر كاف وتخف سرعة الجريان على ترسيب فتات التعرية فى مجاريها الوسطى ، أى قبل أن تلتقى بالمجرى الرئيسى ، فتشكل مساحات محدودة وغير متصلة من المصاطب الرسوبية أو سهول الفيضان ، فأمكن وجود حياة مستقرة وواحات قديمة فيها . هذا فى الوقت الذى خضعت فيه معظم مساحات هذه الوديان لتحركات البدو وكانت مسرحا لنشاطهم الرعوى .

ينتمى سكان القسم الشرقى من هذه المنطقة – أي سكان العرين وطريب – الى قحطان ، كما ينتمي سكان القسم الغربى – أى يعَرى – الى قبيلة ناهش من شهران . وتتكون الفئتان من مستقرين فى قرى تعتمد على الزراعة ، أو بدو رحل يعتمدون على تربية الحيوان . وقد بلغ عدد المستقرين جسب التعداد الماضى ٧٤٠٠ فرد أى أكثر من ٥٧٪ من مجموع المستقرين فى منطقة وادى تثليث كلها . ويتوزع هذا العدد فى ١٣٥ قرية مختلفة الحجم والأهمية ، ولو أنه يغلب عليها بشكل عام القرى الصغيرة الحجم ، إذ بلغ معيدل عدد أفراد القرية الواحدة ٥٥ فردا . ومن الجدير بالملاحظة أنه لايوجد مدن من أى حجم كان ، لافى هذه المنطقة فحسب ؛ بل فى كل إقليم حوض تثليث كله باستثناء بلدة تثليث اذا اعتبرناها مدينة صغيرة .

أما السكان الذين سجلهم التعداد على أنهم بقوا على حالة البداوة فقد بلغوا ١١٦٢٢ فردا فى سنة ١٩٧٤ ، ومن المنتظر أن يكون قد تناقص هذا العدد الآن لتحول معظمهم الى الاستقرار فى مناطق أخرى . ولكن هذه الأرقام تعنى أن البدو يشكلون ٦١٪ من سكان هذه المنطقة . ومع أنهم يتوزعون في مختلف الجهات إلا أنهم يتركزون فى مقاطعة يعرى التى يتواجد فيها نحو ستة أعشار هذا العدد .

ويبدو من المفيد تقسيم هذه المنطقة الى ثلاثة أقسام حسب أحواض الوديان الثلاثة التى تتضمنها ، ولو أن القسمين الأولين وهما العرين وطريب يجمعهما وحدة إدارية منفصلة .

أ – **منطقة العرين** : وتحتل الجزء الشرقى من هذا القسم ، وتقع الى الغرب من قضاء الأمواه مباشرة وتشغل حوض وادى العرين الأعلى والأوسط . يبدأ المجرى الأعلى للوادى من شمال شرق منطقة الجوف التابعة لسراة عَبيدة ، ويتجه شمالا الى أن يبدأ بترسيب فتات التعرية بكميات كافية لتكوين غشاء مائى مناسب ، وصالحة لاخضاعها للزراعة بعد مسيرة ٣٠ كم من عاليته ، وذلك عند خط عرض ٣٠َ ١٨° ش .

نشأت فى هذا الحوض منذ القدم واحات صغيرة اعتمادا على آبار حفرت يدويا فى السهل الفيضي ، وتحول بعضها الى قرى صغيرة يبلغ عددها نحو ٢٠ قرية والتى منها قرية العرين (اى باسم الوادى) ، وقرية الحوطة التى اتخذت قاعدة للقضاء ، فاتسعت وضمت ٤١١ فرداً حسب التعداد الاخير وينتمى السكان – كما ذكرنا – الى قحطان .

ب – **منطقة طريب** : وتحتل الجزء الأوسط من هذا القسم فيما بين العرين ويعرى ، وتشغل حوض وادى طريب الأعلى والاوسط ؛ اذ يبدأ المجرى الأعلى للوادى من سراة قحطان ذاتها ولكن فى موضع يقع الى الغرب من عالية الوادى السابق ، ويخترق منطقة الجوف التابعة لمقاطعة سراة عُبيدة ، والتى تبعد ١٧ كم عن بلدة البوطة قاعدة تلك المقاطعة . ثم يتجه فى منطقة طريب نحو الشمال الى أن يصل مشروفة . وقد استطاع الوادى فى المنطقة الأخيرة تشكيل سهل رسوبى ومصاطب رسوبية ، وذلك على بعد ٤٠ كم من عاليته ، عند خط ٣٠- ١٨° ش ، أى نفس العرض الذى يبدأ فيه سهل العرين الرسوبى ، ولكن الى الغرب منه بمقدار ٢٠ كم . ومثل سهل العرين ظهرت مجموعة من الواحات تمتد بامتداد الوادى مسافة ١٥ كم ، ويضم كل منها مساحة محدودة من الأرض الزراعية ، ومع ذلك فهى تزيد فى المساحة والأهمية وبالتالى فى النشاط البشرى وعدد السكان عن تلك فى وادى العرين .

وتنتظم القرى بشكل خطى مع مجرى الوادى ، ويقع أولها على بعد ٧٠ كم فى شمال شرق خميس مشيط وأهمها من الجنوب الى الشمال : شعيا ومشروفة والفرعة والجدباء والعرفان . وقد يكون أهم هذه القرى مشروفة التى تعتبر بمثابة قاعدة لهذا الوادى . ونظرا لتوسط موقعها فقد أقام قسم الهيدرولوجيا بوزارة الزراعة محطة ارصاد مطرية

لتسجيل ومتابعة التغيرات المطرية فيها . وقد نشأ فيها عدد من الدوائر الحكومية كالإمارة والمحكمة والهيئة والشرطة ومكتب الزراعة ومدارس للبنين والبنات ومكتب بريد ومستوصف .

ومن الجدير بالذكر أن مجموع السكان المستقرين فى قرى زراعية فى كل من وادى العرين ووادى طريب قد بلغوا نحو ٤١٠٠ فرد ، يتواجد معظمهم فى الوادى الثانى ، وقد استقروا فى الواديين فى ٦٠ قرية صغيرة الحجم بلغ معدل أحجامها ٧٠ فردا للقرية الواحدة ، وهى جميعا مرتبطة بالسهل الفيضى فى المجرى . ويعتمد سكان القرى للحصول على مياه الشرب على الآبار وقد بدأ تمديد شبكات مياه صغيرة لبعض هذه القرى .

أما باقى سكان هذه المنطقة والذين يشكلون ٥٣٪ من مجموع سكان الواديين ، فقد سجلهم تعداد السكان على أنهم بدو رحل ، وهم فعلا يتجولون فى جنبات الواديين وروافدهما ، يستثمرون أعشابها في تربية حيواناتهم التى أهمها الاغنام والماعز والجمال ، ويستقرون فى فصول الجفاف حول ١٦ منهلاً للماء محفورة فى طمى الوديان .

ج ـــ **منطقة يَعْرى** :وتحتل الجزء الغربى من هذا القسم فيما بين مقاطعتى العرين وطريب من الشرق ووادى ابن هشبل وخميس مشيط من الغرب . وتشغل حوض وادى المسياب (أو يعرى) وهو أحد روافد وادى طريب الهامة ويقع الى الغرب منه ويوازيه فى مجراه . تبدأ مجارى وادى مسياب العليا من شمال سراة عَبيدة ولكن الى الغرب من منابع وادى طريب ، بل يقع الوادى بين حوض طريب والسليل . وينحدر سطح المنطقة من ارتفاعات تبلغ نحو ٢٠٠٠م ، ويتجه الوادى إجمالا نحو الشمال حافرا بعمق فى صخور القاعدة النارية القاحلة ، ويجردها من التربة ، الى أن تهبط الى ارتفاع ١٧٥٠م عند خط عرض ٤٠ ـ ١٨° ش . وهناك يبدأ الوادى بترسيب مخلفات التعرية مشكلا سهلا فيضيا ضيقا ، يختزن شيئا من فائض مياه الفيضانات ، مما تسبب بظهور الواحات الزراعية ، والتى وجدت فيها القرى ممتدة بشكل خطى مع امتداد المجرى الرئيسى . ثم ينقطع وجود الواحات والقرى فى المجرى الأدنى ، مثل العرين وطريب ، الى أن تنتهى جميعا الى وادى تثليث .

اتصفت قرى هذا الوادى – مثل سابقيه – بانها صغيرة الحجم جدا ، ففى حين بلغ عددها ٧٦ قرية لم يزد عدد سكانها جميعا عن ٣٣٠٠ فرد حسب تعداد السكان

الماضى اى كانت بمعدل ٤٤ فرداً للقرية الواحدة . ومن الملاحظ انه قد يصل عدد أفراد أسرتين أو ثلاث من الأسر الممتدة السائدة فى هذا الاقليم هذا الرقم ، وهذا يفسر كيف أن القرية قد تطورت عن واحة صغيرة تتكون من بستان واحد أو بستانين بسبب ضيق الأراضى الزراعية .

ولما كانت مساحة هذه القرى ومزارعها لاتغطى سوى نسبة ضئيلة جدا من هذه المنطقة ، فقد انتشر فيها البدو حتى يستثمروا مواردها العشبية مما جعل المنطقة ككل تحسب وكأنها ديرة من دير البدو ، حيث بلغت نسبتهم ٦٨٪ من مجموع سكانها ، وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى مناطق المملكة ، ويدل على أهميتها كديرة للبدو كثرة المناهل المائية التى يملكونها حيث بلغ عددها ٥٢ منهلا . ومع أنه يحتمل أن يكون عدد البدو قد تناقص خلال السنوات العشر الماضية ، إلا أنه يصعب علينا أن نتصور زيادة عدد أفراد الريف خلال هذه الفترة أيضا لضعف مواردها .

ومن أهم قرى يعرى قرية « السوق » قاعدة المقاطعة الإدارية ، وهى كما هو واضح من اسمها تقوم بوظيفة السوق الأسبوعى لسكان المنطقة الذين ينتسبون الى قبيلة ناهش من شهران كما سبق ذكره . وتعرف القرية أيضا باسم الإمارة الفرعية أى « يعرى » . وفيها بعض الدوائر والمدارس الابتدائية والمتوسطة .

٣ ــ قضاء المضّة :

يشغل قضاء المضة جزءا من حوض وادى تثليث الأوسط ، يقع الى الشمال مباشرة من المنطقة السابقة (القسم الغربى من عالية وادى تثليث) . وفى هذا الجزء تلتقى أهم روافد تثليث وهى الروافد الغربية فى المجرى الرئيسى اى العرين وطريب ، ويكون يعرى قد التقى بالثانى قبل ذلك .

يتخذ القسم الأكبر من القضاء – وهو القسم الجنوبى – شكل المستطيل الذى يزيد عرضه (شرق – غرب) عن ٤٠ كم ، ويضيق فى الشمال فيتخذ شكل المثلث بحيث يبلغ امتداده (جنوب – شمال) نحو ١١٠ كم ، وينحصر القسم الضيق منه – اى اتجاه رأس المثلث – فى مجرى وادى تثليث عند موقع التقائه أولا بوادى العرين ثم بوادى طريب . وتزيد مساحة هذا القضاء عن ٣٥٠٠ كم٢ .

وبالرغم من أهمية وادى تثليث فى هذا الجزء من المجرى وأهمية روافده الرئيسية ، فان قسوة مناخ المنطقة التى تعتبر جزءا من اقليم الدرع العربى ، تجعل المياه المنحدرة فى الوادى والقادمة فى الأصل من المناطق المرتفعة تتضاءل أهميتها بالتبخر والتسرب حتى تفقد قدراتها على ترسيب المواد الصلبة ، وبالتالى تشح امكانيات ظهور واحات زراعية ذات شأن .

وهذا يفسر وجود ٢٣ قرية صغيرة فقط فى هذا القضاء الواسع لايكاد يصل مجموع سكانها ١٩٠٠ نسمة ، أى اقل من نصف السكان المستقرين فى المنطقة السابقة ، بمعدل يقل عن ٨٥ فردا للقرية الواحدة . وأهم قرى هذا الوادى : المضة قاعدة القضاء وتقع على وادى طريب ، وقرية الصبيخة ، وتقع الى الشمال من موقع القرية السابقة بمقدار ٣٠ كم وعلى نفس الوادى الذى يطلق عليه فى هذا القطاع اسم وادى الصبيخة أيضا . ويوحى هذا الاسم – سواء للقرية أو للوادى – بالصفة الصحراوية التى تتمتع بها هذه المنطقة .

ولكن يقع الى الشمال من الصبيخة مجموعة من القرى ترصع جنبات الوادى بشكل خطى فى وسط المصاطب الزراعية التى تحف بالوادى من جانبيه(١) فعلى بعد ٩ كم شمال الصبيخة توجد القرى : الفاخرية وغليلة ، ثم تتضاءل الأراضي الزراعية وتكاد تنقطع الى أن تظهر مصاطب زراعية من جديد الى الشمال الشرقى من الصبيخة بنحو ١٥ كم وذلك فى « كتنة » عند موضع التقاء عدة روافد بوادى الصبيخة خاصة « لاوية » من الجهة الغربية . وهناك توجد واحة كتنة الى الشمال من جبل طبب .

يطلق على وادى طريب بعد كتنة اسم وادى « جاش »(٢) ، حيث يسير مسافة ١٥ كم باتجاه الشمال الشرقى ثم الشمال فى منطقة قاحلة الى أن تظهر المصاطب الرسوبية والخاضعة للزراعة من جديد ، فتمتد بشكل متقطع مسافة ١٥ كم اخرى فتصل الحوض الأدنى لوادى « جاش » ، وذلك قبل أن يلتقى بوادى تثليث بنحو ٨ كم . وقد نشأ فى وسط المصاطب القابلة للزراعة القرى الصغيرة والتى أهمها قرية المستوية وتقع فى وسطها . ويوجد الى الجنوب من المستوية القرى : الرفايع والريازة والبرقا والسفح (سفح المجرم) . كما يوجد الى الشمال منها : الحزم والحرفين والراكة . وأما قرية الروضة فتقع فى وادى المشاش فى غرب الحرفين .

---

(١) انظر خرائط منطقة تثليث مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ ، عمل شركة آسيا سير فى سيئول كوريا (١٩٧٨ م) .
(٢) جابر الطيب . حول سكان بيشة . مجلة العرب جـ ٦ السنة ٦ ص ٤٧٧ .

يقوم سكان هذه القرى بزراعة الحبوب والخضروات والأعلاف والاشجار المثمرة خاصة النخيل ، ويعمل بعضهم بالرعي ، وقد بدأوا بزراعة الحمضيات والخضروات .

ويبدو أن وادى العرين لم يستطع ان يشكل مصاطب رسوبية فى سافتله مثل وادى طريب بسبب انتهاء فيضاناته قبل أن يصل هذه المنطقة ، فكان خاليا من مواقع الاستقرار ، ولذلك كان مسرحا لتنقلات بدو المنطقة ، وهذا يفسر وجود ٩١٣٥ فردا من البدو فى هذا القضاء حسب ارقام الاحصاء المشار اليه . وقد استفاد هؤلاء البدو من وجود ٢١ منهلا ثابتا للماء . وبهذا الرقم ترتفع نسبة البدو في المنطقة الى ٨٣٪من المجموع ، أى أكثر من نسبتهم فى المقاطعتين السابقتين . ولكن اذا افترضنا ان هذا الرقم نقص خلال السنوات التسع التالية بسبب اتجاه البدو الى الاستقرار فان ذلك لايحملنا على افترض زيادة عدد المستقرين لعدم توفر عوامل الجذب .

٤ ــ قضاء تثليث :

ويقع فى حوض وادى تثليث الأدنى الى الشمال من قضاء الأمواه ، والى الشرق من المضة وبيشة . ويشغل أكثر من نصف منطقة حوض وادى تثليث كله . يبدأ هذا القضاء من شمال سهل العمق عند خط عرض ٥٠َ ١٨°ش ، وحتى خط عرض ٣٠َ ٢٠° ش عند نهاية وادى تثليث ، أى مايقرب من درجتين من درجات العرض . فيمتد مسافة تقرب من ٢٢٠ كم (جنوب – شمال) فيتجاوز حدود هضبة عسير ويشمل مساحة كبيرة فى الزاوية الجنوبية الشرقية لهضبة الحجاز وذلك عند عالية نجد .

يبلغ عرض هذه المنطقة فى قسمها الجنوبى – أى عند محاذاتها لقضاء الامواه – نحو ٣٥ كم ، الا أنه يتسع تدريجيا مع الاتجاه نحو الشمال حتى يصل عرضه ٨٠ كم في الوسط و ١٠٠ كم فى قسمه الشمالى . وتبلغ مساحته نحو ١٣٠٠٠ كم٢ .

ونظرا لبعد هذه المنطقة عن حافة السراة مسافة تتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ كم ، ولأن ارتفاع التضاريس عن سطح البحر يتناقص تدريجيا كلما ابتعدت اكثر عن حافة السراة ، فهى تتناقص باتجاه الشمال من ١٤٠٠م الى مايقرب من ١٠٠٠م ، كما أن مجرى الوادى يتناقص ارتفاعه فى ذلك الاتجاه من ١٢٥٠م الى ٩٠٠م ؛ ولذلك فقد تميز مناخ هذه المنطقة بقسوة صفاته الصحراوية عن جميع المناطق التى مرت معنا حتى الآن ، فقد تفوق عليها فى ارتفاع الحرارة وشدة تباينها وقلة الأمطار وقسوة الجفاف .

ومع ذلك فان المجرى الرئيسى للوادى قد يستقبل – احيانا – ماقد يفيض من مختلف الروافد التى تنتهى اليه من مياه الفيضانات القوية ، بالرغم مما تتعرض له من تبخر وتسرب أثناء سيرها الطويل فى منطقة جافة لاتزودها بشيء من المياه . واستطاع ان ينشيء فى هذا القطاع بعض المصاطب الرسوبية أو السهول الفيضية – ولو أنها قليلة ومتفرقة – وكانت سببا فى ظهور الواحات وفى الحياة المستقرة متمثلة فى عدد من القرى الصغيرة والمتفرقة والتى تمتد طوليا مع امتداد المجرى – أو الأصح – بامتداد السهول الفيضية التى يقتصر وجودها على المجرى ، خاصة عند نقاط التقاء الروافد بالمجرى الرئيسى .

وبصورة عامة نستطيع القول أن المساحات الزراعية تتكاثف ، وان مواقع الاستقرار تتواجد فى قطاع من وادى تثليث الادنى يبلغ طوله ٢٠ كم يقل فيه انحدار المجرى حيث يتدرج من ارتفاع ١١١٠م الى ١٠٨٠م على امتداد هذه المسافة ، فانتشرت بامتداده وفى وسط الحقول المزروعة ٤٨ قرية صغيرة الحجم ، لم يتجاوز مجموع أفرادها جميعا فى سنة ١٩٧٤م ٣٥٥٠ فردا ، بما فى ذلك سكان البلدتين تثليث والخميسة ، اى بمعدل ٧٤ فردا للقرية الواحدة .

وأهم مواقع الاستقرار فى هذا القطاع بالطبع هو بلدة تثليث قاعدة الإمارة ، وهى قرية قديمة كانت تقع على الجانب الشرقى لوادى تثليث عند نقطة تقاطع خط عرض ٣٣– ١٩° ش مع خط طول ٣١– ٤٣° ش ، وذلك الى الشمال من مصب وادى جاش (طريب الادنى) بمسافة ١٩ كم فى وسط القطاع المعمور المشار اليه . ومن ناحية ثانية فقد وقعت تثليث على طريق القوافل الرئيسى الذى يصل نجران ببيشة ثم بالحجاز ، وكذلك الطريق الذى يصل نجران بوادى الدواسر فالرياض .

قد يكون هذا الموقع هو سبب شهرة تثليث القديمة ومبرر اختيارها لتكون قاعدة إدارية لمنطقة واسعة ، والتى كان من نتائجها أنها نمت وتحولت الى بلدة بلغ عدد ساكنيها فى سنة ١٩٧٤م ٤٠٧ أفراد ، وبالتأكيد زاد هذا العدد فى الفترة التالية بسبب استقطابها قدرا من الهجرة . وستزداد أهميتها أكثر فى المستقبل حينما يتم انشاء الطرق المعبدة الحديثة والتى هى قيد الإنشاء وبعضها قيد التخطيط . وقد اقيمت الطرق على خطى طرق القوافل تقريبا .

وتقع قرية الخميسة – وهى تلى بلدة تثليث بالأهمية – على بعد ٨ كم فى شمال تثليث وعند نهاية المساحات المزروعة ونهاية مواقع الاستقرار فى هذا القطاع من المجرى . وفيما بين تثليث والخميسة يتوالى ظهور القرى مع امتداد المجرى وهى : آل مسعود ، وآل سويدان والمشاعلة آل سعد وآل شبوه . ويتوالى ظهور القرى أيضا الى الجنوب من تثليث حيث توجد الغزالة والحرملة والرجع والمدينة وبنى تيمية والوغلة ولاعس .

يندر وجود المصاطب الرسوبية وبالتالى القرى خارج هذا القطاع . ففى جنوبه توجد مساحات محدودة جدا من المصاطب المتفرقة تقع الى الشمال من منطقة الأمواه بمسافة ٢٥ كم ويستمر ظهورها حتى واحة البغبغ التى تظهر عندها أول قرية فى منطقة تثليث من الاتجاه الجنوبى ، وتقع على يمين الوادى فى جنوب شرق جبل سنبلة ، ثم ينقطع ظهور المصاطب مرة اخرى ويستمر كذلك مسافة ١٧ كم ، حتى تظهر من جديد قبيل مصب وادى جاش وفى جنوب قرية لاعس بمسافة ٦ كم .

وفى شمال هذا القطاع يسير وادى تثليث بعد الخميسة مسافة المائة كيلومتر الاخيرة من مجراه فى منطقة قاحلة جدا خالية تماما من مواقع الاستقرار ، زيادة على أن مياهها – ان وجدت – مالحة ، وأعشابها ضعيفة . وينحنى المجرى فى هذا القطاع على شكل قوس كبير الى أن يعتدل اتجاهه الى الشرق قبل ان ينتهى وتختفى معالمه فى الرمال . ومع ذلك لانستطيع أن نعتبر هذه المنطقة خالية تماما بسبب تواجد جماعات البدو فيها .

كما أن جماعات البدو يتواجدون – وبكثافة أكبر – فى القسم الجنوبى والأوسط من هذه المنطقة بسبب تميزها بكثرة الروافد التى تصب فى المجرى الرئيسى من الجانبين وبالتالى بتوافر الأعشاب . ولذلك أمكن تسجيل ٢٩ منهل ماء خاضعة لاستخدامهم ومتناثرة هنا وهناك . وهذا يفسر وجود اكبر مجموعة من البدو بالقياس الى غيرها من الاقضية حيث بلغ عددهم ٢١٢٣٧ نسمة . مما رفع نسبتهم الى ٨٦٪ من مجموع السكان . وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار المنطقة ديرة من دير البدو .

وقد اشتهرت بعض موارد الماء من الماضى كمواطن شبه ثابتة للبدو ، مثل « الحفاير » وتقع فى مجرى وادى الحفاير قرب تثليث . و « النقرة » وهى هجرة لابن عبود من قحطان ، وتقع عند مصب وادى طريب (جاش) . و« بئر الضباع » وتقع فى مجرى تثليث فيما بين الأمواه والبغبغ ، وبئر « مريغان » وتقع فى حوض وادى أضلع الأعلى الى الشرق من تثليث .

٥ ــ قضاء العين :

ويقع الى الشرق من حوض وادى تثليث والى الشمال من حوض وادى أدما التابع لمنطقة نجران ، وفى الشمال الشرقى من قضاء الأمواه (عالية تثليث) . ويحتل مساحة واسعة من سطح الهضبة يمتد طوليا مسافة ١٤٠ كم من الجنوب الى الشمال ، وذلك فيما بين حوض وادى تثليث غربا وهضبة الوجيد الرسوبية شرقا ، وبعرض يتراوح بين ٤٠ – ٦٠ كم . وتزيد مساحتها عن ٥٠٠٠ كم٢ .

وتتكون هذه المنطقة من البروزات الصخرية المتكونة من الصخور النارية الصلبة « صخور القاعدة الجرانيتية » والتى استعصت على التعرية ، والأحواض المنخفضة الموجودة بينها أو بقربها . وتتمثل الأولى بجبال القهر وامتداداتها باتجاه الجنوب . وجبال القهر عبارة عن كتلة صخرية تمتد اكثر من ١٠٠ كم من الشمال الى الجنوب ويتراوح عرضها من الغرب الى الشرق من ٢٠ – ٣٠ كم ، ترتفع فى أطرافها الجنوبية اكثر من الشمالية ، حيث يتراوح هذا الارتفاع بين ١٣٠٠م و١٥٠٠م . وترتفع بعض القمم الى ارتفاعات تزيد عن ذلك مثل جبل ريا الواقع عن تقاطع خطى عرض ٢َ ١٩° ش وطول ٤٩َ ٤٣° ش ، والذى يبلغ ارتفاعه ١٧٧٦م ، وجبل لَهوة ويقع الى الشرق منه ويرتفع الى ١٦١٣م ، وجبل الحصان ويقع إلى الشمال منه ويتكون سطحه العلوى من فرعة شبه مستوية ، يبلغ ارتفاعها ١٦٨٠م وتنحدر الوديان من أطرافها فى جميع الاتجاهات .

يتناقص ارتفاع جبال القهر تدريجيا باتجاه الشرق الى أن تصل عند أطرافها الى ١١٠٠ أو ١٠٠٠م . ولذلك فانه يصرف مياهها وديان صغيرة يتجه معظمها نحو منخفض المريبخ ويقع فى وسطها الشرق . ولكن تنحدر الوديان فى الطرف الجنوبى الغربى لهذه الكتلة حيث توجد أعلى المرتفعات مثل جبل لهوة وجبل ريا فى اتجاهات مختلفة ، مثل روافد وادى « رخيمان » التى تبدأ من السفوح الشمالية للجبال ، وروافد وادى الحجر التى تبدأ من سفوحها الغربية ، وبعض روافد وادى لهوة وتبدأ من سفوحها الجنوبية ، ومع ذلك تلتقى هذه الروافد مع بعضها الى أن تنتهى الى تثليث . أما روافد وادى النعام ، والتى تبدأ من سفوح الجبال الشمالية الشرقية ، فتتجه نحو الشمال ثم الشمال الشرق وتنتهى إلى منخفض المريبخ ، وأما السفوح الجنوبية الشرقية ، فتنحدر منها روافد خيور حينا وتتجه نحو الشرق عند النهاية الجنوبية لهذه الكتلة وتنتهى الى هضبة الوجيد .

لم تستطع عوامل التعرية التى خضعت لها هذه الكتل الصخرية عشرات ، بل مئات الملايين من السنين الا ان تحفر الأودية المذكورة وتجرح سطحها وتعمق مجاريها وتجردها من التربة ، فظهرت السلسلة شامخة جرداء شبيهة بجبل شمر (أجا وسلمى) بل أعتى وأضخم منها . وهى اكثر جفافا وقسوة فى الطقس وقلة فى الأمطار وضمورا فى الغطاء النباتى ، وليس بها مايغرى على حياة الاستقرار .

بلغ مجموع سكان منطقة العين – بما فى ذلك سلسلة جبال القهر على اتساعها – ٦٦٤٥ فردا فى سنة ١٩٧٤ جميعهم من البدو الرحل باستثناء ١٣٨ فردا سجلهم التعداد من المستقرين فى قريتين صغيرتين : الأولى هى « العين » وهى قاعدة الإمارة الفرعية وقد سميت باسمها . ويبدو أنها نشأت كهجرة لشيخ القبيلة وجماعته . ويرد البدو ٢٤ منهل ماء تعتبر مواقع الاستقرار الفصلى لهم حيث يلجأون اليها فى فصل الجفاف .

الفصل العاشر

حوض وادى بيشة

يقع حوض وادى بيشة الى الغرب والشمال الغربى من حوض وادى تثليث ، فيحتل الجزء الغربى من هضبة عسير ، ويحاذى نهاية سلسلة جبال عسير والحجْر ، ويفصلهما عن حوض تثليث . ويبلغ الامتداد الطولى لهذه المنطقة من الجنوب الى الشمال نحو ٢٥٠ كم . وفى حين لايتجاوز عرضها فى القسم الجنوبى منها ٤٠ كم ، فانه يتسع فى القسم الشمالى فيزيد العرض عن ١٠٠ كم . وتبلغ مساحة هذا الحوض اكثر من ١٥٠٠٠ كم٢ أى نحو مساحة الكويت .

البيئة الطبيعية :

تبدأ المجارى العليا لوادى بيشة من السفوح الشمالية لسراة عبيدة ورفيدة ويتجه باتجاه الشمال تقريبا . ومع أن بيشة يناظر وادى تثليث من هذه الناحية ، حيث يبدأ من سفوح السراة من مكان يقع الى الغرب من مبادىء الأول ويوازيه فى مجراه وفى اتجاهه العام ، إلا أنه يتميز عنه بقرب مجراه العام من الأطراف الداخلية للسراة ، وأنه يقطع معظم طريقه وهو يستقبل العديد من الروافد تنحدر اليه من السفوح الشرقية لسراة عسير وسراة الحَجْر وسراة بالقْرن . وبالاضافة الى أن مناطق تغذيته واسعة فانها تعتبر من أغنى مناطق المملكة بالأمطار ، فتغذيه بالتتابع بالمياه وبما تحمله من رسوبيات .

يدخل وادي بيشة هضبة عسير من جهة الجنوب الغربي حيث يكون ارتفاع التضاريس ١٨٠٠م عن سطح البحر ، اي اكثر مناطق الهضبة ارتفاعا ، وذلك من حواف السفوح الشمالية والشمالية الشرقية للسراة التى ترتفع قممها الى مايزيد عن ٢٢٠٠م ، ثم يتناقص ارتفاع الهضبة باتجاه الشمال الشرقى ، ويقل ارتفاع المجرى كذلك وهو يسير بحذاء امتداد حواف السراة شمالا ، الى أن يصل ارتفاعه الى نحو ٨٠٠م قرب

نهايته دون أن يتناقص ارتفاع السروات التى تجاوره ، بعد أن يكون قد قطع مسافة تزيد عن ٣٠٠كم . وهناك ينحني وادى بيشة - مثل تثليث - انحناء كبيرا حتى يتعدل اتجاهه نحو الشرق . ويبتعد عن خط السراة بشكل عمودى قبل أن تنتهى مياهه فى منطقة رملية واسعة فصلت طريقه عن تثليث . وهذا يعنى أن فارق الارتفاع بين أعلى السراة ومجرى الوادى يتزايد بالاتجاه نحو المصب .

وقد ادت هذه الطبوغرافية إلى تدرج المناخ من الصفات شبه الجافة فى الأطراف الجنوبية للهضبة ، الى الصفات الصحراوية القاحلة حينما تصبح فى ظل المطر تماما فى الأطراف ، وتبتعد وتنحرف عن هبوب الرياح الرطبة سواء الجنوبية الغربية صيفا أو الشمالية الغربية شتاء (أمطار بنى ثور ١٣٥ ملم ، صمخ ١٢٠ملم ، تباله ١١٨ملم ، بيشة ١٢٣ملم) .

ولما كان حوض وادى بيشة يتكون جميعه ابتداء من مجاريه العليا فى السراة وحتى نهايته من صخور القاعدة النارية والمتحولة ، التى تتركب فى الغالب من صخور الجرانيت والديوريت والجابرو والميكاشست والجنايس ، التى تتصف بالصلابة والمقاومة الشديدة لعوامل التعرية وانعدام النفاذية ؛ فقد تغلبت عوامل النقل على عوامل النحت والترسيب ، حتى ظهرت الأرض فى مساحات واسعة وكأنها مجردة من الغطاء المفكك أو التربة ، وعجزت عن امتصاص شيء من مياه الأمطار ، فتوجهت الى المجارى لتقوم بالجريان السطحى الى أن تنتهى بالتبخر أو التسرب . وكانت النتيجة أن شقت هذه الوديان طريقها فى تلك الصخور بعمق شديد .

ان غزارة الأمطار فى مناطق تغذية المجارى العليا وانعدام نفاذية الصخور وكثرة الروافد التى تصل المجرى الرئيسى تباعا جعلت الوديان تترع بالمياه ، وأن تكرر الفيضانات سببت جريانا شبه دائم بالمياه ، حتى صار وادى بيشة أعظم وديان المملكة من حيث معدل الصبيب السنوى وأكثرها انتظاما بالجريان . لقد سبق لشركة أتالكونسلت أن قدرت معدل الجريان السنوى فى وادى بيشة بـ٧٠ مليون متر مكعب(١) وهذا يعادل مجموع معدلات الأودية الثلاثة نجران وحبونه وأديما مجتمعة . ولايدخل ضمن هذه الكمية ما يستثمر من مياه بيشة فى مناطق أبها وخميس مشيط وبنى ثور .

---

(1) OP. Cit. P. 34- 70.

يستغل الماء الباطنى فى وادى بيشة أكثر من أى مكان آخر فى إقليم الدرع العربى ، خاصة فى مجرى الوادى الذى يمتد ٦٠ كم بعد نقطة التقائه برافده ترج . ويوجد الماء إما فى طمى سهل الفيضان الذى يغطى مساحة واسعة تمتد بجوار مجرى الوادى ، ويتكون بشكل رئيسي من سلت ورمل طيني يزيد سمكه عن ١٢م ، ويوجد تحته طبقة من الرمل والحصى يتراوح سمكها بين ١٠ – ٤٠م ؛ أو يوجد فى طمى المجرى فى بطن الوادى ويتكون من رمل خشن وحصى مع حجارة مبعثرة يختلف سمكها بين ١ –١٥م ، وتغطى طبقة الرمل والحصى التى تمتد تحت رسوبيات سهول الفيضان .

وقد حسب حجم الطمى بين الحيفة والجنينة فكان ١٣٦٣٢ مليون متر مكعب وحجم الجزء المبلل منه ٦٧٠٠ مليون م٣ ، وقدر حجم الماء المخزون فيه بـ ١٣٠٠ مليون م٣ ، كما قدر حجم السحب فى سنة ١٩٦٧ بمقدار ١٣١ مليون م٣[1] ، وقد ازداد حجم استنزاف الماء تصاعدا خلال الخمس عشرة سنة التالية بسبب انتشار استعمال المضخات وحفر آبار جديدة لاستعمالها فى الزراعة .

يحصل تخزين مباشر فى وادى بيشة مرة كل ٣ – ٤ سنوات ، ويتجه التخزين غير المباشر الى الطمى الذى يملأ مجارى الوديان ، فتميل الفيضانات المتوسطة الى ترشيح كميات كبيرة من مياهها قبل أن تصل الى نهاية المجرى ، ويمكن للفيضانات الكبيرة ان تصل الى نهاية الوادى فى فترات نادرة ، وتترشح فى السبخات أو الخبرات الواقعة قبيل وادى الدواسر ، فتتبخر أو تستهلكها النباتات .

يرتفع مستوى الماء الباطنى بفضل التخزين ، وينخفض فى الفترات الجافة بسبب استمرار تدفق مياه الآبار ، ويعود ذلك أيضا الى انخفاض قيمة الجريان الداخلى الناتج عن انخفاض التدرج الهيدروليكى للخزان . فيتراوح بعد الغشاء المائى فى بيشة بين ٤م على طول المجرى الرئيسى الى ٢٠م فى سهل الفيضان المحاذى للوادى تقريبا .

ومع أن نوعية مياه بيشة جيدة – إذ تتراوح الأملاح بين ٤٠٠ – ١٠٠٠ جزىء في المليون ، ، وتتزايد فى السهل الرسوبى مع تزايد البعد عن المجرى – إلا أنها تميل لأن تحوى كمية من الكبريتات والصوديوم أعلى من الحد العادى . وقد استثمرت هذه المياه منذ زمن بعيد في الواحات القديمة . لكنها أخذت فى التوسع والامتداد بفضل التوسع بحفر الآبار .

(1) Italconsult- Ibid. p. 170.

نشاط السكان :

يؤخذ من نتائج التعداد الزراعي الشامل الذى تم فى عام ٧٣ / ١٩٧٤م أنه يوجد فى المناطق التابعة لإمارة بيشة من منطقة حوض الوادى ٤٥١٦ حيازة زراعية ، بلغت مساحتها ١١٩٨٨٧ دونما ، وقد زرع منها فعلا فى ذلك العام ٧٣٩٦٢ دونما فيما بين مزروعات دائمة أو مؤقتة ، وتعتمد جميعها على الرى من الآبار المحفورة فى طمى الوديان أو من السيول وبلغ مجموع السكان الزراعيين فى ذلك الوقت ٢٥٤٤٥ نسمة(١) .

ومن المؤكد ان مساحة الأرض الزراعية زادت خلال الفترة التالية لتاريخ هذا التعداد بسبب زيادة عدد الآبار المنتجة ، وتحول البعض الموجود الى استعمال المضخات ، وبالتالى زاد عدد السكان الزراعيين فى منطقة الوادى . وارتفع مستوى الأداء الزراعى بفضل التوسع فى استعمال الآلات الزراعية والقوى المحركة ، والاستفادة من الإرشاد والتوجيه والتشجيع الحكومى . ولكن يجب ألا ينسينا هذا الحقيقة التى اتضحت من عرض هذه الارقام وهى أننا مهما بالغنا فى التنبوء بها ستظل تشكل جزءا يسيرا بالقياس الى مساحة الحوض عامة ، وأن المجال الزراعى لن يحتل المرتبة الأولى من بين المجالات الانتاجية .

فمنذ الماضى البعيد نافست مهنة تربية الحيوانات الانتاج الزراعى وتفوقت عليه ؛ فمن ناحية اضطر جميع المزارعين الى تربية الحيوانات فى مزارعهم لتساهم فى مستوى دخلهم ولتساعدهم فى أداء أعمالهم ، دون أن تكلفهم شيئا يذكر من التكاليف أو الوقت خاصة الأبقار والأغنام . ومن ناحية اخرى اقتضت الظروف الطبيعية للوادى انتشار البدو فى جميع أرجائه ، فارتفعت نسبة تواجدهم فى المناطق حتى المناطق الزراعية الى مايزيد عن ٥٠٪ من مجموع سكانها .

قد يسهل علينا تصور هذه الحقيقة إذا اتخذنا توزيع السكان بين الانماط الاجتماعية ، وتوزيعها بين المناطق المكونة للوادى كمؤشر لأهمية كل منها الماضية والمستقبلة ؛ لقد بلغ عدد سكان هذه المنطقة فى ذلك الوقت ١٠٠,٠٠٠ نسمة(٢) . فاذا افترضنا ان

---

(١) وزارة الزراعة والمياه . شعبة الاحصاء الزراعى . نتائج التعداد الزراعى الشامل ٧٣ / ١٩٧٤ . الجزء الخامس .

(٢) حسبت نسب السكان من واقع أرقام التعداد العام لسنة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

مساحتها تبلغ نحو ١٥٠٠٠ كم٢ ، فإن الكثافة السكانية لاتصل الى سبعة أفراد فى الكيلو متر المربع الواحد . وهذا الرقم وإن كان يزيد عن معدلها في المملكة بل يبلغ مثليه فهو يعتبر صغيرا ، ولا يوجد نظير له الا فى المناطق الصحراوية .

ولكننا اذا حسبنا الكثافة الفيزيولوجية بأن ننسب السكان الى مساحة الأرض الزراعية يرتفع هذا الرقم الى ما يقرب من ١٠٠٠ فرد للكيلو متر المربع الواحد من الأرض الزراعية . وهذا يعنى أن المنطقة إذا اريد منها أن تكفي نفسها من الغذاء فان على الكيلو متر المربع الواحد ان ينتج مايكفى ١٠٠٠ فرد ، الأمر الذى لايمكن تحقيقه . فوجود ١٠٠ كم٢ من الأرض الزراعية فى حوض وادى بيشة الأوسط والادنى يعتبر رقما هزيلا جدا ؛ ولو أن الغرض من هذا الحساب هو ان يكون حافزا لتنمية الموارد الزراعية الى الحد الأقصى . مع العلم ان هذا النمو سيتوقف عند حدود امكانيات توفر المياه والتربة الزراعية . ولكنه اذا تحقق فسيخفف من العبء الملقى على استيراد المواد الغذائية .

لقد توزع هذا العدد من السكان بين البدو والريف وسكان المدن حسب النسب ٥٤٪ ، ٣٢٪ ، ١٤٪ ، على التوالى . فاذا كان عماد حياة البدو جميعا هو تربية الحيوانات ، فان نصف الريفيين فقط يعتمدون على أعمال شبيهة بتلك التى يقوم بها سكان المدن . أما المدينة الوحيدة فى هذا الوادى فهى مدينة بيشة التى بلغ عدد ساكنيها فى ذلك الوقت ١٤٠٠٠ نسمة ، ومن المؤكد أنها تزيد اليوم عن ٢٠٠٠٠ نسمة . ومن المؤكد كذلك أن جميع هذه النسب قد تغيرت الآن لصالح سكان المدن وعلى حساب عدد البدو بالدرجة الأولى .

كانت بيشة تشكل وحدة إدارية قائمة بذاتها يطلق عليها اسم « إمارة بيشة » ، وتضم بالاضافة الى الحوض الأوسط والادنى لوادى بيشة جزءا من المنطقة الجبلية (السراة) وذلك فى عالية وادى تبالة وهى بلاد بالقرن وشمران وجزءا من عالية وادى رنية (خثعم) ، وتقع فى المساحة الفاصلة بين إمارتي عسير والباحة . وقد ضمت إمارة بيشة بأجمعها الى إمارة عسير فى سنة ١٣٩٤هـ ، وأصبحت مع توابعها إمارة فرعية منذ ذلك الوقت ، وتعود فى شؤونها الإدارية الى أبها قاعدة الإمارة .

ونظرا لتنوع صفات هذه المنطقة واتساع مساحتها ، ووجود تقسيمات إدارية فرعية أمكن تقسيمها الى عدد من الأقسام الجغرافية يمكننا تتبع دراستها على النحو التالى :ـــ

١ ــ الحوض الأوسط لوادى بيشة :

ويمتد بشكل أشبه ما يكون بالمستطيل حول المجرى الرئيسى لوادى بيشة بعد خروجه من منطقة المرتفعات الجبلية وسيره على سطح الهضبة الداخلية ، وذلك من شمال منطقة خميس مشيط عند خط عرض ٣٠ - ١٨° ش ، الى أن يصل خط عرض ٣٠ - ١٩° ش تقريبا . فيقطع خلالها مسافة تزيد عن ١٢٥ كم ، ويبلغ عرض المنطقة فى الجنوب نحو ٤٠ كم ، ولايلبث أن يتزايد هذا العرض فى الشمال الى أن يبلغ ٦٠ كم ، فتبلغ مساحة المنطقة حسب هذه القياسات نحو ٦٠٠٠ كم٢ تقريبا .

تنحصر هذه المنطقة فيما بين مرتفعات سروات عسير وبالّحمر وبالّسمر وبنى شهر وبنى عمرو من الجهة الغربية وبين حوض وادى تثليث من الجهة الشرقية . وبالرغم من أن وادى بيشة يتجه فى هذا القطاع نحو الشمال مع ميل بسيط نحو الغرب فانه يبتعد شيئا فشيئا عن خط المرتفعات بسبب انحراف اتجاه المرتفعات ذاتها نحو الشمال الغربى أكثر من انحراف اتجاه الوادى .

وبالاضافة الى ذلك فان سطح التضاريس يهبط شيئا فشيئا فى هذا الاتجاه ، إذ يتراوح الارتفاع بشكل عام بين ١٨٠٠م فى بلاد ابن هشبل وبين ١١٢٥م فى بيشة بعد نهاية هذه المنطقة بنحو ٣٠ كم . وينتج عن ذلك أن اتجاه الحوض وتناقص ارتفاعه تجعله فى وضع يزداد انحرافا عن اتجاهات الرياح السائدة الرطبة ، والتى تسبب سقوط الأمطار على المرتفعات ، ويصبح الوادى فى ظل المطر وتتفاقم صفاته سوءا بالاتجاه نحو المصب شمالا . وهذا ما سبب تقهقر صفات الطقس الى درجة الصحراوية فى هذا القطاع من الوادى . فارتفعت درجات الحرارة وزادت السعة الحرارية وتناقصت الرطوبة ، ووصلت معدلات الأمطار الى ١٣٥ ملم فى بنى ثور والى ١٠١ ملم فى خيبر والى ١٣٠ ملم فى الحيفة ، ١١٢ فى بئر ابن سرار .

ومع أن وادى بيشة يصل الى هذا القطاع من المجرى ويكون قد استقبل كميات كبيرة من مياه الفيضانات ، بسبب كثرة الروافد المنحدرة من المناطق الجبلية المحاذية للوادى من الجهة الغربية والتى تسقط بها أمطار بمعدلات تزيد عن ٣٠٠ ملم ، وتسبب تجمعها فى المجرى الرئيسى وجريانها فيه ؛ إلا أن شدة انحدار المجرى فى هذا القطاع وصلابة صخور القاعدة النارية التى يمر منها ، تجعل قوى الحمل تفوق قوى الترسيب وتتصدر عوامل التعرية مما حرم الوادى من تشكيل سهول طموية أو مصاطب فيضانية

ذات شأن على جوانبه أو جوانب روافده الهامة ، فتضاءلت امكانيات الانتاج الزراعى وصغرت الواحات وتناثرت ، وسيطرت الصفات الصحراوية على الإقليم .

وتساعد هذه الظروف على تفسير قلة عدد سكان هذا القطاع من الوادى وتخلخلهم بالقياس الى مساحته العامة من ناحية ، ومن ناحية أخرى تضاؤل أهمية السكان الريفيين أو المستقرين عامة وارتفاع شأن البدو وسيطرتهم وانتشارهم فى أحواض روافد هذا الوادى لاستثمار الثروة العشبية الناتجة عن مياه الجريان أكثر من مياه الأمطار .

تتكون هذه المنطقة الواسعة من ثلاث وحدات إدارية تابعة هى (١) وادى ابن هشبل وكانت تتبع إمارة عسير من السابق و(٢) خيبر (٣) صمخ ، وتتبعان إمارة بيشة . بلغ عدد سكان هذه الإمارات الفرعية : ٣٣٣٠٠ فرد حسب تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م ، وبالرغم من قلة هذا العدد فلا ينتظر أن يكونوا قد زادوا كثيرا خلال الفترة التالية ، بسبب ميل أكثرية الأفراد الى الهجرة منها ، وهى لم تشهد من المشاريع مايغرى على البقاء فيها أو الى الهجرة اليها .

ومما يؤيد هذا الاعتقاد أن عدد المستقرين فى قرى لم يتجاوز ٧٢٠٠ فرد ولايوجد فيها مدينة أو بلدة ، ويعتمد قسم منهم على زراعة مساحات محدودة في سهول الوادى الطموية ، وذلك بريها من آبار محفورة فى الطمى فيزرعون النخيل والأعلاف بالدرجة الأولى . كما يعتمد القسم الآخر على الخدمات التى يقدمونها للمسافرين بحكم وقوع قراهم على الطرق البرية ، أو يعتمدون على التجارة أو النقل .

أما باقى السكان وتصل نسبتهم الى ٧٨٪ من المجموع فهم من البدو الرحل وهى من أعلى نسب تواجد البدو فى مناطق المملكة وتشبه ظروفها بذلك ظروف تثليث من هذه الناحية . وهذه المناطق الفرعية هى :—

أ ــ وادى ابن هشبل : وتشكل بداية المجرى الأوسط لوادى بيشة من جهة الجنوب ، وتقع الى الشمال من قضاء خميس مشيط ، وذلك فيما بين بلاد باللحمر الجبلية فى الغرب وبلاد يعْرى فى الشرق . وتشمل قطاعا من الوادى يبلغ طوله ٤٠ كم (شمال – جنوب) ويغطى مساحة ١٠٠٠ كم٢ ، من حوض الوادى بعد ان يبتعد عن سفوح السراة . تتقهقر فيه ظروف المناخ وتتحول الى الصحراوية . وزيادة على ذلك لم يتمكن من ترسيب كميات معتبرة من فتات التعرية الحاملة للغشاء المائى والصالحة للزراعة ، الا بنسب متواضعة ، فنشأت فيها واحات ضعيفة متباعدة كانت أساسا لظهور قرى صغيرة متفرقة .

بلغ عدد القرى فيها ٥٥ قرية لم يتجاوز مجموع ساكنيها ٣٠٤٠ فردا ، أى بمعدل ٥٥ فردا للقرية الواحدة ، ينتمون جميعا الى قبيلة شَهران الذين تسمَّى الوادى باسمهم . وتَسمَّت الإمارة التابعة باسم أحد شيوخ القبيلة التى تسكنها وهو ابن هشبل من شهران .

وقد اقتضت هذه الظروف أن ينتشر البدو فيها ليستغلوا تلك الوديان غير الصالحة للزراعة ، ولكنها غنية بالاعشاب لكثرة تردد الفيضانات ، فى تربية حيواناتهم والتى أهمها الأغنام والماعز والإبل . يدل على كثافة وأهمية تواجد البدو كثرة مناهل الماء التى يعتمدون عليها ؛ حيث أمكن تعداد ٦٤ منهلا ، كما يدل عليه أيضا التفوق العددى للبدو على المستقرين حيث بلغوا مثليْ عددهم أو يزيد (٦٩٪ من المجموع) .

لقد اتخذت قرية « بنى ثور » لتكون قاعدة هذا القضاء ، وهى أكبر وأهم قراه وقد تكون أقدمها كذلك . وفى حين لم يتجاوز عدد ساكنيها ١٥٠ فردا قبل تسع سنين أخذت تنمو وتتسع لاضطلاعها بالوظيفة الإدارية والتجارية زيادة على وظيفتها الزراعية السابقة . وتقع على الضفة اليسرى من مجرى وادى بيشة الرئيسي وعلى بعد ٣٥ كم فى شمال مدينة خميس مشيط وعلى ارتفاع يصل ١٨٠٠م عن سطح البحر .

وتقع قرية غريرة على ضفة الوادى اليسرى أيضا على بعد $\frac{1}{2}$ ٢ كم فى شمال غرب بنى ثور ، وعلى امتداد المنطقة المزروعة فى مصاطب الوادى . أما قرية المَضّة (وهى غير المضة فى وادى طريب) فتقع على جانب أحد الروافد المنحدرة الى الوادى من الجهة الغربية ، وذلك الى الجنوب الغربى من بنى ثور بمسافة ٥ كم تقريبا . وهناك عدد من القرى الأخرى بعضها لشهران وبعضها لبنى عمرو فى شرق منطقة بالّحمر الجبلية .

ب ـــ خيبر : وتحتل قطاعا من حوض وادى بيشة الأوسط مع جزء مجاور من حوض وادى تثليث ، وتقع فى شمال قضاءى إبن هشبل ويَعْرى . فبالاضافة الى المجرى الرئيسى لوادى بيشة تضم منطقة خيبر حوض وادى المسيرق الذى يتكون من اجتماع ثلاثة أودية هى : الشّيق وخيبر والسّليل ، وبعد اجتماعها يدعى وادى الثفن ، ويتجه نحو الشمال الشرقى ليصب فى تثليث ، ويقع الى الشرق من وادى بيشة الذى يتجه أيضا نحو الشمال . فتقع منطقة خيبر إذن فيما بين قضاء المضة من الشرق وقضاءى تنومة والنماص الجبليتين من الغرب .

وفى الوقت الذى عجز فيه وادى بيشة عن بناء مصاطب رسوبية ذات شأن فى هذا القطاع ، استطاع وادى المسيرق ان يبنى فى روافده الرئيسية وبعد اجتماعها بعضا منها وبمساحات مقبولة ، كانت عمادا لعدد من الواحات ، بعضها قديم جدا كواحات خيبر الجنوب ، فنشأت القرى فى تلك الواحات على امتداد المجرى مسافة تقرب من ٤٠ كم غير متصلة . وقد ساعدت هذه الظروف على نشأة الهجر الحديثة بفضل استقرار البدو ، بحيث بلغ عدد قرى هذه المنطقة ٣٠ قرية ، أهمها « خيبر » قاعدة هذا القضاء وكانت تضم ٣٧٢ فردا فى وقت تعداد السكان . ومن المتوقع أن تكون قد نمت واتسعت فيما بعد بدليل افتتاح مدرسة متوسطة فضلا عن الابتدائية وعدد من الدوائر الحكومية الأخرى وانتشار الخدمات .

وتقع قرية « رغوة » فى عالية وادى الشيق الى الجنوب من خيبر مسافة ١٢ كم ، وتقوم بوظيفة محطة للسيارات على الطريق غير المعبد بين خميس مشيط وتثليث ، وهى أقرب المحطات الى يَعرى التى تليها بعد ٩ كم الى الشرق وعلى نفس الطريق . وينتمى سكان وادى الشيق – الذى تقع فيه أيضا القرى : النقع والفيضة والميثاو– إلى كود من شهران ، فى الوقت الذى ينتمى فيه سكان خيبر الى بنى واهب من شهران . ويلى رغوة شمالا قريتا البَردان والعُمار وأهلها من الصوح من شهران ، وكذلك بريم وتقع جنوب خيبر .

تتتابع القرى فى شمال خيبر بشكل خطى مع امتداد الوادى مثل : الطلاح ، وواسط وحمض وقضّا والمباريش والحرفين والبغث والجزيرة وهى آخر هذه القرى باتجاه الشمال . وتقع قرية البطنة فى وادى بيشة الى الغرب من خيبر . تبنى هذه القرى بيوتها من الطين على شكل أحواش واسعة فى أحد زواياها برج ، يتكون من طابقين فى الغالب يستعمل السفلى لايواء الحيوانات شتاء ، ويستعمل العلوى لخزن المؤن صيفا ، الى جانب وظيفته القديمة للمراقبة والمقاومة .

بلغ عدد أفراد هذه القرى جميعا بما فيها بلدة خيبر ٢٨٨٠ فردا فقط فى وقت التعداد ، ويعتمد معظمهم على الانتاج الزراعى خاصة الحبوب كالقمح والشعير والذرة ثم النخيل . وتعتبر منطقة خيبر آخر حدود زراعة النخيل بوادى بيشة باتجاه عاليته فى الجنوب أى أنها آخر حدود « بيشة النخل »* .

* يقسم وادى بيشة الى قسمين يعرف الأول الذى يقع باتجاه سافلته « بيشة النخل » والثانى وهو عالية الوادى ويعرف « بيشة القمح » .

ولكن منطقة خيبر تحوى نحو مثلي هذا العدد من البدو الرحل (٥٢٢٣ فردا) يملكون ثمانية مناهل للماء .

ج ــ **صمخ** : وتقع الى الشمال من قضاء خيبر ، وتضم قطاعا آخر من المجرى الرئيسى لوادى بيشة وحوض وادى هرجاب الذى يعتبر أهم روافده التى تنبع من الهضبة وتصب فيه من جهة اليمين . إذ تنبع مجاريه العليا من غرب خيبر ويتجه نحو الشمال موازيا وادى المسيرق ويقع بينه وبين المجرى الرئيسى لوادى بيشة ، ويواصل مجراه الى أن يصب فى الأخير قرب قرية الحيفة ومقابلا لمصب وادى ترج بعد مسيرة ١٢٥ كم تقريبا . وتقع واحة صمخ فى منتصف هذه المسافة .

يتوسط قضاء صمخ بين قضاء المضة من الشرق وقضاءي بنى عمرو والحازمى من الغرب . ويمتد مسافة تقرب من ٥٠ كم شرق غرب ، كما يمتد مسافة قد تزيد عن ذلك فى الاتجاه المعاكس (جنوب – شمال) فيما بين قضاء خيبر وقضاء بيشة .

ولا يصعب علينا أن نتصور الجفاف الذى تتمتع به هذه المنطقة بالرغم من مرور وادى بيشة ووادى هرجاب منها ، وبالتالى نتصور قحولته وضآلة المساحات القابلة للزراعة وقلة الموارد التى يمكن أن تعتمد عليها أي حياة بشرية . ولولا أن بعض المواقع اكتسبت أهميتها القديمة بسبب وقوعها على طرق القوافل فتحولت الى محطات على طرق السيارات « غير المزفلتة » ، لصار الاقليم بأجمعه جزءا من منطقة البادية .

ومع ذلك تبين وجود ٣١ قرية لم يتجاوز مجموع أفرادها جميعا ١٢٤٠ فردا حسب تعداد السكان اي بمعدل ٤٠ فردا للقرية الواحدة ، وهذا يعادل ٥ أو ٦ أسر فقط . ولاينتظر أن يكونوا قد زادوا عن ذلك كثيرا فى الفترة التالية للتعداد .

وزيادة على ذلك تبين أن قسما كبيرا من هذا العدد وجد فى قرية صمخ ذاتها ، وهى التى اتخذت قاعدة إدارية للقضاء ، وتقع على جانب وادى صمخ بعد أن يصب فيه وادى كتنة الصغير ، ويرفد صمخ وادى هرجاب الى الشمال من القرية . وتعود أهمية صمخ الى وقوعها كمحطة على الطريق بين بيشة وخميس مشيط وتقع فى موضع متوسط بينهما . ولذلك افتتحت فيها مدرسة متوسطة لتستقبل طلاب ست مدارس ابتدائية فى المنطقة .

يتوالى وجود القرى مع مجرى الوادى ؛ فالى الجنوب من صمخ توجد كتنة والخضراء والمعدن ، وتوجد الى الشمال منها الحفيرة . أما بئر ابن سرار فلعبت دور محطة على

الطريق البرى فى شمال قضاء صمخ ، وتقع البئر فى حوض أحد الروافد التى تصب فى هرجاب قرب نهايته .

غير أن موارد هذه المنطقة تتمثل فى أعشاب وديانها أكثر من أراضيها الزراعية ، ولذلك انتشر فيها البدو لاستغلال تلك الاعشاب فى تربية الحيوانات ، مما أتاح الفرصة لتكاثرهم ، حتى نيف عددهم – حسب تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ – عن ١٤٠٠٠ نسمة يملكون عشرة مناهل ماء ، وهذا يرفع نسبة تواجدهم الى ٩٢٪ من مجموع سكان القضاء ، وهى أعلى نسبة لتواجد البدو فى مناطق المملكة ، ويمكن اعتبارها ديرة من دير البدو .

٢ ــ الحوض الغربى لوادى بيشة الاوسط :

وتتضمن أحواض الروافد الغربية خاصة ترج وتبالة وذلك منذ خروجها من المناطق الجبلية حتى مصباتها فى وادى بيشة فى الشمال الشرقى ، وتقع المنطقة الى الشمال الغربى من قضاء صمخ فيما بينه وبين المناطق الجبلية فى بنى عمرو ، بالقرن .

وتنحدر روافد هذه الوديان من السفوح الشرقية لسراة الحجْر وبالقرن وتتجه نحو الشمال الشرقى فتهبط من ارتفاعات تزيد عن ١٨٠٠م الى أن يصل ارتفاعها مايقرب من ١٣٠٠ ، ١٢٠٠م قرب وادى بيشة ، وذلك فى خلف جبال السروات المذكورة . ولذلك فانها تهبط من مناطق تسقط بها أمطار تبلغ معدلاتها ٣٠٠ ملم الى مناطق تتحول صفاتها الى المناخ الصحراوى رغم ارتفاعاتها نسبيا ورغم قربها من خط الشعاف .

ونظرا لقصر هذه الوديان وشدة انحدارها نحو مستوى الأساس وهو المجرى الرئيسى ؛ فانها لم تتمكن من ترسيب فتات التعرية بكميات مناسبة سوى فى مساحات محدودة تقع بالقرب من المجرى الرئيسى لبيشة ، فشكلت قطاعات متفرقة عامرة بتربتها ومياهها ، فنشأت فيها الواحات المتفرقة والقرى الصغيرة . وتتكون كما هو واضح فى منطقتين ترتبط كل واحدة بأحد الواديين هما :

أ ــ **الحازمى** : وتحتل حوض وادى ترج الادنى . تبدأ المجارى العليا لوادى ترج من منطقة النماص وما حولها ، ويتجه مجراه الرئيسى نحو شمال الشمال الشرقى فيما بين وادى بيشة فى الشرق وبين خط السراة فى الغرب . وحتى يلتقى مع المجرى الرئيسى لوادى بيشة فى شمال هذه المنطقة يصب فيه عدد كبير من الروافد تنحدر اليه تباعا من شمال

منطقة الثماص وبنى عمرو . ومن أهم هذه الروافد وادى حوران ووادى البهيم وتلتقى به فى القسم الشمالى . وقد استطاعت هذه الوديان الثلاثة ان تخلف فى مجاريها الدنيا مصاطب رسوبية ، أى قبل التقائها بوادى ترج وبعده ولكن قبل التقاء الأخير بوادى بيشة .

ومع أنه قام على تلك المصاطب الرسوبية زراعات وقرى ؛ الا أن أهم مجال لدخل ساكني هذه المنطقة بقي معتمدا على تربية الحيوانات بالدرجة الأولى ، سواء من قبل البدو الذين استوطنوا هذا الوادى واستثمروا أعشابه من خلال تحركاتهم الفصلية واستفادتهم من آبار الماء الثلاث عشرة التى وجدت فى المنطقة ، والذين لايمارسون أى مهنة سوى تربية الحيوانات . أو من قبل المستقرين الذين عاشوا فى ١٧ قرية مختلفة الحجم ، ولو أنه يغلب عليها الحجم الكبير أو المتوسط .

بلغ مجموع ساكنى منطقة الحازمى فى تعداد السكان ١٦٣١٧ فردا ، لم يتجاوز عدد المستقرين منهم نحو ثلث هذا الرقم ، وبالاضافة الى ذلك فقد وجد أن ثلث عدد المستقرين يعيشون فى قرية الحازمى ، التى تحولت الى بلدة ، ونمت وتوسعت على حساب غيرها من القرى وعلى حساب البادية ، بعد قيامها بالوظيفة الإدارية كقاعدة للقضاء ، وإنشاء بعض الدوائر والمدارس والمشاريع التى تجذب الهجرة اليها .

ومن قرى منطقة الحازمى أيضا : الشحوف والبطلان والحراملة والخرمة والشملة وآل الربيع والحرشة وآل مهدية وآل فاضل والصور وتقع جميعا فى وادى ترج ابتداء من الجنوب ويسكنها أفخاذ من قبيلة بلحرث[1] . ومنها أيضا القوباء وتقع فى عالية الوادى ، وحوران وبهيم .

ب ـــ **تبالة** : وتقع الى الشمال والشمال الغربى من الحازمى ، وتحتل وادى تباله الذى يعتبر آخر روافد بيشة الهامة باتجاه الشمال والمنحدرة اليه من سراة بالقرن وشمران . ونظرا لموقعه الشمالى واتخاذه الاتجاه شرق الشمال الشرقى فان مصبه يبتعد عن خط السراة بمسافة تزيد عن بعد مصبات جميع الروافد السابقة له حيث يبلغ البعد الخطى ١٢٥ كم ، ويشتد انحداره اكثر منها أيضا . وقد نتج عن ذلك أن تحوّل مناخه نحو الجفاف كان فجائيا . وأصبح الوادى صحراوى الصفات بمجرد خروجه من منطقة الجبال .

---

(١) فهد السبيعى : مجلة العرب ، العدد ٩ ، السنة ٧ ص ٧١٣ .

غير أن السهول الرسوبية أو المصاطب التى تظهر فى الثلث الأخير من مجراه بفضل مياه الفيضانات المنحدرة من المناطق الجبلية أدخلت تعديلا على ظروفه ، فظهرت فيه الواحات الزراعية التى كانت أساسا لوجود ١٢ قرية فى مجرى الوادى .

ولما كان هذا الوادى يصب فى المجرى الرئيسى الى الشمال مباشرة من قلعة بيشة فقد استخدم منذ القديم كطريق يوصل بين بيشة والسراة ، وتحولت بعض قراه الى محطات على الطريق . وقد استفادت منطقة الوادى مؤخرا من انشاء الطريق« المزفلتة » من بيشة الى العلايا الواقعة فى سراة بالقرن وعلى طريق الجنوب ، فتحولت القرى الى مراكز لخدمة السيارات مما زاد فى جذبها للسكان . فاتسعت ونمت على حساب البادية المحيطة بها ، مما رفع معدل عدد أفراد القرية الى ٣١٤ فردا للقرية الواحدة .

بلغ عدد مستوطنى وادى تبالة فى وقت تعداد السكان ١٤٠٠٠ فرد ، عاش نحو ثلث هذا العدد فى القرى الزراعية الواقعة فى سافلة الوادى أى (٣٧٦٨ فردا) . وأهم هذه القرى وأكبرها قرية المخرم وهى مركز قضاء تبالة ، وقد بلغ عدد ساكنيها فى ذلك الوقت ٦٢٦ فردا لاتخاذها مركز الوظيفة الإدارية . ومن قرى الوادى الهامة الأخرى : شُديق والثُّنيةّ وقنزية والفِدَنة والجبارين وتبالة وخريب السوق ، ويوجد فى كل من هذه القرى مدرسة ابتدائية .

وبذلك يكون عدد بدو وادى تبالة قد نيف على عشرة آلاف فرد . ومن المنتظر أن يكون قد تراجع هذا العدد بسبب تحول قسم منهم الى الاستقرار ، سواء فى داخل الوادى (فى تبالة) أو فى بيشة أو فى خارج المنطقة . ويدل على أهمية انتشارهم تملكهم لـ ٢٣ منهلا ثابتا للماء .

٣ ـــ منطقة بيشة :

وتضم الحوض الأدنى لوادى بيشة ، وتشمل مساحة واسعة جدا تبلغ اكثر من ثلثى مساحة الحوض كله . وتقع الى الشمال مباشرة من مصبى وادى هرجاب ووادى ترج ، وتنحصر بين مقاطعتي الحازمى وتباله ونهاية السفوح الجبلية التابعة لمنطقة الباحة غربا وشمال مقاطعة تثليث شرقا .

وتضاريس بيشة بمثابة هضبة داخلية واسعة يبلغ عرضها (شرق – غرب) فى طرفها الجنوبى نحو ٥٠ كم يتزايد هذا العرض باتجاه الشمال الى نحو ١٠٠ كم . وتمتد طوليا من

الجنوب الى الشمال نحو ١٨٠ كم . وهى شبه مستوية تندر فيها الاختلافات التضريسية سوى أن سطحها يميل من ارتفاع ١١٥٠م فى الجنوب الغربى الى نحو ٨٠٠م فى الشمال الشرق . ولكن أهم المعالم التضاريسية التى تميزها هو اختراق وادى بيشة لها من وسطها ، حيث يعبر المنطقة من طرفها الجنوبى الغربى ، ويتجه الى الشمال فالشمال الغربى ، وبعد مسيرة نحو ١٥٠ كم لايلبث أن ينحرف قبيل التقائه بوادى رنية ، فيرسم قوسا واسعا فيتجه الى الشرق أولا مسافة ٥٠ كم تقريبا ، ثم الى الجنوب الشرقى الى ان ينتهى عند بداية رمال « عرق الوادى » التى ينتهى عند طرفها الآخر أيضا وادى تثليث بعد مسافة قصيرة .

تتمتع هذه المنطقة بمناخ صحراوى ترتفع فيه درجات الحرارة كثيرا لاسيما فى الصيف كما ترتفع الفروق الحرارية ، وتقل نسب الرطوبة ومعدلات الأمطار . ولذلك فانها تتشح بمظهر القحولة ، وتبدو جرداء من الأشجار أو الأعشاب باستثناء مجارى الوديان التى تنعم بوصول فيضانات أمطار مناطق أخرى .

ولكن نظرا لاتساع الحوض الأعلى لوادى بيشة وامتداده فى مناطق سفوح السروات ابتداء من سراة قحطان جنوبا حتى سراة شمران شمالا ، وهى من أكثر مناطق المملكة استقبالا للأمطار حيث تزيد معدلاتها هناك عن ٣٠٠ ملم وبالتالى فهى كثيرة الروافد ، فتنقل الى الوادى معظم المياه التى تصلها ، لأن صخور المنطقة النارية ضعيفة الانفاذ ، وتزوده برصيد كبير من الحمولة السائلة والصلبة .

تمكن وادى بيشة من أن يحمل المياه مسافة تفوق مثيلتها فى الوديان الأخرى ، ويصل بكميات كبيرة من صبيبها الى المجرى الأدنى حيث يعتدل الميل ، وهناك عملت على إنشاء سهول رسوبية ومصاطب طموية على جوانب ذلك القطاع من الوادى كانت أساسا لنشوء واحات هامة منذ زمن بعيد .

تمتد الواحات بامتداد وادى بيشة فى مجراه الادنى مسافة ٦٠ كم تقريبا بين قريتى عرمان وداعر (فى جنوب الحيفة) جنوبا ، الى قرية جنينة فى الشمال الشرقى . ثم تنقطع مظاهر الاستقرار فى سافلة الوادى بعدئذ أي مسافة تزيد على ١٥٠ كم حتى نهايته ؛ بسبب تزايد ملوحة المياه وعدم صلاحية التربة للإنتاج الزراعى .

وتقع بلدة « الروشن » فى وسط هذه المسافة المعمورة تقريبا . والروشن هى المقر الإدارى للمنطقة وكانت قاعدة إمارة بيشة قبل أن تُضَم الى إمارة عسير . وتقع على

الضفة الشرقية للوادى ، وكانت تحيط بها البساتين الزراعية من ثلاث جهات . وقد أنشىء مطار بيشة على بعد كيلو متر واحد من الجهة الرابعة وهى الجهة الشرقية .

وتتميز بيشة بموقعها المناسب فى وسط سافلة الوادى ، وفى موضع متوسط بالنسبة للهضبة ، وكذلك بالنسبة للطرق القادمة من المناطق الجبلية . فتحولت الى عقدة مواصلات جيدة لطرق القوافل القديمة ، ولطرق السيارات قبل عهد « الازفلت » وأخيرا تم توصيلها بطريق معبدة ببلدة العلايا الواقعة على طريق الجنوب عبر وادى تبالة (١٢٥ كم) .

لقد ساهم هذا الخط الجديد والذى تم سنة ١٣٩٨هـ فى إنعاشها ، وزاد من روابطها الاقتصادية والاجتماعية بمناطق المملكة الأخرى . وسيتم ربطها بثلاث طرق هامة أخرى فى المستقبل القريب : الأولى وتتجه الى خميس مشيط فى الجنوب ، والثانية وتتجه الى تثليث فى الجنوب الشرقى ، والثالثة وتتجه الى رنية فى الشمال . وحتى يتم ذلك فستنتهى جميع مظاهر عزلتها السابقة ، لاسيما وان الطرق البرية تعتبر الوسيلة الرئيسية لاتصال الناس فى بلاد واسعة كالمملكة . هذا مع العلم أن مطار بيشة الذى يتصل بالمطارات الداخلية – لاسيما الرياض وجدة – قد ساهم مساهمة كبيرة فى ازالة العزلة عن هذه البلاد .

لقد اتسعت الروشن ونمت بسبب جذبها للسكان لكثرة المشاريع الحكومية والفردية التى قامت بها كإنشاء مبنى المستشفى والمبانى الحكومية ، ومحطة الكهرباء والمدارس للذكور والاناث ولمختلف المراحل . وبعد أن كانت مركز سوق اسبوعى لسكان القرى المجاورة يعقد كل يوم أربعاء ومحطة فى طريق القوافل ؛ ظهزت بها الأسواق الحديثة الدائمة والمخازن ووكالات الشركات . وقد ساهمت البلدية – بعد إنشائها – فى تنظيم هذا التوسع وتحكمت فى تخطيط الشوارع والأحياء ، وفى توصيل الخدمات والتوصيلات الأساسية كالكهرباء والماء والتلفون وفى تعبيد الشوارع وتشجيرها . وحينما توسعت حدودها ضمت عددا من القرى القريبة مثل قلعة بيشة وروشن المهدى ونمران .

بلغ عدد سكان بيشة ١٤٠٠٠ نسمة سنة ١٣٩٤هـ ، وقد نيفت على ٢٠٠٠٠ فى الوقت الحاضر بسبب استمرار عوامل توسعها . كان فى المدينة عدد من المشاريع الفردية لتوليد الكهرباء ثم أنشئت شركة الكهرباء سنة ١٣٩٦هـ لتغطى احتياجات المدينة

والضواحي التى ضمتها وتوجد مولدات صغيرة فى باقى القرى . ولذلك انتشر استعمال الأدوات الكهربائية وازدهر الاتجار بها . وقد أنشىء فى شارع الملك خزان مرتفع تضخ اليه المياه من آبار محفورة فى الوادى وتوزع من الخزان بدون ضخ الى المنازل .

يتبع بيشة مجموعة من القرى تمتد بشكل خطى بامتداد الوادى بلغ عددها ٢٥ قرية ، لم يتجاوز مجموع ساكنيها فى وقت التعداد ما وجد فى بيشة ذاتها . إن دل هذا على شيء فانه يدل على مدى التبدل الذى طرأ على سكان المنطقة وعلى مدى الهجرة التى اتجهت الى المدينة بعد عهد النهضة الاقتصادية الحديثة .

اعتمدت حياة سكان هذه القرى على الانتاج الزراعى والحيوانى . وقد اهتموا بزراعة الحبوب خاصة القمح والذرة ، والأعلاف كالبرسيم ، والأشجار المثمرة حتى اعتبرت بيشة من مراكز انتاج التمور الرئيسية فى المملكة ، وزاد الاهتمام بزراعة الخضروات مؤخرا . وقد ساهم إنشاء الطرق الزراعية (غير المعبدة) لتوصيل هذه القرى بعضها ببعض فى إنعاش الزراعة وتشجيع تطورها .

كان يتم فى بعض هذه القرى – خاصة الروشن – بعض المهن اليدوية مثل : دبغ الجلود وصنع السروج ونسج الصوف والشعر . وقد تطورت هذه المهن فى بيشة وأضيف اليها بعض المهن الجديدة كالورش وتصليح الأدوات والأجهزة وبعض الخدمات المهنية . كان يبنى سكان بيشة بيوتهم من الطين من طابق أو طابقين تحاط بأسوار ، فى وسط واجهاتها أبواب كبيرة ، وقد انتشر استعمال الأسمنت الآن استعمالا واسعا خاصة المبانى الحكومية والمؤسسات ومبانى الأحياء الجديدة .

تنتظم معظم هذه القرى فى مجرى الوادى ؛ إذ يلى الروشن غربا قرية المهدى ويليها جنوبا قرية نمران وكانت الثانية مركز سوق أسبوعى يعقد كل يوم خميس . غير أن توسع مدينة بيشة ضمهما وجعلهما من ضمن أحيائها . ويلى بيشة الى الجنوب : الحرف والباقرة والمدراء والمروة والمجمعة والحيفة ثم واعر وعرمان .

ويلى بيشة شمالا قرى بنى سلول بن عامر وهى مرتبة من الجنوب : النغيلة وقنيع وأبا الشوك وتقع الأخيرتان على طرف « كوبرى » وادى بيشة على بعد ٤ كم فى شمال شرق الروشن ، وتبدأ منه طريق بيشة – العلايا . ويليها الحُمةّ والصبيحى وتقع عند مصب وادى تبالة بوادى بيشة على بعد ١٠ كم من المدينة . ثم القرى : الدَّيْلَمى والحُرَيْرَة

(١٥ كم) ، والدحو ، والعطف والدّوار والرقيطا العليا والسفلى ، والخرسعة وناجعة والنقيع والشقيقة والجنينة .

ينتسب سكان هذه المنطقة الى عدد من القبائل المتحالفة يتبعها جماعة تسكن السراة . ومن هذه القبائل : قبيلة أكلب ومنها بطنا عامر والمحلف وقبيلة شهران (وهى غير شهران عسير) ومنها الرميثين وقبيلة بالحرث قرب سافلة ترج ، وشمران قرب سافلة تبالة . وهم اما مستقرون فى المدينة أو فى القرى ، أو لا زالوا على حالة البداوة . اذ يبلغ عدد البدو اكثر من ١٢ ألفا ، يسكن معظمهم سافلة الوادى فيما يلى قرية الجنينة ، لانعدام مناطق الاستقرار فيها وتوفر مناهل المياه حيث يوجد ٢٤ منهلا .

الفصل الحادى عشر

منطقة الحرات البركانية فى هضبة الحجاز الجنوبى

وتقع فى شرق جبال الحجاز الجنوبى أى جبال مناطق الباحة وبنى مالك وثقيف وبالحارث وبنى سعد وتمتد حتى رمال سبيع شرقا ، وتلى حوض وادى بيشة من جهة الشمال وتمتد حتى سهل ركبة شمالا ، وتشكل الزاوية الشمالية الشرقية لإقليم جنوب غرب المملكة .

البيئة الطبيعية :

يغطى القسم الاكبر من هذه المنطقة الواسعة مسكوبات بركانية رباعية وتتخذ الشكل البيضاوى تتكون من صخور البازلت الحديث الغنى بالألوفين ، وتشتمل على بعض الصخور الأخرى والفتات البركانى ، جاثمة فوق الصخور الجرانيتية وتمتد مسافة ١٧٠ كم من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ومسافة ٨٠ كم فى الاتجاه المعاكس و تبلغ مساحتها نحو ٩٠٠٠ كم٢ . ويطلق على القسم الشمالى الشرقى منها « حرة نواصيف » وعلى القسم الجنوبى الغربى « حرة البقوم » . ويبدو ان هذا التقسيم وتلك التسمية ناتجين عن استيطان القبائل فيهما ، وبسط سيطرتها عليهما ،ولايوجد تركيبيا او طبوغرافيا ما يدل على أنهما مسكوبتان متميزتان عن بعضهما ، بل هما مسكوبة واحدة .ويوجد فى الجهة الشمالية الغربية منهما كتلة بازلتية أخرى دائريةالشكل أصغر منهمايطلق عليها اسم حرة حضن تبلغ مساحتها نحو٢٥٠٠ كم٢ .

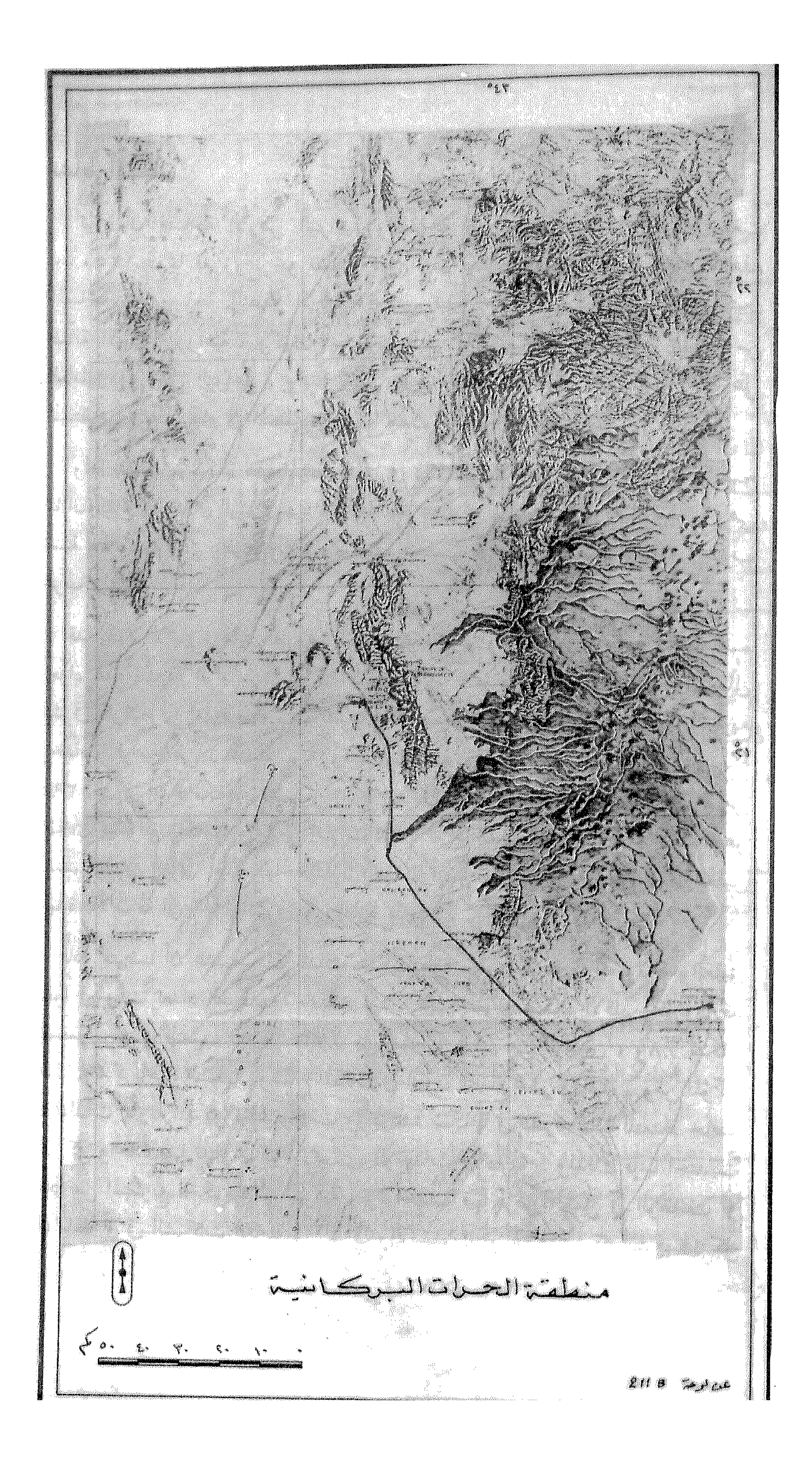
تنحصر هذه الكتلة البركانية الكبيرة بين حوضين من أحواض التصرف المائى الهامة .الأول وادى رنية الذى يهبط من مناطق سراة خثعم وغامد ويسير فى جنوب شرق هذه الكتلة ويقطع أطرافها الجنوبية الشرقية قبل ان ينحنى نحو الشرق فالجنوب الشرقى فى مجراه الادنى . والثانى حوض وادى تربة الذى يهبط من مناطق سراة زهران

وبنى مالك ، ويسير فى شمالها الغربى ، ويقطع بعض أطرافها الشمالية الغربية ويفصلها عن الكتلة البركانية المجاورة اى « حرة حضن » ، قبل ان ينحنى الوادى نحو الشرق فالجنوب الشرقى ، وتنتهى مياهه عند مقدمة رمال سبيع .

ينحدر سطح هذه المنطقة فى قسمها الغربى أي في القسم الذى لاتغطيه صخور البازلت انحدارا كبيرا وذلك من أقدم جبال السروات باتجاه الكتل البركانية فتهبط من ارتفاع ١٧٠٠م الى ١٣٠٠م . فى حين يتراوح ارتفاع المسكوبات البركانية ما بين ١٣٠٠ ، ١٢٠٠م بالرغم من امتدادها الكبير . وهى إذ ترتفع فى الوسط تنحدر أطرافها فى معظم الاتجاهات خاصة اتجاه الشمال الشرقى حيث تنتهى عند ارتفاع ٩٥٠م فى سهل معشر .

تمتد هذه المنطقة الهضابية بشكل عمودى على امتداد جبال السروات بمقدار ٢٤٠ كم تقريبا وتمتد بالاتجاه المقابل نحو نصف هذه المسافة ؛ مما يجعل ارتفاع التضاريس يتناقص كلما ابتعدت عن الجبال . فتوفرت لها الصفات الصحراوية بكل خصائصها وتفاصيلها من بدايتها ؛ فارتفعت معدلات الحرارة فيها وتباينت ، وانخفضت معدلات الأمطار (اذ بلغت ١٤٨ ملم فى طريق العقيق ، ١٥٤ ملم فى عالية رنية ، ١٢٢ ملم فى تربة ، ١٠٧ ملم فى الخرمة ، ١٣٤ ملم فى كلاخ) . وتحولت أرضها الى مناطق قاحلة تماما ؛ خاصة وان صخورها المتكونة إما من الجرانيت والشست والديوريت أو من البازلت غير المنفذة والبطيئة التحلل تبدو وكأنها مجردة من التربة . أو أن بها تربة رقيقة لاتكاد تنبت الا أعشابا ضعيفة .

ولكن اختراق الواديين المشار اليهما ؛:رنية وتربة لهذه الهضبة طوليا يوازى أحدهما الآخر ، خلق ظروفا جديدة ساعدت على إيجاد حوضين للتصريف المائى هامين ، تشبه ظروفهما ظروف أحواض الوديان الأخرى كبيشة مثلا . فظهرت فى بعض قطاعاتهما الواحات القديمة ، وذلك فى الأماكن التى استطاعا ترسيب الطمى فيها وتخزين الماء . وقد استخدمت بعض هذه الواحات منذ زمن بعيد كمحطات على طرق القوافل الصحراوية ، وصارت محطات على طرق السيارات قبل وبعد عهد « زفلتة » الطرق . ولم يكن هناك ما يمنع انتشار البدو واحتلالهم للأجزاء الباقية غير المعمورة من هذه الوديان .



°٤٢
منطقة الحرات البركانية
٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ كم
عن لوحة 211 B

نشاط السكان :

تبين أن مساحة الأرض الزراعية والصالحة للزراعة فى سنة ٧٣ /٧٤ بلغت ١٢٥٠٠٠ دونما قد زرع نحو نصف هذا الرقم فعلا فى ذلك العام ، وبمقارنة هذه المساحة مع مساحة المنطقة الاجمالية والتى تبلغ ١٢٠٠٠ كيلو متر مربع يتبين ضآلة الأرض الزراعية ، وكيف أنها لاتستطيع أن تستوعب إلا عددا محدودا من العاملين فى المجال الزراعى . وهذا يفسر تفوق عدد البدو على عدد الزراع أو على المستقرين بشكل عام فى المنطقة ، حيث بلغت نسبهم ٧٣٪ من سكانها .

واذا علمنا ان سكان هذه المنطقة بلغوا فى ذلك الوقت نحو ١٣٥٠٠٠ نسمة اتضح لنا ان كثافة الاحتلال البشرى فيها لم تكد تبلغ ٥ أفراد للكيلو متر المربع الواحد ، وهى نسبة منخفضة ليس بالقياس للمملكة كلها فحسب بل حتى بالنسبة الى اقليم جنوب غرب المملكة ذاته .

قد يكون لاجتماع هذه الظروف أثر فى عدم توافر وحدة إدارية قائمة بذاتها تضم أجزاء هذه المنطقة الواسعة ؛ بل إن القسم الأكبر منها وهو القسم الشرقى والشمالى الشرقى قد اتبع الى إمارة مكة رغم بعدها وكبر مساحتها . وينقسم هذا الاقليم الى اربع وحدات فرعية هى : قضاء تربة وقضاء الخرمة وقضاء رنية الذى اتبع فى سنة ١٣٩٤هـ إلى إمارة مكة ، وقسم من إمارة الطائف ويقع فى جنوبها الشرقى ويتكون من قضاءى قيا وأبو راكة ، وهما من إمارات البادية . أما القسم الباقى من هذا الاقليم وهو القسم الجنوبى الغربى فيتبع الباحة إداريا وينقسم أيضا الى وحدتين تابعتين هما : العقيق وبيدة بالاضافة الى الجزء الشرقى من إمارة بلجرشي .

فاذا افترضنا أن عدد سكان بلدات هذه المنطقة وهى الخرمة ورنية وتربة والعقيق بلغوا فى وقت تعداد السكان ١١٠٠٠ فرد ؛ فان مجموع سكان الاقليم يكونون قد انقسموا حسب النسب التالية : ٧٣٪ من البدو ، ١٥٪ من الريفيين ، و٨٪ سكان مدن . وتذكرناهذه النسب بأوضاع المملكة فى القرن التاسع عشر وماقبله . ومن المؤكد ان البلدات الأربع المذكورة قد توسعت وزاد عدد سكانها فى الفترة التالية للتعداد خاصة وأن كل واحدة منها تعتبر مركزا لإحدى الوحدات الإدارية . ولذلك فإنها اجتذبت عددا من المشاريع الحكومية أو الفردية ، وتواجدت فيها فرص العمل فى الوظائف أو الخدمات أو فى الشركات العاملة فى الطرق والانشاءات أو غيرها . وقد أنشىء فى كل

منها بلدية تشرف على توسعها وعلى تخطيطها وتنظيمها فأنشأت الشوارع والأحياء وأوصلت التمديدات اللازمة . ولانعدو الحقيقة اذا قدرنا أن عدد أفراد كل بلدة منها قد تضاعف خلال السنوات التسع الماضية عما كانوا عليه ، فى حين أننا لانتوقع حدوث زيادة كبيرة على السكان الريفيين بل ونتوقع نقصان عدد ونسبة البدو فيها .

ومجمل القول أن أهم نشاطات السكان فى هذه المنطقة لم تزل تربية الحيوانات خاصة وأن البدو والريفيين كليهما يعتنى بهذا النشاط . وأهم حيوانات البدو الابل والاغنام والماعز فى حين ان الأبقار تحتل المقام الأول لدى الريفيين . ويأتى الانتاج الزراعى فى المرتبة الثانية ، حيث تتم فى الواحات الواقعة فى مجارى الأودية وتخضع للرى من الآبار المحفورة فى الطمى . ويزرع الفلاحون الحبوب بأنواعها خاصة القمح والنخيل حتى صار لتمور تربة ورنية شهرة خاصة . وقد بدأوا بزراعة الخضروات والاهتمام بها مؤخرا ، بسبب زيادة الطلب عليها وتحسن المواصلات .

وبالرغم من صغر مدن هذه المنطقة إلا أنها تعتبر مراكز مدنية قديمة ، ويبدو أن وقوعها على طرق القوافل أكسبها شهرة تاريخية ، فتوطنت فيها بعض المهن اليدوية : كالصناعات الجلدية والخشبية والصناعات المعتمدة على الجريد ونسج الصوف والشعر وأعمال البناء .

ونظرا لاتساع هذه المنطقة واختلاف شخصيتها من مكان الى آخر يسهل علينا تقسيمها حسب العوامل الطبيعية الى خمسة أقسام هى : الكتلة الهضابية الواقعة الى الجنوب الغربى من الكتلة البركانية أي بينها وبين الجبال ، والكتلة البركانية ذاتها ، وحوض الوادى الذى يحدها من الجنوب الشرقى (رنية) ، وحوض الوادى الذى يحدها من الشمال الغربى (الخرما) ، والكتلة الهضابية الواقعة الى الغرب منها اى بينها وبين جبال الطائف .

غير أننا بادخالنا بعض العوامل البشرية – لاسيما استيطان القبائل لها ومن ثم الحدود الادارية التى راعت الى حد كبير حدود استيطان القبائل ، وتوفر الأرقام الاحصائية حسب هذه الحدود ، ومن أجل إلقاء مزيد من الضوء على شخصية كل قسم منها – يبدو من المفيد تقسيمها بشكل قد يختلف عما ذكرنا أعلاه وذلك على النحو التالى :

١ ــ **هضبة الباحة** : وهى كتلة هضابية تقع فى الجنوب الغربى من هذه المنطقة . وتنحصر بين أقدام سراة غامد من جهة والكتلة البركانية وآخر حدود منطقة بيشة من

الجهة الأخرى . ويشغلها قضاءا العقيق وبيدة وجزء من قضاء بلجرشي وتتبع جميعا إمارة الباحة . ولذا اطلقنا عليها اسم « هضبة الباحة » .

تتخذ هذه الهضبة شكل المثلث تنطبق قاعدته على الحافة الشرقية لجبال غامد وزهران ابتداء من شرق بلجرشى جنوبا حتى شمال قضاء القرى شمالا ، ثم يضيق عرضها كلما اتجهنا شرقا حتى نصل راس المثلث عند نقطة التقاء حدود الامارات الفرعية : العقيق وبيشة وتربة ورنية . ويحاذى الضلع الجنوبى الشرقى لهذا المثلث حدود إمارة بيشة ، ويحاذى ضلعه الشمالى الشرقى حدود إمارة تربة .

يبتعد سطح هذه الهضبة عن الاستواء كثيرا ؛ إذ يشوهه حفر الوديان بعمق شديد ، حتى أنها بسبب شدة حفرها تبرز جبالا عالية ووعرة من الجانبين . كما يشوهه شدة الانحدار بشكل عام ، اذ أنها تبدأ من ارتفاع ١٧٠٠م تقريبا قرب السراة الى نحو ١٣٠٠م عند بداية ظهور المسكوبات البركانية (الحرات) التى تغطى أجزاء من أطراف هذه المنطقة .

وقد ساعدت هذه الخصائص الطبوغرافية – بالاضافة الى الانحدار الشديد – على تحول المناخ الى الصفات الصحراوية فور الهبوط من الجبال مباشرة . فظهرت البلاد جرداء قاحلة خالية من مظاهر الحياة باستثناء بعض مجارى الوديان . ويمكن أن نقسمها الى ثلاثة أقسام :

أ ـــ القسم الشمالى الشرقى من قضاء بلجرشي : من المعلوم أن قضاء بلجرشى يقع فى المنطقة الجبلية وذلك فى جنوب بلاد غامد ، ولكنه يضم إداريا مساحة واسعة من الهضبة فى الشرق ، تقع فى حوض وادى رنية العليا خاصة المجرى الرئيسى المنحدر من منطقة قزانة ووادى شواص المنحدر من بلاد خثعم ، ووادى قرشة المنحدر من جنوب شرق الباحة ، ووادى ثراد المنحدر من شرق الباحة ، ولكن بعد هبوطها جميعا من مناطق الجبال العالية .

ونظرا لموقعها وانخفاض سطحها عن الجبال وانحداره بالاتجاه الداخلى فقد تباينت عن باقى أراضي القضاء الجبلية ، واكتسبت الصفات الصحراوية . فنقصت معدلات الامطار فيها عن ٢٠٠ ملم ، ولم تعد تكفى لقيام زراعة مطرية . كما أن الوديان لم تستطع فيها بسبب شدة الانحدار تشكيل مصاطب رسوبية ذات شأن . وبالتالى كانت المنطقة خالية من الواحات ومن مظاهر الحياة المستقرة رغم ارتفاع سطحها وقربها من اقليم الجبال .

واقتصر النشاط البشرى فيها على تواجد البدو وممارستهم رعاية الحيوانات على الاعشاب .

لقد أوضح تعداد السكان لسنة ١٩٧٤م وجود نحو ٣٥٠٠ من البدو يعيشون ضمن حدود إمارة بلجرشي ، وبطبيعة الحال فان معظم هذا العدد كانوا يعيشون فى الجزء الشرق من الإمارة الفرعية ، ذلك الجزء الذى يقع ضمن منطقة الهضاب التى نحن بصددها ، والخالى من مواقع الاستقرار ، وقد ساعد على تواجدهم هذا أعشاب الوديان والروافد العليا التى تأتى من مناطق الجبال وتنتهى الى رنية ، وقد وجد ضمن حدودها أيضا تسعة مناهل للماء يسيطر عليها البدو .

ب ــ قضاء بيدة : ويقع فى الجزء الشمالى الغربى لهذه الكتلة الهضابية فيمتد على شكل شريط أرضى مسافة ٩٥ كم جنوب – شمال فى شرق بلاد زهران مباشرة ، ومايقرب من ٢٠ كم شرق – غرب . اذ أنه يبدأ عند النهاية الشمالية لكل من قضاءى الباحة وبنى حسن الجبليين عند خط عرض ٨ َ ٢٠ ْ ش ، وينطبق هذا على خط تقسيم المياه بين وادى بنى سار ووادى شبرقة من الجهة الجنوبية ، وبين وادى بطحان (بيدة) من الجهة الشمالية ، ويستمر شمالا الى موضع التقاء وادى بيدة مع المجرى الرئيسى لوادى تربة القادم من الغرب والمتكون من التقاء الوديان : الصدر وعَردَة وشوقب المنحدرة اليه من بلاد زهران وبنى مالك ، ويقع ذلك عند خط عرض ٢٠ َ ٢٠ ْ ش .

وأهم الملامح الجغرافية فى هذه المنطقة هو وجود وادى بطحان الذى يبدأ من شمال بنى سار على بعد ١٥ كم فى شمال مدينة الباحة ، ويتجه شمالا فيهبط ويحفر بعمق شديد ضمن صخور الشست والديوريت ، فيقسم الكتلة الجبلية الى قسمين متقابلين ؛ فمن الجانب الغربى حيث تسير طريق الجنوب (أبها – الطائف) ، وترتفع فى منطقة الأطاولة فى جنوب هذه الحافة الى ارتفاع ٢٣٠٠م ، وفى جبل شمرخ فى وسطها الى ٢٠٦٠م ، وفى جبل معشوقة فى شمالها الى ١٨٥٠م ولايبعد هذا الخط الذى يسير فوق القمم عن مجرى وادى بطحان اكثر من ٧ كم . ومن الجانب الشرقى يوجد بمحاذاة وادى بطحان ابتداء من الجنوب جبل الودّان (٢٢٥٥م) ، والى الشمال منه جبل عيسان الذى يصل ارتفاع بعض قممه الجنوبية الى ٢٠٠٠م والقمم الشمالية ١٩٠٠م . وينحدر من كلتا الكتلتين الجبليتين من الجانبين الى وادى بطحان روافد صغيرة وقصيرة ليست ذات بال ، وقد يكون أهمها الحازمى الذى يصب فيه فى نحو وسطه من الجهة الغربية .

يهبط مجرى الوادى بين هذه الكتل من ارتفاع ١٨٠٠م عند أول القطاع المزروع ، وبالتالى عند أول شريط القرى المتواجدة على مجرى الوادى الى ارتفاع ١٤٥٠م عند معشوقة التى يتوقف عندها ظهور الأراضى الزراعية ، والى ١٣٥٠م عند موضع التقائه بوادى تربة ، ولذلك عمل هذا الوادى بمثابة المنخفض بين الكتل الجبلية ، فاستخدم منذ القديم كطريق للقوافل المتجهة من الحجاز شمالا ، وعبر الهضبة الى وادى تربة ثم عبر وادى بطحان الى الباحة أو غيرها من المناطق الجبلية .

ومن الواضح إذن أن يكون لهذه الطبوغرافية سلبيات على المناخ حيث أنه يتقهقر بسرعة بسبب الهبوط الشديد خلف الجبال الغربية فترتفع فيه درجات الحرارة وتزداد الفروق الحرارية وتقل الأمطار ، ويخف غطاء التربة عن السفوح الجانبية ، ويضعف الغطاء النباتى عليها وينعدم وجود اى زراعة مطرية .

ولكن ارتفاع مواقع تغذيته بالمياه ، وهبوط مستواه بهذا القدر ساعد على تجميع كميات كبيرة من المياه فيه على شكل فيضانات ، استطاعت مع الزمن ترسيب مصاطب طموية بسمك كبير فى مجراه الأوسط وقد حملت هذه الطبقة الرسوبية مع الطبقة الشستية المفككة التى تحتها غشاء مائيا جيدا بحيث يبتعد مستوى الماء عن سطح الأرض مقدار ١٠م تقريبا حسبما أظهرته عمليات حفر الآبار فى الوادى .

لقد اغتنى مجرى الوادى بالأشجار مثل : السدر والسلم والاثب والتين وزرعت المصاطب المرتفعة عن المجرى وظهرت فيها الواحات منذ القدم ، وقد اعتمدت على الزراعة المروية من الآبار . وتخصص الوادى بزراعة الرمان والخوخ والعنب ثم الأعلاف والذرة وبعض الخضروات . وقد اكتسب رمان وادى بطحان (صورة ١٧) شهرة واسعة فى كل الاسواق السعودية خاصة سوق الطائف وسوق الرياض . وقد توسع الإنتاج الزراعى فى الوادى بفضل التشجيع والقروض من الدولة ، وذلك بالتوسع فى حفر الآبار وبسبب تحسن الطرق ، حتى صارت أهم أسواق منتوجاتهم سوق الطائف .

بلغ عدد قرى وادى بطحان ٢٦ قرية ترصع جانبى المجرى ، يرتبط تواجدها بتوفر المصاطب الطموية وأهم هذه القرى ابتداء من عالية الوادى فى الجنوب : آل دغمان واللغاميس وأهل الزربة وفيها مدرسة ، والجدلان وفيها المركز الادارى ومحكمة ومركز شرطة ومستوصف ومدارس ، ثم توجد قرى آل زياد التى تضم عددا من المدارس بما فيها ثانوية ومستوصف وفرن وبقالات : كالشيخ والقاربة وأهل الرأس ، والحازم وتقع

عند مصب وادى الحازم ، والغتامية وفيها مدرسة بنات والضبيعات والهضيم . وآخر القرى فى اتجاه الشمال قرية معشوقة التى توسعت كثيرا بفضل استقرار البدو ، وظهر حولها عدد من الهجر الأخرى بسبب شيوع فكرة توطين البدو ، وهم بدو الزهران الذين ينتمون إلى غامد ، وتظهر السويسية بعيدة عنها فى اتجاه الشمال .

ويتبع قضاء بيدة إداريا جميع السفوح المتجهة نحو الوادى من الجانبين ، وهى مناطق عشبية لايوجد فيها شىء من مواقع الاستقرار الدائم ، كما يتبعها شريط من الأراضى المرتفعة الواقعة على طريق الجنوب المعبد وذلك من حدود بنى حسن حتى الأطاولة . وتحوى على مدرجات زراعية منتجة ، وبعضها مدرجات « دامرة » أى مهجورة .

انقسم مؤخرا هذا القضاء إداريا الى قسمين باستحداث مركز معشوقة الواقعة فى شمال الوادى لتضم القرى والهجر القريبة منها ، وإنشاء مركز إمارة فرعية . وفيها مستوصف وثلاث مدارس . ويجرى ربط الوادى بانشاء طريق معبدة تتفرع من طريق الجنوب وتهبط الوادى بانحراف اى باتجاه الشمال الشرق الى قرية الغتامية . وسيساهم هذا الخط فى تسهيل اتصال الناس وينشط حركتهم .

بلغ عدد مستوطنى الوادى فى وقت التعداد ٧٣١٩ فردا ، كان ٤٢٠٠ منهم يعيشون فى القرى ، ويتوقع أن يكون عددهم قد زاد زيادة طفيفة خلال الفترة التالية . أما باقى العدد ويشكلون ٤٣٪ من المجموع فهم البدو . ويكثرون فى شمال الوادى حيث يقل تواجد القرى . ويتوقع أن يكون قد نقص عددهم بسبب هجرهم حياة البداوة واتجاههم الى الاستقرار فى نفس الوادى أو خارجه ويملكون ١٤ منهلا .

ج ــ **قضاء العقيق** : ويحتل مساحة واسعة تبلغ ٢٧٠٠ كم٢ يبدأ من طرف قضاءى الباحة وبيدة غربا ويمتد شرقا نحو ٧٠ كم باتجاه رنية حيث يضيق عرضه فى هذا الاتجاه وينحصر بين قضاء تربة فى الشمال وقضاءى بلجرش وبيشة فى الجنوب . ويغطى هذا القضاء جزءا من حوض وادى رنية الأعلى وجزءا آخر من حوض وادى تربة الأعلى .

يبدأ وادى ثراد – وهو من روافد وادى رنية – من شرق منطقة بلجرشى ويتجه إجمالا نحو الشمال الشرق ، ويتجه التصريف المائى نحوه فى الجزء الجنوبى الشرق لقضاء العقيق ، ومن أهم الروافد التى تغذيه بالمياه فى هذه المنطقة وادى اللحيان (وادى العقيق) ، الذى يبدأ من شمال شرق الباحة قرب الطريق المعبدة ويتجه نحو بلدة العقيق قبل ان ينحنى نحو الشرق فيصب فى ثراد .

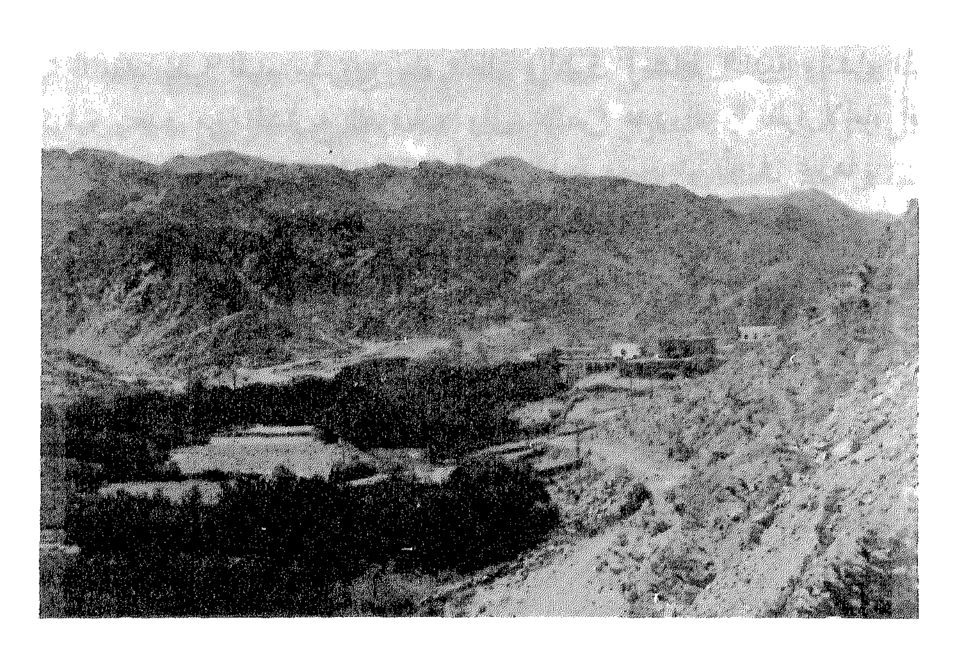
أما الجزء الشمالى والشمالى الغربى من هذه المنطقة فيتجه التصريف المائى فيه نحو وادى الجارة خاصة رافديه : كراء وأراخ . والأول من روافد وادى تربة الهامة والتى تلتقى به بعد التقائه بوادى بطحان وذلك فى جنوب حرة البقوم .

تبدأ معظم المجارى العليا لهذه الوديان ، والتى تشكل الملامح الجغرافية الرئيسية لقضاء العقيق – من اقليم الهضبة المجاورة للسراة وليس من السراة ذاتها ، حيث تكون الأمطار قليلة ويقترب المناخ فيها من الصفات الصحراوية . وتسير الوديان فوق صخور القاعدة النارية والمتحولة والبركانية ذات النفاذية الضعيفة والبطيئة التجاوب تجاه التعرية . فتغلبت فيها عوامل النقل على عوامل النحت أو الترسيب ، فظهر السطح مجردا من التربة سوى من غطاء رقيق ، ما عدا مجارى الوديان الكبيرة ، وبان الاقليم فقيرا بالنباتات الطبيعية الا من بعض الأعشاب والشجيرات النابتة فى أماكن محدودة اذا أتيحت فرصة تواجد الطمى . وليست هذه الوديان فقيرة بالتربة فحسب بل إنها فقيرة بالمياه الجوفية أيضا .

وهذا يفسر قلة الواحات ، حتى كادت تنعدم الحياة المستقرة باستثناء أماكن محدودة جدا ، خاصة اذا صلحت مواقعها لتلعب دورا هاما كمراكز على طرق القوافل أو طرق السيارات ، مثل واحة العقيق التى زادت أهميتها منذ تم اختيار أقرب مركز لهبوط الطائرات الصغيرة من مناطق جبال سراة الباحة ، ثم اختيار ذلك الموقع لإنشاء المطار الحديث . وقد تم بناؤه وتشغيله وبناء الطريق المعبدة الموصلة بين المطار والباحة الواقعة على بعد ٤٣ كم عنها . ويقع المطار على المسكوبة البركانية الواقع طرفها على بعد ١ ½ كم فى شمال الواحة بسبب استواء سطحها . وقد ساعد هذا المطار والطريق الموصلة اليه على انعاش الواحة . فنمت العقيق وتحولت الى بلدة عامرة بفضل إنشاء المبانى الاسمنتية وبناء الأحياء والشوارع فيما بين بساتين النخيل المزروعة من السابق .

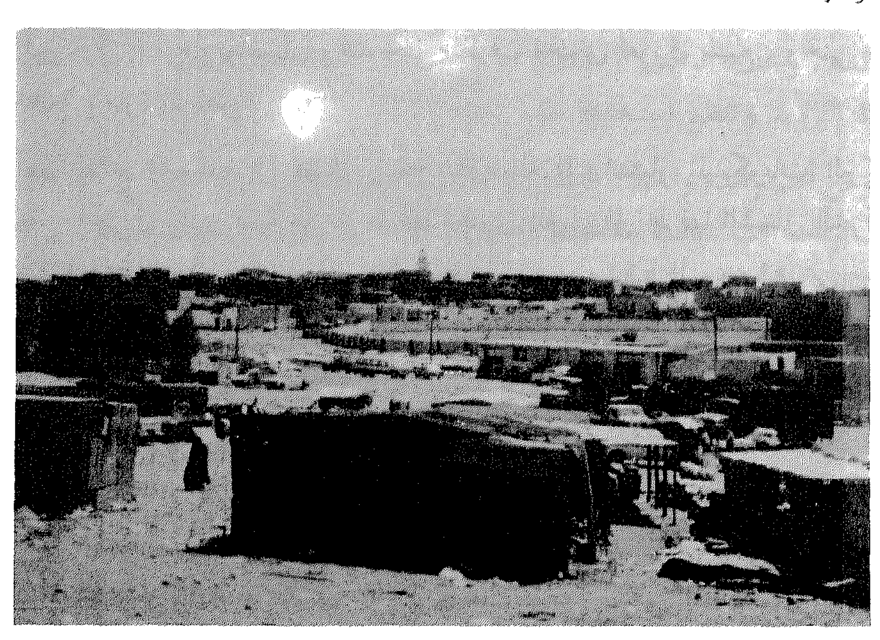
فلا غرابة اذن أن يبلغ عدد سكان بلدة العقيق فى وقت تعداد السكان ١٥٥٠ فردا من ضمن ١٨٠٠ فرد هم مجموع المستقرين فى هذا القضاء ، وقد توزع العدد الباقى (٢٥٠ فردا) فيما بين ١٢ قرية صغيرة أو هجرة . ولكن من القرى القديمة : الطوى وحرب والحشرج .

وبالمقابل فقد ارتفع عدد البدو حسب التعداد المذكور الى ١٥٠٠٠ فرد ينتسبون الى غامد ، مما جعل البدو يشكلون ٨٩٪ من سكانه ، ويملكون ٢٨ منهل ماء زرع حولها النخيل مثل ثراد والمشورة . وتشير الدلائل الى زيادة عدد أفراد بلدة العقيق خلال الفترة



(صور ١٧)

مزارع قرية آل دغمان فى عالية وادى بيدة (بطحان) مقتصرة على مصاطب الوادى الرسوبية فقط ويسود فيها أشجار الرمان .



(صورة ١٨)

بلدة تربة القديمة والمبنية من الطين عند بداية الشارع الحديث والذى بنيت محلاته من الاسمنت .

التالية للتعداد نظرا لقيام مشروع بناء المطار والطرق ونشاط البلدية وإنشاء المبانى الحكومية وعدد من المشاريع الفردية ، والى تناقص عدد البدو نظرا لاتجاه أفراد وجماعات منهم نحو الاستقرار فى العقيق أو فى الباحة وبلجرشى أو فى غيرها .

وبذلك يحتل قضاء العقيق المرتبة الأولى من بين أقضية إمارة الباحة بارتفاع نسبة البدو اذ أنه يحوى وحده ٥٢٪ من بدو الإمارة كلها أو ٥ر١٠٪ من بدو اقليم هضبة الحرات فى الحجاز الجنوبى الذى يتميز بارتفاع نسبة البدو فيه .

ومن الجدير بالذكر وجود مواقع عديدة فى منطقة العقيق لمناجم معدنية مهجورة مثل : معدن العقيق الواقع فى وادى كراء على بعد ١٣ كم فى شمال العقيق ، وعبلة واكتنة الواقعتين على بعد ٢٨ ، ٣٦ كم على التوالى فى شرق العقيق . ومن المعتقد أيضا أن المنطقة كانت مشتهرة بتعدين الحجارة الكريمة بدليل مايوحيه لنا إسمها .

٢ ـ قضاء رنية :

ويحتل حوض وادى رنية الأدنى وجزءا من حوضه الأوسط ، وذلك الى الشرق من مقاطعة العقيق والى الشمال من مقاطعتى بيشة وتثليث . ويضم جزءا كبيرا من حرة سبيع اى حرتى البقوم ونواصيف ويمتد حتى الطرف الجنوبى لعروق سبيع ، وحتى عالية نجد التابعة لإمارة الرياض .

وأهم الملامح الجغرافية فى قضاء رنية- بالاضافة الى انتشار المسكوبات البركانية الواسعة – اختراق وادى رنية لها من طرفها الجنوبى الغربى الى طرفها الشمالى الشرقى . وتهبط ارتفاعات تضاريسها حسب اتجاه الوادى من ١٤٠٠م الى ٩٠٠م عن سطح البحر فى حين يهبط ارتفاع مجرى الوادى ذاته من ١٣٠٠م الى ٨٠٠م عند هجلة المختمية قرب مصبه بوادى بيشة . وتتناقص الأمطار ويتزايد الجفاف فى حوض الوادى فى هذا الاتجاه .

ولكن لما كان وادى رنية يستمد معظم مياهه من المرتفعات فى شمران وختعم وشرق غامد التى تسقط فيها أمطار تقرب من (٣٠٠ – ٤٠٠ملم) ، ويتجه معظمها الى الوديان اذا نجت من التبخر ، بسبب عدم أو ضعف نفاذية صخور المنطقة . وتصل هذه المياه – باستثناء ما يتسرب منها الى الباطن – الى مسافات بعيدة فى اتجاه سافلة وادى رنية .

وكلما طاالت المسافة التى تقطعها مياه الوادى فانها تتناقص كميتها باتجاه الحوض الأدنى ، وتعجز عن الاستمرار فى حمل فتات التعرية فتلقى بها ، وتبنى مصاطب وسهول فيضية فى بعض قطاعات الوادى بعد أن يخف الميل أو يتسع المجرى . فتتوفر فيه مثل بقية وديان الاقليم الهضابى التربة المتجددة والصالحة للزراعة ، والتى تقوم بمثابة الخزانات المائية الأرضية يمكن الاعتماد عليها فى أى نشاط زراعى ينشأ فيها ، ولكنها بكميات ومساحات وامكانيات محدودة .

لقد قدر أن معدل مياه الجريان السنوى فى وادى رنية يبلغ ٤٠ مليون متر ولايتجاوز سمك الرسوبيات ١٥م ، غير أن بعض الآبار محفورة فى الصخور النارية المتكسرة تحت الطمى . كما قدرت كمية المياه التى تسحب من الوادى بغرض الزراعة بـ ١٥٫٥ مليون متر ٣/السنة ، وذلك من ٥٥١ بئرا بلدية ، تختلف صفات مياهها من الجيدة الى الفقيرة حسب موقع البئر من قناة الجريان(١) .

ولكن تبين من الدراسات التى جرت على هذا الوادى ان تزويد مياه الفيضان لخزانات الوادى غير كاف ليضمن كمية من الماء تمكن من التوسع الزراعى ، وبالتالى ليس بالامكان زيادة الكمية المأخوذة للزراعة عن المعدلات الحالية اذا بقيت الظروف السائدة . ويحتاج الوادى الى إنشاء موانع صغيرة للفيضانات كالعقوم الترابية للعمل على زيادة التزويد وتنظيم استخدام المياه الجوفية .

ومن أهم وأقدم واحات الوادى واحة رنية المزدهرة ببساتين النخيل . وقد اكتسبت هذه الواحة أهمية خاصة بالاضافة الى طاقتها الزراعية نظرا لوقوعها فى منبسط يلى الجبال والحرات فاتخذت محطة لطرق القوافل القديمة ، لاسيما تلك التى تربط الهضبة الداخلية بمواقع الجبال العالية. ومن الطرق المشهورة التى تمر منها طريق الطائف – الخرما – رنية – بيشة ، ومنها الى المناطق الجبلية فى الباحة أو عسير . ولذلك قيل فى الأدب القديم أن « رنية من الأعراض الهامة »* .

يقع الجزء المعمور من وادى رنية فى مجراه الأدنى ولكن قبل التقائه بوادى بيشة بنحو ٧٠ كم ، وذلك فى وسط منطقة يعترض مجرى الوادى فيها سلسلة جبلية بارزة تتكون

(1) Italconsult Op. Cit. P. 169-184.

* الأعراض جمع عرض وهو الوادى الذى يحوى قرى ومزارع .

من صخور الأندسيت المتحول ، استطاع الوادى اجتيازها فقسمها الى مجموعتين شمالية وجنوبية .

وقد تواجد فى هذا القطاع من الوادى الذى لايزيد طوله عن ٢٠ كم ٢٨ قرية بما فيها بلدة رنية . وفى حين بلغ مجموع سكان قضاء رنية حسب التعداد العام للسكان ٢٥٥٧٢ نسمة ، وفى حين اننا لانتوقع أن يكون هذا الرقم قد زاد زيادة كبيرة خلال الفترة التالية للتعداد ؛ فانه طرأ – بالتأكيد – تغير كبير على أعداد ونسب أنماط السكان فيه . فقد توزع العدد السابق طبقا لأرقام التعداد على النحو التالى : ٣٠٤٨ فردا فى بلدة رنية ، ٥٠٩٤ فردا فى قرى الوادى ، ١٧٤٣٠ فردا من البدو أى أنهم توزعوا حسب النسب ١٢٪ ، ٢٠٪ ، ٦٨٪ على التوالى .

ان أبلغ وأوضح تغير طرأ على بلدة رنية وعلى سكانها ، والتى كانت قبل نحو نصف قرن حسبما وصفها فؤاد حمزة(١) : « تقع فى أرض وعرة بجانب رنية ويحميها عدد من الجبال منها فى الجهة الشمالية أى على طريق الخرمة : جبال التغدوة وواردات وظلمى والقنصلية ، ويحميها من الشرق جبل سلمى ، ومن الجنوب والجنوب الشرقى جبال الورك والخثعمى وزنانير ، ومن الجنوب الغربى جبل الكور ومن الغرب جبال الحراشف والسّودة والفهدان ، ومن الشمال الغربى يبرز خلف هذه الكتل الجبلية جبل المصلوخ » وهو عبارة عن امتداد بازلت حرة نواصيف يبرز كاصبع باتجاه الشمال الشرقى ويشرف على طريق رنية – الخرمة .

تستمد بلدة رنية أهميتها بالاضافة الى شهرتها كواحة واسعة غنية بالمزروعات ، وكسوق هام لتبادل المنتوجات ، وكمحطة على طريق القوافل الى اتخاذها المركز الإدارى كمنطقة واسعة تبلغ مساحتها ٩٤٠٠ كم٢ وكانت إمارة قائمة بذاتها حتى سنة ١٣٩٤هـ حين اتبعت الى إمارة مكه . وقد أسس فيها بلدية وأنشىء فيها العديد من الدوائر الحكومية التى تقام فى مراكز الإمارات ، والتى يرجع اليها جميع أفراد المنطقة . وافتتحت فيها المدارس من مختلف المراحل وكذلك المستوصفات والعيادات ، ثم أقيمت فيها الأسواق الجديدة وانتشرت فيها الخدمات .

وقد حثت هذه العوامل بلدة رنية على النمو والتوسع بسرعة ، خاصة وقد تم توصيلها بطريق « مزفلت » تربطها بالخرمة فى الشمال الغربى ، وكانت الأخيرة قد اتصلت

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ – ٥٠ .

بطريق الطائف – الرياض قبل ذلك . فزالت العزلة القديمة عنها وتحولت الى مدينة صغيرة .

وبالمقابل يمكن اعتبار أن توسع رنية تم الى حد ما على حساب بدو المنطقة ، الذين اتجه عددهم الى التناقص ، بسبب استقرار أعداد كبيرة منهم فى رنية أو فى غيرها من مدن المملكة لاسيما المدن الكبيرة . وكان البدو – ومازالوا منتشرين فى جميع أنحاء القضاء – يعتمدون على رعاية الجمال والأغنام والماعز ، ويتركزون فى فصل الجفاف حول مناهل الماء التى تتواجد فى مجارى الوديان ، خاصة فى القطاع الأخير من الوادى . فاذا كانت عالية وادى رنية خالية من الواحات والقرى فهى لاتخلو من مناهل الماء مثل ثَراد والعقيق والمشورة التى تقع ضمن بادية غامد كما ذكرنا ، والصفيرية والمصَيْدة والخيفيشة وعين أبى مليح والملاح والمغراة والفجانة وتقع ضمن بادية سبيع ، والرجع والمنعشة ورغوة وجريد والوغدية وظاعن وتقع فى بلاد الدواسر .

أما السكان الريفيون فيمكن أن نفترض زيادة عددهم خلال الفترة المنصرمة بسبب الاهتمام بالتوسع الزراعى والتشجيع الحكومى ، ومع ذلك فان تلك الزيادة ستكون محدودة لضعف امكانيات التنمية فى الوادى ، تلك الامكانيات التى تتحكم فى نموهم .

تتجمع قرى رنية فى قطاع من الوادى لايزيد طوله عن ٢٠ كم يبدأ بقرية الأملح ، الواقعة على بعد ١٧ كم فى شرق رنية على مجرى الوادى باتجاه عاليته ، أي بُعَيْد خروجه من حرة البقوم . ولذلك فان رنية والأملح يقع كل منهما على جانب من جانبى الكتلة الجبلية المعترضة لطريق الوادى المشار اليها أعلاه ، فتتمتع الأملح مثل رنية اذن بمركز ملتقى القوافل وتعتبر المركز الثانى للقضاء .

وأهم هذه القرى بعد الأملح : الحجف والجُرْثُميَّة ومقابل والضَّرم وصرف وكويكد وملهى ، والحزم وهى قاعدة هذه المجموعة من القرى ، والدعيكة والروضة وهى السوق الأسبوعية والعماير وهى آخر العمران فى الوادى من جهة الشمال الشرقى .

يعتمد سكان القرى فى وادى رنية على زراعة النخيل والحبوب بالدرجة الأولى . ويعتمدون أيضا على تربية الحيوانات . كانت حياتهم بسيطة وهادئة ، ويمارسون الزراعة بالطريقة التقليدية ذات المردود الضعيف ، ثم اخذوا يغيرون من أساليبهم الزراعية بإدخال

استعمال الآلات والأسمدة والضخ ، ويستفيدون من إرشاد ومساعدات الوحدة الزراعية . وكانت رنية تشتهر ببعض المهن اليدوية كنسيج الصوف الخاص بالاخرجة والمناثر والبيوت . وكان يتمثل فيها اقتصاد الاكتفاء الذاتى المغلق شأن بقية المناطق القليلة الموارد قبل أن تنفتح على مناطق المملكة الأخرى وقبل انتشار استعمال السيارات بكثافة وانشاء الطرق وتطوير بعض مشاريع المياه لخدمة الزراعة أو الاستعمال المنزلى . فاخذ اقتصادها يتطور كجزء من تطور اقتصاد المملكة .

يعتبر حوض وادى رنية جزءا من ديرة قبائل سبيع التى تسكن بالاضافة الى حرة سبيع وادى الخرمة وعروق سبيع فى شمال شرق الحرة والوديان . ويشارك سبيع فى بعض هذه المناطق عدد من القبائل الأخرى كآل صامل من الأشراف فى وادى رنية على سبيل المثال . ويفصل ديرة سبيع عن بيشة أرض « الذهاب » الواقعة على بعد ٦٠ كم جنوب رنية وذلك فى جنوب شرق حرة البقوم .

٣ - حوض وادى تربة :

ويقع فى وسط هضبة المسكوبات البركانية ويضم معظم مساحتها ، أى حرة سبيع (البقوم ونواصيف) وحرة حضن . وتبدأ بلاد تربة من جهة الجنوب الغربى من شمال شرق قضاءى العقيق وبيدة ويمتد مع اتجاه مجرى الوادى ، وتكملها فى نفس الاتجاه بلاد الخرمة حتى النهاية الشمالية الشرقية لاقليم جنوب غرب المملكة .

وأهم الملامح الجغرافية فى هذه المنطقة - بالاضافة الى انتشار المسكوبات البركانية المتكونة من البازلت (اى الحرات) على معظم سطحها - هو اختراق وادى تربة لها . ولكن يجب أن لا يغرب عن بالنا أن مجارى تربة العليا تأتى من جبال غامد وزهران وبنى مالك . ويواصل الوادى مجراه فى هذه المنطقة من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى فيخترق بلاد تربة وبلاد الخرمة فيتسمى الوادى فى كل منهما باسمهما فيطلق عليه فى القسم الأول : وادى تربة وفى القسم الآخر وادى الخرمة .

يهبط الوادى من مناطق الجبال العالية الى هضبة منخفضة ، ويبدو أنها كانت منخفضة اكثر من ذلك حينما داهمتها المسكوبات البركانية من الزمن الرابع فملأت الأماكن المنخفضة جدا ، ورفعت مستوى الأرض وسوته قبل أن تخضع لعوامل التعرية التالية . ويتراوح ارتفاع هذه المسكوبات فى الوقت الحاضر بين ١٢٠٠ ، ١١٠٠ م عن سطح البحر على امتداد عشرات الكيلومترات . غير أن وادى تربة الذى استأنف نشاطه

النحتى بعد عهد الاندفاعات البركانية وسار فيما بين مجموعتي الحرات ، فترك حرة البقوم وحرة نواصيف عن يمينه وحرة حضن عن يساره ، وفصل المجموعتين عن بعضهما ، وهبط دون مستواهما بما لا يتجاوز ٥٠ م . وتجاوزهما لينتهى عند طرف عروق سبيع الرملية وكثبانها .

وبالرغم من تكون الحوض الأوسط والأدنى لوادى تربة من صخور البازلت التى تتصف بأنها ضعيفة النفاذية وبطيئة التحلل بعوامل التعرية ، وصعوبة تحلل وتجمع تربة بسمك كاف ، ووقوعه فى منطقة صحراوية لهبوطه خلف مناطق الجبال ، وابتعاده عن التأثيرات البحرية المسببة للرطوبة ، فترتفع فيه معدلات درجات الحرارة صيفا الى درجة القسوة وتنخفض شتاء ، وتتعرض لهبوب الرياح الجافة القارية فى معظم الفصول وتقل الأمطار ؛ فان وادى تربة الذى يستمد معظم مياهه وفيضاناته من مناطق السراة الأكثر مطرا ، استطاع أن يبنى فى هذا القطاع ، الذى قل فيه الميل وضعفت سرعة الجريان واتسع المجرى ، شيئا من المصاطب الرسوبية والسهول الطموية فى بعض جوانبه . شأنه فى ذلك شأن بقية وديان الهضبة الأخرى .

وقد عملت هذه المناطق على امتصاص قسم من مياه الفيضان واختزنتها فى الرسوبيات الطموية وفى الطبقات الصخرية المحطمة الواقعة تحتها . فقامت عليها الواحات المليئة بأشجارالنخيل والحبوب شأن كل من رنية وبيشة . وقد استفادت بعض واحات تربة مثل تلك فى الوديان الأخرى من وقوعها على طرق القوافل المؤدية الى المناطق الجبلية وأهمها الطريق : الطائف – الخرما – تربة – بنى مالك والباحة ، أو الخرما – رنية – جبال الباحة .

تواجدت الأراضى الزراعية فى قطاعين من مجرى الوادى تعترض بينهما المسكوبات البركانية أي أن أحدهما يقع قبل المسكوبات والثانى بعدها . وقد أدت هده الصعوبة الى انعزال المنطقتين عن بعضهما رغم قصر المسافة بينهما (٨٥ كم) .

لقد قدرت كمية الطمى فى القطاع الأول اى على امتداد ٣٢ كم قبل وبعد بلدة تربة بـ ١١٠٠ مليون متر٣ ، وقدرت كمية الطمى الحامل للمياه مع طبقة الصخور النارية المكسرة والواقعة تحتها ١٠٧٠ مليون متر٣ فى حين قدرت كمية المياه المخزونة فيها ١٥٧ مليون م٣ ومعدل الاستنزاف السنوى منها بلغ نحو ١٥ مليون م٣ .

(I) Italconsult. Op. Cit. P. 166-167.

وقدرت كمية الطمى فى القطاع الثانى أى فى منطقة الخرمة والتى لايتجاوز سمكها ٣٥م ٧٦٠ مليون متر٣ ، والطمى الحامل للمياه مع طبقة الصخرور النارية المكسورة ٤٦٠ مليون م٣ وحجم الماء المخزون ٤٦ مليون متر٣ ، ومعدل الاستنزاف السنوى ١٦ مليون م٣ .

لايتجاوز سمك الطمى فى القطاع الأول ٣٠م ، ويكون سطحه العلوى دقيق الحبيبات مثل الرمل الناعم والسلت ، ثم يتزايد حجم الحبيبات مع التعمق حتى تظهر صخور كبيرة . ويوجد الماء على عمق ٥ - ١٠م من السطح ويصبح عند الخرمة من ١٠ - ١٥م . ونوعية مياه تربة عذبة تحوى بين ٦٠٠ - ١٥٠٠ جزىء فى المليون ، وتميل المياه الأكثر عذوبة أن تحوى نسبة أكبر من الصوديوم ونسبة اقل من الكالسيوم . لقد حفرت عدة آبار فى عالية هذه المناطق الزراعية بالقرب من تقاطع الوادى مع خط الجنوب وسحبت مياهها بالانابيب الى مدينة الطائف .

ونظرا لانعزال القطاعين بعضهما عن بعض رغم قصر المسافة بينهما ، فقد اختلف الاحتلال البشرى وتباين الانتماء القبائلى ، مما اقتضى تقسيمهما الى وحدتين إداريتين تتبعان إمارة مكة وهما :

أ ــ **قضاء تربة** : ويقع فى القسم الجنوبى الغربى من الحوض فيما بين المناطق الجبلية والمناطق البركانية الصخور ، ولو أن قسما من مساحته البالغة ٧٦٠٠ كم٢ ، لاسيما القسم الشرقى والشمالى الشرقى تغطيه صخور البازلت . غير أن الجزء المعمور يقتصر على الشريط الأرضى المحيط بالمجرى والذى يقع فيما بين حرتى نواصيف وحضن ، وفى موضع يكون فيه وادى تربة قد استقبل جميع روافده الهامة .

لقد بلغ عدد قرى هذا القطاع ٢٩ قرية عاش فيها ٩٥٢٢ فرداً حسب ارقام تعداد السكان ، بما فى ذلك سكان بلدة تربة البالغ عددهم ٢٥٥٥ فردا .

ومن المتوقع أن يكون قد زاد عدد أفراد القرى ، بسبب انتعاش الزراعة وقيام عدد من المشاريع الزراعية اعتمادا على حفر آبار جديدة ، ويدل على هذا الانتعاش ظهور عدد من الهجر الجديدة فى مجرى الوادى فى عالية القطاع المزروع ، مثل : هجرة العلبة الواقعة على بعد ٤٤ كم فى جنوب غرب تربة ، والغرابة على بعد ٢٠ كم منها فى نفس الاتجاه ، والحايرية على بعد ١٠ كم ، ثم العلاوة فى جنوب تربة . ومن المواقع الهامة والقديمة فى خارج ذلك القطاع الزراعى المذكور قرية الحشرج وكان فيها ٤٠٠ فرد . وتقع فى

الجنوب الغربى من تربة أى بينها وبين العقيق ، وقرية شعار وتقع فى الشمال الشرقى اى فى سافلة الوادى بينها وبين الخرمة .

ومع ذلك فقد طرأ تغير أكبر وأوضح على بلدة تربة وعلى سكانها ، والتى قد احتفظت بأهميتها السابقة كواحة نخيل واسعة ، وكسوق لتبادل المنتوجات بين سكانها وسكان الريف التابع لها والبادية المحيطة بها ، وكمحطة من محطات طرق القوافل . وتقع تربة على المهماز الارضى الواقع بين وادى تربة وبين رافدة ريحان والذى يصب فيه من الجهة اليسرى .

زادت أهمية بلدة تربة فى عهد النهضة الاقتصادية الحديثة بسبب قيامها بدور القاعدة لوحدة إدارية فرعية ، فنشأت فيها مختلف الدوائر الحكومية المطلوبة فى المراكز الإدارية بالإضافة الى المدارس بأنواعها والمستوصفات ، استحدث فيها بلدية قامت على تنظيم أحيائها وبناء الشوارع ذات الأرصفة والمشجرة ، وتمديد خطوط الخدمات . فاجتذبت أعدادا متزايدة من السكان من اقليمها أو من خارجه ، لتزايد فرص العمل فى المجالات الجديدة والخدمات أو الوظائف أو المهن اليدوية والتجارة والنقل . واخيرا تم ربطها بطريق معبدة توصلها بطريق الجنوب فسهل الاتصال بها وأبطل عزلتها . وتحولت الى مدينة صغيرة يقدر عدد سكانها الآن باكثر من سبعة الآف مواطن .

وفى خارج هذا القطاع الزراعى ، يبدو أن الأرض رغم ضعف مواردها وقلة صلاحيتها للزراعة كانت قادرة على إنبات أعشاب رعوية بسبب طبيعة صخور البازلت التى وإن كانت بطيئة التحلل فان التربة الناتجة عنها خصبة ، ويتصف البازلت بانه يتشقق فيصبح منفذا للماء ولو ببطء إنما يكفى لإنبات الأعشاب ، وبسبب كثرة الوديان التى تنحدر من المناطق الجبلية الممطرة . ومما يدل على أهمية ثروة منطقة تربة العشبية تواجد اكثر من ٣٠٠٠٠ من البدو الذين ليس لهم من الموارد سوى استثمار تلك الأعشاب فى الرعاية ، ووجود ٣٩ منهل ماء فى ديرتهم ، مما رفع نسبة البدو فى هذا القضاء الى ٧٦٪ من مجموع السكان .

ينتمى سكان القسم الجنوبى والجنوب الغربى من هذا القضاء الى قبيلة بلحارث التى تسكن المناطق الجبلية فى شمال بلاد بنى مالك ، وتمتد بلادها الى حوض وادى تربة الأوسط ؛ وتضم أرض الجبوب الواقعة فى جنوب شرق الطائف ، والتى تكثر فيها أماكن تعدين أثرية ومهجورة مثل : حَويل وتقع على ضفة وادى تربة اليسرى عند خط

عرض ٢١° ش ، ومعملة وتقع الى الغرب من الموضع السابق بمسافة ٢٠ كم وذلك على ضفة وادى حفير اليسرى . والجبوب هضبة واسعة (اوبراح) تخددها الروافد العديدة التى تنحدر اليها من المناطق الجبلية فى الغرب وتتجه إجمالا نحو الشرق ، فينتهى بعضها الى تربة ، أو تتجه نحو الشمال الشرقى فتنتهى الى جنوب سهل الجرد الحصوى . ومعظم سكان الجبوب على حالة البداوة ، ولايوجد فيها سوى مساحات محدودة جدا من الأراضى الزراعية . وتتصل الجبوب شرقا بأرض الحميّطة .

والى الشمال الشرقى من بلاد بلحارث فى وادى تربة تقطن قبائل البقوم وتمتلك الوادى حتى قرية الغريف الواقعة فى وسط المسافة بين تربة والخرمة ، على بعد ٥٠ كم فى شمال شرق الأولى . وتسكن هذه القبائل – بالاضافة الى حوض وادى تربة الأوسط – حرة حضن وتوابعها ، وتمتد شمالا حتى مفيض وادى قطان عند حافة سهل ركبة حيث تجاور هناك ديرة قبائل عتيبة . وتمتد بلاد البقوم باتجاه الشرق من الوادى فتضم معظم حرة البقوم حيث تجاور ديرة قبائل سبيع فى هذا الاتجاه .

« ينتسب البقوم ، حاضرتهم وباديتهم وجبلهم المنيع حضن الى الأزد ، وأهم مركز لهم بلدة « تربة » والقرى التابعة لها على الوادى وتنقسم القبيلة الى ٥ بدائد . ومنهم من هاجر وسكن نجد ، ولكن ليس لهم إمارة قائمة بذاتها مثل سبيع »(١) .

ب ــ **قضاء الخرمة** : ويحتل القسم الشمالى الشرقى من حوض تربة وكذلك الشمالى الشرقى من اقليم هضاب جنوب غرب المملكة ، وذلك الى الشمال من قضاءى رنية وتربة ، فيجاور من الجهة الشرقية عالية نجد التابعة لإمارة الرياض . وتغطى مساحة واسعة تتجاوز الحدود التى اتخذناها فى دراستنا لجنوب غرب المملكة ، سيما وان الجزء المقتطع منها والذى يليها شرقا وشمالا هو – جغرافيا – جزء من عالية نجد ذى الظروف الصحراوية جدا .

يشغل الجزء من قضاء الخرمة – والذى أدخلناه فى حدود الاقليم – الحوض الأدنى لوادى تربة ، والذى يدعى فى هذا القطاع وادى الخرمة ، وكان يدعى فى الماضى وادى سبيع . ويضم هذا الحوض بالاضافة الى مجرى الوادى المتسع جزءا كبيرا من حرة نواصيف فى يمين الوادى ، كما يضم أطراف حرة حضن فى يسار الوادى . ويمتد شمالا

---

(١) فؤاد حمزة – المصدر السابق ، ص ٢٦ .

بشرق حتى عزوق سبيع الرملية ، والتى رأينا جعلها خارج حدود جنوب غرب المملكة ، وهى ذات موارد ضعيفة خالية من السكان المستقرين .

ينحدر سطح منطقة الخرمة من ارتفاع ١١٠٠م تقريبا عن سطح البحر الى ٩٠٠م ، وقد تنخفض الى ٨٠٠م فى سافلة الوادى . وتبعد المنطقة عن جبال منطقة الطائف بين ١٥٠ – ٢٠٠ كم باتجاه الشرق ، ويتصف طقسها بالصحراوية وهى فقيرة التربة نادرة المياه والنبات .

والاستثناء الوحيد فى ذلك هو تدفق فيضانات وادى الخرمة أحيانا ، والتى قلبت الموازين وهيأت ظروف تواجد الواحات قبيل نهاية الوادى بنحو ٣٠ كم . وأهم هذه الواحات واحة الخرمة الواقعة الى الشرق من خط طول ٤٢° ش وعند تقاطعه مع خط عرض ٥٠َ ٢١° ش . وواحة الغريف الواقعة على الوادى فى الطرف الجنوبى الغربى لهذا القضاء وعلى بعد ٣٥ كم عن الخرمة باتجاه عالية الوادى .

توحدت الأراضى الزراعية فى واحة الخرمة بامتداد ١٥ كم فى بطن الوادى ، وتواجدت فى واحة الغريف بامتداد ٦ كم تقريبا . ويمكن اعتبار امكانيات التنمية الزراعية فى هاتين المنطقتين محدودة لاسيما فى الثانية بسبب ضآلة أهمية الرسوبيات وقلة مخزونها من الماء .

وقد بلغ عدد قراها ١٧ قرية من أهمها فى الواحة الأولى غير البلدة : قصر خالد والسوق والسُّليميَّة والدُّبيّلة وأبو حُمَيْدَة والدُّغيمة . وأهم قرى واحة الغريف فيما عدا البلدة : القرين .

وإذا رجعنا الى تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ تبين لنا أن مجموع سكان القضاء بلغ ٢٢٧٦٠ فردا بما فى ذلك سكان المناطق الصحراوية الواقعة فى شرقه وشماله والمستثناة من المنطقة وهم قلائل . واذا علمنا أنه لايوجد فيه ولامدينة سوى بلدة الخرمة ، يمكننا أن نوزع السكان حسب الأنماط الاجتماعية طبقا للنسب التالية : ٢٤٪ فى المدينة ، ٣١٪ فى القرى ، ٤٥٪ فى البادية .

ويتضح من هذا أن نسبة البدو تقل عن مثيلاتها فى جميع مقاطعات الهضاب الشرقية لجنوب غرب المملكة رغم اتساع مساحة البادية . إن دل هذا على شىء فانه يدل على شدة الجفاف وندرة المواد العشبية بالقياس الى تلك المقاطعات . وقد توفر هذا العدد من

البدو (٩٠٠٠) بفضل وجود نحو ٥٠ منهل ماء تختلف فى أهميتها ومقادير صبيبها ، وتدل هذه الأرقام كذلك على ارتفاع نسبة وأهمية السكان المدنيين رغم وجود بلدة واحدة .

تقع بلدة الخرمة فى طرف السهل الذى يلى الحرات البركانية والمرتفعات أو البروزات الجبلية وذلك قرب نهاية الوادى . فاتخذت مركزا هاما على طرق القوافل الداخلية منذ زمن بعيد ، لاسيما الطريق من الحجاز (من الطائف) الى المناطق الجبلية فى الجنوب ؛ سواء بنى مالك أم الباحة أم عسير ، تلك الطريق التى تتجنب وعورة المرتفعات فتتجه أولا الى الشرق حتى الخرمة ومنها يبدأ التفرع .

وقد ضاعف من أهميتها القديمة أيضا أنها قاعدة لواحات زراعية غنية فى وسط صحراوى قاحل ، لدرجة صار لتمورها شهرة خاصة مثل تربة ورنية .

وحيث أنها اعتبرت فى التنظيم الادارى قاعدة للإمارة الفرعية وتتبع إمارة مكة المكرمة باسم « إمارة الخرمة » ، فقد أنشئت فيها جميع الدوائر الحكومية اللازمة فى مثل هذه المراكز ، واستحدث فيها بلدية لتشرف على تطورها العمرانى وتتحكم به ،فانشأت الشوارع الحديثة والأحياء المخططة وعملت على ايصال الخدمات المدنية ، فاجتذبت مزيدا من السكان المهاجرين اليها والذين جاءوا من باديتها أو ريفها أو الخارج ، ليقوموا بالاعمال التى استحدثت لاسيما التجارة والخدمات والنقل وأعمال الانشاء والوظائف . واخيرا تم ايصال الخرمة بطريق معبد يوصل بالطريق العام بين الطائف والرياض ، سهل على سكانها الاتصال بالعاصمة من جهة أو بمدن الحجاز من جهة أخرى . وكان من جراء هذه التطورات زيادة عدد سكانها واتساع مساحتها . وبعد أن كانت الخرمة واحة صغيرة منعزلة فى وسط الصحراء ، نمت وتنظمت وتحولت الى مدينة صغيرة ، بلغ عدد ساكنيها فى وقت تعداد السكان اكثر من ٥٠٠٠ نسمة ، أى أنها تفوقت فى ذلك الوقت على جميع مدن هضبة الحرات (تربة ورنية والعقيق) ، وبالتأكيد يتجاوز عدد سكانها الآن عشرة آلاف نسمة بسبب استمرار عوامل نموها بعد ذلك التاريخ .

يقطن وادى الخرمة قبائل سبيع ، ومن ذلك سمى الوادى باسم « وادى سبيع » . وتمتد ديرة سبيع – بالاضافة الى هذا القطاع من الوادى – الى الأراضى التابعة إداريا لهذا القضاء التى استثنيناها من اقليم جنوب غرب المملكة ، أو التى تتبع بعض الإمارات الفرعية الاخرى مثل رنية أو تربة . فهى تشمل حرة نواصيف وعروق سبيع وتجاور من

الجنوب الشرقى ديرة قبائل الدواسر وقحطان ، وذلك عند ماء الأيسري الواقع بقرب خشم عرق سبيع . وتمتد باتجاه الشمال ابتداء من حوض الوادى وبمحاذاة حرة حضن حتى تجاور ديرة عتيبة عند الخَنْفَرية قرب مفيض وادى قحطان وشعيب خنشل ، وتجاور من الغرب والجنوب الغربى قبائل البقوم(١) . وتمتد ديرتهم فى الجنوب الى حوض وادى رنية فتجاور قبائل بيشة وغامد .

وقبائل سبيع فى الأصل من القبائل البدوية تحضرٌ بعض بدائدها وسكنوا الواحات ، وقد هاجر قسم منهم الى العارض فسكنوا قرى نجد ، وبقى معظمهم حتى الآن على حالة البداوة . وقد تعرضنا للفريق الذى يسكن الحوض الأدنى لوادى رنية فى صفحات سابقة . وتعتبر الخرمة مركز الفريق الذى يقطن وادى سبيع .

٤ ـ بادية قيا وأبو راكة :

وتشغل الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الهضاب ، وتقع فى جنوب شرق الطائف وتتبع الطائف إداريا . وتمتد من قاعدة جبال الطائف (بنى سَعد وبالحارث) غربا حتى حرة حضن شرقا ، ومن شمال بيدة وغرب تربة جنوبا حتى سهل الجرد شمالا .

سطح هذه المنطقة هضابى الشكل يميل بشكل عام ابتداء من نهاية المنطقة الجبلية وذلك بالقرب من طريق الجنوب (طريق الطائف – أبها) من ارتفاع يقرب من ١٤٠٠ ويهبط باتجاه سهل الجرد فى الشمال الشرقى تقريبا الى ارتفاع ١٢٠٠م .

ولما كانت معدلات الأمطار فى جبال بلحارث وبنى سعد تقل عما هى فى باق السروات المناظرة لها ؛ لم تنعم الوديان المنحدرة منها بحمل كميات كبيرة من المياه ، بحيث يجف معظمها ، قبل أن تصل غايتها وقبل أن يتصل بعضها ببعض ، فتغور فى رسوبيات سهل الجرد الرملى . فتحولت شبكة التصريف المائى فيها الى شبكة حائرة ، تتكون من مجموعة من الوديان الصغيرة والضعيفة وغير المتصلة فلا يرفد بعضها البعض الآخر . وقد ساعد على ذلك ظروف الجفاف المحلى وقلة أو ندرة الأمطار بحيث لاتساهم بإضافة كميات تذكر من المياه الى الوديان .

وقد نتج عن ذلك أن صارت من أكثر مناطق هضبة الحجاز جفافا وقحولة زيادة على أنها لاتحوى وديانا تكون أساسا لظهور مواقع استقرار بشرى ، وكانت المنطقة بدون

---

(١) فؤاد حمزة – المصدر السابق ، ص ٢٨ .

استثناء جزءا من البادية التى تعتبر مرتعا لتحركات البدو بحيواناتهم التى يعتمدون على تربيتها فى معيشتهم .

ويتمثل الاستثناء الوحيد فى الاستقرار الحديث فى مجيء بعض أفراد البدو إلى بعض مواقع فى جانب الطريق « المزفلتة » ، والتى تمر من طرف هذه المنطقة لأنها تتجنب المعابر الجبلية ، ومحاولتهم بناء بعض أكواخ حقيرة من الطوب أو الصفيح كمظهر من مظاهر السعى الى تملك مساحات من الأراضى بجوار الطريق ، بعد طفرة ارتفاع أسعار الأراضي التى حدثت فى المملكة . وقد قام بعض هؤلاء بتقديم الخدمات للسيارات العابرة .

وتقسم هذه البادية الى قضائيين إداريين يتبعان أمارة الطائف وخاصان بالبدو وهما :

أ ـــ أبو راكة : وتقع ديرتهم فى جنوب هذا القسم أى الى الشمال من مقاطعة بيدة والى الشرق من بلاد بلحارث فى المنطقة الجبلية . وتضم الأخيرة قسما من البادية بالاضافة الى ميسان الجبلية . فتشغل بادية أبو راكة بذلك معظم أرض الجبوب التى ضم قضاء تربة جزءا آخر منها . وهى هضبة واسعة منخفضة بالنسبة للأراضي التى تحيط بها من الجهات الثلاث ، ولكنها تنحدر من الجهة الشمالية الشرقية نحو سهل الجرد .

تضم بادية أبو راكة بعض المجارى العليا للوديان التى تنتهى الى ضراء والحَفير وريحان وهى من روافد تربة الغربية ، كما تضم أحواض بعض الوديان الصَغيرة التى تهبط من المناطق الجبلية فى شمال بالحارث وتنتهى في جنوب سهل الجرد المتصل بهضبة الجبوب الى الشمال الشرقى من الموقع السابق ، وذلك فى منطقة حصوية رملية قاحلة ، لاتحوى من المواد سوى بعض الأعشاب الهزيلة فى مجارى الوديان .

تخلو هذه المنطقة إذن من الأراضى الزراعية ، كما أنها لاتملك إمكانيات التنمية الزراعية ، لقلة المياه أو ملوحتها وانعدام التربة أو ضعف خصوبتها . وهذا يفسر كون جميع سكانها من البدو . واعتبرت إمارة فرعية خاصة بالبدو الرحل . ولو أن لهم مواقع شبه ثابتة تتمثل فى ١٦ موردا من موارد المياه يلجأون اليها فى مواسم الجفاف .

بلغ مجموع ساكنى أبو راكة فى وقت تعداد السكان ١٣١٤٧ نسمة ، ولم يسجل التعداد من فئة المستقرين سوى ١٢١ فردا موزعين على ستة مواقع ، يبدو أنها مجموعات صغيرة من الأعشاس أو الأكواخ التى أنشئت على جانب طريق الجنوب . ومن المتوقع

أن يكون قد ارتفع عدد هؤلاء المستقرين فى الفترة التالية للتعداد بسبب استمرار هذه الظاهرة ، وبدافع تأمين الخدمات للمسافرين على الطريق .

ولكن من المتوقع كذلك أن يكون قد نقص عدد بدو هذه المنطقة بسبب اتجاه الأفراد الى هروبهم من حياتهم القاسية والاستقرار فى أماكن أخرى للتفتيش عن أعمال أخرى غير الرعاية . وهذا يعنى أن الاستقرار مازال صفة طارئة بالنسبة لسكان هذه البادية .

ينتمى بدو أبو راكة الى قبائل بالحارث التى تبدأ ديرتها من شمال تقاطع وادى تربة مع طريق الجنوب المعبدة ، وتضم الخُمَيِّطة والجبوب ، وتمتد شمالا حتى ريع النجد ، وهو كتلة جبلية صغيرة تعتبر الحد الفاصل بين بلاد بالحارث وبلاد عتيبة ، كما تمتد غربا فتضم المنطقة الجبلية حتى خط الشعاف والتى تتخذ ميسان قاعدة لها .

ب ـــ قيا : وتعتبر امتدادا لبادية ابو راكة باتجاه الشمال ، فتنحصر بين جبال بنى سعد من الغرب وحرة حضن من الشرق والشمال الشرق . ويحدها من الجهة الأولى تقريبا طريقا الجنوب الحديث (طريق الطائف – أبها) وتشمل ديرة قيا الأحواض الدنيا لمجموعة الوديان الصغيرة المنحدرة من منطقة الجبال المذكورة وتتجه إجمالا نحو الشمال الشرق ، وأهمها وادى بقران أو بشيان ودوقية ، كما تشمل أرض الجُديرة التى تمتد من جوار قرية أم الحمص الى الربوة ، والتى يتوسطها وادى شِرب ، وتشمل كذلك معظم سهل الجرد الرملى الذى يمتد شرقا حتى حرة حضن .

يتضح من موقع هذا القضاء أنه يشترك مع بادية أبو راكة فى صفات الجفاف والقحولة ، وبالتالى فقر الموارد وامكانيات التنمية . وان الاستثمار الإقتصادى الوحيد هو رعى الحيوانات اعتمادا على الأعشاب التى يمكن ان تتواجد فى بعض الأماكن كالوديان . وهذا يفسر انعدام الحياة المستقرة . ولو أن تعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ أوضح وجود ست قرى أو مواقع بلغ مجموع ساكنيها ٥١٦ فردا ، اى أربعة امثال عددهم فى أبو راكة . وقد يعود السبب فى ذلك الى أهمية وادى بقران (وادى بسل) الذى تقع عليه واحتا بسل وكلاخ ، والى قربه من مدينة الطائف مما أدى الى ظهور ونمو الأكواخ على جانب الطريق ، سواء لغاية التملك أو لتقديم الخدمات لمسافرى السيارات مثل أم ثلويوة .

وفى حين تنعدم موارد المياه تماما فى سهل الجرد ، فتنعدم فيه حياة الاستقرار حتى المؤقتة ؛ فانه يوجد ثمانية مناهل موزعة فى أحواض الوديان فى الجهة الغربية من المنطقة

والبعض منها فى طرف حرة حضن ، مما أتاح المجال لازدهار حياة البداوة والتى لابد لوجودها من الاعتماد على موارد ثابتة للماء يلجأ البدو إليها فى مواسم الجفاف . فتسببت فى وجود نحو ١٠٠٠٠ بدوى . وكان عدد أفراد القبائل البدوية كافيا لايجاد وتخصيص إمارة فرعية جل مواطنيها (٩٥٪ منهم) من البدو .

واذا حاولنا أن نضم أعداد البدو الذين سكنوا – طبقا لأرقام أعداد السكان لسنة ١٣٩٤هـ – المناطق المتجاورة : قيا وأبو راكة وبلحارث وبنى سعد وهى بادية واحدة متصلة تقع بين جبال بلحارث وبنى سعد وبين حرة حضن ؛ سيصل الرقم الى ٢٦١٣٦ فردا ، وهذا يعادل ٣٨٪ من مجموع بدو إمارة الطائف على اتساعها . وهو يعادل من ناحية أخرى ١٧٪ من بدو اقليم جنوب غرب المملكة البالغ نحو ١٤٤٠٠٠ بدوى . الأمر الذى يوحى بعظم المسئولية التى تجابه تنمية هذا الإقليم .

مصادر الكتاب

(أ) مصادر باللغة العربية :

(١) ابن خرداذبة ؛ المسالك والممالك ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٨٩م .

(٢) اولرد ، ب و . ؛ المراعى وإدارتها . ترجمة حسن حمزة حجرة وهاشم عبد المطلب مختار (١٩٦٩م) .

(٣) توتشل ، س . المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية . ترجمة شكيب الأموى . القاهرة (١٩٥٢م)

(٤) جمال الدين الديناصورى ، دولت صادق ، محمد السيد غلاب ؛ جغرافية العالم . الجزء الأول ، مكتبة الانجلو المصرية (١٩٦٧م)

(٥) حسن حمزة حجرة ؛ امكانية التنمية الزراعية فى المملكة العربية السعودية . مطابع المطوع بالدمام .

(٦) حمد الجاسر ؛ فى سراة غامد وزهران . منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

(٧) سعد بن عياش ؛ مدينة جُرش الأثرية . مجلة العرب . جـ ٤ . السنة ٦ ص ٢٤١ .

(٨) شفيق كمالى ؛ بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمالى . مجلة العرب . جـ ٩ . السنة ٦ فى ١٩٧٢م .

(٩) عاتق البلادى ؛ أودية مكة – فى مجلة العرب ، جـ ٩ ، ١٠ السنة ٩ . ص ٦٤٥ .

(١٠) عبد الباسط الخطيب ؛ سبع سنابل خضر (١٩٦٥ – ١٩٧٢م) . وزارة الزراعة والمياه ، الرياض ١٩٨٠م .

(١١) عبد الرحمن الشريف ؛ مناخ جنوب غرب المملكة العربية السعودية . مجلة الدارة . العدد ١ . السنة ٢ . ربيع الأول ١٣٩٦هـ ، مارس ١٩٧٦م .

(١٢) على صالح السلوك الزهرانى ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، جـ ٢ ، بلاد غامد وزهران . منشورات دار اليمامة ١٩٧١م .
(١٣) عمر رضا كحالة ؛ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة .
(١٤) عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، راجعه احمد على (١٩٦٤م) الطبعة ٢ . مكتبة النهضة الحديثة ، مكة .
(١٥) عمر عبد المجيد دراز ؛ التنمية الزراعية بالمملكة ، وزارة الزراعة . الرياض (١٩٦٥م)
(١٦) عمر عبد المجيد دراز ؛ المراعى ووسائل تحسينها فى المملكة العربية السعودية . مطابع الرياض ١٩٦٥م .
(١٧) عمر غرامة العمروى ؛ فى بلاد بنى عمرو وما يجاورها . مجلة العرب . جـ ٧ ، ٨ السنة ٨ . ص ٦٢٩ – ٦٣٥ .
(١٨) عمر غرامة العمروى ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية . بلاد بارق ، ١٣٩٨ / ١٣٩٩هـ .
(١٩) عمر الفاروق السيد رجب ؛ دراسات فى جغرافية المملكة العربية السعودية ، دار الشروق جدة ، ١٩٧٨م .
(٢٠) فؤاد حمزة ؛ فى بلاد عسير . الطبعة الثانية ، مكتبة النصر الحديثة . الرياض ، ١٩٦٨م .
(٢١) كنزو تنح واورتك ؛ مشروع دراسة تخطيط المنطقة الجنوبية . تقرير المخطط الرئيسى ، جيزان ، مقدم لوكالة الوزارة لشئون تخطيط المدن ، وزارة الشئون البلدية والقروية ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .
(٢٢) محمد احمد العقيلى ؛ المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، جـ ١ منشورات دار اليمامة .
(٢٣) محمد عبد المنعم الشرقاوى ، محمد محمود الصياد ، هذا العالم . دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٢م .
(٢٤) محمد عمر رفيع ؛ فى ربوع عسير . القاهرة ، ١٩٥٤م .
(٢٥) محمد محمد سطيحة ، جغرافية العالم . مكتبة الانجلو المصرية .
(٢٦) محمد سفر حسين الزهرانى ؛ بلاد زهران بين حاضرها وماضيها ، ١٣٩٠هـ .

(٢٧) محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبة جزيرة العرب . جـ ٢ ، جغرافية المملكة العربية السعودية . مؤسسة سجل العرب ١٩٧٢م ، القاهرة .

(٢٨) مصطفى الدباغ ، جغرافية شبه جزيرة العرب . بيروت .

(٢٩) مصلحة الاحصاءات العامة ؛ الكتب الإحصائية السنوية . وقد صدر منها ١٨ عددا حتى سنة ١٩٨٣م .

(٣٠) مصلحة الاحصاءات العامة ؛ حصر السكان والمؤسسات ، ١٩٦٢م .

(٣١) مصلحة الاحصاءات العامة ، التعداد العام للسكان ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م الرياض ١٩٧٦ . البيانات الأولية على مستوى المناطق الادارية . الرياض ١٩٧٦م .

(٣٢) مصلحة الاحصاءات العامة ، التعداد العام للسكان ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م . البيانات التفصيلية الرياض ١٩٧٣ .

(٣٣) وزارة التخطيط : خطط التنمية : الأولى والثانية والثالثة . الرياض .

(٣٤) مكى عزيز ، الأمطار فى المملكة العربية السعودية . مجلة كلية الآداب ، العدد ٢ ، ص ٢٣٩ – ٢٨٨ .

(٣٥) الهمدانى ؛ صفة جزيرة العرب ، نشر وتصحيح ابن بليهد . القاهرة ، ١٩٥٣م .

(٣٦) وزارة الزراعة والمياه . إدارة الابحاث والتنمية الزراعية . ملخص نتائج بحث الزراعة والإنتاج للعام الزراعى ٧٠ /٧١ . (٢٠ / ٢ / ١٩٧٤م).

(٣٧) وزارة الزراعة والمياه ، شعبة الإحصاء الزراعى ؛ نتائج التعداد الزراعى الشامل ٧٣/ ١٩٧٤م ، الاجزاء ، من الأول حتى الخامس . الرياض (١٩٧٧م) .

(٣٨) ياقوت الحموى – معجم البلدان ، المجلد ٩ .

(ب) التقارير :

(١) سعيد أحمد سويد الغامدى ؛ تقرير عن الغابات بمنطقة جيزان واحتياجات تطورها . وزارة الزراعة والمياه ، قسم الغابات ، ١٩٧٢م (١٢ / ٦ / ١٩٧٣) .

(٢) على الراشد ؛ مشكلة البدو والاستقرار . نموذج من السعودية .

(٣) محمد عبد العزيز الفايز ؛ استعراض الوضع السكانى فى المملكة العربية السعودية .

(٤) محمود حسين سالم ؛ تقرير عن غابات المملكة العربية السعودية ، نشرة وزارة الزراعة والمياه . إدارة استثمار الأراضي . قسم الغابات .

(٥) وزارة الزراعة والمياه ؛ مشروع التنمية الزراعية بوادي جيزان . محطة حاكمة للبحوث الزراعية . برنامج العمل السنوى ١٣٩٥ / ١٣٩٦هـ .

(جـ) خرائط المملكة :

(١) جزيرة العرب مقياس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠
إعداد مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية وشركة أرامكو
(١٩٥٧م) .

(٢) الخريطة الجيولوجية لشبه الجزيرة العربية مقياس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠ .
إعداد مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية وشركة أرامكو (١٩٦٣ م) .

(٣) مجموعة الخرائط الجغرافية خاصة : لوحة عسير 217B ، ولوحة تهامة الشام 216B ، ولوحة الحجاز الجنوبى 210B ، ولوحة نجد الجنوبى 211B مقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠ . وضع جلين براون وروى أو جاكسون .

(٤) مجموعة خرائط منطقة جيزان ومنطقة الباحة ومنطقة تثليث .
عمل شركة آسيا ايروسيرفى – سيول كوريا (١٩٧٨م) مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ .

(د) مصادر باللغة الانجليزية :

(1) Allred, B.W., Sowyd, S., Borno, K.S.; Woodlands in Saudi Arabia. International Forestry. (Madrid, Spain. June 1966).

(2) Arabian American Oil Company; Aramco Handbook 1961.

(3) Brice, William C.; Southwest Asia. (University of London press LTD, 1966).

(4) British Admirality and War Office; A Handbook of Arabia. Vols. 1,2. London (1916). Compiled by the Geographical Section of the Naval Staff, (1920).

(5) Crane, Robert D.; Planning the Future of Saudi Arabia. A Model for Achieving National Priorities. (Praeger Publishers, 1978).

(6) Cressey, Geogre E.; Crosslands, Lands and life in Southwest Asia. The Lippincott Geography series, U.S.A. (1980).

(7) Draz, Omer; The Ancient Hema System of Range Reserves in the Arabian Peninsula (Mimeo).

(8) The Europa Yearbook (1980); Middle East and North Africa, Vol. 2. Saudi Arabia, P. 1281-1296.

(9) Fisher, W.B.; The Middle East, 5th ed, (London Methuen, 1963).

(10) Forster, Charles; Historical Geography at Arabia Vol.1. London, 1844.

(11) De Gaury, Gerald; Arabian Phoenix, (George G. Harrap & Com. LTD. London, 1946).

(12) Geiger, R.; The Climate Near the Ground. (Harvard University press, 1965).

(13) Italconsult; Water and Agricultural Development, Survey for Area II, III, Final Reports, land Inventory (1969).

(14) Italconsult; Water and Agricultural Development, Survey for Area II, III,. Climate and Surface Hydrology (1969).

(15) Italconsult; Water and Agricultural Development, Survey for Area II, III, Final Report. Water Development Survey (1969).

(16) Kenzo Tange & Urtec (1978); Southern Region Project Study,. Master plan Report, Khamis Mushayt.

(17) Langdon, W.C., Foscue, E.J., Mcknight, T.L., Regional Geography of Anglo-America. Fifth ed. Prentice Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey (1979).

(18) Lipsky, G.D.; Saudi Arabia, Its people, its Society, its culture. (New Haven. 1959).

(19) McDonald, James; A Geography of Regions. W. M.C. (Brown Company Publisher, Dubugue. Iowa, 1972).

(20) Ministry of Agriculture and Water, (S.A); Bulletin of Agricultural current, Survey from 1972-1975.

(21) Ministy of Agriculture and Water, (S.A); Hydrology Division, Hydrological Information, 92 Issues.

(22) Ministry of Petroleum and Mineral Resources, (S.A); Mineral Resources of Saudi Arabia, Bulletins I,II,III.

(23) Minshul, R., Regional Geogrohy, theory adnd Practice
(Hutchinson university library, london 1967) .

(24) Monkhouse, F.J. & Wilkinson, H.A.; Maps and Diagrams.
Strand.

(25) Philby, St. J.; Saudi Arabia Highlands, Cornell University
Press, Ithaca, New York, U.S.A. (1952).

(26) Philby, St.J.; Saudi Arabia, (London 1922).

(27) Rihany, Ameen; Around the Coasts of Arabia. Boston, New
York, Houghton Mifflin Company (1930).

(28) Sogreah, Water and Agricultural Development Studies, Area VI.
Final Report, Part 2, Water Resources (1969).
(Methuen & Cor LTD. London 3rd ed. U.S.A. 1971).

دار غـريب للطبـاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب :

منذ أكثر من عشرين عاماً وهاجس العالم الجغرافي يؤرق مؤلف هذا الكتاب ، وقد أثمر ذلك ؛ عن عدة مؤلفات مميزة ؛ لاتزال مصدراً علمياً في الدراسات الأكاديميه .. فمنذ سبعة أعوام صدر الجزء الأول من « جغرافية المملكة العربية السعودية » وبالرغم من وجود عدة مؤلفات في هذا المجال في المكتبة العربية ؛ إلا أن هذا الكتاب أصبح رئيسياً في موضوعه وظل يطبع عدة سنوات في طبعات متتاليه .

وإذ يفخر الناشر حينما قدم الجزء الأول ، فإنه يواكب طموح المؤلف في اصدار الموسوعة العلميه الجغرافيه للمملكة العربية السعودية ..

وهذا الجزء يغطى أكبر أقاليم بلادنا ، دراسة تحليلية شاملة .. ويتناول أهم العوامل التي يتميز بها هذا الأقليم ، ويفرد المؤلف لكل أقليم داخل الأقليم الرئيسى دراسة شامله معززة بالخرائط التي بلغ عددها خمسة وأربعين شكلًا ، ثم أحد عشر جدولًا توضيحياً ، مكملًا ذلك بالصور الفوتغرافيه لمظاهر الحياة في أقاليم جنوب غرب المملكه ..

نقدم الجزء الثاني من جغرافية المملكه العربيه السعوديه ، ولايزال هناك وعداً مع المؤلف بالأستمرار فى اصدار الأجزاء الباقيه حتى تكتمل الموسوعه العلميه الجغرافيه لبلادنا ..